مجلة الباحث

البحث من أجل التغيير

مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية المحكمة

العدد الثامن عشر

يوليو 2018م

مؤسسة طلال أبوغزالة للملكية الفكرية

مجلة الباحث : مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية المحكمة

السنة الخامسة، العدد الثامن عشر : يوليو 2018م - ISBN978-9938-12-733-1

http://www.elbahithmagazine.com

info@elbahithmagazine.com

مسجلة في دول العالم بمؤسسة طلال أبوغزالة للملكية الفكرية www.agip.com

TN/T/2015/00406

عضو المجلس الدولي للغة العربية – بيروت – www.alarabiah.org

عنوان المجلة في أندونيسيا:

DKI - Jl. Masjid Cidodol RT 005/012 Grogol Selatan –Kebayoran West of Jakarta Jakarta

Daud Lintang 6281435365

عنوان طباعة المجلة في تونس :

مطبعة الخدمات السريعة، 32 نهج الرفق، بالقرب من STB بنك، جارة قابس، سلام راجح GSM 98279849. البريد الالكتروني: impsr64@yahoo.fr

المكتب الإعلامي للمجلة في تونس:

Youcan – B4 – Im – Zouhour , rue AL – Maarifa 6000 Gabes Tunisie

site web : www.youcan.tn E-mail : contact@youcan.tn

حسام الدين مصطفى بن عبد الملك 25163280 .

www.agip.com

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة

All rights reserved Copyright ©مجلة الباحث2018

البحث من أجل التغيير

مجلة الباحث

مجلة تعنى بنشر البحوث العلمية المحكمة

العدد الـثامن عشر

يوليو2018م

مؤسسة طلال أبوغزالة للملكية الفكرية

الرؤية والرسالة والأهداف

شعار المجلة : البحث من أجل التغيير.

رؤية المجلة **:** مجلّة علميّة عالمية، تعنى بنشر البحوث العلمية المتنوعة، في مجالاتها المتعددة، لخدمة و تطوير الإنسانية.

رسالة المجلة **:** إيصال العلوم بالنشر، والتبادل المعرفي في ضوء المعايير البحثية العالمية، لخدمة الباحثين والطلبة في سائر أنحاء العالم، بما يخدم المجتمع ويحافظ على القيم.

أهداف المجلة :

- فتح نافذة علمية تسعى لنشر البحوث العلمية وتحكيمها.
- الإسهام في خدمة البحث العلمي الرصين.
- تنمية القدرات في الدراسات والبحوث العلمية لدى المتخصصين وفق منهجية متميزة.
- تشجيع البحوث العلمية التي تتناول قضايا العصر والمستجدات العلمية ذات الرؤى الحديثة.

اهتمامات المجلة :

- البحوث العلمية الرصينة المستندة إلى مناهج البحث العلمي.
- تحقيق التراث الذي يسهم في إغناء المكتبة المعاصرة.
- بحوث العلوم العصرية المرتبطة بالتقنية الحديثة التي تخدم الإنسان وترتقي به؛ لنشرها والتعريف بالجهود العلمية الجادة.
- مراجعات الكتب والرسائل الجامعية وعرضها.

ضوابط النشر في المجلة

تصدر مجلة الباحث وفق الضوابط الآتية:

- مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.
- قوانين الإصدار والنشر .
- رؤية ورسالة وأهداف المجلة .
- أن تكون لغة البحث لغة سليمة وفصيحة.
- تزويد هيئة التحرير بنسخة من البحث على نظام استمارة النشر في الموقع، ويجب أن يكون البحث مكتوبا بواسطة الحاسوب وذلك وفقاً لضوابط التحرير الآتية:

أ- إرسال نص البحث بوساطة برنامج.(Word)
ب- متن النص في اللغة العربية Times New Roman عادي (حجم 14).
ج- متن النص في اللغة الإنجليزيةTimes New Roman عادي (حجم 12).
د- متن الهامش في اللغة العربية Times New Roman عادي (حجم 12).
ه- متن الهامش في اللغة الإنجليزيةTimes New Roman عادي (حجم 8).
و- العناوين الرئيسة في اللغة العربية Times New Roman أسود (حجم 14).
ز- العناوين الرئيسة في اللغة الإنجليزية Times New Romanأسود (حجم 14)
ح- العناوين الفرعية في اللغة العربية Times New Roman أسود (حجم 14).
ط- العناوين الفرعية في اللغة الإنجليزيةTimes New Roman.عادي (حجم 10)

- أن تكون معلومات البحث موثقة توثيقا علميا رصينا.

- أن يكون البحث متصفا بالموضوعية والحيادية والأمانة، متسما بالعمق والأصالة خاليا من الأخطاء اللغوية والمطبعية.

- أن يتضمن البحث قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث مع ذكر المعلومات الضرورية لها.

- ترتيب المصادر حسب الحروف الأبجدية.

- الالتزام بالمنهج العلمي والموضوعي وقواعد النشر واتباع أصول كتابة البحث العلمي.

- البحوث لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ، أو قُدِّمَ للنشر إلى أية جهة كانت.

- تخضع البحوث المقدّمة إلى المجلّة للتحكيم من قبل أعضاء لجنة تحكيم تعينها المجلة.

- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأية جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.

- الإجراءات التي يجب على الباحث أن يتبعها لنشر بحثه في المجلة:

أن يقوم الباحث بإرسال نسخة إلكترونية إلى عنوان المجلة بصيغة ملف (Word) من بحثه وفق ضوابط النشر في المجلة.

أن يقوم الباحث بإرسال رسوم النشر والتحكيم المتفق عليها مع إدارة المجلة.

يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المقترحة من المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز عشرين يوما.

الهيئة الاستشارية للمجلة

رئيس التحرير : د. قاسم حسن القفة، جامعة الزاوية، ليبيا .

مدير التحرير : الأستاذ . داود لنتانج اليمين، جامعة جاكرتا الحكومية.

سكرتير التحرير : الأستاذ . عادل جابر ، تونس.

أعضاء الهيئة الاستشارية :

-- الأستاذ الدكتور أندي هاديانتو، جامعة الشافعية الإسلامية، اندونيسيا.

- الأستاذ الدكتور عبد القادر سلامي، جامعة تلمسان، الجزائر.

- الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي، جامعة أم القرى، المملكة السعودية.

- الأستاذ الدكتور سعيد شواهنة، جامعة النجاح، فلسطين.

- الأستاذ الدكتور صالح محمد حسن أرديني، جامعة الموصل، العراق.

- الأستاذ الدكتور هيثم سرحان ، جامعة قطر، قطر.

- الأستاذ الدكتور عبد العليم محمد إسماعيل، جامعة كردفان، السودان.

- الأستاذ الدكتور عز الدين الناجح، كليّة الآداب منّوبة، قسم العربيّة، تونس.

- الأستاذ الدكتور أحمد البايبي، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب.

- الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد منصور، جامعة دمياط، جمهورية مصر العربية.

-الأستاذ الدكتور الصديق آدم بركات، جامعة أفريقيا العالمية، السودان.

- الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد عبد الله البسيوني، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

-الأستاذ الدكتور عبد الخالق فضل رحمة الله علي، جامعة السودان المفتوحة.

- الأستاذ الدكتور كنزاي محمد فوزي، جامعة20 أوت1955، سكيكدة، الجزائر.

- الأستاذ الدكتور سردار رشيد، جامعة السليمانية، كردستان العراق.

-الدكتور بركة محمد الجربي، كلية الطب، جامعة الزاوية، ليبيا.

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

عزيزي القارئ الكريم،،،

يسر هيئة تحرير مجلة الباحث أن تضع بين يديك مع مطلع شهر يوليو 2018م، العدد الثامن عشر، والذي يضم بين دفتيه بحوثاً و دراسات متنوعة في العلوم الإنسانية و التطبيقية ، ونحن إذ نقدم هذا العدد للباحثين نأمل أن يتقبلوه بالرضا، في الوقت الذي نعلن فيه عن تقبلنا لملاحظاتهم وتعليقاتهم وإسهاماتهم الكريمة .

إن ما قدمه الباحثون في هذا العدد يؤمل منه الإسهام في نمو و تطور المعرفة الإنسانية التي نحن في أمس الحاجة إليها ، ونحن نسابق الزمن في النهوض بمؤسساتنا الأكاديمية بحثياً .

لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكافة باحثي العدد الثامن عشر علي اختلاف تخصصاتهم متمنياً لهم دوام المشاركة في هذه الفصلية.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

إلى لقاء ، رئيس التحرير

يوليو 2018م

المحتويات

الموضوع	الباحث	الصفحة
تمثّلات الأنا والآخر في فن الحكاية النسوي القطري رواية العبور إلى الحقيقة لشعاع خليفة أنموذجاً	الباحث : قاسم حسن القفة جامعة الزاوية – ليبيا	01
المكان في شعر المعلقات	د. ربيعة أبو القاسم علي الواعر جامعة الزاوية كلية التربية أبو عيسى قسم اللغة العربية	16
نقد ابن المعتز لشعر أبي تمام	الباحثة : أماني علي محمد القماطي جامعة طرابلس كلية التربية جنزور	31
العدالة والحرية في الوعي العربي الحديث Justice and Freedom in modern Arab awareness	د. المبروك سليمان أبوعجيلة قداد. الجامعة الاسمرية - كلية الاداب	48
إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي في هيئة الأمم المتحدة	د.البشير علي المبروك الحميدي جامعة صبراتة كلية الآداب – قسم الجغرافيا	59

المحتويات

الموضوع	الباحث	الصفحة
الدافع العلمي للاستشراق في دراسته لتراث الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عريبي، دراسة تحليلية مقارنة	د يوسف موسى على عبدالله ابوعليقة قسم الفلسفة- جامعة الجبل الغربي كلية الاداب والعلوم/ الشقيقة	79
النشاط الاقتصادي في مدينة زويلة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي	د .أم العز عبد القادر محمد عبد القادر الشريف جامعة طبرق/ كلية الآداب قسم التاريخ	90
الثورات الشعبية في ليبيا ضد التواجد العثماني	د /المبروك محمد موسى علي جامعة الزاوية كلية الآداب	107
الكوارث الطبيعية بالمغرب المريني (668 – 869 ه / 1269 – 1465 م) .	أ . سامية أمحمد محمد قريميدة . كلية التربية أبوعيسى جامعة الزاوية	117
المدخل السسيولوجي لدراسة اقتصاديات التنمية في الوطن العربي	الباحث : محمد سعيد أبوغرارة التعبان كلية التربية أبوعيسى جامعة الزاوية	134
إنشاء خريطة لملوحة التربة بمنطقة كروم الخيل - غرب مدينة طبرق ليبيا – (دراسة استكشافية)	الباحث:محمد فرج عوض عباس الباحث:أبوبكر بخيث أبوبكر كلية الموارد الطبيعية وعلوم البيئة جامعة طبرق	149

المحتويات

الموضوع	الباحث	الصفحة
التدريس المصغر، دراسة تحليلية حول (مفهومه، أسسه، تطبيقاته)	د. عبد الحكيم أمحمد عمر جامعة الزاوية كلية التربية أبو عيسى	161
الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية، من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية	د.خيرية عبدالله البكوش جامعة صبراته كلية الآداب صبراته	172
تحديات العولمة والتربية العربية الإسلامية	الباحث : علي البشير بالحاج كلية التربية أبو عيسى جامعة الزاوية	183
دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو للمنظمات الصناعية دراسة تطبيقية بمصنع الأعلاف بصرمان	عامر المختار عبدالله الحمودي المعهد العالي لتقنيات علوم البحار صبراتة	199

بحوث باللغة الإنجليزية **English Research Articles**

Article Title	Authors	Page No.
The Role of Teaching Reading Comprehension in Enhancing the Quality of English Education in the Libyan ELT context	PhD Abed Abubkr Aloreibi, PhD Abdul Alsalm Elraggas, The University of Ajdabiya The University of Benghazi The Faculty of Arts The Department of English	01

تمثّلات الأنا والآخر في فن الحكاية النسوي القطري

رواية العبور إلى الحقيقة لشعاع خليفة أنموذجاً

الباحث :قلم حسن اللغة

جامعة الزاوية – ليبيا

مقدمة :

عكست الرواية العربية، ومختلف أشكال التعبير السردي مفهوم الأنا والآخر في أبعاده المتعددة، غير أن تحولا حدث في مفهوم الآخر، بعد تطور التحولات السياسية والاجتماعية في المنطقة العربية، وظهور قضايا جديدة، خلخلت ترتيب ثنائية الأنا/**الآخر في الوعي العربي، وجعلت** الرواية، ومعها مختلف أشكال التعبير الإبداعي، تلتفت إلى آخر داخلي، وتُدخله إلى مجالها موضوعا منظورا إليه .تجلى هذا التحول في صيغة ثنائية الأنا الآخر، من خلال تغيير موقع عنصري الثنائية .فقد انتقل الأنا إلى آخر، وأصبح موضوعا روائيا، وقضية للتحليل.

تعددت أشكال الأنا/ الآخر في الرواية العربية، وجاء تحت مواصفات عديدة، وإذا كانت كتابة المرأة السردية خاصة تلك التي حققت مظاهر خطاب «الكتابة النسائية» **قد حولت الرجل إلى** آخر، وموضوع منظور إليه، بعد أن استمر تاريخيا ذاتا فاعلة، ومُقيمة خارج السؤال والإشكالية، **كما** نجد في رواية «العبور إلى الحقيقة» للكاتبة القطرية شعاع خليفة، فإن هذه الكتابة أنتجت تصورا حوله، انطلاقا من طبيعة وجوده في المجتمع(شخصية سيف)، ونوعية خطابه وشكل التصورات التي يحملها حول الآخر وحول ذاته .

كما عرفت الرواية العربية تمظهرا جديدا للآخر- الأنا الذي اتخذ - هذه المرة- **صفة ابن البلد،** وتحول معها مفهوم »**الأجنبي** .«**انتقل الأنا/الذات إلى آخر**/الغير الذي يطرح سؤال المعرفة والتأمل والتحليل .وقد نلتقي ببعض مظاهر الارتباط بين الآخر/**الرجل والآخر/ المحلي** في كثير من الرواية محل البحث، نظرا لعدة أسباب مُرتبطة بطبيعة الأنا في المنظومة العربية، وعلاقتها بمؤسستي الذاكرة والعشيرة.

أهداف الدراسة :

- أدب الخليج العربي أصبح مركزا ثقافيا له وزنه في الوطن العربي، بل غدا يتفوق على المراكز الثقافية التقليدية كالشام **و**العراق ومصر؛ لذلك وجب الوقوف على نتاجه الأدبي **و**الفكري.

-الوقوف على تجربة الرواية النسائية في دولة قطر.

- طرحت رواية العبور إلى الحقيقة حضورا متنوعا للآخر المحلي/**الأجنبي من الواجب** استكشافه.

أهمية الدراسة :

تعد هذه الدراسة تأمل نقدي يركز على الكتابة النسائية القطرية باعتبارها نتاجاً مختلفا لدلالات المفاهيم المألوفة حول الأنا والآخر، وذلك بموجب تحولات مواقع المرأة ضمن الخطاب الرمزي. وترجع أهمية دراسة هذه الرواية – كذلك - تعود إلى موقع المنظور إليه (الموضوع) حين يتراجع مع هذه الرواية مفهوم الآخر الأجنبي/الغربي، وينشغل التخييل بالآخر -الأنا موضوعا روائية، وتقترح الروائية شعاع خليفة تشخيص الآخر/الرجل، من خلال تقديم نمط وعيه، ليس بتسريد تصوراته وكلامه، وتحويلها إلى مواضيع للحكي بضمير الغائب، ولكن باعتماد الملفوظ المباشر(المواجهة بين براين الامريكي وسيف...).

أسباب الاختيار :

تناول الروائية القطرية شعاع خليفة ثنائية الأنا والآخر في روايتها، وانعكاس ذلك في طبيعة التفكير في إستراتيجية تجاوز التخلف في الأدب القطري بشكل عام والنسوي بصورة خاصة، حيث ركزت الروائية على الآخر، ومرجعية هويته، وصفته الإيديولوجية، أكثر من تحليل (الأنا)، في اختزال حالة التخلف، ...

تساؤلات البحث : هل لجأت الرواية شعاع خليفة إلى بناء جسور للتفاهم بين (الأنا) و(الآخر)؟ وكيف؟ .

منهج البحث : النقدي التحليلي .

ليست الرواية تعبيراً عن وعي شخص واحد، إنما إضاءة لوعي أشخاص آخرين مختلفين. والروائية القطرية شعاع خليفة تسلّط الضوء على فهم الأنا الآخر ثقافياً وعوائق هذا الفهم من خلال عملها الإبداعي الذي بين أيدينا الآن وشخصياته الروائية.

عوائق فهم الأنا الآخر ثقافياً عوائق متعددة كمعنى الكلام، وعدم فهم الأفكار، وعدم فهم رؤية الآخر للعالم إذا كان هناك آخر في الرواية، فإلى أي شيء يعود ذلك؟ يتبادر إلى الذهن بشكل متتال، كون الرواية مكتوبة على الشكل الذي يوجد فيه الآخر، وتدور أغلب أحداثها في بلد الآخر. ويرتبط بهذا السبب النموذجُ الثقافي الموجود سلفاً في الثقافة التي تُكتب في إطارها رواية ما.

وإذا ما عملنا على تطوير هذا السبب في شكل أكثر تقنية فسنقول بـ(النمط)، الموجود في ثقافة الكاتب الأصلية، أي الصورة المبتسرة التي تنقل إلى الآخر رسالة واحدة يُعتقد أنها (جوهرية) ، حيث يترتب على النمط من حيث إنه يوهم أن الآخر موضوع التمثيل كائن ذو بعد واحد أزلي وأبدي، ويخلط بين ما هو نعتي وما هو جوهري، ويرفع الخاص إلى مستوى العام، والفردي إلى مستوى الجماعي. نقول يترتب على ذلك أن تعمل الرواية على نقل النمط الذي أودعه الكاتب فيها(ما ترسخ في سيف من ثقافة وطنه الأم)، وبمجرد ما نلحق هذه الوظيفة بالرواية يمكن أن نسأل عما يجعل الرواية قابلة لأن تكون كذلك، فلكي تستجيب الرواية لهذا النقل يجب أن تكون مؤهلة بحيث لا تمثل سوى تحقُّق للنقل.

نستخلص من هذه المقدمة الموجزة أن للرواية طابع الوسيط. لكن هل نتحدث عن الرواية فعلاً؟ ألا نخلطها بالروائي ومقاصده؟ إننا نعتقد أن الرواية تتحدث عن نفسها، لكن في الوقت

نفسه يجب أن نعترف أن وراء كتابتها شخصاً يريد أن يتواصل معنا. غير أننا يمكن أن نفرز من هذا الخلط تعارفاً أولياً ما دامت الرواية تُكتَب، والراوي يَكتُب في إطار ثقافة ما.

تندرج رواية (العبور إلى الحقيقة) لشعاع خليفة ضمن رواية الأنا والآخر؛ إذ يتقابل فيها العالم العربي المسلم والعالم الغربي المسيحي. وتنمايز الرواية العربية منذ ظهورها إلى يومنا هذا بتجسيد ثنائية الأنا والآخر، وذلك عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة، سواء أكانت سلبية أم إيجابية، تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الذكورة والأنوثة، وثنائية التقدم والتخلف، وثنائية العلم والجهل، وثنائية المادة والروح...

تطرح رواية العبور إلى الحقيقة مشكلة الهوية ، أو إشكالية التقابل بين الذاتية والغيرية بإلحاح، أي مشكلة الكيان الحضاري الذي ننتمي إليه بالعالم الخارجي، وخصوصاً مع أمريكيا، فضلاً عن مشكلة نظرتنا لأنفسنا، فالمتن السردي لرواية شعاع خليفة يعنى بهذه القضية من جانبها الأول، وهو علاقة الأنا بالآخر ، وعلاقة الأنا بنفسها، وهو جانبها الثاني. فحكاية (سيف) كما نلاحظ من خلال أحداث الرواية ، تتصل بالجانبين. إنهما وجها مشكلة الهوية التي جرى تمثيلها سردياً في هذه الرواية بأبعادها الموضوعية المتصلة بالآخر ، وبأبعادها الذاتية المتصلة بالأنا.

تتكىء رواية (العبور إلى الحقيقة) كثيرا على موضوع العودة إلى الجذور؛ لأن رواية الهجرة التي كتبها مبدعو منطقة الريف تحمل في طياتها حنينا إلى الأرض، وتشبثا بالكينونة العربية، وشوقا إلى الوطن والأهل والأحبة .ويعني هذا أن رواية الهجرة هي رواية الاغتراب الذاتي والمكاني، تصور القلق الذي يعانيه الإنسان المرتحل إلى بلاد الغربة أو المهجر. ويتجسد هذا القلق بكل جلاء في عدم التفاهم بين الأنا والآخر على مستوى الأفكار والقيم والعادات والتقاليد. ويتمظهر أيضا في ضراوة الانفصام السيكولوجي الذي تعانيه الذات المغتربة في الزمان والمكان والعواطف. وسرعان ما ينقلب الحب الرومانسي (علاقات سيف المتعددة) لدى الذوات العاشقة إلى شقاء ذهني ووجداني وحضاري؛ بسبب الاختلاف بين الذات الشرقية عن الذات الغربية في مجموعة من السلوكيات والقيم والمبادىء الحضارية.

أنماط رؤى وتمثلات الأنا والآخر في رواية العبور إلى الحقيقة

الروائية الأنثى(الأنا)، والبطل الرجل (الآخر) :

لم تحظ رواية العبور إلى الحقيقة أهمية بالغة من طرف النقاد والدراسين، وسبب ذلك يعود في إعتقادي لجهلهم بالروائية وموضوع الرواية؛ وما جعلني أهتم بهذه الرواية كونها من أوائل الروايات العربية التي كاتبتها امرأة تتحدث بلسان رجل ، وتعد هذ الرواية واحدة من روايات نسائية قليلة يحكيها رجل بينما كاتبتها امرأة، وهي أول تأشيرة للسفر في ذاكرة رجل قطري بالإقامة في عالمه الحميمي، ومقاسمته عمرا من النضال والخيبات والتناقضات الذاتية، ومن بين الأسباب كذلك كونها تعدّ منافسة للرجل في خوض الكتابة الأدبية والرواية على وجه الخصوص.

يصر السارد (الذكر) على واقعية تطوراته الدرامية المنهمرة من فيضان الذاكرة FLASH BACK المسيطر على كامل بنية الرواية ومن خلال السرد الذكوري لهذه التجربة (أو السيرة) العاطفية، خاصة، تتجلى براعة الروائية (الانثى) وصانعة هذا العالم التخييلي الذي يحكم لغة التعبير المتصفة، أو الذي ينبغي أن تتصف بالصدق الفني الذي من شأنه أن يحقق شرط الاقناع بواقعية ما يرويه السارد على متلقيه الكامن في بنية الرواية أو الواقع خارجها عموماً. ومع محاولة الإقناع الفني والتأثير النفسي أيضاً على عواطف المتلقي، تعترف الروائية (الأنثى)

الواقفة خارج متخيلها السردي (الرواية) وبشكل فني قد ينتبه إليه القارىء والناقد تحديداً، بشيء من الإمعان والتأمل في طبيعة شخصية السارد...

لقد جعلت الروائية (الأنثى) التي تمثل الأنا بطل قصتها (الذكر) الذي يمثل الآخر لقد جعلت منه منهزماً أحياناً ومغفلاً أحياناً أخرى " وعندما رفض سيف العودة معه لتعبه الشديد تناقشا طويلا وبعد ذلك أخرج مايك حبتين صغيرتين وضع احداهما في فمه وابتلعها وقدم الأخرى لسيف قائلا له إنها ستريحه ولن يشعر بأدنى تعب أثناء الرحلة في القطار لكن سيف رفض الحبة مؤكدا له أنه لا يتناول الأدوية حتى لو كان مريضا فابتسم مايك وأخبره أن تلك الحبوب شائعة بين الطلبة وأنها تعينهم على تحمل الغربة والوحدة ووسوسة الشيطان وأنها لا تسبب أي ضرر، وفي نهاية الأمر استطاع اقناعه فتناولها وشعر في القطار براحة جسدية ونام معظم الوقت..."[1] ، وفي بعض المرات لا يستطيع اتخاذ القرارات منفردا، فهو مسير من قبل من حوله " تلك العملية التي رفضت القيام بإجرائها، ولكنها ستتم كما تم سفري إلى هذه البلاد نزولاً عند رغبة أفراد أسرتي..."[2].

في مكان آخر، وفي حديث عن ذاكرة (سيف) الطفولية مع جدته "حين كانت تستخدمه[إن استعانة الروائية بلفظة تستخدمه رمزية واضحة على الطاعة] فترسله ليحضر هذا وذاك أو ليطعم حيواناتها وكان إذا مرض تداويه بأدوية كان يراها عجيبة غريبة كإجباره [لفظة قوية تدل على الاستكانة من طرف سيف] على شرب ماء أطفأت بداخله سكين فولاذية محماة، أو شرب شراب لا يعرف كنهه عندما يسمع إطراء من إحدى الجارات على جمال وجهه وشعره..."[3]

لقد جعلت الروائية من بطل روايتها ذلك الآخر المخدوع في علاقاته بالأنثى، حين شعر بخديعة واهتمام (فيونا) المزيف به :"- انتظر ياسيف، لا تذهب ياعزيزي، سوف أخبرك الآن لماذا أردت التعرف عليك في البداية.

صعق سيف بما سمع فهناك إذن أسباب لا يعلمها، فهل خدع مرة أخرى؟ وتنهد تنهيدة عميقة نمت عما يختلج في نفسه من ضيق وألم وقبل أن يخبرها أنه لا يريد سماع كلمة أخرى قالت على الفور:

-سأخبرك بكل شيء، ولكن ، يجب أن تعرف أنني أنا أيضا أحببتك، إنني أحبك كثيرا ياسيف وأشعر برغبة دائمة في رؤيتك، أما الهدف الحقيقي لرغبتي في التعرف عليك في البداية فقد كان من أجل كتابة مقالات صحفية، فأنا أكتب مقالات لإحدى الصحف، وآسفة لأنني أخفيته عنك...لقد اخترتك لأنك جئت من بلاد لا أعرف الكثير عنها فأردت الحصول على أفكار جديدة، عن طريق التعرف على الحياة الاجتماعية والدينية وغيرها في بلدك قطر.

-إن هذا سبب تافه، ولا أصدقه... ".[4]

لقد اتخذت الروائية شعاع خليفة من بطل روايتها (سيف) شخصاً منهزماً غير قادر على اتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بعودته إلى وطنه مثلاً، وكلما حاول التخلص من هذه السلبيات عاودته من جديد، فهو لم يتمكن من اتخاذ موقف حاسم[في اعتقادي أن الكاتبة أرادت من بطلها أن يكون بهذه الصورة، خاصة بعد أن كونت دائرة مشبوهة حول كثير من رفاقه] بعد أن أخبرته

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، شعاع خليفة، مؤسسة دار العلوم الدوحة، الطبعة الأولى، 1993م، ص32.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص5.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص38.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص 52-53.

السيدة (شارلت هارت) بأن صديق المخادع (مايك) قد طرد من الجامعة لأنه متورط في قضية مخدرات" وعندما عاد إلى غرفته وجلس على سريره طرأت عليه فكرة وهي حزم حقائبه والعودة لبلاده ولكنه طرد هذه الفكرة سريعاً وقرر عدم الاستسلام لمشاعره، وصمم على تنفيذ رغبته في ترك المكان والانتقال إلى آخر، ومحاربة تلك المشاعر التي تنفسد عليه حياته، وقرر أيضاً عدم السماح لأي من هؤلاء البشر أن يشعره مرة أخرى أنه مغفل كبير أو ملاك صغير ".[1]

ولعل الحديث الذي دار بين(سيف) والسيدة (شارلت هارت) حول (إيما)ونصائحها المتكررة له، يجسد ماأرادت الكاتبة التعبير عنه حول هذه الشخصية الضعيفة المتكأة في اتخاذ القرارات على الغير " يجب أن تخبرها بما تشعر به، يجب أن لا تخجل من الناس فتحمل نفسك ما لا تطيق، إن مشكلتك الحقيقية ياعزيزي هي أنك تتخلى عن مبادئك بسرعة، لو كنت رفضت العيش معها منذ البداية لما حدث ما حدث، ولكنك وقعت تحت تأثير الآخرين، لقد استطاعوا إقناعك بقبولها في بيتك دون زواج وهو أمر ينكره عقلك، ومثل هذه الأخطاء يجب أن تتحاشى الوقوع فيها مرة أخرى، إن لديك عقل كالآخرين، لماذا تنساق لما يريدون رغم أنهم لا يتميزون عنك بشيء؟ فتنهد بضيق وقال: إنها هي التي أرادت ذلك، لقد طلبت العيش معي منذ رأيتها".[2]

إن الالتقاء أو الاحتكاك المستمر بين (سيف) مع الآخر حين فرضت عليه شخوصاً متعددة أحاطت به في الرواية[أما مقدار علمه بشخوصه، فيبدو لي غير عليم بخفاياها، في تصوري هكذا أرادت الكاتبة أن يكون بطلها]، والذي حرصت الروائية كثيراً على تصوير هذه العلاقات بأنها فاشلة وغير ناضجة وتفتقر إلى الحكمة والتريث" وفي أحد الأيام كان يعمل في مطبخ بيته وكان يغني مسروراً وهو يضيف قطعة من الزبدة لكمية من الأرز المسلوق وفجأة عادت إليه تساؤلاته عمّا حدث بينه وبين فيونا وكيف استطاع خياله أن يحولها إلى إنسانة كاملة متميزة، فقال محدثاً نفسه" ولكن فيونا ليست كاملة، ألم تقترح العيش معي دون زواج وهي متزوجة برجل آخر؟ وبالطبع فإن المسكين لا يعلم بما تفعله هنا؟ إذن... فهي تخونه.ألم تتظاهر بحبها لي من أجل متابة بعض المقالات؟ دون اهتمام بمشاعري، لقد تصرفت بأنانية، فهي خائنة وأنانية، ومادية أيضاً، إنها لا تترك دولار في جيبي إلا وتريد أخذه، ولكن لا أعرف كيف حول خيالي علاقتي بها إلى حلم جميل! وكيف جعلني لا أرى منها إلا محاسنها!..."[3]

لم تكتف الروائية بتصوير بطلها الفاشل دائما في علاقاته مع الآخر، بل زادت ذلك حين جعلته يفشل كذلك في مهمة الطبخ أيضاً " أما مهمة الطبخ فلم ينجح فيها كثيراً فاضطر إلى الاتصال بوالدته مراراً ليسألها عن طرق طبخ الأرز باللحوم المختلفة، ولكنه فشل في ذلك وفشل أيضاً عندما حاول طبخ الأرز مستعيناً بكتب الطبخ..."[4]

لقد أسهمت الروائية شعاع خليفة (الأنثى/الأنا) في إذكاء عوامل الرغبة في إقصاء الآخر (الذكر/الآخر)، حين سوقت لفكرة البطل الانهزامي القدري، وهي صورة لا يمكن التغاضي عنها، خاصة حين يتعلق الأمر بموضوعات مصيرية كالإنجاب وتكوين أسرة مثلاً، " وبعد انقضاء تلك الاحتفالات عادت إيما من جديد للوحدة والفراغ ثم أخذت تفكر في الإنجاب عندما أنجبت صديقة مقربة لها طفلاً فأخبرت سيف برغبتها تلك ولكنه رفض الفكرة تماماً تحاشياً لتحمل مسئوليات جديدة وأدى رفضه إلى حدوث خلاف كبير بينهما استمر طويلاً وجلب لهما

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص54.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص91-92.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص55-56.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص56.

تعاسة شديدة"[1]، لم يتوقف الأمر عند هذه النقطة، بل تجاوزت الكاتبة ذلك في ضرب من السرد الكثيف؛ لترسيخ الفكرة [فكرة البطل المنهزم] والذي تشير فيه – **في إعتقادي** – الروائية إلى نفسها كثيراً بوصفها منتجاً للأحداث كما يرى بعض النقاد.[2]، أو لعلها أسقطت على شخصية بطلها شيئا من حياتها. لقد أخبرته السيدة (**شارلت**) بأن زوجته (إيما) أنجبت له طفلاً دون علمه:" **فقالت**:لقد أراد براين أن يخبرك به ثم لم يستطع فطلب مني أن أخبرك. فازداد اندهاشه وقلقه **فاستطردت قائلة**: لقد أنجبت لك إيما طفلاً، أرجو أن لا تغضب منها كثيراً، أعرف أنك لا تريد أطفالاً ولا تحتمل الحديث عنهم "[3].

الرؤية الانبهارية :

والمقصود بها الرؤية الحضارية، التي تعترف بتفوق الغرب، والتي نادى بها كثير من المثقفين العرب في بداية القرن العشرين، حين انبهروا أيما انبهار بحضارة الغرب إعجاباً وافتتاناً وغواية، فانساقوا وراء نزواتهم الشعورية واللاشعورية، وبالتالي، كانت رؤيتهم للغرب على أنه رمز للحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظاهرة والدفينة. ولكنهم سرعان ما استيقظوا من سباتهم، وذلك ليتعرفوا حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضارياً مخالفاً عقدياً وقيمياً ودينياً وأخلاقياً واجتماعياً وثقافياً عن الفضاء الشرقي الروحاني. وأن لكل بيئة مقوماتها الخاصة، فالشرق شرق والغرب غرب. وهذا ما عبرت عنه الكثير من الروايات العربية بشكل واضح وجلي كرواية (الحي اللاتيني) لسهيل إدريس، و(موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، و(عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، و(الأيام) لطه حسين، و(قنديل أم هاشم) ليحيى حقي.

نعني بالرؤية الانبهارية – أيضاً ـ تلك النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب والانبهار بحضارة الغرب، والافتتان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتقنيات والمعارف والآداب. وغالباً ما تكون تلك النظرة في البداية فطرية ساذجة أو نظرة واعية نسبياً بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب أو بين المكان الأصل ومكان الجذب والافتتان، وذلك بسبب صدمة الحداثة، والتي تفرز بشكل جلي التناقضات الهائلة والتباين الشاسع والهوة الفاصلة بين عقلية متخلفة وعقلية متقدمة.

لم تكن الروائية شعاع خليفة مسرفة في الانبهار مثل غيرها من الروائيين العرب في نظرتهم إلى الآخر الغربي، الذي كان ينظر إلى الغرب بأنه الحرية ، وعشق المدن، وتحرر المرأة ، والإباحية، لم تبالغ الكاتبة كثيرا في التقابل بين عالم الكبت وعالم التحرر، ورصد التفاوت الملحوظ بين عالم التخلف وعالم التقدم، والمقارنة بين الانحطاط الحضاري والرقي المدني، بل خالفتهم في مشهد عودة بطلها إلى وطنه بعد الانتهاء من دراسته بتفوق ونجاح " كان والد سيف سعيداً بحصول ابنه على الشهادة التي انتظرها طويلاً وكذلك كان سعيداً بعودته هو وأسرته..."[4]

ومن الصور التي بثتها شعاع خليفة في روايتها، والتي صورت جدلية الأنا والآخر من خلال رؤية انبهارية استعجابية واستغرابية، نستحضر بعضاً ممن قامت واحترفت الروائية في تسجيله؛

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص73.
[2] ينظر حول مفهوم السرد الكثيف: عبدالله إبراهيم، الرواية العربية والسرد الكثيف، (تجربة مؤنس الرزاز نموذجاً)، مجلة علامات في القد، ج27، مج7، نادي جدة الأدبي الثقافي، السعودية، 1998م، ص105.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص92.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص97.

لتوثيق شخصية بطل روايتها(سيف) عند وصوله إلى أمريكيا " وتجول بين الأبنية السكنية فكان كل ما رآه وشعر به مختلفاً عن بلاده، الجو، الناس، المكان..."[1]

قال سيف:" هل هذه هي أمريكا التي تمنيت السفر إليها والدراسة بها وتمنيت رؤية مدنها وقراها وأعاجيبها؟ "[2]

" كنت أظن أن جميع الغربيين يحتقرون المسلمين ولكن من المؤكد أن هذا غير صحيح..." كيف أدرك (سيف) هذه الحقيقة؟ وهو مغيب عن اتخاذ القرارات المصيرية، ولا يمتلك الخبرة الكافية للوصول إلى إصدار الأحكام على الشعوب والأمم.أعتقد أن ما تعرضه الروائية شعاع خليفة بين الفينة والأخرى ربما هي محاولة أو رغبة منها في إفراغ صدرها من إحساسات قديمة تجاه الآخر قد تكون أتعبتها فلم تعد تطيق معايشتها، أو ربما هي مرايا متعددة، بيد أنها مهشمة وغير مكتملة في كثير من الأحيان والصور، أو لعله تلاعب روائي تطالعنا به شعاع خليفة، إنه التماهي وعدمه مع بطل روايتها أو ربما أبطال روايتها، وهو أمر لجأ إليه العديد من الروائيين[3]، خاصة إذا كان في سرد نتوءات مؤلمة، يتغلغل فيها بؤر من الوجع والضياع.

في بعض الأحيان، وعند بعض الصور التي تعرضها لنا الروائية حول (سيف) تجعلك تشعر بأنها تكتب حدثاً واقعياً تعيشه، وتقوم بتسجيله، محولة الحياة إلى أدب، وهذا في تصوري هو دور الأديب الذي يكتب عن أمته وانبهارها عن الأمم الأخرى، أنظر كيف نعتت علاقة صديق سيف (براين) بامريكا " كان براين يحب امريكا كحبه لنفسه ويجعل لها بذلك الحب والحديث الودود عنها مكانة رفيعة في القلوب..."[4]، ولعل في ذلك العرض حث على حب الوطن أسوة ببقية الشعوب التي تعشق أوطانها، وهي علاقة يجب أن تكون متبادلة بين المواطن والوطن.

إن رواية العبور إلى الحقيقة –في إعتقادي - عبارة عن رحلة روائية تعليمية وتثقيفية تطرح رؤية انبهارية قائمة على تمجيد العقلية الأمريكية " وجهله بنمط الحياة الغربية السائدة في العالم..."[5] مع الإشارة في نفس الوقت بالإحالة والتعريض والتلويح إلى تخلف العقلية الشرقية، وانحطاط الواقع العربي الإسلامي على جميع الصعد والمستويات، ولعل إشارة عدم فهم(سيف) لغة الورود ومدلول ألوان عند الغرب خير دليل تبيان جهل العربي لثقافة الشعوب الأخرى" في اليوم التالي لتلك الدعوة شعر سيف برغبة في الاعتذار لها فاشترى باقة من زهور حمراء وبيضاء وقدمها وشكرها على العشاء ففرحت كثيراً واندهشت أكثر ثم شكرته وضحكت ضحكة حاولت جاهدة إخفاءها وأضطرت في الأيام التالية أن تخبره أن اللونين الأحمر والأبيض للزهور لا يستخدمان معاً إلا في الجنائز فقال في نفسه خجلاً: حتى تلك المهمة البسيطة أخطأت في تأديتها"[6]بالرغم من تكرار بث الصور التي ترمز إلى جهل بطل الرواية(سيف) بكثير من أمور أمور حياة الواقع الذي يعيشه، كالذي مر بنا في المشهد الماضي، إلا أن لغة شعاع خليفة لغة سردية واقعية محملة بخصوصية إبداعية، خطتها بتميز واتساق في بناء الحالات الإنسانية ممتزجة بواقع الإنسان العربي، مستفيدة من أساليب وتقنيات الرواية المعاصرة، تستوعب شخصياتها كيانات متمايزة، وتثمر مصائرها المتشابهة معنى العدم والوجود، تستخدم مفردات

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص10.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص11.
[3] تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990م، ص75.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص14.
[5] رواية العبور إلى الحقيقة، ص14.
[6] رواية العبور إلى الحقيقة، ص14.

كثيمات سردية، مثل: **الحلم والكابوس والتعلسة" بعد أن عرف قرارة التعلسة"**[1] **،والبلئسة" كانت تلك السنة البلئسة "**[2]، واليأس "وبدأ اليأس يرسم خطوطا على وجهه"[3] **، والعذاب " لقد كره أن** يرى الناس عذابه"[4]**، و العجز** "يتكوم هكذا على الفراش يعاني العجز واليأس والخوف "[5]**،والبؤس** "وكان غضبه وبؤسه يزدادان..."[6] لتمسك بالحافة الحرجة بين **الوعي واللاوعي،** وتستخلص مفردات وتركب فقرات، بمنطق الظلال التي تعكسها هذه الحافة" وتنمى سيف في تلك اللحظة أن يختفي عن ناظريها لكي لا ترى علامات الخيبة والفشل والحرج في وجهه وهو يعاني تلك المشاعر البغيضة..."[7].

لا ينفصل السرد عن الواقع في هذه الرواية، بل ينطلق منه ويعود إليه، كما في روايات تيار الوعي، حيث أصبح الواقع لا يتجزأ عن السرد، ولا ينفصل عنه، فهو منسوج في ذاكرة الشخصية وخزون فيها تستدعيه اللحظة على غير نظام أو ترتيب[8]...فلا تظهر الأحداث المتعلقة بالواقع مركزة في كتلة نصية متكاملة لها خصائصها الفنية، ولكن نراها انتشرت ونثرت على النص كله، إلا أن الروائية شعاع خليفة عملت على مخالفة ذلك، حين اختزلت روايتها كاملة، وما ترمي إليه من حكم وعبر في حكاية رحلة الصيد البحرية التي قام بها (سيف) و(إيما) **في بلدة** مونتري الواقعة في الولاية والتي تطل على البحر[9].

الرؤية االاجتماعية (الآخر الاجتماعي):

تتمثّل مغايرة الآخر الاجتماعي للأنا في الوضعية الاجتماعية التي يقارن من خلالها الراوي بين بعض الشخصيات، أو بين وضعيته هو ووضعية شخصية أخرى أو أكثر، مقارنةً تكشف عن بعض الإشكالات أو الملامح التي يمتاز بها النسيج الطبقي للمجتمع القطريبشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام، كالأب والابن، وكالسيّد والخادم، أو المواطن والمقيم، أو الأصيل والوافد، أو الغنيّ والفقير، أو الأبيض والأسود،...إلخ لعل حديث سيف مع نفسه حول ماضيه وطريقة التربية التي مر بها هو وأخوته ونقده لها، بل لعلها **كانت سببا** في سقطاته وزلاته، الأب الذي يمثل سطوة **الآخر الاجتماعي** : " لقد ضللتنا كثيرا ياأبي، لم تتركنا لحظة واحدة نرى الهدف الحقيقي من حياتنا، لقد جعلتنا نجري ونلهث منذ طفولتنا لنكون أفضل من الآخرين، لقد كنا ننتقل من بين إلى آخر لكي يكون بيتنا هو الأفضل، لقد كنت تشتري لنا الملابس الغالية التي تجعل الناس ينظرون إلينا بعيون مبهورة لنشعر بالرضى عن أنفسنا ودون أن نشعر يزداد تكبرنا عليهم، فرضانا عن أنفسنا لا يأتي إلا عندما نرى ضعف الآخرين ونواقصهم، لم تجعل لنا أساسا متيناً لينير دروبنا في الحياة ويعصمنا عن الوقوع في الشرور والآثام، ويبعدنا عن إيذاء أنفسنا وغيرنا، **لأنك لم** تعلمنا المبادئ الدينية التي هي الأساس الحقيقي والأساس المتين للحياة الدنيوية والحياة الأخروية..."[10]

---

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص140.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص140.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص138.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص138.
[5] رواية العبور إلى الحقيقة، ص7.
[6] رواية العبور إلى الحقيقة، ص34.
[7] رواية العبور إلى الحقيقة، ص51.
[8] بناء الرواية، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص31-32.
[9] طالع الحكاية وما ترمز إليه في ثنايا صفحات الرواية، ص72.
[10] رواية العبور إلى الحقيقة، ص 134.

لم يكن الصدام بين سيف ووالده في المشهد الماضي صداما بين مجموعتين، مثلما تعودنا في الصراع بين الشرق والغرب فقط، وإنما يمكن أن يكون بين مجموعات المجتمع الواحد على أساس فكري، ثقافي وعقائدي كصدام سيف والشخصيات التي تحسب على مجموعته، وبين العادات والتقاليد والفكر الديني المكرس للقديم والثابت، متمثلا بالشخصيات القطرية - **الأب مثلا** - المختلفة في الرواية والتي ترفض كل القيم الإنسانية .بالضبط كما يمكن أن يحدث الصدام داخل النفس أو الذات البشرية الواحدة عندما تتصادم مكوناتها، خاصة ذلك الصدام المستمر بين الأنا **والـ**"هو" حول ما نريد وما يجب أن يكون.

تتمثل مغايرة الآخر الرمزي للأنا في قدرة الراوي على خلق موازيات أو معادلات موضوعية للآخر الاجتماعي أو اللغوي أو الثقافي أو الديني، وإسقاط رغبات الأول ونزواته (وربما حنقه أيضا) على الثاني، كأننا بصدد راوٍ يلجأ إلى مبدأ التقيّة، فيلمّح ولا يصرّح، يُكني ولا يفصح. من هنا، يلجأ كثير من الروايين المعاصرين إلى تقنيات أو استراتيجيات الحلم والذاكرة والمرآة لسرد ثيمات الفقر والجهل والقهر والموت الذي تعانيه الكثير من الشخصيات، من دون أي إشارة إلى الآخر الديني أو المذهبي، أو ربما الإشارة إليه برمزية:"**وذلك باستغلال** جهل الناس وحاجاتهم وسهولة خداعهم، ومن ميزاتها التي ذكرتها مرارا هي أننا لا نضع أنفسنا تحت أيدي بشر مثلنا كما قلت مرارا أفضل منهم جميعاً، ولأننا نمتاز بصفات كثيرة قلما توجد عند أكثرهم، فأمددتنا بالغرور والتعالي عليهم..."[1]، " لقد خرجت إلى هذه الدنيا بهدف واحد لا يتغير وهو أن أكون أفضل من غيري وبالطبع بالمظهر، المظهر هو الأهم، أما الجوهر فلا أهمية له، لقد أصبح المال هو الهدف الحقيقي من الوظيفة، ومن أجله خنت الأمانة، لقد جعلتني لا أشعر بالفقير وجعلتني أتبع الغني وأقلده لأكون مثله ليس في في الجوهر وإنما في المظهر أيضاً..."[2] **لم** لم تتقاطعت الروائية مع غيرها عند نقطة الإعلاء بشخصية بطل روايتها، وهو ما جرى عند كثير من روائيات جيلها(السرديات النسائية)، **ممن حرصن على الرفع من شأن أبطال** رواياتهن[3]، وبالتالي من شأن الهوية العربية بما يمايزها عن غيرها من هويّات الآخر، وبما يحفظ يحفظ خصوصيتها التي هي خصوصية الانفتاح والتلاقح والتثاقف والحوار، **لا الانغلاق أو التقوقع أو الصدام أو الصراع** . "لو كنت وجدته لما تمكن أحد أن يقودني ويُسَيِّرُني كإنسان مسلوب الإرادة فأرى ما يراه هو وأسلك طريقاً يختاره هو ".[4]

يمكن أن تكون مشكلة الثقافة أشد تعقيداً مما نعتقد، فعوائق فهم الأنا الآخر ثقافياً عوائق متعددة كمعنى الكلام، وعدم فهم الأفكار، وعدم فهم رؤية الآخر للعالم، والجهل بالطقوس والعادات والقيم الملزمة" هل عروبتي جعلتني أكره أن تكون إمرأة هي صاحبة الدعوة؟"[5]، والأهم من هذا هذا هو عائق ألا تفهم بنيةٌ عقلية بنيةً عقلية مغايرة.

يتمم هذه المعوقات الخارجية عوائق داخلية كنزعة التمركز حول الذات(علاقة سيف المتذبذبة دائماً مع إيما وفيونا)[6]، **ونزعة التمركز حول المجتمع** (الآخر الصديق صاحب النصيحة)[7]،(فكرة أن لوالد سيف الأثر الكبير في تكوين آرائه وطموحاته)[8]، **ونزعة التمركز**

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص 135.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص 135.
[3] (**مثل**: أليس بطرس البستاني، ولبيبة هاشم، وزينب فواز، وعائشة التيمورية...)
[4] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص 135.
[5] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص13.
[6] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص 82.
[7] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص45، 71،75.
[8] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص11.

حول العرق والدين(حديث سيف الدائم حول الدين والإيمان وحقيقة وجود الله)[1]، والقاسم المشترك يكمن في كون ثقافة ما تموقع ذاتها في مركز العالم، وتُعدّ كل ما هو غريب شيئاً ثانوياً، لا معنى له، أو على الأقل شيئاً معادياً لها.

إن إدراك الأفراد لا يُستمد من خبرات كل واحد منهم ودوافعه وتوقعاته، إنما يصاغ من القوالب الثقافية القائمة، ويُحدد من قبل الأوضاع الاجتماعية والثقافية، حيث تمد التنشئة الاجتماعية والثقافية كل واحد من أفراد المجتمع بالإدراك الذي يقيم عليه نظامه الإدراكي.

الرؤية الدينية (الآخر الديني) :

بعد أن نهضت المرأة العربية المبدعة بوعيها الجديد، كان سعيها إلى تمزيق الأطر الصلبة للمركزية الدينية التي تتسم بضيق الأفق، و إلى القضاء على وحدانية بعدها في فهمها للأدب والفن والحياة، و قد كان السبيل إلى ذلك عن طريق إبداع نصوص روائية مثخنة بإيديولوجيا الأنثوية.

يتمتع الخطاب الديني بحضور نسبي داخل هذه التجربة الروائية، وشكل رؤى اقتصادية واجتماعية و ثقافية. غير أن تشكل الرؤية الدينية لدى أغلب الروائيات العربيات قد تحددت بسياق مثاقفة متفاعلة - وفاعلة نوعا ما - مع المفاهيم الفكرية والفلسفية المستوردة في عالم مغلفة بالسم: الحركة النسوية الغربية. فكانت المحاولات لتجسيد هذا الوعي الجديد من خلال تحويل المفاهيم السائدة و خلق مفاهيم مغايرة تكشف فعل الوجود الإنساني القلق بدءا بمفهوم " الله" إلى مفهوم الوجود و الكينونة ، لقد كانت حيرة(سيف/ العربي المسلم)في الوصول إلى حقيقة وجود الله في الرواية هي أقرب إلى تلك المشاهد التي نطالعها في بعض الروايات الغربية، " إن هناك أشياء كثيرة في الحياة لا أفهمها كوجود الإله والتنبؤ بالغيب أو متابعة الرموز والأبراج أو تناسخ الأرواح"[2]، وفي تذكر آخر لبطل الرواية(سيف) عن حقيقة وجود الله " وتذكر ما قاله هو له عن الإله وهو أنه لو استطاع رؤيته لآمن به أكثر ثم تنهد عندما شعر أن ما قاله كان سخيفاً، ثم تذكر أنه سمع مثل هذا القول من جدته..."[3]

لقد اعتمدت الروائية شعاع خليفة على الخطاب الديني كآداة لتغيير منطلقاته و تجديد آلياته، حيث زاوجت بين الخطاب الديني والخطاب السوسيو ثقافي، حين عقدت حوارات بين مسلم(سيف/ الأنا) و(والد براين/ الآخر)، ربما أرادت أن تكون متصالحة مع الدين الذي ترى فيه مرتعاً للأمان والاستقرار النفسي" كان سيف يتحدث مع والد براين ويسأله عن سبب ذهابه للكنيسة فأخبره أنه يذهب لأنه يحب أن يشكره الله على نعمه الكثيرة، فعجب لرأيه الذي كان مخالفا لرأي ابنه الذي كان لا يؤمن بوجود الله فأخبره بذلك فأجابه قائلا:

-أنا أيضا لم أؤمن بالله إلا عندما اكتشفت وجوده بنفسي وقبل ذلك لم أصدق كلمة واحدة عما قيل عنه،إن الأيمان الحقيقي يأتي من الداخل ولا جدوى من التحدث عنه إذا لم يشعر المرء بوجوده، ورغم ذلك فإن هناك الكثير من الناس ممن يمكن إرشادهم عن طريق التحدث معهم، ومن هنا بدأت أحس بالأنبياء وكيف كانت مهمتهم عسيرة.

[1] رواية العبور إلى الحقيقة ، ص 73،74،81،82،83،84،85.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص30.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص61.

فقال سيف: هذا ما فكرت فيه كثيرا، وأعتقد أننا لو استطعنا رؤية الإله لعبدناه بصدق أكثر، أليس كذلك ياسيد دوبسون".[1]

وفي حديث آخر دار بين (سيف) وصديقه (براين) حول الإيمان:

قال سيف محتجا: إن الله عظيم، ولكننا صغار لا نستطيع رؤية الحقائق...ربما لأننا نريد أن نعيش على حريتنا مبتعدين عن القيود.

-أنت غير صادق مع نفسك وهذا ما يسبب لك الحيرة، ولو كانت في نفسك ذرة من الإيمان لأديت بعض العبادات ولما كثرت تساؤلاتك عن الإله...ولكني أظن أن تمسكك بالإيمان كان نتيجة فكرة قديمة راسخة في أعماق نفسك مازالت سيطر عليك.

-فأطرق سيف مفكرا، وحائرا،هل زرع والديه ذلك الإيمان في نفسه دون أن يفهمه؟ فتمنى من أعماقه أن يصل إلى الحقيقة التي يبحث عنها قبل أن تنتهي حياته.

قال براين: أظن أن جميع المتعبدين من الناس يبحثون عن إله يعبدوه،لأنهم في الحقيقة يبحثون عن المثالية والقوة والعظمة ولا يجدونها عند بني البشر".[2]

أليس مادار في الحوار الذي مضى يمس فئة معينة من الناس، يبدوا عليهم فائض من الإيمان فهم غالبا ما يكونون قد أفرغوا أنفسهم من الداخل ليعرضوا كل إيمانهم في الواجهة لأسباب لا علاقة لها بالله. نشهد هنا قطيعة ثقافية معرفية مع التيار السلفي الأصولي الذي يتشبث بفتات الماضي وشذرات التراث الإسلامي، وهنا تحاول المبدعة أن تخلق مفهوما جديدا للتدين ألا وهو تدين الروح و النفس لا تدين المظهر الخارجي، وربما قد استوحت المؤلفة هذه الأفكار من الحركة النسوية الغربية، ذلك أن تلك الحركة تتبنى الدين كقيمة لإعلاء ذات المرأة و ترسيخ وجودها دون أن يكون عائقا أمام حريتها ومانعا لتحقيق كينونتها. **وفي حال ما كان عائقا – أي** الدين الموروث – حينها يمكن التخلي عنه، و تأسيس دين جديد يتسم بالذاتية و الحرية، وهو تجسيد لدور الروائي، فإذا لم تحمل الرواية وجهة نظر تحولت لثرثرة بلا طائل، حيث أن مجموعة من الأفكار تلح على الكاتب أن يهتم بها، ويخضعها لوجهة نظره، ولم تكن شعاع خليفة بعيدة عن كل هذه النظريات السردية.

تتتالى المشاهد المصورة لحيرة (سيف) حول الدين وجدل حقيقة وجود الله بكثافة داخل الرواية، وفي الحقيقة إن هذا التناول لم يكن قاصراً على البعد الحضاري والثقافي وحده بين الكيانات الكبرى داخل الرواية، بل حدث كذلك بين أصحاب المكون الثقافي الواحد، مثل الذي عقد بين والد سيف وعمه " ...تذكر كلمة براين المتعلقة بفكرة وجود الله تعالى المسيطرة عليه فتساءل في نفسه إن كان الإيمان راسخ في نفسي بما يحعلني أتمسك به.. **إذن فلابد من وجود** عوامل مناهضة تجعلني أتقاعس عن عبادته وأقع في الحيرة...هذا هو الحديث الذي سمعته من والدي، وهو الذي أدخل الحيرة في قلبي، وجعل إيماني بالله يتلاشى..."[3]. " يارب ...هل وجدتك؟

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص58-59.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص80-81.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص88-89.

هل وجدتك يا إلهي العظيم...لقد بحثت عنك طويلا في تلك السنين الغابرة، هل كنت بجانبي حيث كنت أتخبط في الحياة؟"[1]

إن تناول جدل الذاتية والغيرية على مختلف مستوياتها، وفي شتى تجلياتها داخل رواية العبور إلى الحقيقة يمكن أن نلاحظه في جملة من الثنائيات، وأحياناً المجموعات المتقابلة والمتباينة الهويات، مثل: **الرجل في مقابل المرأة**[2]، القرويون في مقابل سكان المدينة[3]، الأغنياء **في مقابل الفقراء**،[4] الحياة الدنيوية مقابل الحياة الأخروية[5]، **النور مقابل الظلام**[6]... **لقد قدمت لنا** شعاع خليفة هذه الكيانات الإثنية المتباينة المتسامحة مرة والمختلفة مرة أخرى في مشهد إبداعي، يمثل بكل تأكيد المغزى الأخلاقي للرواية، وأعتقد أن المقاربة التي عقدتها الروائية شعاع في عملها الإبداعي هذا جاءت تصب في مفهوم الهوية، ذلك المفهوم الذي أتصور أن شعاع كانت مرنة في طرحه[تصالح سيف مع محيط الدراسة].

الرؤية العدوانية :

تستند الرؤية العدوانية إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفاً أو مقابلاً للأنا أو **الذات. وبالتالي،** فالغير يحاول تغريب الذات وإقصاءها وتهميشها، مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها. فيصبح الغير هنا جحيماً لا يطاق. لذا، تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة **العدوان والصراع الجدلي.** وهذه النظرة العدائية السلبية غالباً ما تفرز حسب هيجل في حالة انتصار أحد منهما إلى ظهور ما يسمى بجدلية السيد والعبد.

وعليه، فالعلاقة بين الأنا والآخر لا تكون دائماً علاقة إيجابية قائمة على الأخوة والمحبة والصداقة والتعايش، بل قد تكون علاقة سلبية قائمة على الكراهية والعدوان كما نجد ذلك في **علاقة** سيف بـــ(مايك وشقيقه) تلك العلاقة التي نشأت بتطرق مايك إلى الأحاديث الدينية الكثيرة[7]، وكان يكثر من ذكر الله تعالى، وكان سيف مستمتعاً بتلك الأحاديث التي يطلقها الشقيقان الشقيقان المزعومان حتى تمكنا من نزع ثقة سيف بهذا الرياء الديني – نقطة ضعف سيف – وهو **الأمر الذي** لعب مايك وشقيقه عليه، بعد أن درسا حالة سيف وجهله وابتعاده عن أمور الدين، فوقع في فخهما وأصبح ينفذ الأوامر، فتناول منهما دواء لا يعرف مصدره ومضاره[8]، ويشتري منه الكمية تلو الأخرى ويتناولها ليتخلص من الأرق الذي ينتابه أحياناً، وهو بداية الإدمان الذي كاد يقع فيه سيف حتى أدرك أن صديقه مايك الذي أحبه كثيرا كان يخدعه ويحاول الاستفادة من صداقته[9]...

لقد تحولت تلك الصداقة التي كانت بين سيف ومايك إلى عداوة" أصبح يشعر بكراهية شديدة تجاهه وينشد الانتقام منه وتحدث للسيدة هارت فنصحته بنسيان ما حدث واعتباره درساً مفيداً

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص131.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص76،78.
[3] رواية العبور إلى الحقيقة، ص34-36.
[4] رواية العبور إلى الحقيقة، ص135.
[5] رواية العبور إلى الحقيقة، ص 89، 134.
[6] رواية العبور إلى الحقيقة، ص132.
[7] رواية العبور إلى الحقيقة، ص31.
[8] رواية العبور إلى الحقيقة، ص32.
[9] ينظر رواية العبور إلى الحقيقة، ص43.

للأيام المقبلة، ولكنه لم يقتنع بما قالت فقد كان يشعر أن نيراناً تتأجج في نفسه تريد الخروج لتحرق مايك وصاحبه..."[1]

صورة أخرى بنيت في أولها على الصحبة والمودة ثم سرعان ما تحولت إلى كره وعدائية للآخر، وذلك في علاقة الشخصية المحورية في الرواية (سيف) وابن بلده (سعد) وما دار بينهما من أحاديث حول الدين والدعوة إلى الله" وكان لقاء الصديقين في تلك الرحلة البرية هو آخر لقاء تم بينهما، فقد سأم سيف أحاديث صديقه سعد وكان يجدها ثقيلة على نفسه وكره أن يتظاهر دائماً باهتمامه بالدين فعمل جاهداً على إنهاء تلك الصداقة"[2].

كأي إنسان يعيش في ثقافة، ومتورط فيها، هناك أصول معرفية لكل معتقدات الروائي وأفكاره ودوافعه. شبكة من المسلَّمات التي تشكل خلفيته المعرفية .حين يتصرف الروائي، أو يفكر، فهو يسلم بوجود شبكة من الأحكام يمكن أن توصف بأنها نظرية، وربما مجموعة من النظريات. لكن حين تؤدي وظيفتها، فليس الروائي في حاجة إلى نظرية، لأن مسلَّماته تسبق نظرياته. ومسلَّمات الروائي ليست تصوراته وفرضياته وآراءه فحسب، بل ما يمكن أن نسميه خلفية فكره، ولعل الروائية شعاع خليفة ليست بخارجة من هذا الرأي، بل من المؤكد أنها بنت روايتها العبور إلى الحقيقة عن مسلَّمات تؤمن بها، فكان لها كل التأثير في بناء المشهد الحكائي بين الشخصية المحورية والشخصيات التي تدور في فلكها، وفي اعتقادي لقد نجحت الروائية إلى حد كبير في ترجمة معتقداتها وثقافة بيئتها تجاه الآخر من خلال جملة من المواقف مرت بنا في نتاجها الإبداعي حاولت أن أتحسسها في اجتهاد أساسه الروائي،وحينما نركز على الروائي، فنحن نفعل ذلك، بحكم الثقافة التي ينتمي إليها، إذ يملك رصيداً متراكماً من المعارف والأفكار والمفاهيم، تتبلور في ذهنه، وتشكل استجاباته. وهي أفكار ومفاهيم يمارسها بكل ثقة، ويؤمن بها من غير أدنى شك، ويتقبلها كحقائق ذات طبيعة فكرية مطلقة.

ليس المؤلف الروائي إذاً سيد نفسه ما يجعله مهيئاً لأن يكون معبراً للثقافة التي تشربها. فالروائي يحول أوجهاً من خلفياته الاجتماعية[3]، ومعتقداته وأفكاره، وتخميناته إلى أوجه من اللغة. يخوض حروباً سرية، ويرتب جميع أنزاع الجدل في روايته. وهو يعرف على مستوى ما أنه يفعل هذا، ليتضح لنا ما تفعله الأيديولوجيا «أفكار ومعتقدات» في ذهن الروائي وخياله وسلوكه.

من هذه الزاوية، ليست الرواية فيضاً خالصاً يفيض عن نظرية من النظريات، وهي في النهاية نص دنيوي. وتحليل الرواية ليس تجريداً، إنما تحليل يتموضع على نحو لا سبيل إلى إنكاره أو مناقشته ضمن ثقافة يؤثر وضعها التاريخي على قدر كبير مما يقول الروائي، إن لم يكن يحدد ما يقوله.

الخاتمة :

النتائج :

- بالنظر إلى الرواية على مستوى السرد والدلالة، فإن الرواية مبنية على مستويين فنيين، يمثل كل منهما مرحلة زمنية، وبالتالي وعيا متتابعا لإشكالية العلاقة بين الأنا ولآخر.

[1] رواية العبور إلى الحقيقة، ص42-43.
[2] رواية العبور إلى الحقيقة، ص119.
[3] نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ترجمة: الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 1988م، ص51.

المستوى الأول تمثله شخصية سيف، بطل الرواية الذي يروي حكاية سفره إلى أمريكا للدراسة، والثاني تمثله شخصية بطل الرواية سيف وعلاقته مع مجتمعه القطري ومجتمع الدراسة.

- إنّ بطل الرواية (سيف)إنسان عادي، بسيط، ... بجذور طبقية عميقة، ولا بدّ لنهوضه هذا النهوض المادي أن يأخذ معناه من ارتباطه بزمانه ومكانه، من تحول العلاقات الاجتماعية القائمة، وعوامل الصراع الطبقي الدائر، تلك العوامل الموضوعية لا تنفي العامل الذاتي ضمنا، والذي يمكن أن يلعب دورا اساسيا في العملية التاريخية والاجتماعية التي هي شرطه دوما، ولكن ليس الدور الأول والأخير. إنّ وعي المهمات التاريخية والاجتماعية من طرف الإنسان العادي ... والذهاب بها إلى طورها الأعلى، طور ممارستها في الواقع، ما سيضفي على هذا الإنسان العادي، البسيط ... صفة البطولة.
- إن البطل الروائي صورة خيالية تخلقها بنية الكاتب الفكرية متضافرة مع موهبته، وتستمد وجودها من مكان معين وزمان معين. وتعكس علاقات البطل المتشابكة في العمل الروائي ظروفا اجتماعية وسياسية واقتصادية بعينها، تؤثر تأثيرا حيويا في تحديد هوية البطل ومصيره، هذه الرؤية للبطل تتفق جزئيا أو كليا مع بطولة (سيف)، ولكن لا بدّ أن نزيد أنّ هذه البطولة إشكالية تواجه قوى مضادة فلذلك لا بدّ لبطلها أن يتصف بحصانة فكرية ونفسية تسنده في مواجهة بؤس الواقع وتناقضاته، ولذلك فإنّ بطلنا، (سيف)، بطل مسكون بهاجس الفعل ورفض الاستكانة لإملاءات الواقع، فهو حركي يرفض السكون والثبات والتسليم بالأمر الواقع. إنه البطل الإشكالي الذي يبحث عن قيم حقة في غير مجتمعه. يواجه قوى القهر الاجتماعي، من الداخل والخارج. ولذلك فهو – في اعتقادي - يعبّر عن شريحة من مجتمعه، ترفض الخنوع وتتشبث بحقها في الكرامة والعيش الحر. وهنا لا بدّ أن نرى امتداده في الروائية، لتكتمل صورة المناضل الذي يضمن استمراريته بشتى الظروف. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنّ بطلنا هنا ليس بسيطا بمفهوم أنه ولد من رحم الطبقات المسحوقة، ولكنه ينتمي للطبقة البرجوازية .
- في الحقيقة، إنّ شخصية (سيف) هي شخصية بالغة التركيب والتعقيد .وبما أننا أمام شخصية روائية مختلفة، لا أناقض نفسي إذا قلت إنّ في هذه الشخصية من الغموض ما يساعد على فهم تركيبها وتعقيدها وما يساعد كذلك على كشف ما تمثله، إذا أخذنا في الحسبان الظروف الاجتماعية، التاريخية، السياسية والاقتصادية التي تمر بها المنطقة العربية. إنها تمثل الأنا الفردي والجمعي .أي تمثل المثقف العربي الشرقي، الفرد أو الشخص في صدامه مع الغرب وثقافته وحضارته ونزعته الاستعلائية من جهة، وتمثل كذلك الصدام الثقافي والحضاري بين الشرق المستعمَر والغرب المستعمِر. فسيف بطل الرواية لا يمثل نفسه فقط بل يتعدى ذلك إلى التركيب والتعقيد في تمثيله للمجتمع القطري، العربي، المسلم، الشرقي والمنتمي إلى العالم الثالث المضطـَهد.
- إنّ شخصية (سيف) لا تمثل الأنا على الصعيد الفردي فقط هو ما ذهبت إليه أحادث الرواية، وإذا كان النقاد يعرفون الرواية بأنها "ترجمة أو تصوير لواقع الحياة" فإن رواية "العبور إلى الحقيقة " هي تصوير لواقع اجتماعي عربي عام، وعلى الرغم من أنّ أغلب أحداث الرواية تدور في أمريكا إلا أنها تسلط الضوء على أساسيات التركيبة الاجتماعية العربية، وترسم صورة للإنسان العربي في واقعه المعاش، صورته الاجتماعية بحلوها ومرها، وزيفها وحقيقتها، إنها رواية تحاول وصف الحالة العربية في فهم شمولي يسوده البؤس والشقاء .
- من الضروري الحديث هنا عن استخدام الكاتبة شعاع خليفة في عملية السرد لتقنية الاستعانة بلسان آخر يخالفها فيزيائيا(سيف/ الذكر)، فلقد استعانت الروائية الأنثى

للراوي الذكر في هذه الرواية ، ولعل تفسير ذلك يعود لعدة أمور، من أهمها هو أن مسار الرواية يوازي التاريخ الحقيقي للواقع القطري البدوي العربي المحافظ، حيث إن الدور الرئيس فيه هو للرجل ـ هكذا يقول الواقع الشرقي – أما المرأة فظل دورها هامشياً، والأمر الآخر – الأقرب إلى الصواب – يعود إلى أن الكاتبة تعمدت أن توجد شخصية ذكورية(البطل الذكوري)، ثم تسند إليها رواية الحداث، كي تدخل عالم الرجولة وتضارع (الفحولة) وتنافسها من خلال كتابة سمات (الأنوثة)، وبذلك جاءت رواية العبور إلى الحقيقة كمثال قوي ودقيق على الكتابة النسائية، وعلى المجاز الأنثوي، في مواجهة الفحولة ومجازاتها، كما تأتي الرواية تتويجا لجهود عظيمة في مجال الكتابة النسائية واقتحامها عوالم اللغة بخطابه السردي.

- إن (هيئة القصّ) في العبور إلى الحقيقة تبين (الراوي) وما يرويه، وعلاقته بمن يروي عنهم، حتى وإن كان متخفياً وراء لسان آخر ليس بلسانه(سيف)، وهو بحث يتجاوز موقفاً كان يرى أن القصة التي يكتبها الكاتب هي تعبير عنه – خاصة إذا كانت أول أعماله ـ ،وبذلك تتحول دراسة القصة إلى دراسة كاتبها، فيُهمل البحث في دراسة الشخصيات ، من حيث استقلالها وتمايزها...
- رواية العبور إلى الحقيقة تدخل تحت روايات تراجيديا الاغتراب والخوف من المجهول. بيد أن حبكتها السردية بسيطة ومهلهلة الأوصال، تفتقد معالجة روائية أكثر درامية وفنية وتشابكاً للأحداث، ويطبعها التقرير المباشر، حتى إن الرواية تتحول إلى مذكرات ويوميات جافة تستعرض بطريقة ميسرة .

التوصيات :

إن أية دراسة –قادمة ـ لهذه الرواية الرائعة لا بد لها أن تأخذ بالحسبان الظروف والأوضاع الاجتماعية، التاريخية، السياسية والاقتصادية التي مرّ ويمرّ بها العالم العربي خاصة والعالم الثالث عامة، خاصة عندما يكون محور هذه الدراسة هو الآخر، أو الأنا والآخر كما ينعكس في الرواية. ولذلك لا بدّ للدارس أن يكون مضطلعا بشكل أو بآخر على هذه الأوضاع ليتسنى له فهم طروحات شعاع خليفة التي تقدمها في روايتها.

المصادر والمراجع :

- بناء الرواية، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990م.
- رواية العبور إلى الحقيقة، شعاع خليفة، مؤسسة دار العلوم الدوحة، الطبعة الأولى، 1993م .
- مفهوم السرد الكثيف: عبدالله إبراهيم، الرواية العربية والسرد الكثيف، (تجربة مؤنس الرزاز نموذجاً)، مجلة علامات في القد، ج27، مج7، نادي جدة الأدبي الثقافي، السعودية، 1998م.
- نظرية الرواية، جورج لوكاتش، ترجمة: الحسين سحبان، منشورات التل، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى،سنة 1988م.

المكان في شعر المعلقات

د. ربيعة أبو القاسم علي الواعر
جامعة الزاوية
كلية التربية أبو عيسى
قسم اللغة العربية

المكان في شعر المعلقات

البعد البيئي المباشر
(ثنائية المكان الأليف والمكان المعادي)
أولاً: المكان الأليف:
1: المكان الطبيعي
2: **المكان الاجتماعي**
1:المكان الطبيعي: **أ**: أماكن الطبيعة الجامدة:(وصف الجبال، وصف الوديان، وصف **الصحراء، وصف منابع الماء**).
2: **المكان الاجتماعي: أ**: أماكن اجتماعية خاصة (**أماكن للسكن**). ب: **أماكن القرى**. ج: **أماكن** اجتماعية أخرى.
ثانياً: **المكان المعادي**: 1: **مكان الحرب**. 2: **القبر**.

المقدمة :

يعد المكان في شعر المعلقات ذا دلالات عكست الواقع البيئي للشاعر الجاهلي، لما حملته هذه البيئة من أهمية جاءت ممتزجة في أبياته، ومضمون العلاقة التي تربطه ببيئته مصدر الحياة الماضية والحاضرة بكل ما تعنيه من فرح أو حزن، والمكان عند شعراء المعلقات ذا إشارات تفصح عن الطبيعة العقلية والروحية للعرب في ذلك الوقت، بازدحام العواطف والذكريات، ويحضر فيه الشخوص والأحداث كما لو أنها تتحرك أمام ناظري الشاعر وهو المحور الأساسي ، لحياة الجاهلي ووجوده، مما جعله يتعامل مع مظاهر الحياة تعاملاً خاصاً أو منفرداً في جميع أشكاله ووجوهه، وحضور المكان ليس حضوراً مجرداً، إنما هو حضور لقيم أخرى تتعلق بالإنسان والحيوان والحياة والموت والحب الذي يمثل صورة أولية من صور الحياة العادية والحب بأنواعه، وهو إضافة إلى أنه يمثل جزءاً لا يتجزأ من البناء الفني، فالمكان يكشف لنا عن نظام آخر من الأخلاقيات المتجاورة والمتحاورة فيمتزج فكر الجاهلي وخلقه بجميع مظاهر الصحراء التي تشكل اتجاهاً خاصاً فرضته على الشاعر لا يستطيع الفكاك منه، فكان المكان هو الموجه لحياة الجاهلي ووجوده،، ومران أو خشونة الضغط العاطفي والوجداني الذي يضغط به المكان على مخيلة شعراء المعلقات، مما أكتسب المكان دلالة رمزية مليئة بشحنة ذاتية تعبر عن أحاسيس الحب والوفاء والولاء للمكان بوصفه جزءاً من هوية القبيلة أو الأمة، ولذلك شخّصوا المكان وكافة الموجودات الجماد وضخوا فيها دماء الحياة لتتمتع بحيوية البقاء والخلود، وبما أن **دراسة المكان في** شعر المعلقات قد ارتبطت بالتحليل الروائي باعتبار أن المكان هو المجال الذي تجري فيه أحداث الرواية، حيث الزمن العنصر الأساسي للشعر، والشعر مرتبط ارتباطاً مباشراً بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه، من هنا كانت دراسة المكان مهمة للكشف عن خبايا **النفس الوجدانية**.حيث الرمال وبقايا الديار والقفار المترامية الأطراف هي التي تلهم الشاعر وهي

كل ما تقع عيناه عليه. وعلى الرغم من الدراسات السابقة للشعر الجاهلي بعامة، لكنني أنطلق من قناعاتي بأن المعلقات الشعرية الجاهلية تبقى مجالاً خصباً للدراسة، لما تتميز به من خصوصية تقبل معها أي قراءة تحاول أن تستنطق هذه النصوص وما تعالجه من قضايا، لذلك كان سبب اختياري لهذه الدراسة بكل ثقة وحبٍ لها أصلاً، كما أنه لحاجة في نفسي من وحشة المكان الذي كنت أتنعم فيه كيف صار بلاقع، وكما قال امرؤ القيس

تَـرى بَعَـرَ الآرَامِ في عَرَصَاتِهَـا وقِيعَانِهـا كَأَنَّـهُ حَـبُّ فُلْفُـــل

....

وإِنَّ شِفَائِـي عَبْـرَةٌ مُهْرَاقَـةٌ فَهَـلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارسٍ مِـنْ مُعَـوَّل[1]

ومن هنا تكمن أهمية البحث في أن قضية المكان داخل النص الشعري الجاهلي جديرة بالاهتمام والدراسة لما فيها من عمق العلاقات والأخلاقيات التي تنشأ بين المكان ومختلف المعاني، وسنحاول من خلال دراستنا أن نتعامل مع شعر المعلقات من جميع جوانب المكان، إضافة إلى أننا سنعمل على توظيف ما تحصلنا عليه من خلفية تاريخية أو مرجعية من جميع مصادر المعلومات التي تحصلنا عليها في توثيق وخدمة هذا البحث.

المكان والرحلة: كانت الرحلة عند العربي البدوي والتحول من مكان لآخر بحثاً عن الكلأ ومصادر المياه والتجارة وغيرها من ممارساتهم اليومية، وبهذا وصفهم الله تعالى في كتابه بقوله:" لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِتَاءِ وَالصَّيْفِ"[2] فكانت عنوان الحرية والتحرر يحن إليها كل حين، وكأنها جزء أساسي من تركيبته الشخصية يألفها كل الإلف، وعندما نقلّب مباحث الفلسفة وعلم الاجتماع نرى حضوراً واضحاً للمكان، بل قد نجد المقابلة بين الإنسان والمكان واضحة تماماً، حيث يرى علماء الاجتماع أن أي نظام اجتماعي يتعرّض للتغيير بشكل أو بآخر في جميع الأزمنة والمواقع الجغرافية، فأعضاؤه تنمو وتتقدم في السن، وخلال عمليات النمو تتعرض أجسادهم إلى التحولات(الفيزيولوجية) المرئية، وخلال هذه التحولات تتبدّل أدوارهم ومسؤولياتهم الاجتماعية، بعد أن تزداد حلقات انتماءاتهم إلى المنظمات الاجتماعية، وتتغير أنماط علاقاتهم وممارساتهم اليومية[3]

عناصر المكان: من خلال دراستنا لشعر وشعراء المعلقات تبيّن لنا أن للمكان ثلاثة عناصر تتحكم فيه وتدير عجلته عليه وهي:

أ: الزمن بفضائه الخاص الذي يحمل دلالات ومعان يستحيل أن يعود بها إلى عصر الماضي، فنسجها الشاعر بكلمات تبعث الحياة من جديد وكأنه وليد اللحظة.

ب: الفلق بمختلف ألوانه ومصادره التي عاشها الشاعر وتعايش فيها، مما جعلته لا يركن لبقعة معينة من الأرض، فاتخذ من الترحال والرحلة وسيلة للتناسي وغص العبرات .

ج: المرأة وهي محور الحديث والحافز لحركة الشعراء في الحديث عنها بمختلف صورها وأوصافها، وهي أكثر العناصر بروزاً ووضوحاً في شعر المعلقات، وكأنما المرأة خلقت وحيدة في القبيلة لا ينافسها شيء ليعبر عنه غيرها، وهي المحور الأساسي التي تبدأ بها المعلقة، وبهذه العناصر تكونت لنا أساسيات البحث الذي سنحاول أن نفصل الحديث فيه عن المكان والرحلة وأسباب اختيار تلك الأمكنة وما تعنيه من ذكريات حزينة أو سعيدة، إضافة إلى كثير من عناصر الطبيعة مثل الرياح والمطر والسيول والصحراء بكل ما تعنيه من كلمة عند الشاعر الجاهلي

أولاً: المكان الأليف:

أي المكان البيئي وهو المكان المحيط بالشاعر، أي المكان المشاهد والمعاين في الوجود0 **كما** رآه أو أقام به أو عرف أحداثه وشاهدها[4]، فهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بالبيئة التي أنتجته

---

[1] ديوان امرؤ القيس/**دار صادر**. بيروت/ص29، 31 .

[2] القرآن الكريم/سورة قريش/**ط**1.1433هـ/دار القرآن الكريم.بيروت.**لبنان/الخطاط**.عثمان طه.**بالرسم العثماني**.

[3] مبادئ علم الاجتماع الحديث/**الحسن إحسان محمد/دار وائل للنشر.عمان .الأردن/ط**1.2005م/ص299.

[4] المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العرب(484 – 897هـ) د0 محمد عويّد محمد ساير الطربولي0منشورات مكتبة الثقافة الدينية0ط1 0 -2005هـ 1425م0 القاهرة0ص029

والإنسان الذي أبدعه. وظاهرة المكان في شعر المعلقات ظاهرة عميقة وذات أبعاد وتأثيرات مختلفة، وليست بالبساطة التي صورتها الدراسات السابقة، فهي ظاهرة نابعة من صميم البيئة الصحراوية، وموقف الشاعر أمام الطلل إنساني وتجربة تمثل الصراع الذي يحدث في نفوسنا جميعاً عند كل حدثٍ جديدٍ في الحياة.

والمكان الأليف هو كل مكان عاش فيه الشاعر وتعايش فيه حيث الأمان والدفء والحماية، وقد شكّل مادة لذكرياته. تلذذ فيه بحلوه ومره حتى حمل دلالات عميقة بما يفيض به قلبه من مشاعر وأحاسيس متداخلة، وقد أصبح هذا المكان فقراً لا يطاق ولا سبيل لنسيانه إلا بذرف الدموع والحسرات على ضياعه، كنحو قول أمريء القيس:

قفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فتوضِحَ فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرى بَعَرَ الآرَامِ في عَرَصَاتِهَا ... وقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ: لاَ تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ
وإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[5]

يقول الشاعر قفا حيث خاطب الواحد خطاب الاثنين، إنما فعلت العرب ذلك لأن أدنى أعوان الرجل هم اثنان، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور ألسنتهم عليه[6]، فيطلب من صاحبيه أن يعيناه على البكاء عند تذكره حبيباً فارقه، ومنزل خرج منه، ذلك المكان في منقطع الرمل المعوج بين أماكن الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط بين هذه المواضع الأربع التي لم يمح رسمها وآثارها الطيب من ذاكرته، لأنه إذا غطتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها فمازال بعض الآثار بها كالرماد والبعر، فربط الشاعر بين البكاء وبين حب الفلفل لما يفعله في العيون لشدة حرارته، وأمام هذه الحيرة والموقف النفسي المؤثر أمام المكان(**الطلل**) يجد من يواسيه من أصحابه الذين يخفون عنه بدعوته إلى التجمل بالصبر والجلد، فيجيب بأن لا شفاء له إلاّ بإراقة دموعه. فيتعامل مع الزمن ضمن فضاء خاصٍ به ويحمّله دلالات ومعانٍ جديدة يستحيل معه هذا الزمن إلى عصر الماضي، ويحوله مباشرة إلى تلك الأمكنة الأربعة، ويتحرك بصعوبة في هذا الزمن الذي يشل حركته في واقعه الأليم ليبعث الحياة من جديد في هذه الديار **بدلالة (بعر الآرام)**، وبهذه الألفاظ وأمام حسرة المكان بني علاقة لغوية من خلال الصور التي شكلها لنا، وثنائية الحياة والموت من خلال الحركة التتابعية لرياح الشمال والجنوب، وبهذا استحضر الشاعر الماضي ليعيش الحاضر بين الخيال والواقع في هذا المكان الذي كان أليفاً وحميماً، فظهرت آثار نفسه من خلال هذه الصور،" من مخزون ذاكرته بحيث تشكل هذه النهاية معادلاً متساوقا لتجربته الشعرية[4]، هذا المكان الأليف الذي أصبح غربة بنهايتها المتغيرة أدت إلى تغير نفسية وحال الشاعر، فالأمير الجوال الصياد أصبح مصيدة في ضباب الذكريات الأليمة، بطغيان **المكان الخارجي على** (الأنا) الشاعرة وحاصرها فتحوّل بذلك العالم الداخلي إلى حقيقة عاشها **الشاعر. وذلك كنحو قول عنترة بن شداد:**

يَا دَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي
فَوَقَفْتُ فِيْهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا ... فَمَنْ لأَقْضِي حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ
حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيَثَمِ[7]

يقف عنترة كما وقف امرؤ القيس على الأماكن التي كانت ذات محبة وألفة واجتماع وغرام **في مكان** الجواء، يقول حبست ناقتي في دار حبيبتي لأقضي حاجة المتمكث بجزعي من فراقها

---

(5) ديوان امرؤ القيس/**دار صادر**. بيروت/ص 29-32

(6) **شرح المعلقات السبع/الزوزني/مكتبة المعارف**.بيروت/ط: -1994هـ -1414م/ص10.

(7) ديوان عنترة بن شداد/اعتنى به وشرحه.**حمدون طمّاس/دار المعرفة**.بيروت لبنان/ط2/ 2004م/ص 11.

وبكائي على أيام وصالها[8]، ويحيي ذلك الطلل من جملة الأطلال التي مرّ بها ثم أخبر أنه قدم عهده بأهله وقد خلا من السكان بعد ارتحال حبيبته عنه. وضمَّ المكان الأليف صنفين من الأمكنة هما:

1: المكان الطبيعي.

2: المكان الاجتماعي.

1: المكان الطبيعي. كثيرة هي الأماكن الطبيعية التي جلبت نظر الإنسان وفكره في حياته وجميع ما يتعايش به، وأمام هذه الحيرة والحسرة التي تبعث العودة بالذاكرة إلى أيام الأنس والبهجة يقف شعراء المعلقات على أطلالهم ليتحدثوا عن تلك التجارب التي اتسمت بالألم والحسرة على فراق أحبتهم والوحدة التي ظلوا بها والليل الثقيل الذي كسر خواطرهم وجرح أحاسيسهم. أمام هذه الحالات يصف لنا هؤلاء الشعراء تجاربهم وحكاياتهم، والأماكن الطبيعية التي وصفوها، وتنقسم هذه الأماكن الطبيعية إلى:

أ: أماكن الطبيعة الجامدة(الصامتة)، والمتمثلة في وصف الجبال والكثبان والصحراء والوديان والبحار وغيرها، وقد جاءت هذه الأوصاف بدلالات ومواقع متباينة عند شعراء المعلقات على الرغم من أن المكان واحد تقريباً وهو جزيرة العرب وبعض المناطق الشمالية ومن أهمها:

1: وصف الجبل: كثر هذا الوصف في المعلقات وهي ليست أمور مادية بسيطة وقف عندها شعراؤنا بل تعبير عن أزمة نفسية أعيتهم في حياتهم فصاغوها أبياتاً تسيل منها معاناتهم، وذلك كنحو قوا امرؤ القيس:

عَلَى قطنٍ بالشَّيْمِ أيْمنُ صَوْبُـهِ وَأيْسَرُهُ عَلَى السِّتَـارِ فَيَذْبُـلِ[9]

فقطن ويذبل والستار تلك الجبال التي تساقط عليها المطر وهو واقف بينها يسترجع ذاكرته لعلها تعود به إلى أيام عهدها لأن هذه الجبال شاهدة حية على ذكرياته الأليمة، ثم يستطرد بقوله:

كَـأنَّ ثَبِيـراً فِـي عَرَانِيـنِ وَبْلِـهِ كَبِيْـرُ أُنَاسٍ فِي بِجَـادٍ مُزَمَّلِ[10]

فجبل ثبيرٍ في أوائل مطر السحاب كأنه سيد أناس قد تلفف بكساء مخطط من كثرة تساقط الأمطار، وقد خرج بنا الشاعر عن معاناته لربما يلهي نفسه عما أصابها بعد فراق أحبته، وبهذا استطاع أن يحقق خلوده حين أفلت من أسار طوابعه المجروحة إلى طوابع عامة خلقتها فلسفة الشاعر حين تناسى همه وراح يصف لنا الجبل والمطر،مكررا ذلك بقوله:

كَـأنَّ دُرَى رَأسِ المُجَيْمِرِ غُـدْوَةً مِنَ السَّيْـلِ وَالأغْثَـاءِ فُلْكَةُ مِغْزَلِ[11]

أما طرفة بن العبد الذي ينشد:

فَذَرْنِي وَخُلُقِي إنَنِي لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ[12]

فعاطفة المكان هنا تختلف عند طرفة الذي يقول خلِّ بيني وبين خلقي وكلني إلى سجيتي فإني شاكر لك، وإن بعدت غاية البعد حتى ينزل بيتي عند هذا الجبل الذي سمي بضرغد، و بينهم وبين **ضرغد** مسافة بعيدة وشاقة وبينونة بليغة[13]، فكانت عاطفته ليس الشوق لحبيبته إنما لأهله الذين استبعدوه من القبيلة وهي عاطفة لربما أشد حزنا لأن الوطن أثمن من أن يقدر بامرأة، فكانت عاطفته استجداء وحسرة على ضياع أهله وبيته، أما عمر بن كلثوم فكانت عاطفته خليط من **الحماسة** والفخر بنفسه وقومه وشجاعتهم، وليست حزن وبكاء على الأطلال

---

[8] **شرح المعلقات السبع/الزوزني**/108.

[9] ينظر:ديوان امرؤ القيس/ص69، شرح المعلقات السبع/الزوزني/مكتبة المعارف.بيروت1994/ص56 ، **شرح المعلقات العشر/د**.مفيد قميحة/دار مكتبة الهلال.بيروت/20 نيسان 1986م/ص70،جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام/أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي/تح:علي محمد البجاوي/دار نهضة مصر للطباعة والنشر.القاهرة.د.ت/ ص 44، ويروى وعلا قطناً.من علا يعلو.

[10] ديوان امرؤ القيس/77.

[11] ديوان امرؤ القيس/77.،**شرح المعلقات السبع/ الزوزني**/58.

[12] ديوان طرفة بن العبد/43.

[13] **شرح المعلقات السبع/الزوزني**/95.

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ... مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا[14]

وَنَحْنُ عَدَلْنَا أَوْقَدَ فِي خَزَازَى ... رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا[15]

فجبل رهوة الذي يقول عنه الشاعر أنه نصب خيلاً مثل هذا الجبل، ثم أوقدوا النار على جبل خزازى إعلاناً للغارة التي انتصروا فيها على العدو، هذه الأماكن الطبيعية التي أحلها الشاعر **كانت أماكن حرب**، -والتي سنشير إليها لاحقاً-، وفي هذا الغرض يفتخر الشاعر الحارث بن حلزة بقومه وانتصاراتهم في تلك البقع من الأرض:

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيـ ... ـرَ مَوالٍ لَنَا وَأَنَّا الْوَلاءُ[16]

لاَ يُقِيْمُ الْعَزِيْزُ بالبلدِ السّهْـ ... ـلِ وَلاَ يَنْفَعُ الذّلِيلُ النَّجَاةُ

لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلاً مِنْ حِذَارٍ ... رَأْسُ طَوْدٍ وحرةٌ رَجْلاءُ

وَحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْمِ ثَهْلا ... نَ شِلالاً وَدُمِيَ الأَسْسَاءُ[17]

يقول أننا ألجأناهم إلى التحصن بغلظ جبل ثهلان والالتجاء إليه في مطاردتنا إياهم، وأدمينا أفخاذهم بالطعن والضرب. ومن ثَم نعود إلى أماكن البكاء والحنين والشوق والغربة التي جسدها زهير بن أبي سلمى بقوله :

جَعَلْنَ الْقِنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ ... وَكُمْ بِالْقِنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ ... عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ[18]

فقد جعل جبل القنان الذي كانت تقطنه بني أسد قد أصبح بلاقع بعد غيابه عهنا عشرون حجة ولم يعرفها إلا من تلك الحجارة التي كانت يطهى عليها، وهذا الجبل قد أخفي آثار النسوة اللاتي ركبن الهودج ومن ثم وصلن السوبان وهي هضبة شبه الجبل مرتفعة، وعليهن دلالا الإنسان الطيّب العيش الذي يتكلف ذلك. يبكي الشاعر هذه المنازل الموحشة التي ظلت بقاياها شاهدة عليها لكن ذكرياتها مازالت تقبع في ذاكرته لذلك صدح عنها بما جالت به نفسه، وهذا ما أولع لبيد بن أبي ربيعة الذي لم يجد إلا الرمال وبقايا الدّيار والقفار المترامية الأطراف هي التي تلهمه، وهي كل ما تقع عيناه عليه[19]، فيقول:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا ... خَلَقاً كَمَا ضَمِنَ الْوُحِيُّ سِلامُهَا

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيْسِهَا ... حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُهَا وَحَرَامُهَا

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا ... وَدَقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا[20]

---

[14] ديوان عمرو بن كلثوم/منشورات دار صادر.بيروت/ص 45.

[15] ينظر ديوان عمرو بن كلثوم/45شرح المعلقات السبع/الزوزني/51

[16] ينظر ديوان الحارث بن حلزة اليشكري/تح:مروان العطية.مشورات دار الإمام النووي.دمشق.ط1/ 1994/ص63.

[17] ينظر .ديوان الحارث بن حلزة/ص69، 77 ،شرح المعلقات السبع/الزوزني/208.، **والحزم: أغلظ من الحزن**.ثهلان: جبل بعينه.**الشلا:الطراد.الأسماء**:جمع النساء وهو عرق معروف في الفخذ.التدمية والإدماء: **اللطخ بالدم**.

[18] ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى/تح:علي إبراهيم أبو زيد/منشورات دار المعار.القاهرة/ص47،شرح المعلقات السبع/الزوزني/139.

[19] مجلة عود الند مجلة ثقافية فصلية/السنة الثانية عشرة/العدد6 خريف 2017م /د.نجود هاشم الربيعي.السويد/**الناشر**.عدلي الهواري/IssN 1765-4212.

[20] ينظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة/107،شرح المعلقات السبع/الزوزني/216 ،226، جمهرة أشعار العرب/القرشي/237، 244.

يقول: عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة، وهذه الديار كانت بقرب هذه الجبال المسماة الغولية والرجمانية، ثم يتجه شرقاً فيذكر جبلا سلمى وآجا، وهما جبلا طئ والمحجر، ورخامها أيضاً جبل قريب منهما، ويعود إلى جبل طلخام العزيز الذي كانت ذكرياته المؤلمة قد عاشها بالقرب منه، وهو جبل من وراء نجران بمسيرة يومين من منازل ديار أهله[21]، فذكر هذه الأماكن بأسمائها كما يعرفها، ويتفنن في وصف الطبيعة ويدقق في صفة **المطر والرعد**، "وما كان من آثار للمنازل في هذا المكان كأنه كتاب في حجارة، لأنه يتبين من بعيد، كما أن نقشه لا يخالف لونه، وإنما يتبين لمن يقرب منه"[22].هذه الأماكن **والجبال التي** كانت مأوى عشيرته قد هجرها أهلها فأصبحت مكاناً للوحوش بعد أن كانت تجمعهم وتجمع الناس في الأشهر الحرم فانقطعت الصلة بينهم بسبب حرب الفجار من جهة، والعدو والرحيل عن تلك الديار من جهةٍ أخرى[23].هكذا كانت دلالات الجبل كمكان طبيعي وما عُرِفَ به من **قوة** وصلابة وشموخ ذات معانٍ عميقة في نفس الشعراء، ورغم الألم الذي عاشوه إلا أنهم ظلوا مثل هذه الجبال بشموخها وصلابتها وقوتها.

2: وصف الوديـان: يقول امرؤ القيس:

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعِيْرِ قفْرٍ قطَعْتُـهُ بِهِ الذِّئبُ يَعْوِي كَالْخَلِيْعِ الْمُعَيَّلِ[24]

يقول أنه قطع أودية كثيرة ومن بينها هذا الوادي الذي شبهه ببطن الحمار وهي كناية عن شدة ظلام ليله وكثرة وحوشه. قد طويته سيراً وقطعته وكان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع، كالمقامر الذي كثر عياله، ويطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم إذ لا يجد ما يرضيهم به[25]، إلا أن الظلام والوحشة كانت في نفس الشاعر من شدة الجوى ولوعة فراق حبيبته، ولم تكن في الوادي ذاته، لأن امرئ القيس ترك أهله وتعايش مع الصحراء فهو لا يخاف وحوشها إنما ألم نفسه المنكسرة، فكانت دلالة المكان هنا التي أفلتت من أسار طابعه العام إلى طابع فلسفته التي أنطقت هذه الأمكنة، وهذا ما جعل عنترة بن شداد يتألم للوادي الذي كانت قبيلة حبيبته تسكنه وارتحلت عنه، فقال:

يَـا دَارَ عَبْلَـةَ بالْجِـوَاءِ تَكَلّمِـي وَعِمِي صَبَاحَاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي[26]

أو نحو قول زهير بن أبي سلمى الذي غاب عن أهلة عشرون حجة وعندما عاد إلى مكان دياره وجدها بلاقع، والنساء الجميلات اللاتي كانت ترافق حبيبته قد هاجرن أيضاً كل الأمكنة وابتدأن السير وسرن سحراً وهنَّ قاصدات لوادي الرّسّ لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم.

بكرْنَ بُكوراً واسْتَحَرْنَ بسُحْرة فَهُنَّ وَوَادي الـرَّسِّ كَاليَدِ للفَمِ[27]

إن البراعة في الأبيات تكمن في تمازج صفات الوادي والأحداث التي دارت حوله، وهذه همة الشاعر المتقن لصنعته الذي لا يدع القارئ يهتم بدلالات المعنى، ويركز على ما يستخدمه من مظاهر أهميتها إيضاح ما يريده من تلك الدلالات، أما عن دلالة سعادة الشعراء الذين تغنوا بالوادي فما أن لاحت لهم تلك الوديان كلاً بحسب مكان وصفه ومناسبته، أشعرتهم بنشوة الوطن وقرب الوصول إليه، تلك النشوة التي لا يعرفها إلا الغريب أو المسافر أو المنفي وغيرهم، ولا يحسها إلا مفارق للأحبة والأهل.

3:وصف الصحراء: ومن المظاهر الطبيعية الصامتة في شعر المعلقات وصف الصحراء، التي مثلها في الواقع مثلها في الشعر. عالم لا منتهاه من الكبر والسعة[28]، **ذلك المكان المقفر والعالم**

---

(21) جمهرة أشعار العرب/القرشي/244.

(22) مختار الشعر الجاهلي/مصطفى السقا/دار الفكر.بيروت.لبنان/ط1: 2007/ص666.

(23) ديوان لبيد بن أبي ربيعة/107.

(24) ديوان امرؤ القيس/ 45

(25) شرح المعلقات السبع/الزوزني/42.

(26) ديوان عنترة بن شداد/ ص11.

(27) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى/134،شرح المعلقات العشر/مفيد قميحة/193.

(28) جماليات المكان(مجموعة باحثين): مشكلة المكان الفني.لوري لوتمان.ترجمة: سيزا قاسم/ص61.

المترامي الأطراف، المتسع صفاء تحت ضوء الشمس ولهيبها، ووهج الرمال وسرابها، وظلام الليل وغربته ووحشته، الممتدة عبر مساحات الخلاء طالما كانت مدار اهتمام الشعراء ومصدراً من مصادر صورهم، وقد استطاع شعراء المعلقات رسمها في أحسن صورها، فأصبحت عالماً منفتحاً على دلالات كثر في جعلها لوحة داخل النص بمختلف أغراضه، وهي في كل مظاهرها تدل على القوة والصبر والجلد، وهي الحرية التي ينشدها كل إنسان، وتكمن هذه الدلالات بانتصار الإنسان عليها في حله وترحاله وتنقله وممارسة كافة أعماله فهذه حياته وهذا عمله، وهي تدل على العداء والوحشة والغربة"إذ أنها كبيرة وموحشة ومقفرة ونائية عن كل نجاة، وشعراء المعلقات كانت لهم أولوية ذلك الوصف والتفنن من خلال تجارب حياتهم ومواقفهم التي عاشوها، وهذه الفلاة بطبيعة الحال تحوي كثير من عناصر أخرى، كالرياح والسحاب ووصف الناقة القوية والسراب ورحلة الظعائن، **أما الرياح** كنحو قول امرؤ القيس:

فتوضِحَ فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَل[29]

يذكر الشاعر رياح الشمال والجنوب وأثرهما في محو ديار أحبته، وما تنسجه الريحين واختلافهما على دياره وستر إحداهما بالتراب، وكشف الأخرى التراب عنها، ولم يبقَ منها غير الرسم وما لصق بالأرض مثل الرماد، بسبب هذه الرياح العاتية والقاسية. وأمام هذه الألفاظ تشكلت لنا صورة مجتمعة بني من خلالها علاقته اللغوية أمام المكان المؤلم ومواجهته بثنائية الحياة والموت من خلال الحركة التتابعية للرياح(جنوب وشمال). أم المظهر الآخر من **الصحراء الليل** الذي تغنى به امرئ القيس بقوله:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الْطَوِيْلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[30]

فقد امتزجت العناصر لتصل إلى أحاديث الذكريات المشجية التي تبدو متخفية خلف مدلولات الصحراء أو الرمزية إلى أحد عناصرها كما وصف امرؤ القيس فرسه، لأنه كان في ذلك الظلام ووحشة الصحراء جاشت نفسه بذلك الوصف الذي يرمز للحزن فيها، والليل الذي أفرط في طوله وناءت أوائله وازدادت أواخره تطاولا، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولد منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسرور يستقصر ليله[31] وشتان ما بينهما، ومما زاد على وحشة الليل صواعق الرعد وهزيمه، وذلك السحاب المخيف والمطر الغزير، فقال:

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَمِيْضَهُ كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي
عَلَى قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوبُهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ
فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كَتِيْفَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنَهْبَلِ
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَّانِ مِنْ نَفَيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ
وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلاَ أُطُمَاً إِلاَّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ
كَأَنَّ ثَبِيراً فِي عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ كَبِيْرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثَاءِ فُلْكَةُ مِغْزَلِ
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِبَابِ الْمُحَمَّلِ[32]

---

[29] ديوان امرؤ القيس/دار صادر. بيروت/ص 29-30
[30] ينظر:شرح المعلقات السبع/الزوزني/37-39.
[31] شرح المعلقات السبع/الزوزني/39.
[32] ديوان امرؤ القيس/59-61.دار صادر.

نجد إن النص قد ازدحم بالأمكنة التي تشغلها الطبيعة، ولكن الذي يبدو أن امرئ القيس أراد من ازدحام هذه الأمكنة من صحراء وجبال وبرق ورعد ومطر وسيل وغيرها، التعبير عن مشاعر دفينة تركتها فيه ظروف الحياة التي عاشها، لاسيما أنه شاعر أمير فقد ملكه سريعاً، ولذا ربما كانت هذه الأمكنة هي المفرّج عن تلك الظروف والهموم التي تركت شاعرنا كسير النفس، وإلا ما الذي يدعوه لينتقل من وصف الليل والفرس، إلى وصف الفلاة و البرق والمطر والسيل بمثل هذه السرعة، دون أن يعرّج عن دلالاتها وما ترمز إليه من بعد ونأي وغربة، فأراد أن ينسى فراق حبيبته بذكر هذه الأشياء ليتناسى همه كما في وصف الليل وما فيه من هموم الذي ابتلاه بأنواعه كما ذكرنا.

4: وصف منابع الماء: ومن مظاهر الطبيعة الصامتة التي وردت عند أصحاب المعلقات **عالم المياه والعيون** التي ندرت في شبه تلك الجزيرة القاحلة، والتي كانت أحد أسباب الفراق بين الأحبة لأنها مصدر للرحلة والترحال طلباً لتلك المياه، وما يحدث فيها من غارات وحروب وجوع وفقر، كما ورد عند زهير بن أبي سلمى:

تَبَصّر خَليلي هَل تَرَى مِنْ ظعَائِن تَحَمّلْنَ بالعَلْيَاءِ مِنْ فوق جُرثُمِ[33]

فجرثم اسم الماء الذي كانت ترده صاحبته، يقول الشاعر أنظر يا خليلي هل الأرض العالية من فوق هذا الماء نساء في هوادج على إبل؟ يريد أن الوجد برح به والصبابة ألحت عليه حتى ظن المحال لفرط ولهه، لأن كونهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال؟ لكن زيارته لتلك العين زاد من شجونه وهلاكه، أو كنحو قول لبيد بن ربيعة العامري:

حُفزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بيشَةَ أَثْلُهَا ورضَامُهَا[34]

يقول دفعت الظعن، أي حفزت الركاب لتجدَّ في السير ولاحت خلال قطع السراب ولمعت، فكأن الظعن منعطفات بوادي بيشة أثلها وحجارتها العظام، هذا الوادي الذي كان يوماً ملئ بالماء الذي ترده جميع المخلوقات في ذلك المكان، وكانت صاحبته وأهلها يقطنونه فيبس العشب وجف **الماء** ورحل الأحباب وصار وادياً بالاسم والذكريات، ومثل هذا المكان الحزين الموحش ذكره امرؤ القيس في قوله:

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعِيْر قفْرٍ قطعْتَهُ بِهِ الذئبُ يَعْوي كَالخَلِيْع الْمُعَيْل

قعَدْتُ لَهُ وَصَحْبَتِي بَيْنَ ضَارج وَبَيْنَ الْعَذيب بَعْدَمَا مُتَأَمَّلي[35]

قيل: جوف العير اسم وادٍ لرجل اسمه الحمار، وكان قد صنع طعاماً لقومه فجاءته ريح فغبرته عليه فكفر، فخسف بهم، فلم يبقَ فيه أحد[36]، والشاعر هنا يقول: **أنني قطعت** أودية كثيرة وليست كهذا الوادي الخالي من النبات والأنس طويته سيراً وقطعته، وكان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع كالمقامر الذي كثر عياله ويطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم إذ لا يجد ما يرضيهم به[37]، فهذا مكان ماء ووادٍ قديم ذا غربة ووحشة، وليس كالمكان الذي فيه أنس ومتعة وصحبة بقرب الحبيب والماء مازال جارياً بخضرته وأنسه، كدار جلجل فيقول:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِح وَلاَ سِيّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُل[38]

يقول الشاعر: لا سيء هذا اليوم بدارة جلجل وهو غدير بعينه فزت فيه بوصال **النساء** وظفرت بعيش صالح ناعم منهنَّ، ولا يوم من تلك الأيام من أحسنها وأتمها، وتعظم أهمية المكان هنا بالنسبة للشاعر لأن أغلب الأماكن جافة أو آبار جوفية وبعض العيون الصغيرة، أما هذا المكان الذي يكثر فيه العشب والشجر والنساء يردنه للتخفيف من حر الصحراء اللاهبة لهو من

---

[33] ديوان زهير بن أبي سلمى/102-103.
[34] ديوان لبيد بن ربيعة العامري/137.
[35] ديوان امرؤ القيس/57،71.
[36] جمهرة أشعار العرب/القرشي/134.
[37] شرح المعلقات السبع/الزوزني/42.
[38] ديوان امرؤ القيس/31.

أجمل الأماكن والأيام التي عاشها الشاعر وتعايش فيها، لذلك كانت هوية ذكرياته فيها كقطرة في بحر من أيام الغربة والتشرد في تلك الصحراء الغابرة. وهذا طرفة بن العبد يذكر مركب حبيبته وهو بعيد عن الأهل مطرود من القبيلة سارت به الأيام لوادٍ بعينه كان يتردده فيذكرها ويقول: كأن مراكب العشيقة المالكية غدوة في فراقها بنواحي وادي دَدِ سفن عظام عليها هودج فجاشت نفسه بالحزن والأسى على تلك الأيام وما ضاع منها، يقول:

كَـأنَّ حـدوج المَالكيـة غُـدوةً خلايَـا سَفِيْـن بالنَواصِـف مِـنْ دَدِ[39]

ولاشك أن الصورة التي رسمها الشاعر مرئية لا تتعدى الأوصاف المادية التي يراها الإنسان الاعتيادي للهودج والرحيل، وحتى هذه الأوصاف لم تكن من الأحكام في شيء، فالشطر الثاني من البيت لا ترى فيه غير تزويق لفظي لإكمال القافية وإلا ما الداعي لجلب كلمة سفين لتشبيه الهودج، وهل الرحيل بالنساء المنعمات إلا بالهودج العظيم الصنع، أما العاطفة فلم تكن بالحزينة المؤثرة في النفس، لأن طرفة مات صغيراً لم يتعدَّ الثمانِ وعشرين حجة هذا على قول أخته الخرنق:

عَدَنَـا لَـهُ ثَمـانٍ وعشْرِيـن حجـة

وربما كانت هذه اللوحة وهذا الوصف من سبيل التصوير الفني المحض، إذ أثارت السفينة بلونها ولون شراعها والبحر الذي تتموج فيه بألوان الهودج المتباينة والفاقعة والصحراء في تثنيها بمثل ما ذكر من تشبيه. وكلاً يرى الوصف حسب تأثره وتأثير الشاعر فيه، **أو كنحو قول** لبيد بن ربيعة العامري يذكر وادٍ اسمه البدي لبني عامر يكثر فيه الجن ، ويصادف أن تحدث فيه معركة بين قومين غلاظ الأعناق كالأسود يهدد بعضهم بعضاً، وهذا الوادي لم يكن مكان حميم أو ذا ذكريات سعيدة، إنما كان ذا صلة بالحرب وما شابه ذلك، وذاكرته هنا مرتبطة بالموت والقتل والثأر، إذن فهو من الأماكن الحزينة المؤثرة **في نفس الشاعر**.

غُلِـبٍ تَشَـذَّرُ بالذحُـول كَأنَّهَـا جِـنٌّ آلْبَـدِيِّ روَاسِيـاً أقْدَامُهَـا[40]

وعلى الرغم من أن الأودية والعيون التي ذكرها شعراء المعلقات كانت صور أكثر استغلالاً لمظاهر الطبيعة، وأكثر وصفاً لحركة جريان أو توقف وجفاف هذه المظاهر، إلا أنها كانت صور أكثر براعة وإحكاماً في وصف تلك المناظر، وربما كانت صورة امرؤ القيس أكثر براعة وإحكاماً في وصفه للأودية التي ذكرها ودار جلجل والمطر والسيول التي كانت سبباً في تكون تلك الأودية، ومهما يكن من أمر فكل الشعراء أدلى بدلوه مستخدماً لغته وصوره ومقومات صنعته التي يجب أن يتميز بها الشاعر عن الآخرين ويتفوق عليهم.

2: المكان الاجتماعي: وهي الأماكن التي ولد فيها الإنسان وترعرع عليها أو استقر بها بعد الرحيل مع جماعة من الناس عرفوا بأهله وقبيلته، وما تعارفوا به من عادات وتقاليد ومناسبات سعيدة أو حزينة ، تختلف عن كل مجتمع من هذه الأرض، وسنتعرف على المكان الاجتماعي في شعر المعلقات وعلى دلالات هذا المكان من خلال المناحي التالية:

أ: أماكن اجتماعية خاصة" أماكن السكن":

أي المكان الحقيقي الذي ترعرع فيه الشاعر، وما يراه من أثر الماضي، وتجليات الحاضر وآمال المستقبل، حيث تكمن المشاعر الصافية الصادقة نحو بيئته ومجتمعه، والبيت هو أول تلك الأماكن التي تعلق بها الشاعر، حيث الخيام والمضارب التي لم تستقر في مكان واحد، لأنهم كانوا أصحاب حلٍ وترحال، وفي كل مكان ينزلوه كانت لهم ذكريات سعيدة وحزينة، ومن خلال هذه الأحداث تتسع دلالة الخيمة في شعر المعلقات وتضيق، فكما هي الخيمة بالحب والأسرة هي أيضاً الغربة والفراق والموت والوحشة، فهم يرون صفات العداء، فيتساءلون في حيرة ويبكون الأطلال وألم الرحيل كما هو عندهم جميعاً، فهذا امرؤ القيس يذكر ديار أهله وحبيبته ومنزلها ما بين تلك الأماكن التي كانت مرتع وهناء كيف أصبحت بلاقع وآثار دارسة، فيقول:

---

(39) ديوان طرفة بن العبد/13.

(40) شرح المعلقات السبع/الزوزني/247.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيْبٍ وَمَنْزِل بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدخول فَحَوْمَلِ[41]

أو كنحو قول طرفة:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ ببَرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ في ظَاهِرِ الْيَدِ[42]

أو كنحو قول عنترة العبسي:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَــرَدَّمِ أَمْ هَل عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[43]

أو كنحو قول زهير بن أبي سلمى: أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤالها بهذين الموضعين، حيث أخرج زهير الكلام في معرض الشك ليدل بذلك على أنه لبعده بالدمنة وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق. والدمنة آثار الناس وما سوّدوا بالرمادِ وغير ذلك، وإذا أسّود المكان قيل: قد دُمِّن هذا المكان[44]، لم يجد أحد بل ولم يعرف المكان إلاّ من الحجر الذي كان يُطهى عليه والرماد.

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الْـدرَاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ[45]

نجد أن صدق هذه الأبيات قد كشف لنا عن معانٍ حقيقية لعامل الغربة والترحال الذي فرضه الزمن على هؤلاء الشعراء، فنجد فجعة المتكلم وحسرة النفس على الفراق والغربة، ففي مثل هذه الصور المشبعة بالحزن والأسى إنما انبعثت أسلماً من المكان-البيت- فحملت عواطف أصحابها وأحاسيسهم فـ(البيت أو المضارب أكثر من منظر طبيعي إذ هو حالة نفسية[46] أكثر منها تعبير يمر لتوحيد القصيدة أو القافية كنحو قول عمرو بن كلثوم:

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخَبِّرْكِ الْيَقِينَ وَتُخْبِرِينَا

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صِرْماً لِوَشْكِ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِينَا[47]

يقول: قفي مطيتك أيتها الحبيبة الظاعنة الراحلة نخبرك بما قاسينا بعدك وتخبرينا بما لاقيتي بعدنا، قفي مطيتك نسألك هل أحدثت قطيعة لسرعة الفراق أم هل خنتني حبيبك الذي تؤمن خيانته؟ وهل دعتك سرعة الفراق إلى الخيانة في مودة من لا يخونك في مودته إياك[48]، وهنا كان أثر المكان الذي ترك الشاعر فيه حبيبته وذهب للقاء الأعداء ثم عاد يسألها واضحاً و أكثر إبداعاً في تصوير الشاعر للعاطفة في لقطات تبرز حاله وحال حبيبته ساعة اللقاء والسؤال عما فعلت بعده "مما يعبر عن تمثل بسيط للمشاعر الإنسانية الصادقة التي تضطرب في النفس الإنسانية في مثل هذه المواقف"[49]، وهذا ما أجادت به قريحة امرؤ القيس عند وقوفه على آثار ديار حبيبته وقد أصبحت مرتع للحيوانات، فيقول:

تَرَى بَعْرَ الآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّــه حَبُّ فُلْفُـلِ[50]

والمكان هنا عرصاتها. أي ساحة الدار، وهو يحاول أن يجعل من ألمه مشهد حقيقي فيقول: أنظر بعينيك ترَ ديار الحبيبة التي كانت مأهولة بأهلها مأنوسة بهم خصبة الأرض، كيف غادرها أهلها وأقفرت من بعدهم أرضها وسكنت رملها الظباء، ونثرت في ساحتها بعرها حتى تراه كأنه حب فلفل[51]، وعلى أيةِ حال، فإن المكان الاجتماعي-مهما كان- بقى المثير الوحيد لهذه الأشعار،

---

(41) ديوان امرؤ القيس/35.

(42) ديوان طرفة بن العبد/9.

(43) ديوان عنترة بن شداد/11.

(44) زهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة(دراسة أدبية لشعره وشرح ديوانه)/د.علي إبراهيم أبو زيد/مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.بيروت لبنان 1413هـ/-1993م/ص79.

(45) ديوان زهير بن أبي سلمى/102.

(46) جماليات المكان/جاستون باشلار.ترجمة: غالب هلسا/دار الجاحظ.بغداد/1980/ص105.

(47) ديوان عمرو بن كلثوم/تحقيق وشرح: أميل بديع يعقوب/دار الكتاب العربي.بيروت ط1:1991/ص66.

(48) شرح المعلقات السبع/الزوزني/165.

(49) ديوان الأعمى التطيلي-دراسة موضوعية فنية-/محمد عويد محمد(رسالة ماجستر9/كلية التربية.جامعة الأنبار.العراق/1999/ص56.

(50) ديوان امرؤ القيس/29.

(51) شرح المعلقات السبع/الزوزني/12.

والدافع الأول في اجتراح هذه المشاعر. التي ما أن عانى منها شاعر أريب إلا وأسرع ليضمها إلى أبياته فخرجت هذه الأبيات بمثل هذه الصور الشجية، وهذه المعاني المؤلمة وإلا لما كان لشعر وشعراء المعلقات تلك الرفعة والمكان التي لا ينازعها شعرٍ بعدها.

ب: أماكن القرى: وهي تلك البيوت والمنازل التي بناها الإنسان بالأحجار والجص وغيرها، وقد كانت القرى في العصر الجاهلي قليلة جداً وبنايات بسيطة لأهل الحضر الذين استقروا في تلك الأماكن، حيثُ تغنى كثير من الشعراء بذكرها، ومن بينهم أصحاب المعلقات حيث تتسع دلالة القرى في الشعر وتضيق، فكما هو البيت- الحب والمرأة والأسرة- فهو بيت أو قرية الغربة والفراق والوحشة، فالبيت (يعدُّ سجلاً لمشاعر الإنسان، وعلى جدرانه تواريخ الأيام الماضية والأيام الباقية، ولذا فهو الرحم الاجتماعي الأكثر عرضة لتقلبات الأيام[52]، ومن القرى التي ذكرت في شعر المعلقات ما تغنى به عنترة بن شداد في قوله:

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلَمِ[53]

فعنيزة قرية قريبة من الوشم[54] في شبه الجزيرة العربية،وإنما ثناها بما حواليها، يقول: كيف يمكنني أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين، وأهلنا بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة وشقة مديدة؟،أو كنحو قول عمرو بن كلثوم:

وَكأْسٍ قَدْشَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍ وَأُخْرَى فِي دِمشْقَ وَقَاصِرِينَا

فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ واشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصلَتِينَا

وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إلى الشَّامَاتِ تَنْفِي الْمُوعِدِينَا[55]

فقرى بعلبك ودمشق وقاصرينا أسماء لقرى بقرب بالس، وبالس بلدة أيضاً بالشام يقول: شربت الخمر بهذه البلاد كلها واليمامة وذي طلوح إلى الشامات كلها، وهي قرى قد مرَّ بها الشاعر وله فيها ذكرياته سواءً السعيدة منها أو الحزينة، وقد كانت ذكريات حرب وفخر واعتزاز بالنفس، وليست ذكريات للأماكن المؤلمة وذكر الحبيبة وهجر الأوطان كما هو الحال عند لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[56]

فالقرية منىً وهي موضع قريب من طِخْفَة وليس بمنىً مكة، فقد توحشت الديار الغولية والرجمانية وما كان منها للحلول دون الإقامة وأصبحت بلاقع وآثار تدمي النفس وتؤلمها.أو كنحو قول امرؤ القيس في وصف قرية تيماء، وهي قرية عادية في بلاد العرب وبالتحديد في اليمن لا تبعد كثيراً عن قصور أهله، هذه القرية التي لم يترك الغيث وسيل المطر شيئا إلا واجتاحه من جذوع النخل ولا شيء من القصور والأبنية إلا ما كان مرفوعاً منها بالصخور أو مجصصاً[57]، يعني أنه قلع الأشجار وغيرها في تلك القرية التي، فيقول:

وَتَيْمَاء لَمْ يَتْرك بَهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلاَ أُطُماً إلاَّ مشيداً بِجَنْدل[58]

فالدار هنا حملت دلالا عدة، فمثلما كانت محل الأضياف ومكان السعد، أصبحت محل النوائب حيث جرف الماء خيرها وهدم الكثير من منازلها وماتت حيواناتها. إن هذه النظرة للدار إنما هي وليدة الطرف الآني الذي يتحدث عنه الشاعر الذي أحل بها وأقام بين أهلها.

---

(52) دلالة المكان في قصص الأطفال/ياسين النصير//منشورات دار ثقافة الأطفال.بغداد.ط1/ 1985/ص27.
(53) ديوان عنترة بن شداد/12.
(54) جمهرة أشعار العرب/القرشي/352.
(55) ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم/66،شرح المعلقات السبع/الزوزني/171.169.165.
(56) ينظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة/107شرح المعلقات السبع/الزوزني/216.
(57) جمهرة أشعار العرب/القرشي/146.
(58)شرح المعلقات السبع/الزوزني/57.

ج: أماكن اجتماعية عامة: والمتمثلة في أماكن العبادة والأسواق والأعياد والمناسبات التي كانت متداولة بين العرب آنذاك، وهي مدعاة لجلب الناس إليها من كل حدب وصوب، وفيها يوجد الطعام والماء والبيع والشراء وغيرها. كأماكن العبادة الذي تغنى به زهير بقوله:

فأقسَمتُ بالبيتِ الذي طافَ حَوْلَـه رجال بنوه من قُريْشٍ وَجُرْهَمِ[59]

فأقسم الشاعر بمكان العبادة، وهي المكان المقدس الذي يجتمع عنده أهل قريش وسادتها **لإتمام الصلح**. لذلك كان هذا المكان ذا صلة قوية بالقوم عامة والشاعر خاصةً، لأن مكة كانت من أكبر عوائد الاقتصاد آنذاك، بها الكعبة أكبر معابد العرب، فكانوا يحجون إلى أصنامهم التي أقاموها بها، فتقيم لهم قريش الولائم والسقاية والسواق كسوق عكاظ أكبر أسواقها[60] **والمربد** وغيرها، أو كنحو قول لبيد الذي يذكر الديار التي هجرها أهلها فأصبحت مكاناً للوحوش بعد أن كانت تجمع الناس في الأشهر الحرم فانقطعت الصلة بينهم بسبب حرب الفجّار من جهة، أو الرحيل والبعد عن تلك الديار من جهةٍ أخرى، وهنا المكان ليس للعبادة بل المكان الذي يجتمعون فيه ثم ينطلقون لأداء مواسم حجيجهم فيقول:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[61]

إن مثل هذه الصورة وغيرها مما سبق من قول الشعراء المشبعة بالحزن والأسى، إنما **انبعثت أسلساً من المكان**- البيت- فحملت عواطف أصحابها وأحاسيسهم فـ(البيت أكثر من منظر طبيعي إذ هو حالة نفسية) [62]، والخيمة أو القبيلة عند شعراء المعلقات بخاصة **أدت دوراً فاعلاً** في تجسيد هذا المكان وتوضيح دلالاته، وعبرت عن صميم العلاقة التي تربط الشاعر (روحيا) بمن حوله من الناس وخاصةً الحبيبة التي كانت سبب حله وارتحاله، وأهله الذين يعيشون معه، والقبيلة التي يرتبط بها لأن عزة العربي بأهله وقبيلته فيتأثر بها، والقبيلة أو الحبيبة لم تكن إطار أو مكاناً لحدث معين فحسب، بل كانت مكاناً مستحضراً يلجأ إليه الشاعر عندما يحس بوطأة المكان الذي يكون فيه وهو الصحراء وامتداد أرجائها ووحشتها.

ثانياً: المكان المعادي: والمتمثلة في أماكن القبور والسجون والحروب والأماكن الموحشة في الصحراء التي سكنها الجن وغيرها. ولذا يُعد المكان في حياتنا أمر طبيعي لكل إنسان يمكن أن يكسب سمات العداء تبعاً للظروف التي تحيط به، أو المواقف التي يمر بها الإنسان في شتى **المجالات**. فمثلاً البيت مكاننا المحبب ومصدر ألفتنا، يمكن أن يكون مكاناً معادياً إذا ما فقدنا فيه عزيزاً، أو إذا ما احتله غاصباً مدمراً فأثار نقمتنا ضده، وكذلك الأمر في القبيلة أو الحي الذي عاش فيه الشاعر أو مزار معين ألف فيه حبيباً ثم ارتحل عنه وفرقته الأيام وغيرها، ومما لا شك فيه أن الأمكنة المعادية ترتبط بحالة الشاعر النفسية، فالمكان عنده في ضيق مستمر، وفي منأى عن دواعي الفرح والسرور والاجتماع، ولذا نجد شعراء المعلقات يريد كلاً منهم الهروب عن مثل هذه الأمكنة حتى ولو بصورة خيالية يوحي إليها النص الشعري، فيتحول النص بذلك إلى صورة رمزية وقناع لحالات الشكوى والألم التي تختفي وراء النص، وهي كالآتي:

1: مكان الحرب: وهو من الأماكن المعادية في ذاكرة الشاعر سواءً أكان النصر أو الهزيمة حليفه، لأن دلالة المكان مؤذية ومخيفة ولها صدىً حزين في النفس و يكون قد فقد عزيزاً أو هجر داره أو سبيت نساؤه وغيرها مما كان يحدث بينهم، وهذا ما أنشده الحارث بن حلزة :

لا يقيمُ العزيزُ بالبلدِ السَّهْـ ل ولا يَنْفَعُ الذَّلِيْـلَ النَّجـاء
لَـيْسَ يُنْجِ الذي مُوائِـل مِنْ جذار رأسُ طـودٍ وَحَـرةٌ رَجْـلاءُ[63]

---

[59] ديوان زهير بن أبي سلمى/105.
[60] تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي)/ شوقي ضيف/**دار المعارف**ط2: 1960م/ ص 76.
[61] ينظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة/107**شرح المعلقات السبع/الزوزني**/216.
[62] جماليات المكان/**باشلار**/105.
[63] ديوان الحارث بن حلزة اليشكري/ص 69.

فكل بيت يرسم صورة من صور المكان، فالعزيز القوي لا يرضى أن يعيش في أماكن الحرب المخيفة، لأنها دائمة ومستمرة وهي ليست من صفاته وخصاله، وإذا حاول الضعيف الذليل الهروب فإنه يموت ويقتل، وهذا ما تغنى به طرفة بن العبد بقوله:

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكْ فِيْهِ الْفَرَائِصُ تُرْعَدِ[64]

ففي هذا المكان المخيف يقول: حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام. أو كنحو قول الحارث بن حلزة يوم الحيارين وهو مكان أبلى فيه بنو بكر بلاً حسناً لقتالهم الأعداء والعناء قد بلغ الغاية، والملك عمرو بن هند شاهداً على حسن بلائهم وانتصارهم على الرغم من كثرة الأعداء وسيل الدماء وشدة ذلك اليوم.

وَهو الرَّبُّ والشهيدُ علىَ يوْ مِ الحيَارِيَن والبَلاء بَلاءُ[65]

أو كنحو قول عنترة:

فِي حَوْمَةِ الحربِ لا تَثنِيكِ غَمَرَاتِهَا الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ[66]

يقول في شدة المعركة التي تغمر أصحابها بعقولهم وقلوبهم، حيث الصياح والجلبة، لم أجبن ولم أتأخر وقاتلت الأعداء غير خائف من الموت، ما يهمني هو الانتصار والثأر، لأنه إذا حمل نفسه على مكاره الحرب لم يندم على ذلك[67].

2: القبر: وهو نهاية كل إنسان مهما طال به العمر، وهو النتيجة الحتمية التي يؤول إليها الناس بعد حياة طويلة مليئة بالأعباء والصعاب والكَبَد، وهو العظة والعبرة لكل شاهد على وفاة حبيب أو صديق وغيرها، وأنهم غادرونا لحياة أخرى تاركين لنا ذكرياتهم وأهليهم وما يذكرنا بهم، فبذكراهم تنفتق القريحة وتجول النفس باحثة عن أعطر كلمات الأسى والحزن لتصبّر تلك النفس الشجية المحترقة. إنها الموت، ففي القبر يتوحد الزمان والمكان فيتحولان لشيء واحد، والقبر تدوين لحادثة ووقت في زمن ما وانتهت بالموت، والمكان تلك الحادثة. كأن يكون البيت أو أيام الظعن أو إحدى أماكن المرعى والصيد أو ساحة الحرب وغيرها مما عاش فيه الشاعر الجاهلي وتعايش معه، وهل استطاع شاعر المعلقات دمج مظاهر تلك الأمكنة التي رآها في حياته كأن يرثي عزيزاً عليه أو أن يذكر الموت والقبر وغربته ووحشته والحكمة من ذلك. كنحو قول طرفة بن العبد حينما يستوي البخيل الحريص بماله كقبر الضال في بطالته في مكان واحد:

أرىَ قبرَ نحّامٍ بخيلٍ بمالـهِ كقبرِ غَوِيٍّ في البطالةِ مُفْسِدِ
تَرىَ جَثوتين من تُراب عليْهِما صَفائحُ صُمٍّ من صَفيْحٍ مُنَضّدِ
أرى الموت يعْتامُ الكِرَامَ وَيَصْطفي عَقِيلةَ مَال الفَاحِشِ المتشدّدِ

....

لَعَمْرُكَ إن الموتَ مَا أخْطأ الفتَى لَكَالطّول المُرخَى وَثِنْيَاهُ باليَدِ[68]

استخدم الشاعر دلالة المكان المرتفع عندما أورد الكرام الأجواد المنفقين مالهم بالسراء والضراء الذين تبكي لهم العين وتنحسر عليهم النفس، إلى الدلالة السفلية وهي البخل والتشدد فيه، فقال أن الموت يعم الأجواد والبخلاء فيصطفي الكرام وكرائم أموال البخلاء فلا تخلص منه الموت لواحد من الصنفين فلا يجدي البخل، لأن الموت كصاحب الدابة التي أرخى طولها ومتى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه، ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده. أو كنحو قول زهير بن أبي سلمى في ذم الحرب وويلاتها وما تجره على الأبرياء من فزع وهول وغيرها، ويكون نهايتها القبر، وأصحاب الثأر غير مبالين بما تجره تلك الدماء فيقول:

---

[64] شرح المعلقات السبع/الزوزني/102.
[65] ديوان الحارث بن حلزة/80.
[66] شرح المعلقات السبع/الزوزني/128.
[67] عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة/د.ناهد الشعراوي/دار المعرفة الجامعية.الإسكندرية.مصر/2005م/ص143.
[68] ديوان طرفة /40 -41.

فَقَضَّوا منايَا بينَهُم ثمَّ أصْدَروا ... إلى كلاءٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِمِ
لَعَمرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهمْ ... دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ أو قَتِيلِ آلمُثَلِّمِ
وَلاَشَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي مَ نَوْفَلٍ ... ولاَ وَهَبٍ مِنْهَا ولاَ ابنِ المُخَرِّمِ
فَكُلاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... صَحِيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بِمَخْرَمِ[69]

يذكر الشاعر المصير الذي أودت إليه المرثية من وخيم العاقبة،ونهايته المؤدية إلى القبر، فقومه الذين يقاتلون الأعداء كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة كما ترعى الإبل ثم عاودوا الوقائع كما تورد الإبل بعد الرعي فأحكموا وتمموا منايا بينهم فقتل كل واحد من الحيين صنف من الآخر، وأن رماحهم لم تجن عليهم إلا دماء هؤلاء القتلى، ولم يكفه ذلك إلا صحيحات إبل تعلو في طرق الجبال عند سوقها إلى أولياء المقتولين[70]. إذن فدلالة فالموت حقيقة حتمية وهي قدر الإنسان ومقدرة عليه كما يقول عمرو بن كلثوم:

وإنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا المَنَايَا ... مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِيْنَا
.....
بِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْناً ... أقَرَّ بِهِ مَوَاليكِ العُيونَا[71]

وعلى أيةِ حال، فإن المكان الاجتماعي-مهما كان- بقى المثير الوحيد لهذه الأشعار، والدافع الأول في اجتراح هذه المشاعر. التي ما أن عانى منها شاعر أريب إلا وأسرع ليضمها إلى أبياته فخرجت هذه الأبيات بمثل هذه الصور الشجية، وهذه المعاني المؤلمة وإلا لما كان لشعر وشعراء المعلقات تلك الرفعة والمكان التي لا ينازعها شعرٍ بعدها.

الخاتمة: من خلال دراستنا البسيطة لشعر المعلقات رأينا كيف كانت سلطة التحول والمحو بين الشعراء، وأسباب الرحلة ودورها في التكوين الاجتماعي للذات العربية، وفهم العلاقة المتجددة للإنعتاق من المكان ومحاولة إكساب هذه العلاقة صفة التحول والتأثر بينهم، بما يتوازى إلى حد بعيد بتحولات الزمن وصيرورته، وبهذا تكونت لدينا نتائج قابلة للبحث والدراسة التي منها:

1: تعد كثرة الاستفهام التي نلحظها في أوائل معلقاتهم، إنما هي تعبير عن فلسفة خاصة بالشاعر تجاه المكان، تقوم على نقل هذا المكان عبر السؤال إلى المستمع أو المتلقي، لأن شاعر المعلقات مسكون بالطلل والمكان في حله وترحاله، كما أن المكان يجسّد برهة التحول من الماضي إلى المستقبل. إذ تختزن الماضي كنقيض مباشر للحاضر، وكمطابق صميمي للمستقبل المأمول.

2: رأينا أن وقوف الشاعر حائراً بين ماضيه العذب، وبين مستقبله وما فيه من حياة مجهولة، إنما هو تعبير عن موقف الإنسان الواعي بالحياة مع شعوره بالضعف أمام قوة الطبيعة.

3: وجدنا أن ظاهرة المكان في شعر المعلقات ظاهرة عميقة، ذات أبعاد وتأثيرات مختلفة وليست بالبساطة التي صورتها الدراسات السابقة، فهي ظاهرة بين الشاعر وبيئته التي تمتلكها الصحراء المترامية، وموقف الشاعر أمام الطلل إنساني وتجربته تمثل الصراع الذي يحدث في نفوسنا جميعاً عند فقد عزيز أو أي حدثٍ جديد في الحياة، والتعبير عنه بكل جدية وألم.

4: نجد أن من مظاهر الطبيعة التي ارتبطت ارتباطاً مباشراً بالطلل كالرياح والعواصف والأمطار ورياح السموم وغيرها، فهي لا تمثل جزءاً من المكان فحسب، بل لها دورها البارز في التأثير على اندثار معالم الحياة التي صارت أطلالاً لا يُعْرَف أحياناً حتى لمن هي، كما حدث مع زهير بن أبي سلمى وامرئ القيس حين أسلفنا الحديث عنه سابقاً.

---

[69] ديوان زهير بن أبي سلمى/34-35.
[70] شرح المعلقات السبع/الزوزني.بتصرف يسير/152-154.
[71] ديوان عمرو بن كلثوم/35-36.

5: إن المكان في الشعر الجاهلي ليس بحد ذاته، وإنما بالزمن الذي يمر عليه، وبالحركة التي تشغله، فيتلون المكان بهذه الحركة وبهذا الزمن، فكان واضح الحدود عند رسمه يتحرك ضمن إحداثيات الأمكنة، واقترانه بها وتأثيره فيها وتأثر الشاعر بها.

ثبت بالمصادر والمراجع:

1: القرآن الكريم/سورة قريش/ط1.1433هـ/دار القرآن الكريم.بيروت.لبنان/الخطاط.عثمان طه.بالرسم العثماني.
2: تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي)/ شوقي ضيف/دار المعارف/ط2: 1960م.
3: جماليات المكان/جلستون باشلار.ترجمة: غالب هلسا/دار الجاحظ.بغداد/1980.
4: جماليات المكان(مجموعة باحثين: أحمد الطاهر حسين، أحمد غنيم،حازم شحاتة، مدحت الجبار، محمود البطل، نجوجي واثيو نحو،سيزا قاسم، لوري لوتمان)، مشكلة المكان الفني.لوري ليتمان.ترجمة: سيزا قاسم./النشر.عيون المقالات.الدار البيضاء.المغرب/ط2: 1988م.
5: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام/أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي/تح: علي محمد البجاوي/دار نهضة مصر للطباعة والنشر.القاهرة.د.ت
6: دلالة المكان في قصص الأطفال/ياسين النصير/ دار ثقافة الأطفال.بغداد/ط1/ 1985.
7: ديوان امرؤ القيس/دار صادر. بيروت.د.ت.
8: ديوان الأعمى التطيلي-دراسة موضوعية فنية-/محمد عويد محمد(رسالة ماجستر9/كلية التربية.جامعة الأنبار.العراق/1999
9: ديوان الحارث بن حلزة اليشكري/تح:مروان العطية.منشورات دار الإمام النووي.دمشق/ط1/ 1994.
10: ديوان زهير بن أبي سلمى/تح:علي إبراهيم أبو زيد/منشورات دار المعار.القاهرة.د.ت
11: ديوان طرفة بن العبد/تح:عبد الرحمن المصطاوي/دار المعارف.بيروت ط1.2003م.
12: ديوان عمرو بن كلثوم/تحقيق وشرح:أميل بديع يعقوب/دار الكتاب العربي.بيروت/ط1..1991
13: ديوان عنترة بن شداد العبسي/اعتنى به وشرحه.حمدو طمّاس/دار المعرفة.بيروت لبنان/ط2/ 2004م.
14: ديوان لبيد بن أبي ربيعة/تحقيق. حمدو طمّاس/ دار المعرفة.بيروت لبنان/ط1/ 2004م.
15: زهير بن أبي سلمى شاعر الحكمة(دراسة أدبية لشعره وشرح ديوانه)/د.علي إبراهيم أبو زيد/مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.بيروت لبنان 1413هـ/-1993م.
16: شرح المعلقات السبع/الزوزني/مكتبة المعارف.بيروت/ط: 1414هـ -. 1994م
17: شرح المعلقات العشر/د.مفيد قميحة/دار مكتبة الهلال.بيروت/20 نيسان 1986م
18: مبادئ علم الاجتماع الحديث/الحسن إحسان محمد/دار وائل للنشر.عمان .الأردن/ط1.2005م
19: مجلة عود الند مجلة ثقافية فصلية/السنة الثانية عشرة/العدد6 خريف 2017م /د.نجود هاشم الربيعي.السويد/الناشر.عدلي الهواري/IssN 1765-4212.
20: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العرب(484 – 897هـ) د0 محمد عويّد محمد ساير الطربولي0منشورات مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة0ط1 0 -2005هـ- 1425م.
21: عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة/د.ناهد الشعراوي/دار المعرفة الجامعية.الإسكندرية.مصر/2005م.
22: مختار الشعر الجاهلي/مصطفى السقا/دار الفكر.بيروت.لبنان/ط1.2007م.

نقد ابن المعتز لشعر أبي تمام

الباحثة : أماني علي محمد القطلي

جامعة طرابلس

كلية التربية جنزور

مقدمة :

تعرض الناقد أبو العباس عبد الله بن المعتز لشعر أبي تمام بالنقد في ثلاثة مواضع من كتبه ، وهي كتابه المسمّى (البديع) و(الرسالة التي نبّه فيها إلى محاسن شعر أبي تمام ومساوئه) ، وكتابه المسمّى (طبقات الشعراء) ، وقد تحامل هذا الناقد على الشاعر في (الرسالة) ، وقد نقداً موضوعياً في كتابه (البديع) ، وأثنى عليه وقدَّمه على غيره من الشعراء في كتابه (طبقات الشعراء) كما سيتضح فيما بعد .

أولاً : نقد ابن المعتز لأبي تمام في الرسالة :

والرسالة التي نبَّه فيها ابن المعتز إلى محاسن شعر أبي تمام ومساوئه تحتوي في الواقع على مساوئ شعر أبي تمام فقط ، كما يرى هذا الناقد ولم يتعرض فيها لمحاسن شعره ؛ فقد ركزَّ ابن المعتز على أخطاء أبي تمام في هذا البحث دون غيرها ، وأوضح أن تقديم بعض النقاد لأبي تمام وإفراطهم في ذلك جعل طائفة أخرى منهم تفرط في تأخيره على غيره من الشعراء[1] . أي أنّ ابن المعتز يريد أن يبيَّن أن النقاد مختلفون حول شعر أبي تمام ، فمنهم من يبرز مساوئه ، ويهمل حسناته ، ومنهم من يظهر حسناته ويخفي سيئاته .

وما فعلته الطائفة الأولى من النقاد الذين أشار إليهم ابن المعتز فعله هو كذلك في الرسالة التي نبّه فيها إلى محاسن شعر أبي تمام ومساوئه . ويذكر ابن المعتز أنّ أبا تمام يجمع في شعره بين الجيد والرديء ، بل أدعى أنّه : « بلغ غايات الإساءة والإحسان » [2].

وبعبارة أخرى فإنّه يرى أنَّ شعر أبي تمام يشبه قوله :

إنْ كان وجهك لي تترى محاسنه فإنَّ فعلك بي تترى مساوئه [3]

بالرغم من حديث ابن المعتز السالف الذكر ، والذي أوضح فيه أنَّه سيتعرض في رسالته السابقة الذكر لمحاسن ولمساوئ أبي تمام إلا أنّه اقتصر في الأمثلة التي ذكرها على المساوئ فقط ، ومن أمثلة ذلك :

1- إغرابه في الاستعارة ، كقوله :

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوضها بنغمة طالب

استنكر ابن المعتز استعارة الجنون للعطايا في هذا البيت وقال معلقاً عليه : « ولِمَ يجن جنون عطاياه انتظاراً للطلب ؟ يبتدئ بالجود ويستريح » [4].

وضَّح الشيخ أبو علي أحمد المرزوقي ما يرمي إليه أبو تمام من معنى هذا البيت ، فقال : « وقوله (يجن جنونها) إنما يريد صحتها ، أي بدل صحتها جنون ، ولكنه سمّاه بما يؤول إليه ، كما

يقال : خرجت خوارجه ... **وكذلك** (عطاياه) أي أمواله التي تصِّير عطاياه قسماً بما كان يؤول إليه » [5].

كما استكره عليه الاستعارة في قوله :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الـ رأس إلا من فضل شيب الفؤاد

وقد علَّق ابن المعتز تعليقاً حاداً على استعارة الشيب للفؤاد ، فقال : « فيا سبحان الله ما أقبح مشيب الفؤاد : **وما كان أجرأه على** الاستماع في هذا وأمثاله » [6].

ساند القاضي الجرجاني ابن المعتز الرأي ، فقال : « وهو مما استقبح من استعاراته ، وزعموا أنَّه لما أنشد ذلك بحضرة أحمد ابن أبي دؤاد قال مَنْ حضر : وكيف يشيب الفؤاد ؟ فقال **ارتجالاً** :

وكذلك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائعُ الأجساد » [7]

وهذا ما أورده أيضا أبو بكر الصولي [8].

وذكر ابن المعتز أن بعض النقاد عابوا على أبي تمام قوله :

لا تسقيني ماءَ الملام فإنني صب قد استعذبت ماءَ بكائي

فقالوا متسائلين : « **ما معنى ماءُ الملام ؟** » [9].

غير أنّ الآمدي يختلف مع ابن المعتز في هذا الرأي ، فهولا يرى وجود أي عيب في هذا البيت ، أوضح ذلك في قوله : « قد استعذبت ماءَ بكائي جعل للملام ماء ، ليقابل ماء بماءٍ ، وإنَّ لم تكن للملام ماء على الحقيقة ، ... **فلمّا** كان في مجرى العادة أن يقول قائل : (أغلظت لفلان القول ، وجرَّعته منه كأساً مرّة ، أو سقيته منه أمرّ من العلقم ، وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة جعل له ماءً على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود » [10].

هذا الرأي سبقه إليه أبو بكر الصولي، فقد دافع على معنى بيت أبي تمام ؛ يقول : « **فقالوا : ما معنى ماء الملام ؟** وهم يقولون : كلام كثير **الماء، وما أكثر ماء شعر الأخطل** ! ... فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجاء به في صدر بيته لما قال في آخره : (**وإني صب قد استعذبت ماء بكائي**) قال في أوله : (لا تسقيني ماء الملام) ؟ وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا **يستوي معناه** ... » [11].

أما ابن الأثير العلوي فقد عدَّ الاستعارة التي أوردها أبو تمام عدَّها من التشبيه المتوسط ، يقول **في ذلك** : « وقيل : إنَّه جعل للملام ماءً ، وذلك تشبيهٌ بعيدٌ ، وما بهذا التشبيه عندي من بأس ، بل هو من التشبيهات المتوسطة التي تُحُمَد ولا تذم ، وهو قريب من وجه ، بعيد من وجه .

أما سبب قربه فهو أنَّ الملام هو القول الذي يعنَّف به المَلوم لأمر جناه ، وذاك مختص بالسمع ، فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصة بالحلق ... وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أنَّ الماء مستلذ من وجه ، فينفر هذا لهذا ، ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ، ولا تذم » [12].

ومن الاستعارة الرديئة أيضا كما يرى ابن المعتز قول أبي تمام :

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوبا

فعاب استعارة الأخدع للشتاء، وعقّب على هذه الاستعارة حيث يقول : « فأكثر من ذكر الأخدع . وقال بعض أصحاب الهزل وقد أنشدته هذه الأبيات – ما كان أحوجه إلى أن يعاقب في أخدعيه على هذا الشعر ! وبلغني أنَّ إسحاق بن إبراهيم المغني سمعه ينشد شعره فقال : يا هذا قد شددت الشعر على نفسك » [13].

أبو هلال العسكري يرى أيضا أنَّ أبا تمام يسرف في استعمال الاستعارة مما أدى إلى نعي الكثير من النقاد عليه ، وضرب أمثلة على ذلك منها بيت الشاعر السابق الذكر [14].

كما عاب هذه الاستعارة كذلك الشاعر أبو الطيب المتنبي [15].

طابق الآراء السالفة الذكر في الرأي أبو بكر الباقلاني يقول : « فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في محبة الصنعة ، حتى يعميه عن وجه الصواب وربما أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها ، حتى أستثقِل نظمه واستوخِم رصفه ، وكان التكلف بارداً والتصرف جامداً ، وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح ، كما يتفق البارد القبيح » [16].

وممن عاب هذه الاستعارة أيضا القاضي الجرجاني ، فبيَّن أنَّ هذا الشاعر أسرف وبالغ في ذكر الأخدع في شعره ، فلم يكن موفقاً سوى في بيت واحد وهو قوله :

وما هو إلا الوحي أوجدُّ مُرهف تميل ظُباه أخدعي كل مالئ [17]

غير أنَّ الآمدي يرى رأياً خالف فيه الآراء السالفة الذكر ، فهو يعتقد أنَّ هذه الاستعارة قريبة من الصواب علل ذلك بقوله : « لأنه قال : (ضربة غادرته عوداً ركوباً) وذلك أنَّ العود المسن من الإبل والبعير أبداً يضرب على صفحة عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ها هنا من الصواب قليلاً » [18].

وذكر ابن المعتز أنَّ النقاد عابوا على أبي تمام استعماله للاستعارة في قوله في المديح :

كانوا برود زمانهم فتصدّعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

تعجب هذا الناقد من استعارة الصوف للزمان ، وقال : « كيف يلبس الزمان الصوف » [19].

سانده أبو هلال ابن المعتز الرأي فهو يرى أيضا أنَّ أبا تمام أسرف في استعمال الاستعارة البعيدة اقتداء منه بما ورد في أشعار القدامى ، وقد ضرب أمثلة على ذلك منها البيت الآنف الذكر [20] ، كما استشهد بهذا البيت أيضا القاضي الجرجاني وعدّه من ضعيف الشعر وغثه ورديئه [21].

ويرى ابن الأثير أنَّ لفظة الصوف جيدة الوقع في استعمالها سواء أكانت مفردة أو مجموعة إلا أنَّ إضافتها للزمان جعلها سيئة الوقع على أسماع الناس كما فعل ذلك أبو تمام في بيته السابق الذكر [22].

وعاب هذا البيت أيضا أبو الطيب المتنبي لما ورد فيه من استعارة بعيدة [23].

والخلاصة أنَّ ابن المعتز ، وقد وافقه بعض النقاد الآخرين قد عابوا بعض الاستعارات في شعر أبي تمام ، وليس من الغريب أن يستنكر هؤلاء النقاد هذه الاستعارات ؛ لأنهم لم يعتادوا على أمثال هذه الاستعارات في أشعار القدامى ، وأبو تمام شاعر مثقف ثقافة عالية ومتأثر بالفلسفة اليونانية ومنطق الفلاسفة ، فهو لا يرضى بالجمود ، وإنما كان دائماً يبتدع من الاستعارات ما يراه مناسباً للموقف الذي تذكر فيه .

2- الخطأ في الطباقة :

ومن ذلك قوله :

لعمري لقد حرَّرت يوم لقيته لو أنَّ القضاء وحده لم يُبَّرد [24]

عقَّب ابن المعتز على مطابقة الشاعر بين كلمتي (حرّرت ويُبَّرد) ، **فقال** : « فلم تخرج هاهنا المطابقة خُروجاً حسناً ، ولا تحسن في كل شيء » [25].

وهذا الرأي شاركه فيه كل من : القاضي الجرجاني [26]، وأبو هلال العسكري [27]، **وأبو** الطيب المتنبي [28].

أما أبو بكر الباقلاني فذكر أنَّ أبا تمام أراد أن يأتي بالبديع من الشعر فجاء بالقبيح فيه وضرب أمثلة على ذلك منها بيته السابق الذكر [29]، كما عاب هذا البيت كذلك الآمدي للتكلف في المطابقة فيه [30].

كما عاب قوله :

سرتْ تستجير الدمع خوف نوى غدٍ وعاد قتاداً عندها كلُّ مَرقد [31]

اتفق أبو بكر الباقلاني مع ابن المعتز في الرأي ، فقد استقبح إسراف أبي تمام في استعمال البديع في هذا البيت وغيره من الأبيات التي تحتوي على الصنعة في البديع [32].

غير أنَّ الحاتمي يرى خلاف رأي الناقدين السابقين فقد أشاد بهذا البيت والأبيات التي تلته وعدّ ذلك من الابتداءات الجيدة [33]. وهذا الرأي نجده أيضا عند أبي بكر الصولي نقلاً عن عمارة بن عقيل بن جرير بن عطية [34] .

الخلاصة :

يتضح مما سبق أنَّ الأبيات التي استشهد بها ابن المعتز للطباق الرديء في شعر أبي تمام أنها تحتوي على مطابقة متكلفة ، ولم تأتِ عفوية – كما يشترط – النقاد الذين يؤيدون الطريقة القديمة في نظم الشعر أي الالتزام بعمود الشعر العربي ، أي أنَّ تأتي المطابقة بكل سهولة ويسر ولا تشعرك بالتكلف ، ولا تحس فيها أثر التعمل البغيض وبعض أبيات أبي تمام في الواقع يوجد فيها مخالفة لهذه الشروط .

3- الخطأ في استعماله للجناس في شعره :

ومن أمثلة ذلك عنده قول أبي تمام :

ذهبتْ بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

شرح ابن المعتز معنى هذا البيت ، فقال : « يريد غلبت على مذهبه السماحة ؛ فكأن فيها مذهباً يظنه **بعض الناس** » [35].

أيد الآمدي ابن المعتز الرأي ، فأوضح أن الشاعر : « يقول : ذهبت السماحة بمذهبه كل مذهب ، فأخذ من كلِّ حظاً ، فلا يدري أمذهبه مذهبٌ، أم هو السفر الذي تستغب فيه المذاهب لسعتها وافتتانها في كل فن » [36].

ممن عاب الجناس في هذا البيت كذلك القاضي الجرجاني فقد نسب الجناس إلى التكلف والغلو [37].

ويبدو أن تكرار الكلمات المتشابهة الحروف في قوله : (ذهبت بمذهبه) و(أمذهب أم مذهب) هذا الأمر أدى إلى ما يبدو إلى كراهية هذا البيت من قبل النقاد الذين لا يستسيغون التكلف في الجناس .

ومن هذا الضرب قوله :

خشنت عليه أخت بنى خشين وأنجح فيك قول العاذلين

ذكر ابن المعتز أنَّ الشاعر جانس بين لفظتي (خشنت وخشين) فخشين هو : خشين بن عاصم [38].

عقبَّ أبو هلال على هذا الجناس ، فقال : « وهذا في غاية الهجانة والشناعة » [39].

الخلاصة :

عاب ابن المعتز الكثير من التجنيس في شعر أبي تمام ؛ لأن هذا الشاعر كما يرى هذا الناقد تعّمد الإكثار منه في شعره فأدى ذلك إلى الإساءة والخطأ ؛ لأن التكلف في هذا المحسن البديعي مخالف لطريقة العرب القدامى التي كانت تعتمد على التقليل منه . وفي الواقع أنَّ الجناس الذي استعمله أبو تمام والذي ضرب به ابن المعتز مثلاً في قبح التجنيس مستهجن لتكلفه وغثاثة بعض ألفاظه ، ولكن ما وقع فيه شعر أبي تمام من هفوات في التجنيس يعد قليلاً إذا قورن بالبديع الجيد في شعره .

4- الخطأ في بعض أغراض شعره :

كقوله في المديح :

ولي ولم يظلم وما ظلم امرؤ حثّ النجاءَ وخلفه التنين

عاب عليه تشبيه ممدوحه بالتنين (الثعبان) في الشجاعة ، وأوضّح أنَّ هذا المدح الواقع في هذا البيت أقرب إلى الهجاء منه إلى المديح[40] . وهذا الرأي وافقه عليه القاضي الجرجاني [41].

كما استهجن أيضا قوله في المديح :

عَلوا بجنوب موجداتٍ كأنها جنوب فيول ما لهنّ مضاجع

وضَّح ما يرمي إليه الشاعر ، فقال : « أراد أنهم لا يغلبون ولا يصرعون كما أن الفيلة لا تضطجع وهذا بعيد جداً من الإحسان » [42].

ومن فشله في المديح كذلك كما يرى ابن المعتز قوله :

به عاش السماح ، وكان دهراً من الأموات ميتاً في لفافِه [43]

ومنه قوله :

ألا لا يمدَّ الدهر كفّاً بسيء إلى مجتدى نصر فتقطع من الزند

عقبّ عليه بقوله : « فتجاوز حد المدح ، ولم يجيء بشيء في ذكر زند يد الدهر »[44] .

وقد عاب هذا البيت أيضاً أبو هلال العسكري فهو يرى أن الشاعر استخدم استعارة غريبة عندما جعل للدهر كفّاً [45].

كذلك عدَّ القاضي الجرجاني هذا البيت من الرديء في شعر أبي تمام [46].

وهذا الرأي تجده أيضا عند أبي بكر الباقلاني ، فقد علَّق على هذا البيت وأمثاله في شعر أبي تمام ، فقال : « فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوَّه في محبة الصنعة ، حتى يعميه عن وجه الصواب » [47].

وهكذا قوله :

شكوت إلى الزمان نحول جسمي فأرشدني إلى عبد الحميد

عقبّ عليه ابن المعتز بقوله : وأراد امتداح عبد الحميد بن جبريل فجعله طبيباً » [48]. عبر عن نفس الرأي القاضي الجرجاني ، فقال : « وإنما يرشدني في نحول الجسم إلى الأطباء ، فأما الرؤساء والممدوحون فإنما يلتمس عندهم صلاح الأحوال » [49].

ومن سوء المديح عنده كذلك كما يرى ابن المعتز قوله :

فهو غضٌّ الآباء والرأي والحز م وغض النول غضّ الشباب

علَّق على هذا البيت ، فقال : « ولا والله ما أدري ما معنى غضّ التأبى ، ولا غض الرأي في المديح .... » [50].

تطرق إلى هذا البيت كذلك القاضي الجرجاني ، فأوضح أن معناه من المعاني التي اشترك فيها الناس ، ولم يذكر وجود أي عيب فيه [51]. وذكر أبو عبد الله جمال الدين الأندلسي أن هذا البيت يحتوي على معانٍ تدل على الافتتان والقلب في المعنى [52].

كما استضعف قوله في المديح :

تُثقَّي الحربُ منه حين تغلى مراجلها بشيطان رجيم

عقّب عليه حيث يقول : « فجعل الممدوح هو الشيطان الرجيم » [53].

شاطر ابن سنان الخفاجي ابن المعتز الرأي فذكر أن ألفاظ هذا البيت غير موضوعة في موضعها[54] . وهذا الرأي ردده أيضا القاضي الجرجاني ، فقد ذكر أنَّ الشاعر جعل ممدوحه شيطاناً رجيماً [55].

وذكر ابن المعتز أنَّه لا يوجد في الشعر أسخف وأرذل من قوله في المديح :

قوم إذا لسودّ الزمان توضّحوا فيه ؛ فغودر ، وهو منهم أبلق [56]

ذكر أبو هلال العسكري أنَّ هذا البيت يحتوي على إسراف في الاستعارة فقد استعار الشاعر للزمان صفة لون السواد [57].

- أما في غرض الغزل ، فقد استهجن قوله :

أيا من شفنى فصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب

قال ابن المعتز معلقاً لاذعاً على هذا البيت : « فلعن الله من واصله من الأحباب على هذا وأمثاله »[58] .

وهكذا قوله :

جحدت الهوى إنْ كنتُ من جعل الهوى محاسنه شمسي نظرت إلى الشمس [59]

وقال :

كيف يصدُّ الدمع عن جريه من عينه من جريهُ مُنخل [60]

كما أخذ عليه في الغزل قوله :

ليالينا بالرقمتين وأرضها سقى العهد منك العهد والعهد والعهد [61]

أوضح المرزوقي معنى هذا البيت ، فقال : « (العهد) الأول وهو المفعول ، ما عهده من الأيام ، و(**الثاني**) الوصية من قولك : عهدت إليك أو الوصل ، و(**الثالث**) : اليمين من قولك : عليه عهد الله ، و(**الرابع**) : المطر الذي يأتي الأرض وفيها أثر من مطر آخر قبله » [62].

ولم يعلق ابن المعتز على الأبيات التي يرى فيها عيب في غرض الغزل ولابد أن سبب إخفاق الشاعر فيها يعود إلى عدم اختياره لكلماته التي تناسب هذا الغرض ، فالشاعر استخدم ألفاظاً غير موحية بل جاءت متكلفة في غالب الأحيان لهذا لم تلق هذه الأبيات إعجاب ابن المعتز .

أما في غرض الوصف ، فقد أخذ عليه قوله في وصف المطايا :

إرقالها يعضيدها ووسيجها سعدانها وذميلها تنّومها

بيَّن معاني الكلمات الغامضة في هذا البيت ، فقال : « الأرقال ضرب من السير ، وكذلك الوسيج ، والذميل ، واليعضيد نبت ، وكذلك السعدان ، والتنوم يعني أنه لا علف لها إلا السير » [63].

ذكر القاضي الجرجاني أن هذا البيت متكلف في ألفاظه بعيد عن الطبع [64].

وقال أيضا في وصف المطايا :

لو كان كلّفها عبُيدٌ حاجةً يوماً لزني شدقماً وجديلاً

عقّب على هذا البيت ، فقال : « يُعنى عبيد الراعي . ما أخسّ قوله : (لزنى شدقماً وجديلاً) **وما** معنى تزنية ناقة أو جمل أو بهيمة ؟ » [65].

« وشدقم وجديل فعلان كان ينسب إليهما إذا وصف الإبل ويذكرهما » [66].

وافق القاضي الجرجاني ابن المعتز الرأي يقول : « وأظنه لو **وجد لفظة أبسط من (زنى) ، وأقى** مناسبة للمعنى لاستعملها » [67].

وممن يرى هذا الرأي كذلك أبو بكر الباقلاني أوضّح وجهة نظره هذه في قوله : « فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في الصنعة ... » [68].

وقال في وصف الفرس :

إمليسه إمليُده لو علّقتْ في صهوتيه العين لم تتعلّقِ [69]

وضَّح المرزوقي معاني الكلمات الصعبة في هذا البيت ، فقال : « يعني ملاستهِ ولينه »[70] . فوعورة الألفاظ وصعوبتها ووحشيتها هي التي أدت إلى ضعف هذه الأبيات كما يرى ابن المعتز .

وفي غرض الرثاء عاب قوله :

لو لم يمت بين أطراف الرّماح إذاً لمات إذ لم يمت من شدة الحزن

عقّب عليه بقوله : « فكأنه لو نصر أيضا وظفر كان يموت من الغم حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ في مثله » [71].

ويرى القاضي الجرجاني أنَّ هذا البيت وغيره من أبيات أبي تمام عِيبت بسبب اعتماد صاحبها على التكلف في معانيها وبعدها عن الطبع [72].

نجد الرأي نفسه عند أبي بكر الباقلاني فهو يعتقد أيضا أنَّ أبا تمام كان يكثر في شعره من الصنعة لقصد الإبداع في الشعر فوقع في الخطأ [73].

غير أن المرزوقي لم يجد في هذا البيت أي عيب ، فقد أوضح ما يرمي إليه الشاعر بقوله : « يصف حرصه على القتال وتحككه بالكماة وابتذاله النفس في حومة الحرب ، وإيثاره أن يموت ميتة كريمة ، فقال : لو لم يقتل في المعركة محافظاً على مجده ومدافعاً عن حقيقته ، لكان يموت من شدة الحزن على أن لم يقتل خوفاً من أن يموت حتف أنفه ، وتلهفاً على ما كان يخشى فوته من رفيع الذكر وعالي الصيت » [74].

كما استهجن قوله :

إذا فُقد المفقود من آل مالك تقطع قلبي رحمة للمكارم

علّق عليه ، فقال : « وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : تقطّع رحمة للمكارم من كلام المخنثين ، وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقل من هذه المعائب ... » [75] .

فالرثاء الجيد كما يرى ابن رشيق القيرواني ينبغي « أن يكون ظاهر التفجع ، بيِّن الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً » [76].

بيد أن الناقد أحمد أحمد بدوي يرى خلاف ما ذكره ابن المعتز ، فقد أشاد بشعر أبي تمام في غرض الرثاء ، يقول : « وأبو تمام في رثائه القائد الشجاع يبرز كذلك صفة الشجاعة فيه ، ويشيد بها ، ويصورها صوراً رائعة ... » [77].

أمّا عن غرض الهجاء ، فقد عاب قوله :

و لو ألصقت فكك بالثرى في كلب لاستيقنت ألاّ تلصق

عقّب عليه ، فقال : « فأي شيء هذا من هجاء الفحول ، ولو تهاجت به الحاكة لما أمضّت » [78].

واستضعَّف قوله :

وركب يساقون الركاب زجاجةً من السَّير لم تقطبْ لها كفُّ قاطب

ومن الملاحظ أن هجاء أبي تمام « في جملته غير بريء من التعهر وانتهاك الحرمات ، وهو إلى ذلك سهل الألفاظ ، قليل التكلف ، عاطفي يجري مع الطبع » . كما يرى بطرس البستاني [79]، ويقول ابن رشيق القيرواني : « وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان (ديك الجن) ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طرائق انفرد بها ... » [80].

5- الخطأ في استعمال الألفاظ :

ومن ذلك قوله :

كل في الأجفلي وفي القري غُرْ فك نصر العموم نصر الوحاد

قال ابن المعتز : « يقال (دعاهم الجفلي) إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ، ويقال : (دعاهم النقرى) ، إذا دعاهم واحداً وحداً ، وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره البدوي ؛ فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ؟ » [81].

وقوله :

تقرو بأسفله رُبولا غضَّةً وتقيل أعلاه كناسا فَوْ لفا

وضَّح ابن المعتز معاني ألفاظ هذا البيت ، فقال : « أراد ملتفاً ويقال الإنسان يقرو الأرض إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها والربول : جمع ربل ، وهو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت **بالمطر والكناس** : مَوْلج الوحش من البقر والظباء تستظل فيه » [82].

ومما عيب في استعمال اللفظ قوله :

أدنيت رحلي إلى مذْنِ مكارمه إلىّ يهتبل الّذ جئِت أهتبلُ

(الّذ) هنا اسم موصول بمعنى الذي [83].

وقوله :

إذا مشى يمشى الدِفِقَّي أو سرى وصل السُرى أوسار سار وجيفا

« الدِفِقِي مشية سريعة » [84].

ومثل ذلك قوله :

وقدسد مندوحة القصعاءِ منهم وأمسك بالنافقاء

« القصعاء جحر اليربوع الأول الذي يدخل فيه ؛ والنافقاء موضع يرققه من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النفقاء ففتحه » [85].

وضَّح المرزوقي ما يرمي إليه الشاعر ، فقال : « إنَّه أخذ الطريق على أعدائه وألجأهم فيها إلى المضيق ، ووقف على مكائدهم ، وأنزلهم عند درج ذهابهم ، وصرفهم عن سعة الرأي ومنهل العزم ، حتى استوفوا على الهلاك » [86].

وذكر ابن المعتز سبب نقده لهذه الأبيات ، فقال : « ولم نعب من هذه الألفاظ شيئاً غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة في كلامهم » [87].

وفي الواقع أن الألفاظ التي عابها ابن المعتز على أبي تمام ، ويرى أنها غريبة فهي غير غريبة بالنسبة لهذا الشاعر فهذه الألفاظ عربية تكلم بها العرب قبله ثم إنَّ بعض الناس يحبذون الألفاظ الوحشية البدوية الأصيلة ، فأبو تمام ينوّع في استعماله للألفاظ ، فأحياناً يأتي بها بدوية ، ويأتي أحيانا أخرى قروية رقيقة .

6- عاب عليه السرقة من معاني غيره من الشعراء :

ومن ذلك قوله :

لما تفوَّقتِ الخطوبُ سوادها ببياضها غنيت به فتفوفا

ذكر أنه أخذه من قول الآخر :

قصر الليالي خطوهُ فتدانى وثنين قائم صُلبه فتحانى

ما بال شيخ قد تخدَّد لحمه أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء داجيةً وسحق معوّفٍ واحدّ لوناً يعد ذاك هجانا (88)

وذكر أنّه سرق وأساءَ وأفسد المعنى بقوله :

كانوا رداءَ زمانهم ، فتصدَّعوا فكأنما لبس الزمانُ الصوفا

اقتبسه كما ذكر ابن المعتز من قول الراجز :

إذا الثلج في حرّ الهجيرة لم يذب من الصن والصنبر ذلت فوائده

وضَّح معنى الكلمات البدوية الوحشية ، فقال : « الصن أول أيام العجوز ، والصنبر : الثاني ، والصن أيضا ، بول الوبر » . ويضيف : « وقد تقدم إنكار الناس هذا البيت قبلي لما بين نصفيه من التباين في الإساءة والإحسان » (89).

ويسترسل في تعليقه على أخذ أبي تمام فيقول : « وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها . ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء ، وإنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره، وجعل بعضه عدّة يرجع إليها في وقت حاجته ، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ، ويقنعوا باختياره لهم ، فتغبى عليهم سرقاته ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو ينسج له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن نفسه عنه لا فقير إليه » (90).

وفي الواقع أن ابن المعتز تحامل على أبي تمام في باب السرقات ، فأبو تمام أساء وقصّر في بعض الأبيات التي أخذها من معاني غيره ، إلا أنَّ ذلك قليل إذا قورن بإحسانه الكثير ، ولا تكاد هذه الأخطاء التي نسبها إليه النقاد ، تذكر لقلتها وندرتها ، وأنَّ ما ذكره ابن المعتز في هذا الشأن يحتاج بعضه إلى مراجعة وتدبر ؛ لأن هذا الناقد لم ينظر إلى الزيادات التي أضافها أبو تمام للمعاني التي أخذها من غيره ، ولم يتأمل في الصياغة الجيدة التي كان يصوغها بها ، ولم يتفحص ما كان يقوم به من قلب لدلالة المعنى أو لدلالة الغرض فإنَّ هذه الأشياء تُعد من محاسن الأخذ ، ثم إنَّ ابن المعتز لم يتمثَّل إلا بسوء الأخذ عند أبي تمام ، ولم يضرب أمثلة لحسن الأخذ عنده يقول القاضي الجرجاني في هذا الشأن : « ومتى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً ، ونظم بيتاً يحسبه فرداً مخترعاً ، ثم تصّفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه ، أو يجد له مثالاً يغضُّ من حسنه ؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي ، ولا أرى لغيري بتَّ الحكم على شاعر بالسرقة » (91).

7- عاب عليه الاسفاف والاتكاء على لغة العامة والارتكاز على أساليبهم كقوله :

فإنَّ صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

علّق عليه ، فقال : « وليس هذا بشيء ؛ وإنما استطاب الناس التحول إلى الشمس ، وإنما أخذه من كلام العامة (إذا بلغك الشمس فتحول) » [92].

غير أنَّ الخالديين أوردا هذا البيت من ضمن اختياراتهما في معنى التحول من دار الهوان ، وذكر أنَّ الأصل في ذلك لامرئ القيس بقوله :

وإذا أذِيتُ ببلدة ودَّعتُها إذ لا أقيمُ بغير دار مُقام [93]

كما عاب قوله :

لا تنشجنّ لها فإنَّ بكاءها ضَحِك وإن بكاءَها استغرام

علّق عليه ، فقال : « يقال نشج الباكي إذا غص بالبكاء . والحمار ينشج . **والطعنة تنشج عند** خروج الدم مع نفخ ، والقدر تنشج عند الغليان ... » [94].

غير أنّ الحاتمي ، وهو عالم من علماء اللغة أشاد بهذا البيت في جملة ثلاثة أبيات لأبي تمام [95].

وقل :

يوم أفاض جوىً أغاض تعزّباً خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

يقول ابن المعتز معلقاً على هذا البيت : « وهذا من الكلام الذي يستعاذ بالصمت من أمثاله » [96].

عاب هذا البيت أيضا أبو هلال العسكري وضرب به وبغيره من أبيات أبي تمام مثلاً للشاعر يريد الإبانة و**الإفصاح فأتى بمعانٍ غامضة ومغلقة** [97].

وذكر ابن سنان الخفاجي أنَّ ألفاظ هذا البيت متشابهة ومتداخلة بعضها مع بعض ، ويذكر أنَّ الشاعر فعل ذلك للمجانسة بين هذه الألفاظ فتشابكت الألفاظ ببعضها وهذا يسمى معاظلة [98].

والقارئ لهذه الرسالة التي كتبها ابن المعتز في نقد شعر أبي تمام يشعر أن صاحبها قد جرّد أبا تمام من شاعريته ، وقد نستغرب هذا الموقف من ناقد وشاعر مثقف بنفس ثقافة العصر الذي عاش فيه أبو تمام أن يقف هذا الموقف من شعر هذا الرجل الذي ملأ الدنيا بأشعاره ، وكنا نأمل منه أنْ يقف عكس موقفه هذا من الشاعر الذي يعتبره بعض الشعراء أستاذاً ومعلماً لهم ، وكان ينبغي عليه أن يتطرق إلى حسناته كما تطرق إلى سيئاته وعيوبه ، ثم نتساءل عن السبب الذي من أجله خصَّ ابن المعتز أبا تمام بتأليف رسالة في نقد أشعاره دون غيره من الشعراء الآخرين ؟ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنَّ ابن المعتز كان في أول أمره من جملة النقاد المتعصبين على أبي تمام ، والذين تتبعوا أخطاءه وسرقاته ، وأغمضوا أعينهم عن بدائعه وحسناته وروائعه ، وفي الواقع أننا لا نلوم ابن المعتز في اختلافه في الطريقة الشعرية مع أبي تمام ، وذلك ؛ لأن ابن **المعتز من الشعراء المحافظين** الذين التزموا بعمود الشعر العربي ، ولكن اللوم يقع عليه نتيجة لتحامله على أبي تمام ، ولأنه نال من شاعريته .

ثانياً / نقد ابن المعتز لأبي تمام في كتاب البديع :

عاب ابن المعتز أبا تمام شغفه وإسرافه في طلب البديع ، الأمر الذي جعله يخطئ ، ويصيب **في** استعماله له ، وأوضح ذلك في قوله : « ثم إنَّ حبيب ... شغف به حتى غلب عليه وتفَّرع فيه

وأكثر منه فأحسن في بعض وأساء في بعض ذلك وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف ، **وإنما كان** يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ، وقد كان بعض العلماء يشَّبه الطائي في بعض البديع بصالح ابن عبد القدوس في **الأمثل** ... » [99].

ومن هنا نشأت المشكلة بين ابن المعتز وأبي تمام ، فابن المعتز شاعر محافظ ملتزم بطريقة العرب في التشبيه والاستعارة والجناس والطباق وغيرها من صور البديع ، وأبو تمام شاعر مُغرم بالإكثار من البديع ، وقد عاب عليه إسرافه فيه .

وقد تطرق ابن المعتز إلى نقد البديع في شعر أبي تمام ، فمن ذلك :

1. عاب الاستعارة في قوله :

وضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوباً [100]

2. واستقبح الجناس في قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب [101]

وقد سبق أن تعرضت لرأي ابن المعتز وغيره من النقاد أثناء نقد ابن المعتز لأبي تمام في الرسالة التي نبّه فيها لأخطاء أبي تمام .

3. واستهجن عليه استعماله للمذهب الكلامي في قوله :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضى

قال ابن المعتز في هذا البيت : « وبلغنا أنَّ إسحاق بن إبراهيم رأى حبيباً الطائي ينشد هذا وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : (يا هذا أشدّدت على نفسك) » [102].

وممن عابوا هذا البيت أيضا ابن سنان الخفاجي ، فقد استقبح تكرار الحرف الواحد في الكلمة الواحدة ، ويرى أنَّه ينبغي أن تتباعد الحروف في المخارج ، ويضيف إلى ذلك قوله : « بل هذا في التأليف أقبح ، وذلك أنَّ اللفظة المفردة لا يستمر فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مثل ما يستمر في الكلام المؤلف إذا طال واتسع » [103].

وخلاصة رأي ابن المعتز في البديع الذي استعمله أبو تمام هو أنّه عاب عليه إسرافه في طلب البديع ، وعندما ضرب أمثلة للبديع المعيب ذكر أبياتاً قليلة من شعر أبي تمام كشواهد وأمثلة للبديع المستكره دون أن يعلق عليها .

ثالثاً / نقد ابن المعتز لأبي تمام في كتابه طبقات الشعراء :

تغَّيرت وجهة نظر ابن المعتز في شعر أبي تمام عمَّا كانت عليه في الرسالة وكتاب البديع السابقي **الذكر** ، فقد تطرق إلى شعر الطائي في كتابه (**طبقات الشعراء**) وامتدح وأثنى على شعر هذا الشاعر ،واختفت تلك الألفاظ الجارحة والتعليقات الحادة التي علَّق بها على بعض أبيات شعر حبيب ابن أوس .

فما الذي غيرّ وجهة نظر ابن المعتز في شعر أبي تمام في هذا الكتاب يا ترى ؟ يقول إحسان **عباس في ذلك** : « **وإنما نعتقد أن كتاب** (**طبقات الشعراء**) يمثّل مرحلة متأخرة في حياته ، ودليلنا

على ذلك موقفه النقدي من أبي تمام ، إذ يبدو أنَّ هذا الموقف مرّ بمرحلتين مرحلة تمثلها رسالة مستقلة كتبها في نقد أبي تمام ومرحلة كتاب الطبقات » [104].

ما استحسنه ابن المعتز في شعر أبي تمام كما ورد في كتابه طبقات الشعراء :

قال ابن المعتز وهو يقرظ ، ويستحسن شعر أبي تمام : « ومما يستملح من شعره – **وشعره** كله حسن – داليته في المأمون التي أولها :

كثِف الغطاء فأوقدي أو أخمدي .

وهي أشهر من الفرس الأبلق ، وكذلك كلَّ ما نذكر من قصائده هاهنا ، فإنّا نقتصر على ذكر أوائلها نحو قوله :

وأبى المنازل إنها لشجون .... » [105].

أشاد أبو بكر الصولي بقصيدة أبي تمام والتي منها هذا البيت الذي ذكر ابن المعتز أوله وتمامه :

وأبى المنازل إنها لشجون وعلى العجومة إنها لثُبين [106]

كما استجاد ابن المعتز قول أبي تمام :

غمت مستجير الدمع خوف نوى غدِ وعاد قتاداً عندها كل مرقد [107]

استحسن عمارة بن عقيل بن جرير كما ذكر الصولي قصيدة أبي تمام والتي من ضمنها هذا البيت [108]. غير أنَّ أبا بكر الباقلاني لم يعجبه البديع في هذا البيت : [109]

واستملح ابن المعتز قول أبي تمام : الحق أبلج والسيوف عوارى [110]

ونجد هذا الإعجاب كذلك عند عمارة بن عقيل [111].

ويختم ابن المعتز تعليقه على شعر أبي تمام بقوله : « ولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التي هي عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذلك وإن لم نذكر منها إلا مصراعاً ؛ لأنَّ الرجل كثير الشعر جداً ، ويقال : إنَّ له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ما له جيد ، والرديء الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا » [112].

وخلاصة رأي ابن المعتز في شعر أبي تمام فهو يرى أنَّ أكثر شعر هذا الشاعر جيد ، ولولا خوفه من امتلاء كتابه **(طبقات الشعراء)** بجيد شعره لكتب كل أوائل قصائده الجيدة ، ويرى هذا الناقد أيضا أنَّ معاني شعر أبي تمام تمتاز باللطافة والرقة والعذوبة ، وأما الرديء من شعره فيرجع إلى سبب واحد ألا وهو صعوبة لفظه فقط .

وهذه نظرة عادلة إلى شعر أبي تمام من قبل ابن المعتز ، ويا ليته تفطن إلى منزلة شعر هذا الشاعر بين الشعراء قبل أن يؤلف كتابه البديع والرسالة السابقي الذكر ؛ لأنَّ أبا تمام ذو شاعرية فذة رفعته إلى مصاف الشعراء الكبار ، فقد امتاز بقوة الشاعرية ، وجزالة الأسلوب وحسن البيان.

فهرس المصادر والمراجع :

1- أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق : خليل محمود عساكر وشركاه ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

2- أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود .

3- أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، سنة 1964م .

4- الأشباه والنظائر ، الخالديان ، تحقيق : السيد محمد يوسف ، دار الشام للتراث ، بيروت .

5- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر .

6- البديع ، أبو العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق : أغناطيوس كراتشفوسكي ، الطبعة الثالثة ، دار المسيرة ، بيروت ، سنة 1982م .

7- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة 1981م .

8- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره ، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، سنة 1966م .

9- سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة 1982م .

10- شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق : خلف رشيد نعمان ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة 1987م .

11- الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، سنة 1952م .

12- طبقات الشعراء ، أبو العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ،سنة 1968م .

13- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة بمصر ، سنة 1963م .

14- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، الطبعة الأولى ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ، سنة 1962م .

15- المعيار في نقد الأشعار ، أبو عبد الله جمال الدين الأندلسي ، تحقيق : عبد الله محمد سليمان هنداوي ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأمانة بمصر ،سنة 1987م .

16- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق : أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، سنة 1972م .

17- الموشح ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق : علي البجاوي ، الطبعة الأولى ، طبع ونشر : دار نهضة مصر .

18- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، سنة 1966م .

الهوامش :

([1]) انظر الموشح المرزباني ، تحقيق : جمعية نشر الكتب العربية ، ط : المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، سنة 1343 هـ ، ص307

([2]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

([3]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

([4]) المصدر نفسه الصفحة ذاتها .

([5]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، الشيخ أبو علي أحمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق : خلف رشيد نعمان ، م : عالم الكتب مكتبة النهضة العربية ، ط (الأولى)سنة 1987م ، ص286 .
([6]) الموشح ، ص326 .
([7]) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، م : عيسى الحلبي وشركاه ، ص254 .
([8]) انظر : أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق : خليل عساكر وشركاه ، م : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ص232 .
([9]) الموشح ، ص323 .
([10]) الموازنة ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق : أحمد صقر ،م : دار المعارف بمصر ،ط(الثانية) ، سنة 1972م ، ص277، 278 .
([11]) أخبار أبي تمام ، ص 33 : 36 .
([12]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تحقيق : احمد الحوفي وبدويطبانة ، القسم الثاني ،م : نهضة مصر ، الفجالة ، ط(الأولى)سنة 1969م ، ص155 .
([13]) الموشح ، ص313 .
([14]) انظر الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، م : دار إحياء الكتب العربية ، ط(الأولى)سنة 1952م ، ص303 ، 304 .
([15]) أنظر الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، م : دار صادر ، بيروت ،سنة 1965م ، ص164
([16]) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، م : دار المعارف ،ط(الخامسة) ، ص110 .
([17]) انظر : الوساطة ، ص70 ، 71 .
([18]) الموازنة ، ج1 ، ص271 .
([19]) الموشح ، ص324 .
([20]) انظر : الصناعتين ، ص303 .
([21]) انظر : الوساطة ، ص70 ، 71
([22]) انظر : المثل السائر ، ج1 ، ص 387 .
([23]) انظر : الرسالة الموضحة ، ص168 .
([24]) الموشح ، ص308 .
([25]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
([26]) انظر : الوساطة ، ص70 .
([27]) انظر : الصناعتين ، ص320 .
([28]) انظر : الرسالة الموضحة ، ص 163 .
([29]) انظر : إعجاز القرآن ، ص109 .
([30]) انظر : الموازنة ، ج1 ، ص240 .
([31]) الموشح ، ص307 .
([32]) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني ، ص 109 .
([33]) انظر : الرسالة الموضحة ، ص163 .
([34]) انظر أخبار أبي تمام ، ص 60 ، 61 .
([35]) الموشح ، ص309 .
([36]) الموازنة ، ج 1 ، ص286 .
([37]) انظر : الوساطة ، ص 72 .
([38]) انظر : الموشح ، ص324 .
([39]) الصناعتين ، ص335 .
([40]) الموشح ، ص308 .
([41]) انظر: الوساطة ، ص69 .
([42]) الموشح ، ص309 .
([43]) المصدر نفسه ، ص311 .
([44]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
([45]) انظر: الصناعتين ، ص304 .
([46]) انظر : الوساطة ، ص67 .

([47]) إعجاز القرآن ، ص 110 .
([48]) الموشح ، ص312 .
([49]) الوساطة ، ص75 .
([50]) الموشح ، ص318 .
([51]) انظر : الوساطة ، ص395 .
([52]) انظر المعيار في نقد الأشعار ، أبو عبد الله جمال الدين الأندلسي ، تحقيق : عبد الله محمد بن سليمان هنداوي ،م : الأمانة بمصر ،ط(الأولى) ،سنة 1987م ، ص202 .
([53]) الموشح ، ص320 .
([54]) انظر : سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، م : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(الأولى) ، 1982م ، ص 161 .
([55]) انظر : الوساطة ، ص69 .
([56]) الموشح ، ص320 .
([57]) انظر : الصناعتين ، ص305 .
([58]) الموشح ، ص318 .
([59]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
([60]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
([61]) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
([62]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، ص257 .
([63]) الموشح ، ص308 .
([64]) انظر : الوساطة ، ص 71، 72 .
([65]) الموشح ، ص311 ،312 .
([66]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، ص462 .
([67]) الوساطة ، ص69 .
([68]) إعجاز القرآن ، ص110 .
([69]) الموشح ، ص316 .
([70]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، ص194 .
([71]) الموشح ، ص309 .
([72]) انظر : الوساطة ، ص71 .
([73]) انظر إعجاز القرآن ، ص109 .
([74]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، ص491 .
([75]) الموشح ، ص309 .
([76]) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج2 ،م : السعادة بمصر ، ط(الثالثة)سنة 1963م ، ص147 .
([77]) أسس القد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ،م : مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،ط(الثالثة) ،سنة 1964 م ، ص234 .
([78]) الموشح ، ص 319 .
([79]) أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، م : دار مارون عبود ، ص105 .
([80]) العمدة ، ج(2) ، ص149 .
([81]) الموشح ، ص 308 .
([82]) المصدر نفسه ، ص310 .
([83]) المصدر نفسه ، ص319 .
([84]) المصدر نفسه ، ص310 .
([85]) المصدر نفسه ، ص311 .
([86]) شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة ، ص495 .
([87]) الموشح ، ص311 .
([88]) المصدر نفسه ، ص310 .
([89]) الموشح ، ص313 ، 314 .
([90]) المصدر نفسه ، ص312 .
([91]) الوساطة ، ص215 .

([92]) الموشح ، ص315 .
([93]) انظر : الأشباه والنظائر ، الخالديان ، تحقيق : السيد محمد يوسف ، ج1 ،م : دار الشام للتراث ، بيروت ، ص193 : 196 .
([94]) الموشح ، ص315 .
([95]) انظر : الرسالة الموضحة ، ص165 .
([96]) الموشح ، ص315 .
([97]) انظر : الصناعتين ، ص29 ، 30 .
([98]) انظر :سر الفصاحة ، ص158 .
([99]) البديع ، أبو العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق : أغناطيوس كراتشفوكي ، م : دار المسيرة ، بيروت ، سنة 1982م ، ص1 .
([100]) المصدر نفسه ، ص24 .
([101]) المصدر نفسه ، ص25 .
([102]) المصدر نفسه ، ص55 .
([103])سر الفصاحة ، ص97 ، 98 .
([104]) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، م : دار الثقافة ، بيروت ، ط(الثالثة) ،سنة 1981م ، ص118 .
([105])طبقات الشعراء ، ص284 .
([106]) انظر : أخبار أبي تمام ، ص207 .
([107])طبقات الشعراء ، ص284 .
([108])انظر : أخبار أبي تمام ، ص60 .
([109]) انظر : إعجاز القرآن ، ص 108 .
([110])طبقات الشعراء ، ص285 .
([111]) أخبار أبي تمام ، ص94
([112])طبقات الشعراء ، ص285 ، 286 .

العدالة والحرية في الوعي العربي الحديث
Justice and Freedom in modern Arab awareness

د. المبروك سليمان أبوعجيلة قداد.
الجامعة الاسمرية / كلية الاداب

ملخص البحث :
من المفاهيم المهمة التي أثارت إشكالات في وعي المفكر العربي الحديث إشكالية العدالة والحرية. والتي مارست دوراً كبيراً في أذهان النخب العربية الحديثة. لذا إن انتهاء التجلي الفعلي للسياسة الشرعية القائمة على العدالة بسقوط الخلافة أصبح تراث السياسة الشرعية ناجزاً ومنتهياً، وبالتالي أصبح هذا التراث حلماً يراود الحركات الإسلامية في ضرورة إعادته. **وبالتالي فإن مشكلة البحث** تكمن في توضيح هذا التساؤل التالي: كيف استفاد المفكرون العرب المحدثون من النسق السياسي الغربي«للحرية»؟ أو كيف تمثلوا النسق الغربي(للحرية) ؟ وهل حلت الحرية بديلاً لعدالة أم تم احتواء الحرية كامتداد للعدل؟

أما أهمية البحث تكمن في :
1- أضاح مفهوم العدل والحرية في الوعي العربي الحديث.
2- التأكيد على إن ظهور مصطلح الحرية بالمعنى السياسي في زمن الإمبراطورية العثمانية، ويعود أصلها إلى التأثير الأوروبي على الإمبراطورية العثمانية.
3- بيان اثر البعثات التي تعكس رؤية مغايرة على ثقافة المفكر العربي والإسلامي، ومدى تأثيرها السياسي الذي يتمحور حول (الحرية).

أما أهداف البحث فنوجزها في :
1) دراسة آراء مفكري العرب والإسلام في تحديد معنى الحرية والعدالة.
2) تعريف أبناءنا بجهود علماء ومفكري الإسلام في تحديد هوية الأمة الإسلامية.
3) تنبيه **أبناءنا** لأخطار إتباع المفاهيم البراقة التي ينشرها الغرب المسيحي.
4) تشجيع أبناءنا البحثين في مجال الفكر العربي، وتنمية الوعي العلمي الناقد للمغتربين ومدارسهم.

منهج البحث: يعتمد هذه البحث على الآلية المكتبية؛ التي تقوم على المنهج التاريخي:هو ذلك المنهج الذي يهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيراً كافياً.

مقدمة :
يبدو من خلال تتبع تطور مفهومي العدل والحرية أنهما مفهومان مستقلان بعضهما عن بعض من الزاوية المفهومية، بحيث لا يدخل أي منهما في تصور أو تعريف المفهوم الآخر. فقد كان مفهوم العدل في الفلسفة اليونانية- يعني أن إعطاء كل شخص ما له أو ما يستحقه، ولم يتخذ منذ البداية صيغة قانونية بل اعتبرت فضيلة أخلاقية، وقد وضح كثير من الفلاسفة أن هذا التصور للعدل يمثل جزء من تصور أكبر هو تصور أو مفهوم الحق. وكان هذا التصور مرتبطاً بالطبيعة من حيث هي مصدر الحق ومصدر العدل إذ يكتفي بالنظر إلى النظام الداخلي للطبيعة لنتأكد من أنها هي التي تحدد لكل فرد ولكل مستوى المكانة الذي هو له والذي يناسبه.

من أجل أن ينكشف لنا البحث عن مفاهيم العدل والحرية في الوعي العربي الحديث، كان لابد من فض الدلالة اللغوية والاصطلاحية لهذين المفهومين واستخدامها في الإطار السياسي والاجتماعي العربيين.

المطلب الأول: تعريف العدل والحرية:

قد جاء في تعريف العدل في معجم "**لسان العرب**" **أن العدل**: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، وعدم الحاكم في الحكم يعدل عدلاً، والعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، ويحمل العدل في الاستخدام القاموسي معنى التسوية، والاستقامة، والتوازن، **والانصاف**.

وظهر في ذات المعجم كيفية استخدام مصطلح العدل في السياق الديني، فالعدل يقوم على **أربعة أنحاء**:

أولهما: **العدل في الحكم**. ثانيهما: **العدل في القول**.

ثالثهما: العدل بمعنى الفدية. ورابعهما: **العدل بمعنى الإشراك**.

وأما مصطلح الحرية في معجم "**لسان العرب**" نجده يقول أن الحر نقبض العبد، والحُرّة نقيضة الأمة، والعبودية قد تكون للأشياء الدنيوية من المال والشهوة وغيرهما، وعندما **نتفحص** وجود العدل والحرية في السياق الديني السياسي نجد أن العدل كان يمثل القيمة المحورية في " السياسة الشرعية" فالبغدادي يرى أن الشرط الثاني للإمام " العدل والورع، واقل ما يجب له في هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهامته تحملاً وقبولاً"[1].

إذاً تنظر الثقافة العربية الإسلامية إلى مبدأ العدل كونه القيمة العليا في تحديد أهداف الوجود والممارسة السياسية، وبالتالي فهو المبدأ الأصيل الذي يشكل ويتحكم في جميع المبادئ السياسية الأخرى، وبكل ما له صلة بالتعامل مع السلطة، فمبدأ العدل هنا يبقى دائماً المحور الأصيل في نظام القيم السياسية الإسلامية"[2]. نستقرأ من ذلك أن هذه المحاولة في القول بأن العدل يمثل مركزية في النسق السياسي لا يلغي الحرية.

ومن زاوية أخرى نستطيع القول بأن كلام الفكر الإسلامي عن الحرية أتى من منظور انطولوجي ميتافيزيقي، سيما عندما ناقش الفكر المعتزلي قضية الحرية والجبرية، ونراهم يتحدثون عن مدى حرية الإرادة الإنسانية في مقابل قدرة الله، وفي ذلك نجدهم انقسموا على أنفسهم إلى مذاهب متعددة، والشيء اللافت للنظر أن أنصار المذهب الجبري كانوا يقومون بثورة على الحكام وذلك طلباً للعدل، في حين نجد أنصار الحرية من المعتزلة احتموا بالسلطة.

المطلب الثاني:الحرية والعدل في النسق السياسي العربي الحديث:

نستطيع القول أنه لم يكن من الممكن أن تخلي رواد الفكر العربي عن تراث الفقه السياسي الديني أثناء نظرهم إلى الحرية، فنجد أن القيمة المحورية مثلاً في تراث رفاعة الطهطاوي (1801-1873) هي قيمة العدل الشرعية، حيث يرى الطهطاوي (أن الشريعة الإسلامية سوت بين الجميع في العدل والإنصاف، ولهذا أصبحت الشريعة هي مصدر المملكة والسياسة، وميزان السلطنة، لأن الحكم بهذا معناه الفوز بسلامة الدنيا والآخرة، وتحقيق قسطاس العدل في صيانة **النفس والمل والعرض**)[3].

ومن منطلق مركزية العدالة عند الطهطاوي جاء نظره إلى (الحرية) الغربية، فاتبع الطهطاوي آلية القياس والمماثلة في نقل الوافد الغربي إلى ثقافتنا، فيرى(أن ما يسمونه عندهم الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عندنا العدل والإنصاف، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الأحكام والقوانين، بحيث لا يجور حاكم على إنسان بل القوانين هي

---

[1] عبد القاهر **البغدادي**: أصول الدين، دار المدينة، بيروت، د.ت، ص277.

[2] حامد ربيع، مقدمته لتحقيق كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع، دار الشعب، القاهرة1980م، ص55-56.

[3] رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،202م، ص99.

المحكمة والمعتبرة) [1]، فالطهطاوي ينظر إلى الحرية عندهم كمعادل للعدالة والإنصاف عندنا، ولم يستطيع أن يتخلص من عمامته بتراثها الشرعي،وهذا ما يرد على لسانه حين تحدث عن الحرية وتعريفها فقد سيطرت عليه اللغة الدينية فقال بهذا الصدد (فالحرية هي رخصة العمل المباح من دون مانع غير مباح) [2]

ولا يمكن النظر إلى الحرية عند الطهطاوي إلا في سياق ديني مؤسس على العدل، فهو يقول: " إذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى في راحة الممالك، وإسعاد أهلها في بلادهم، وكانت سبباً في حبهم لأوطانهم، وبالجملة فحرية أهالي كل مملكة منحصرة يكون لهم الحق في أن يفعلوا المأذون شرعاً، وألا يكرهوا على فعل المحظور شرعاً"[3].

وقد لجأ الطهطاوي إلى تسكين المكتسب الليبرالي الغربي داخل النسق الديني التقليدي، ولا نجد لديه برنامجاً واضحاً عن كيفية الاستفادة من نسق الحرية الغربي، فقد تحدث عن بعض الحريات المدنية السائدة في فرنسا مثل حرية المعتقد، وحرية النشر والصحافة، وكأنها صور مقتطعة من المشهد الليبرالي الغربي دون أن يبين لنا كيفية الاستفادة منها في مجتمعنا أو ترجمتها إلى واقع ملموس.

وإذا كان هذا هو نظر الطهطاوي رجل الدين، فإن خير الدين التونسي (1822-1873) رجل الدولة ينهج نفس النهج في النظر إلى الحرية كامتداد للعدالة، فالعدالة لديه هي حب الإنصاف، ويستشهد في تأصيلها بكلام من السياسة الشرعية من قبيل(العدل عز الدين، وبه صلاح السلطان، وقوة الخاص والعام، وبه أمن الرعية) [4].

ورأى أن تقدم المسلمين في سالف الدهر كان نتيجة للعدل (فما كان للأمة الإسلامية من نحو العمران، وسعة الترقي، والقوة الحربية ناشئة عن العدل واجتماع الكلمة) [5] .

وبالتالي فإن ما آلت إليه الأمة الإسلامية من تخلف نتاج ضياع العدل وظهور الجور والاستبداد، وأن(ما يشاهد في ممالك الإسلام من اختلاف تصرفات الحكام، وسوء حال الرعية، وهذا ونحوه من مضار تقصير الأمراء في حماية الشريعة- شريعة العدل- واستبدادهم بالتصرف بمقتضى شهواتهم مع إغفال ما أهلهم الله له) [6].

ومفهوم العدل عند التونسي هو مفهوم أوسع من الحرية، فالعدل ينتمي إلى مجال العمران وهو أشمل من السياسة، والعدل عنده أساس كل التنظيمات والمؤسسات والحرية من نتائجها، ولا عجب إذا تحدث التونسي عن كمال الحرية المؤسسة على العدل، ولهذا كان إعجاب التونسي بالتنظيمات السياسية الغربية، ورأى أنها أساس التقدم، ورأى أننا لن نتقدم بدون إجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التأسيس على دعامتي العدل والحرية اللتين هما أصلان في شريعتنا، ولا يخفى أنها ملاك الاستقامة في جميع الممالك، وهنا نلاحظ أن التونسي قد عطف الحرية على العدل، وقام بتأصيل كليهما من خلال الدين، ليؤكد على أن

---

[1] رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص86، وأيضاً المرشد الأمين، ص129.

[2] رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين، ص128.

[3] المرجع نفسه، ص128.

[4] عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية، عالم المعرفة، الكويت رقم (30)، 1980م، ص137.

[5] خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دراسة وتحقيق معن زيادة، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1978م، ص172.

[6] خير الدين التونسي، أقوم المسالم، ص206.

الحديث عن الحرية لابد أن ينطلق من سياق الشرع، "فالشريعة لا تنافي تأسيس التنظيمات السياسية المقوية لأسباب التمدن والعمران" [1].

وحين يتحدث التونسي عن الحرية فيقول: (إن لفظ الحرية في عرفهم على معنيين الحرية الشخصية: في إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه، مع أمنه على نفسه وعرضه وماله، ومساواته لأبناء جنسه، ثم الحرية السياسية: وهي تطلب من الرعايا التدخل في السياسيات الملكية، والمباحثة فيما هو أصلح للمملكة) [2].

وهنا نلاحظ أن التونسي حين حاول أن تعريف الحرية يقول في عرفهم، ولم يقل في عرفنا، وحين تحدث عن العدل اقتبس من السياسة الشرعية الدينية، وحاول أن يؤسس الحرية بمواقف من التاريخ العربي الإسلامي مثل ما أشار إليه عمر بن الخطاب(من رأى منكم اعوجاجاً فيَّ فليقومني) ، وهو كلام مرتبط بالعدل أكثر من ارتباطه بالحرية، مما يعني أن الحرية لديه امتداد للعدالة، وذلك رغم قوله: إن (الحرية إذا فقدت من المملكة تنعدم منها الراحة والغنى، ويستولى على أهلها الفقر والغلاء، ويضعف إدراكهم وهمتهم كما يشهد بذلك العقل والتجربة) [3].

والواضح أن التونسي في دعوته إلى الحرية يعطفها على العدل، ويربط الاثنين بالشرع ويبرر قبول التنظيمات الليبرالية الحديثة من منظور شرعي خالص، وهو بهذا يتفق مع الطهطاوي رجل الدين، ولاشك أن وحدة النظر لدى رجل الدولة (التونسي) ورجل الدين(الطهطاوي) هو نتاج أن كليهما ينطلق من قاعدة ثقافية واحدة لا تميز بين ما هو ديني وما هو سياسي، فالسياسي هو الفقيه بدون عمامة، والفقيه يتخلى عن عمامته متى وجبت مصلحة السياسي.

ولقد حملت أفكار الأفغاني اضطراباً واضحاً، لأنه كان يبحث عن زعامة سياسية أكثر من بحثه عن بناء نسق فكري إصلاحي، ولاشك أن اقترابه من الملوك والسلاطين كان له أثره السلبي الواضح على أفكاره، فقد اتخذ الأفغاني موقفاً سلبياً من قضية الحرية، وكان ينظر إليها على أنها نهج غربي خالص، وكانت الحرية لديه تعني أحياناً الإباحية وجحود الدين، وبدا المفهوم الإيجابي للحرية هو الاستقلال فيقول: (إن صح أن من الأشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الأشياء(الحرية) و (الاستقلال)، لأن الحرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للأمة عن طيب خاطر، والاستقلال كذلك، بل هاتان النعمتان إنما حصلت وتحصل عليها الأمم آخذاً بقوة واقتدار) [4].

ورأى الأفغاني أن النظام الجمهوري لا يصلح اليوم للشرق ولا لأهله، والدليل على ذلك لديه انتقاده لنظام الأحزاب في الشرق، فيقول: (الأحزاب السياسية نعم الدواء، ولكنها في الشرق تنقلب غالباً إلى شر الداء، يتألف الحزب في الشرق، ويعلن على الأمة غايات ومطالب شريفة فيناصرونه، ويكون الكل أصدقاء في البداية ثم تظهر الأثرة والأنانية، وحب الذات فينفرط عقد الحزب، ويصير الكل له أعداء في النهاية)[5].

وإذا كان الأفغاني قد اتخذ موقفاً سلبياً من مفهوم الحرية فقد تحدث بإيجابية كبرى عن العدالة، ورأى أنها قوام الاجتماع الإنساني وبها حياة الأمم، وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها إلى الزوال، وقد انتهت دعوة الأفغاني للعدالة إلى ترويجه لفكرة (المستبد العادل) وأن ذلك ما يحتاجه الشرق، فيقول: (لا تحيا مصر ولا يحيا الشرق بدوله وإماراته إلا إذا أتاح الله لكل منهم رجلاً قوياً عادلاً يحكمه بأهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان، لأن القوة المطلقة يكون الاستبداد، ولا عدل إلا مع القوة المقيدة) [6].

---

[1] المرجع السابق، ص206.
[2] المرجع السابق، ص143-144.
[3] المرجع السابق، ص247.
[4] جمال الدين الأفغاني، الخاطرات/ الأعمال الكاملة تحقيق سيد هادي خسرو شاهي، دار الشروق الدولية، القاهرة، 2002م، جـ 6 / ص335.
[5] المرجع السابق، جـ 6/ ص336.
[6] الأفغاني، الخطرات/ الأعمال الكاملة، جـ38/6.

ومن الواضح أن الأفغاني الذي تردد كثيراً على أبواب السلاطين والملوك كان يميل إلى نسق السياسة الشرعية التقليدي الذي يركز على العدل، ومن هذا المنطلق كانت دعوته إلى مستبد عادل، وبالمقابل كانت نظرته سلبية إلى مفهوم الحرية بالمعنى الحديث، ونظم الحكم الليبرالية، ويمكن القول: إن الأفغاني قد عاد بالفكر العربي خطوة إلى الوراء بمعارضته نهج الطهطاوي والتونسي في النظر إلى العدالة كامتداد للحرية.

وقد اتخذ عبد الرحمن الكواكبي موقفاً سلبياً من خلاقة الدولة العثمانية والاستبداد السائد فيها، ولهذا اهتم بنقد الاستبداد كمرادف لنقد الجور في السياسة الذي هو مقابل للعدل، ولا يعني نقد الاستبداد لديه التركيز على المعنى الحديث للحرية وهو انعدام القسر، فنهج الكواكبي كان أميل للنمط الشرعي أيضاً، فالاستبداد لديه هو حكم فرد أو جماعة في حقوق الناس بلا خوف ولا تبعة، (فالمستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق) [1].

وقد تناول الكواكبي كيف أن الاستبداد ينتهي بالأمة إلى طلب التسفل والموت، وأن الاستبداد يوظف كل الأدوات، وأشد أنواع الاستبداد هو الاستبداد السياسي المقنع بسلطة دينية، فيقول: (ما من مستبد سياسي إلا ويتخذ له صفة القدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقاماً ذا علاقة مع الله، ولا أقل من أن يتخذ بطانة من أهل الدين المستبدين يعينونه على ظلم الناس باسم الدين) [2].

ولقد انتقد الكواكبي فقهاء السلطان الذين يبرزون الاستبداد، فيتكلم بوضوح عن المنطق الشرعي المؤسس على العدل، فيقول: (ولا ندري من أين جاء فقهاء الاستبداد بتقديس الحكام عن المسؤولية، حتى أوجبوا لهم الحمد إذا عدلوا، وأوجبوا الصبر عليهم إذا ظلموا، وعدوا كل معارضة لهم بغياً يبيح دماء المعارضين) [3].

وإذا كان الكواكبي ينتقد الاستبداد- الذي هو مرادف للجور- من أجل السعي إلى تحقيق العدالة أكثر من كونه دعوة فهل ينسب إلى الإسلام مشايعة الاستبداد؟ يرى الكواكبي أن الإسلام (ديانة مؤسسة على أصول الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم وبأمرها بالعدل والمساواة، والقسط، والإخاء، وبحضها على الإحسان والتحابب، وقد جعلت أصول حكومتها الشورى الأرستقراطية أي شورى أهل الحل والعقد في الأمة بعقولهم لا بسيوفهم) [4].

ويشيد الكواكبي بنظام حكم الخلفاء الراشدين ومدى العدل الذي تحقق على أيديهم، ويشيد بنظام الخلافة الإسلامية الصحيح، ويعتبره نظام حكم مدني، والدليل على ذلك أن في كتابه (أم القرى) قد دعا إلى خلافة كونفدرالية إسلامية، يجتمع تحت غطائها كل أجناس المسلمين، ومن ثم لا يمكن اعتبار أن نقد الكواكبي للاستبداد هو رفض لنظام الخلافة بقدر ما هو نقد لاستبداد السلاطين والملوك، ورغبة في عودة العدالة إلى نظام الخلافة.

ومن خلال تحليل النماذج السابقة للمفكرين العرب النهضويين نجد أن نسق السياسة الشرعية كان هو الحاكم في نظرة المفكرين العرب في النظر إلى الحرية- بالمعنى الحداثي- من خلال العدالة، أو كامتداد للعدالة- بالمعنى الشرعي- وهو ما نجده في آراء الطهطاوي والتونسي والكواكبي، وإن كان الأفغاني أكثر قرباً إلى النسق الشرعي من أي مفكر آخر، وبالجملة فإن الطابع التوفيقي بين مفاهيم السياسة الشرعية ومفاهيم الليبرالية الغربية كان هو النمط السائد في القرن التاسع عشر. إذاً على ماذا تقوم الليبرالية الغربية؟

تقوم الليبرالية الغربية في الحقيقة على عدة مبادئ منها:

1- مركزية الفرد وأولوية الحريات الفردية، كحرية الوعي والتعبير والاعتقاد...الخ.

---

[1] الكواكبي، طبائع الاستبداد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م،ص26

[2] المرجع السابق ، ص13.

[3] المرجع السابق ، ص35.

[4] المرجع نفسه، ص37.

2- الحد من سلطة الدولة، لأن لدى السلطة ميلاً عضوياً إلى ابتلاع المجتمع وسحق الفرد وامتصاص الحريات.
3- سيادة الشعب عبر ممثليه.
4- حياد الدولة تجاه المعتقدات والقيم. [1]

ونجد تجلي لهذه النمط الليبرالي الغربي عند مفكر عربي هو أديب إسحاق الذي يركز على الدعوة إلى الحرية دون الالتفات الواضح للعدالة، (فقضية الحرية كانت في قلب اهتمامات أديب إسحاق، بل كانت مركز فكره وعمله معاً، وكان تمجيدها والدعوة إليها هي الرسالة التي وهب حياته لها)[2].

وكان أديب إسحاق يروج لنمط الحرية الغربي على النسق الفرنسي متأثراً في ذلك بأفكار مونتسكيو وروسو وغيرهم من رواد التنوير الفرنسي، فرأى أن الحرية هي المقدرة على فعل كل ما يتعلق بذاتي(والحرية- لديه- ثالوث موحد بالذات،متلازم الصفات، يكون بمظهر الوجود فيقال له: الحرية الطبيعية، وبمظهر الاجتماع فيعرف بالحرية المدنية، وبمظهر العلائق الجامعة فيسمى الحرية السياسية) [3]، وكذلك نادى بحرية المطابع، والمجامع، والرأي، وكافة الحريات المدنية بالمعنى الحديث.

وبخلاف نقد الكواكبي للاستبداد كمرادف للجور يرى أديب إسحاق أن الحرية هي التي ستبدد الاستبداد الشرقي، ولا بديل للشرق عن تبنّي المنظومة الحديثة للحرية فيقول: (إما أن يبدد الشرق بأنواع الحرية ظلمات التعصب، ويقطع بسيوف العزم علائق الاستبداد، وإما أن يستمر على حاله بوجود يشبه العدم، وبقاء يحاكي الفناء، فيمحو الغرب ما لم يفن من آثار قوته)[4].

والواقع أن دعوة أديب إسحاق لتبني المنظومة الحديثة للحريات الليبرالية لم تترك أثراً واضحاً في الفكر العربي بسبب سيادة النسق الفكري المنطلق من السياق الشرعي عند المصلحين المفكرين العرب، ومحاولته احتواء المفاهيم الحداثية الليبرالية بداخله، وكذلك بسبب قصر عمره حيث مات وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين عاماً وقضى معظم حياته متنقلاً بين بيروت، والقاهرة، وباريس، ولم يكن له من التلاميذ من يحملون أفكاره، ويروجون لها.

المطلب الثالث: الليبرالية العربية ومفهوم الحرية :

إذا كان السياق الشرعي هو الحاكم في رؤية الحرية في القرن التاسع عشر فإنه مع مطلع القرن العشرين بدأ تبني الحرية بالمعنى الليبرالي من قِبَل العديد من أقطاب النخب العربية، ولكن قبل الخوض في عرض السياق الليبرالي (للحرية) لابد أن نعرف كيف انفصل هذا السياق الليبرالي عن السياق الشرعي؟

في الحقيقة يمثل الإمام محمد عبده الشخصية المفصلية في تاريخ الفكر العربي، فقد بدأ الإمام تلميذاً للأفغاني، وذا توجهات سياسية واضحة، وبهزيمة الثورة العربية عام 1882م نفي الإمام خارج مصر متنقلاً بين بيروت وفرنسا، وفي عام1888م ساعده اللورد كرومر على العودة من منفاه، لأنه كان يرى في الإمام وتلاميذه (الخلفاء الطبيعيين للمصلح الأوروبي) وبعد عودته حاول الإمام تغيير مسار خطابه من السياسة إلى التربية والفقه، وكان الإمام في تلك الفترة يرى أن الشعوب الإسلامية لم ترتق بعد لتطبيق النظام الجمهوري، فيقول: (إننا قد نستحسن حالة الجمهورية في أمريكا بسبب مزايا الحريات والحقوق، ولكن لا نستحسن أن تكون تلك الحالة في أفغانستان، لأنها قائمة على نظام ملكي مستبد) [5]،

---

[1] محمد سيلا، العدالة والحرية، مجلة التسامح، عمان، 2008، ص92.
[2] عزت قرني، العدالة والحرية، ص183.
[3] أديب إسحاق، الكتابات السياسية والاجتماعية، جمعها ناجي علوش، دار الطليعة، بيروت، 1982م، ص84.
[4] المرجع السابق ، ص189.

[5] محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده دار المنار، القاهرة، 2000م، جـ2، ص123.

ولابد من وجهة نظره تربية الشعوب الإسلامية من أجل قبول هذه النظم، وذلك لأن هذه النظم جاءت في أوروبا كمطلب شعوب، (وأن انتقال فرنسا من ملكية مطلقة إلى مقيدة ثم إلى جمهورية لم يكن بإرادة أهل الحل والعقد فقط، بل المساعد الأقوى حالة الأهالي وارتفاع أفكارهم، وتنبه إحساسهم لطلب الترقي، فتغلبوا على كل القوى التي تحول بينهم وبين هدفهم) [1] ولهذا كان خيار الإمام هو التربية أولاً.

ولكن ازدهار الخطاب العلماني على يد مفكري الشام كان له أثره الواضح على تعرض خطاب الإصلاح الديني لدى محمد عبده إلى ضغوط كثيرة، فقد كشفت محاورات فرح أنطون مع الإمام حول الدولة الدينية والدولة المدنية، إلى عودة الإمام للانشغال بالسياسة مرة أخرى، فقد اتهم فرح أنطون الأديان بأنها تضطهد العلم والعلماء، وانتقد الدولة الدينية مما دعا الإمام إلى الرد عليه بأن سلطة الخليفة في الإسلام سلطة مدنية (فالإسلام هدم بناء السلطة الدينية، ومحا أثرها) [2].

واضطر الإمام تحت ضغوط الخطاب العلماني أن يدين ممارسات السياسة عبر التاريخ العربي، وقد أسهمت هذه الضغوط إلى تعدد الدلالة في خطاب الإمام، فقد بدأ مسانداً لنظام الخلافة، ثم انتقل إلى الكشف عن الوجه المدني للحكم في الإسلام، ثم أدان دور السياسة في اضطهاد الفكر، وانتقد السلطان عبد الحميد ووصفه بأنه أكبر مجرم سفاك في هذا العصر، ورأى (أن ما يعقله أكثر المسلمين من معنى الحكومة لا يمكن انطباقه على شيء من أوليات العقل، وعرف أن ثقتهم بالحاكم قد بلغت حد التأليه، فقد ظنوه قادراً على كل شيء، بدون عون من أحد، أما الحكام وقد كانوا أقوم الناس على انتشال الأمة مما سقطت فيه، فأصابهم الجهل بما فرض عليهم من أداء وظائفهم، ولا يعرفون من معنى الحكم إلا تسخير الأبدان، وإذلال النفوس، وابتزاز الأموال لإنفاقها في إرضاء شهواتهم وأهوائهم) [3]. ورغم نقد الإمام للاستبداد فإنه يدعو أيضاً إلى مستبد عادل كما فعل أستاذه الأفغاني.

ونخلص من ذلك إلى أن الإمام نقد الاستبداد ودعا إلى مستبد عادل، وأكد على أهمية الخلافة وانتقد ممارسات السياسة في التاريخ، وقد خلق هذا التباين في الآراء نوعاً من تعدد الدلالة أحياناً، واشتباهها أحياناً أخرى.

ولهذا يمكن أن نفسر كيف خرج من عباءة الإمام محمد عبده معظم التيارات الفكرية التي تبدو متناقضة فخرج منه قاسم أمين ولطفي السيد ورشيد رضا وأصبح كل تيار فكري يقرأ في خطاب الإمام ما يوافق توجهه.

لذا نجد قاسم أمين ينتقد نظام الخلافة – الذي يتمحور حول العدالة- مؤيداً آراء فرح أنطون ورأى أن (نظام الخلافة كان عبارة عن خليفة أو سلطان غير مقيد، يحكم بواسطة موظفين غير مقيدين، فكان الحاكم وعماله يجورون في إدارتهم على حسب إرادتهم، فإن كانوا صالحين رجعوا إلى أصول العدالة بقدر الإمكان، وإن كانوا غير ذلك خرجوا عن حدود العدالة، وعاملوا الناس بالعسف، ولم يكن في النظام ما يردهم إلى أصول الشريعة) [4].

وقد رأى ذلك عند قاسم أمين إلى نتائج وخيمة، (فقد مضت القرون على الأمم الإسلامية وهي تحت الحكم الاستبدادي المطلق، وأساء حكامها في التصرف، وبالغوا في إتباع أهوائهم،

---

[1] المرجع السابق، جـ2/ ص162.

[2] محمد عبده، الرد على فرح أنطون/ الأعمال الكاملة، دار الشروق القاهرة1993م، ص304-305.

[3] محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، دراسة وتقديم عاطف العراقي، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص106.

[4] قاسم أمين، مقالة ضمن محاورات محمد عبده مع فرح أنطوان، دراسة وتقديم الطيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، 1989م، ص33.

والعبث بشؤون الرعية، بل لعبوا بالدين نفسه في أغلب الأزمنة ولا يستثنى منهم إلا عدد قليل) [1].

يتضح من هذا أن رفض قاسم أمين لنظام الخلافة كان يعني عدم قبوله للنسق السياسي الشرعي، كمقدمة للدعوة إلى النسق الليبرالي للحرية (فالحرية هي قاعدة ترقي النوع الإنساني، ومعراجه إلى السعادة، ولذلك عدتها الأمم التي أدركت سر النجاح من أنفس الحقوق، والمقصود بالحرية هو استقلال الإنسان في فكره وإرادته وعمله) [2].

ولذلك أبرز قاسم أمين أهمية اتباع الحرية وتأصيلها في حياتنا، لأنها أصل تقدم الإنسانية في الغرب و العالم وأنها أهم عامل في تفجير طاقات الإنسان للإبداع والرقي، وقد كانت قضية تحرير المرأة هي القضية المحورية في فكر قاسم أمين على مدى عمره القصير، ورغم إيمانه بأن الدعوة للحرية غريبة على مجتمع تحكمه تركة تقليدية ثقيلة، فإنه كان يؤمن بأننا نحتاج فقط إلى الزمن للتمرين على الحرية وترسيخها في مجتمعاتنا.

وكذلك يُعد أحمد لطفي السيد أبرز داعية للنسق الليبرالي(للحرية)، حيث انتقد نظرية (المستبد العادل) السائدة عند الأفغاني وعبده، ورأى أن (نظرية الاستبداد بالأمر على مبادئ العدل نظرية خيالية) [3] .

وأن حكومة الفرد الواحد هي التي أوصلت الشرق إلى الحالة السيئة، وطالب بضرورة (أن نخرج هذا الإحساس العام في الشرق، إحساس أن الأمة رعية، والحاكم راع يتصرف في رعيته على ما يشتهيه، إن هذا الإحساس الذي اتخذناه قاعدة لسياستنا بل طريقاً لسلوكنا في حياتنا اليومية هو الذي أبعدنا عن سرعة الأخذ بمبادئ التمدن الحديث) [4]، وبالتالي فإن لطفي السيد يرفض بالكلية نمط السياسة الشرعية التقليدي، وقد توارت في كتاباته الترويج لقيمة العدالة.

وبالمقابل فقد تبنى لطفي السيد الدعوة إلى الحرية متأثراً بتراث الليبراليين الغربيين في القرن التاسع عشر، ذاهباً إلى أن (مذهب الحرية هو أنفع المذاهب في كل البلاد على العموم) [5].

وذلك لأنه يقيد الحكومة من الاستبداد الذي له نتائج وخيمة على الإنسان والمجتمع، كما أن (الأضرار التي تنجم عن التطرف في الحرية لا توازي الضرر البليغ الذي تأتى به طبائع الاستبداد) [6]، وتناول لطفي السيد الحريات بكل أنواعها فتكلم عن الإيجابيات الكبرى لحرية العمل، وحرية الصحافة، وحرية التربية، وحرية المعتقد، وأثرهم في نمو التقدم والعمران، ويمكن القول: إن الحرية عند لطفي السيد قد حلت محل العدالة، وإنه تبنى النسق الغربي الليبرالي بديلاً عن النسق السياسي الشرعي لديه.

وتعرض لطفي السيد إلى الهجوم عليه من قبل المحافظين متهمين إياه بأنه يروج لأفكار غربية خالصة، وتعاليم إفرنجية أخذها من أساتذته الأوروبيين، وكان يرد عليهم (لا تستطيعون أن تنكروا علينا أننا من بني الإنسان، ولنا أيضاً شغف بالحرية، والآمال في استرجاع مركزنا اللائق بنا في صف الأمم التي ليست عناصرها بأدخل في المدنية من العناصر المؤلفة للوحدة المصرية، ولو استطعتم أن تنكروا علينا كل شيء لما استطعتم أن تنكروا عليها حقنا في العيش، وما العيش إلى الحرية) [7].

ولقد أثمرت دعوات قاسم أمين ولطفي السيد إلى تبني النسق الحداثي الليبرالي (للحرية) عن ازدهار الحياة السياسية المصرية، واستطاع لطفي السيد أن يصدر جريدة (الجريدة) عام 1906

---

[1] قاسم أمين، تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص137.
[2] قاسم أمين، المرأة الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص25.
[3] أحمد لطفي السيد، تأملات، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص17.

[4] أحمد لطفي السيد، المنتخبات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون، جـ2، ص67.
[5] المرجع السابق، جـ2/ ص91.
[6] المرجع السابق، جـ2/ص63.
[7] المرجع السابق، جـ2/ص61.

م لتعبر عن التيار الليبرالي وأصبحت (الجريدة) هي صحيفة حزب الأمة الذي أسسه لطفي السيد في مصر عام 1907م، وبازدهار الحياة السياسية المصرية تم تدشين دستور 1923م الذي يشكل علامة بارزة في تاريخ الليبرالية العربية عموماً والمصرية على وجه الخصوص، ورغم ذلك فإن تراث الحرية الذي بدأ يتشكل على يدي الليبراليين العرب كان ضعيفاً وإنجازاته محدودة، لقصر تاريخه إزاء تراث السياسة الشرعية الذي يتمركز حول العدالة، وكذا فإن تراث الحرية الذي بدأ يتشكل في تلك الفترة التاريخية كان تراثاً نخبوياً، كما أن الأحزاب الليبرالية كانت نخبوية أيضاً بسبب سيادة الجهل والأمية، فلم يكن من الممكن تأصيل هذه المفاهيم الليبرالية للحريات وسط شعوب جاهلة مستعمرة بيسير.

وفي ظل ازدهار التراث الليبرالي انحسرت بالمقابل الدعوة إلى السياق السياسي الشرعي، وبدأ يأفل رغم دعوة رشيد رضا إلى أهمية الخلافة عام 1922م في كتابه (الخلافة أو الإمامة العظمى) فقد رأى أن (الخلافة هي مناط الوحدة ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الأحكام) [1].

وكان رشيد رضا يهاجم بضراوة الليبراليين ويقول عنهم: (إن ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة، والعلم، والحضارة، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً فعلياً لا يمكن أن تعز، وتقوى، وتساوي الدولة العزيزة) [2]، وقد انتهى خطاب الإصلاح لدى محمد عبده بما يحمله من استنارة إلى محافظة على يد رشيد رضا.

نخلص مما سبق إلى أن ثمة دلالات متعددة ظهرت في البعد السياسي في خطاب الإمام محمد عبده، وترتب على هذا تقديم بعض تلاميذه قراءة مستنيرة له كما هو الحال عند قاسم أمين ولطفي السيد، أو تقديم قراءة سلفية محافظة كما هو الحال عند رشيد رضا، وهو ما يفسر لنا انفصال الدعوة إلى النسق الليبرالي الغربي (الحرية) عن النسق السياسي الشرعي(العدل).

الخاتمة :

إذا كان النسق الديني المرتكز على قيمة (العدل) كان هو المسيطر على تطور الفهم السياسي العربي حتى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي،فإن ظهور مصطلح الحرية بالمعنى السياسي في زمن الإمبراطورية العثمانية، يعود أصلها إلى التأثير الأوروبي على الإمبراطورية العثمانية،التي طرحت علينا الثقافة الغربية الذي يتمحور حول (الحرية)،حيث لجأ بعض المفكرين إلى تسكين المكتسب الليبرالي الغربي داخل النسق الديني التقليدي، الذي احدث عن بعض الحريات المدنية السائدة في الغرب المسيحي مثل حرية المعتقد، وحرية النشر والصحافة، وكأنها صور مقتطعة من المشهد الليبرالي الغربي دون أن يبين لنا كيفية الاستفادة منها في مجتمعنا أو ترجمتها إلى واقع ملموس ، علماً أن نسق السياسة الشرعية في العالم الاسلامي كان هو الحاكم في نظرة المفكرين العرب في النظر إلى الحرية، بالمعنى الحداثي، من خلال العدالة، أو كامتداد للعدالة، بالمعنى الشرعي،وهو ما نجده في بعض الآراء لمفكري العرب من امثال الطهطاوي والتونسي والكواكبي، وإن كان الأفغاني أكثر قرباً إلى النسق الشرعي من أي مفكر آخر، وبالجملة فإن الطابع التوفيقي بين مفاهيم السياسة الشرعية ومفاهيم الليبرالية الغربية كان هو النمط السائد في القرن التاسع عشر. من هنا نخلص إلى النتائج التالية:

1- أن الطهطاوي اتبع آلية القياس والمماثلة في نقل الوافد الغربي إلى ثقافتنا، معتقداً أن الحرية تعنى الحكم بإقامة التساوي في الأحكام والقوانين.
2- أن التونسي في دعوته إلى الحرية يعطفها على العدل، ويربط الاثنين بالشرع ويبرر قبول التنظيمات الليبرالية الحديثة من منظور شرعي خالص.

[1] محمد رشيد رضا، الإمامة أو الخلافة العظمى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988م، ص105.
[2] المرجع السابق، ص70-71.

3- يتفق التونسي مع الطهطاوي فأن نتاج كليهما ينطلق من قاعدة ثقافية واحدة لا تميز بين ما هو ديني وما هو سياسي، فالسياسي هو الفقيه بدون عمامة، والفقيه يتخلى عن عمامته متى وجبت مصلحة السياسي.
4- أن النظام الجمهوري في رأى الأفغاني لا يصلح اليوم للشرق ولا لأهله، لذا فهو يميل إلى نسق السياسة الشرعية التقليدية التي ترتكز على العدل، ومن هذا المنطلق كانت دعوته إلى مستبد عادل، وبالمقابل كانت نظرته سلبية إلى مفهوم الحرية بالمعنى الحديث، ونظم الحكم الليبرالية.
5- اتخذ عبد الرحمن الكواكبي موقفاً سلبياً من خلاقة الدولة العثمانية والاستبداد السائد فيها، ولهذا اهتم بنقد الاستبداد كمرادف لنقد الجور في السياسة الذي هو مقابل للعدل، ولا يعني نقد الاستبداد لديه التركيز على المعنى الحديث للحرية وهو انعدام القسر.
6- يتفق نهج الكواكبي مع الافغاني لانه كان أميل للنمط الشرعي، فالاستبداد لديه هو حكم فرد أو جماعة في حقوق الناس بلا خوف ولا تبعة.
7- رفض قاسم أمين نظام الخلافة الذي كان يعني عدم قبوله للنسق السياسي الشرعي،و أكد على أهمية اتباع الحرية وتأصيلها في حياتنا، لأنها أصل تقدم الإنسانية في الغرب و العالم وأنها أهم عامل في تفجير طاقات الإنسان للإبداع والرقي.
8- إن الحرية عند لطفي السيد قد حلت محل العدالة، وإنه تبنى النسق الغربي الليبرالي بديلاً عن النسق السياسي الشرعي لديه،حيث تناول الحريات بكل أنواعها فتكلم عن الإيجابيات الكبرى لحرية العمل، وحرية الصحافة، وحرية التربية، وحرية المعتقد، وأثرهم في نمو القمم والعمران.
9- هاجم رشيد رضا بضراوة الليبراليين الذين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة، والعلم، والحضارة، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً فعلياً لا يمكن أن تعز، وتقوى، وتساوي الدولة العزيزة، مؤكداً على ان اساس تقدم الامم لا يقاس بمعتقد او دين.

المراجع:

1. أحمد لطفي السيد، المنتخبات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون، جـ2.
2. أحمد لطفي السيد، تأملات، دار المعارف، القاهرة، بدونتاريخ.
3. أديب إسحاق، الكتابات السياسية والاجتماعية، جمعها ناجي علوش، دار الطليعة، بيروت، 1982م
4. جمال الدين الأفغاني، الخاطرات/ الأعمال الكاملة تحقيق سيد هادي خسرو شاهي، دار الشروق الدولية، القاهرة، 2002م، جـ 6 .
5. حامد ربيع، مقدمته لتحقيق كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع، دار الشعب، القاهرة1980م.
6. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دراسة وتحقيق معن زيادة، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1978م.
7. رفاعة الطهطاوي، المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،202م
8. رفاعة الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م .
9. عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، دار المدينة، بيروت، دت .
10. عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية، عالم المعرفة، الكويت رقم (30)، 1980م.
11. قاسم أمين، المرأة الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
12. قاسم أمين، تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
13. قاسم أمين، مقالة ضمن محاورات محمد عبده مع فرح أنطوان، دراسة وتقديم الطيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، 1989م.
14. الكواكبي، طبائع الاستبداد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
15. محمد رشيد رضا، الإمامة أو الخلافة العظمى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988م .
16. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، جـ2 ،دار المنار، القاهرة، 2000م.
17. محمد سيلا، العدالة والحرية، مجلة التسامح، عمان، 2008م.

18. محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، دراسة وتقديم عاطف العراقي، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
19. محمد عبده، الرد على فرح أنطون/ الأعمال الكاملة، دار الشروق القاهرة1993م.

إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي في هيئة الأمم المتحدة

د.البشير علي المبروك الحميدي
جامعة صبراتة
كلية الآداب – قسم الجغرافيا

الملخص :

تناولت هذه الدراسة إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل الثقل العددي للمجموعتين في هيئة اللأمم المتحدة، وكيفية إستثمار هذه القوة لخدمة القضايا المشتركة سياسياً، ولقد إفترضت الدراسة ان التعاون العربي الإفريقي إرتكز على قاعدة جيدة وفريدة وفرتها الظروف الجغرافية والتاريخية الملائمة، ورغم ذلك فإن الأداء الدبلوماسي للمجموعتين في الأمم المتحدة لم يكن في المستوى المطلوب أو المنشود الذي راهنت عليه النخب السياسية والشعبية في العالمين العربي والأفريقي، وذلك بإستثناء تحقيق بعض الإنجازات الدبلوماسية المهمة والتي تم توضيحها في المبحث الخامس من هذه الدراسة.

ساهمت الدراسة في توضيح أهمية العامل الجغرافي ودوره في مساندة ودعم التحالف العربي الأفريقي بصفة خاصة والتحالف الأقليمي الدبلوماسي بصفة عامة، وهدفت أخيراً إلى تحليل وتقييم الوزن الدبلوماسي للمجموعتين العربية والأفريقية من خلال تتبع ورصد السلوك التصويتي الذي اتبعته المجموعتين حيال بعض القضايا المشتركة المطروحة للتصويت في منظمة الأمم المتحدة.

إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي في هيئة الأمم المتحدة

مقدمة :

حدد الباحث الامريكي ريتشارد هارتشورنR. Hartshorne الهدف من دراسة الجغرافيا السياسية بأنه تحليل للقوة وتقييمها[1]، والقوة Power في معناها الواسع، مدى التاثيرأوالنفوذ أوالسيطرة التي تمارسها دولة على دولة أو عدة دول أخرى وهي وسيلة وغاية في آن واحد،وتعد القوة أساس المحافظة على سيادة وهيبة الدولة وأمنها القومي[2]،لذلك يجب أن تبنى على أسس متينة ومتنوعة، فإلى جانب القوة العسكرية يلزم أن تمتلك الدولة أوالتنظيم قوةإقتصادية ودبلوماسية وتكنولوجية وثقافية وإعلامية وإجتماعية كافية، فتنوع القوة لدى الدول والكيانات السياسية يضمن لهم التماسك والإنسجام والوحدة على المستوى الداخلي، والنفوذوالإحترام والمكانة السياسية على المستويين الإقليمي والدولي، ويرى عالم السياسة هانس مورجنثاوMorgenthauH. أن السياسة بين الدول هي صراع من أجل القوة ومهما تكن الغايات البعيدة للسياسات تبقى القوة دائماً الهدف المباشر لها.[3]

تسلط هذه الدراسة الضوء على إحدى أهم أدوات القوة الناعمة Soft Power[4] وهي القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي النسبي في هيئة الأمم المتحدة، وكيف يمكن استثمار هذه القوة لدعم القضايا المشتركة سياسياً، ومن النواحي الجغرافية والتاريخية وتقريباً الدينية،هناك قواسم مشتركة وترابط واضح بين العرب والأفارقة، فمن

الناحية الجغرافية يتواجد قرابة ثلاثة أرباع **مساحة الوطن العربي** وسكانه في قارة أفريقيا،ويتصل الجانب الأسيوي للوطن العربي بأفريقيا بعدة طرق الأمر الذي يسهل الإنتقال بينهما، وإلى جانب الإرث الحضاري المشترك،يدين نحو نصف السكان الأفارقة بالدين الإسلامي، ناهيك عن المعاناة التاريخية والنضال المشترك ضد **الإستعمار**[5]،ولهذا يشعر الافارقة والعرب بوحدة المصير المشترك وهو مايدفعهم إلى التكتل والتخندق في كتل ومجموعات تصويتية واحدة أو متقاربة، لحماية مصالح دولهم، ولمواجهة المشكلات الكبرى التي تعترضهم .

أحتوت الدراسة إلى جانب الأطار النظري المتمثل في مشكلة الدراسة وفرضياتها وأهميتها وأهدافها ومنهجها والدراسات السابقة، على مقدمة **وخاتمة وخمسة مباحث على النحو الأتي :**

أولاً : الأطار النظري

المبحث الأول : مفهوم الدبلوماسية

المبحث الثاني : العلاقة بين الجغرافيا والدبلوماسية والتنظيم

المبحث الثالث : منظمة الامم المتحدة أهميتها وواقعها الدبلوماسي

المبحث الرابع : آليات وإستراتيجيات التعاون الدبلوماسي العربي الافريقي المشترك

المبحث الخامس : إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والافريقية في الامم المتحدة ودورها في دعم القضايا المشتركة

ثانياً : الخاتمة

أولاً : الأطار الظري

مشكلة الدراسة :

تتمحور مشكلة الدراسة حول الأجابة على السؤال الرئيسي الآتي وهو:

هل يمكن للمجموعتين العربية والأفريقية جعل نفوذهما الدبلوماسي والسياسي يتناسب مع ثقلهما العددي في هيئة الأمم المتحدة ؟ كما تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات الفرعية الآتية :

1- مالمقصود بالدبلوماسية؟ ومأأهميتها؟ وماعلاقتها بالجغرافيا؟
2- كيف يمكن تنسيق التعاون الدبلوماسي في الامم المتحدة بين المجموعتين العربية والافريقية من جهة وبين المجموعات التصويتية للدول النامية من جهة أخرى وذلك للاستفادة من الكتلة العددية الكبيرة لهذه الدول؟
3- ماهي أهم العوائق والعراقيل التي تعيق التعاون الدبلوماسي العربي الأفريقي بشكل خاص، وكذلك التعاون الدبلوماسي بين الدول النامية في الأمم المتحدة بشكل عام من جهة أخرى؟

فرضيات الدراسة :

1- يلعب التقارب الجغرافي المبني على الإتصال الأرضي وكذلك العامل التاريخي دوراً مهماً في صياغة عملية التعاون بين الأفارقة والعرب الذين يسعون للتكلم بصوت واحدة في المحافل والمنظمات الدولية.

2- تفترض الدراسة أنه رغم الثقل العددي الكبير نسبياً للدول الافريقية والعربية مجتمعة في الأمم المتحدة إلا أن الأداء الدبلوماسي للمجموعتين العربية والأفريقية في الأمم المتحدة لايزال متواضعاً ودون المستوى المطلوب وذلك للعديد من الاسباب السياسية والاقتصادية والتنسيقية الفنية.
3- تفترض الدراسة إن الاستراتيجية الدولية المعاصرة ليست استراتيجيا صراع وفحسب بل هي استراتجية تعاون تأخذ في اعتبارها التعايش السلمي وحل النزاعات وأدارة الأزمات بالطرق والأدوات الدبلوماسية التي يوفرها النظام الدولي.

أهداف الدراسة :

1- تحليل وتقييم الوزن أو القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي النسبي في هيئة الأمم المتحدة وتوضيح انعكاس ذلك علي فاعلية السياسة الخارجية للدول العربية والأفريقية وذلك باعتبار الدبلوماسية أداة من أدوات السياسة الخارجية للدول والمنظمات.
2- تتبع ورصد السلوك الدبلوماسي والتصويتي الذي أتبعته المجموعتين العربية والأفريقية حيال بعض القضايا المشتركة المطروحة في الأمم المتحدة لاسيما في الجمعية العامة وتحديد سلوكهما التصويتي حيالها.
3- شرح وتحليل أهمية العامل الجغرافي ودوره في نشأة ودعم المجموعات الدبلوماسية الأقليمية كالمجوعتين العربية والأفريقية حيث أسهم العامل الجغرافي في توطيد وترسيخ روح التكامل والتعاون الأقليمي بين هذه الدول والجماعات.

أهمية الدراسة ومبررات الأختيار :

تحاول هذه الدراسة الكشف عن مكامن وخبايا وامكانيات القوة الدبلوماسية العددية للمجموعتين العربية والافريقية داخل منظمة الامم المتحدة، محاولة تتبع ورصد وإستقراء أهمية هذه القوة ودورها في خدمة القضايا السياسية المشتركة،إنطلاقاً من كون الدبلوماسية أحدى أهم الطرق وأقصرها للوصول إلى أهداف السياسة الخارجية للدول والتنظيمات السياسية المختلفة، لذلك فالنجاح الدبلوماسي لإي دولة أوتنظيم يعد نجاحاً للسياسة الخارجية لذلك البلد أو التنظيم،وبالتالي يمكن من خلال هذه الدراسة التنبؤ بمستقبل ومكانة دول المجموعتين العربية والأفريقية السياسية على ضوء النتائج الدبلوماسية التي تحققها وفودها وبعثاتها في هيئة الأمم المتحدة.

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ومن خلاله يمكن تتبع وتقييم وتحليل الأثر الدبلوماسي والسياسي الذي أحدثه حرص المجموعتيين العربية والافريقية على التحالف الدبلوماسي فيما بينهما، ومن ثم الإتفاق على بعض الصيغ المطروحة للتصويت والتكلم بصوت واحدة حول بعض القضايا المشتركة في المنظمة الدولية، والتي تهم كذلك غالبية الدول النامية لاسيما قضايا الاستعمار والتدخلات وفرض الشروط والإملاءات الخارجية على الدول العربية والإفريقية، ومن خلال ذلك يمكن تتبع النتائج والآثار الدبلوماسية والسياسية التي حققتها هاتين المجموعتين في منظمة الأمم المتحدة، ويعد المنهج التاريخي ضرورياً لتتبع التطورالتاريخي للتعاون الدبلوماسي العربي الإفريقي الذي شهد تذبذباً واضحاً عبر فترات تاريخية مختلفة، وإلى جانب هذين المنهجين تمت الإستعانة ببعض المناهج الأخرى كالمنهج القانوني المؤسساتي ومنهج تحليل القوى والمنهج الإحصائي.

الدراسات السابقة :

تعد هذه الدراسة من الدراسات القليلة وربما تكون الدراسة الأولى التي تتناول موضوع الدبلوماسية من الناحية الجغرافية السياسية بإعتبارها عاملاً من عوامل القوة بالنسبة للدول والمجموعات السياسية التصويتية في هيئة الأمم المتحدة، حيث تركز بالخصوص على مدى القوة أوالتاثير الدبلوماسي الناتج من تعاون المجموعتين العربية والأفريقية في المنظمة الدولية بأستخدام ورقة الثقل العددي كإحدى أوراق اللعبة الدبلوماسية الدولية التي تهدف لتحقيق نتائج سياسية، ومن هذا المنطلق تبرز أهمية هذه الدراسة وتفردها، غيرأن ذلك لايعني عدم وجود دراسات أخرى أهتمت بمدى قوة العلاقات العربية الأفريقية الثنائية أو الجماعية من النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية ومن أهم هذه الدراسات نذكر :

1- دراسة محمد المبروك يونس عام 1988م، بعنوان تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية : 1952-1977م،حيث ركز بالخصوص على دور العامل التاريخي في ترسيخ العلاقات العربية الإفريقية في الفترة المذكورة، مبيناً أنه بإمكان الدول العربية والأفريقية إستغلالا لروابط والمصالح المشتركة المتوفرة لديهما لتعزيز تلك العلاقة والمحافظة عليها.[6]
2- دراسة الفاتح عبدالله عبد السلام والواردة بمجلة دراسات أفريقية عام 1989م بعنوان التعاون العربي الإفريقي التجربة والأفاق المستقبلية، حيث تناولت هذه الدراسة التعاون العربي الإفريقي في العصر الحديث، شاملة الجوانب التاريخية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، وهدفت الدراسة إلى تحليل مزايا هذا التعاون وأهدافه ومشكلاته وفق رؤية تقويمية نقدية.[7]
3- دراسة سالم حسين عمر البرناوي بعنوان إستراتيجية التعاون العربي الإفريقي عام 2005م، وتناول فيها مفهوم التعاون الدولي ومستوياته وأهميته للدول العربية والافريقية بصفة خاصة وللدول النامية بصفة عامة، مركزاً على التعاون العربي الأفريقي في بعض القضايا لاسيما القضية الفلسطينية في فترة السبعينات والثمنينات من القرن الماضي.[8]

الحدود الجغرافية والموضوعية للدراسة :

أ- الحدود الجغرافية

تتكون المجموعتين العربية والإفريقية في الأمم المتحدة من كافة الدول العربية والإفريقية المستقلة الأعضاء في الأمم المتحدة ولها حق التصويت حتى كتابة هذا البحث، ويبلغ عددالدول العربية الأسيوية الأعضاء في الأمم المتحدة11 دولة فيما يبلغ عدد الدول الإفريقية الأعضاء في المنظمة54 دولة إي أن مجموع دولهما يبلغ نحو65 دولة وهو مايمثل34% تقريباً من مجموع الأصوات في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ويبلغ عدد سكان الوطن العربي وقارة أفريقيا مجتمعين نحو 1575 مليون نسمة (إحصاء 2015م)[9]، فيما تبلغ مساحتهما نحو 44 مليون كم 2وتبين الخريطة(1) أن الوطن العربي وأفريقيا يمتدان بين دائرتي عرض26 37شمالاً و 51 34 جنوباً ومابين خطي طول 38 17 غرباً و360شرقاً[10]ولهذا يتوسط الوطن العربي وأفريقيا قارات العالم بحكم موقعهما الجغرافي مما أدى إلى تعاظم أهميتهما سياسياً وإستراتيجياً وأقتصادياً.

ب- الحدود الموضوعية

ليس من السهل الإحاطة الشاملة بموضوع الدبلوماسية وذلك لإتساع مجالها وتعدد فروعها، لذا ستقتصر هذه الدراسة من الناحية الموضوعية على دراسة وتحليل إمكانيات القوة الدبلوماسية الناتجة من الثقل العددي النسبي للمجموعتين العربية والإفريقية في الأمم المتحدة وبالأخص في الجمعية العامة للأمم المتحدة ،حيث تشكل المجموعتين قرابة 34% من مجموع عدد الأصوات في الجمعية العامة[11]،ولهذا فإن هذا البحث لن يبحث في كل أشكال الدبلوماسية ولن يتعمق في كل زواياها، وإنما سيبحث بالخصوص في التوزيع الجغرافي للمجموعات والكتل العددية التصويتية في الأمم المتحدة، وسيركز أساساً على دراسة بعض الإجراءات والمواقف والسلوكيات الدبلوماسية التي أتبعتها المجموعتين العربية والافريقية في الأمم المتحدة وأجهزتها المختلفة، بالإعتماد على ميزة الثقل العددي النسبي للمجموعتين، وذلك دفاعاً عن قضايا الدول العربية والأفريقية وحماية مصالحم، ولتحسين شروط تفاوضهم مع المنظمات والكتل والدول الكبرى، وبالإعتماد كذلك على ميزة التحالف الدبلوماسي مع الكتل والمجموعات القريبة جغرافياً أو أيدولوجياً أو إقتصادياً كمجموعات الدول النامية وغيرها من المجموعات.

خريطة رقم (1) موقع افريقيا والوطن العربي من العالم

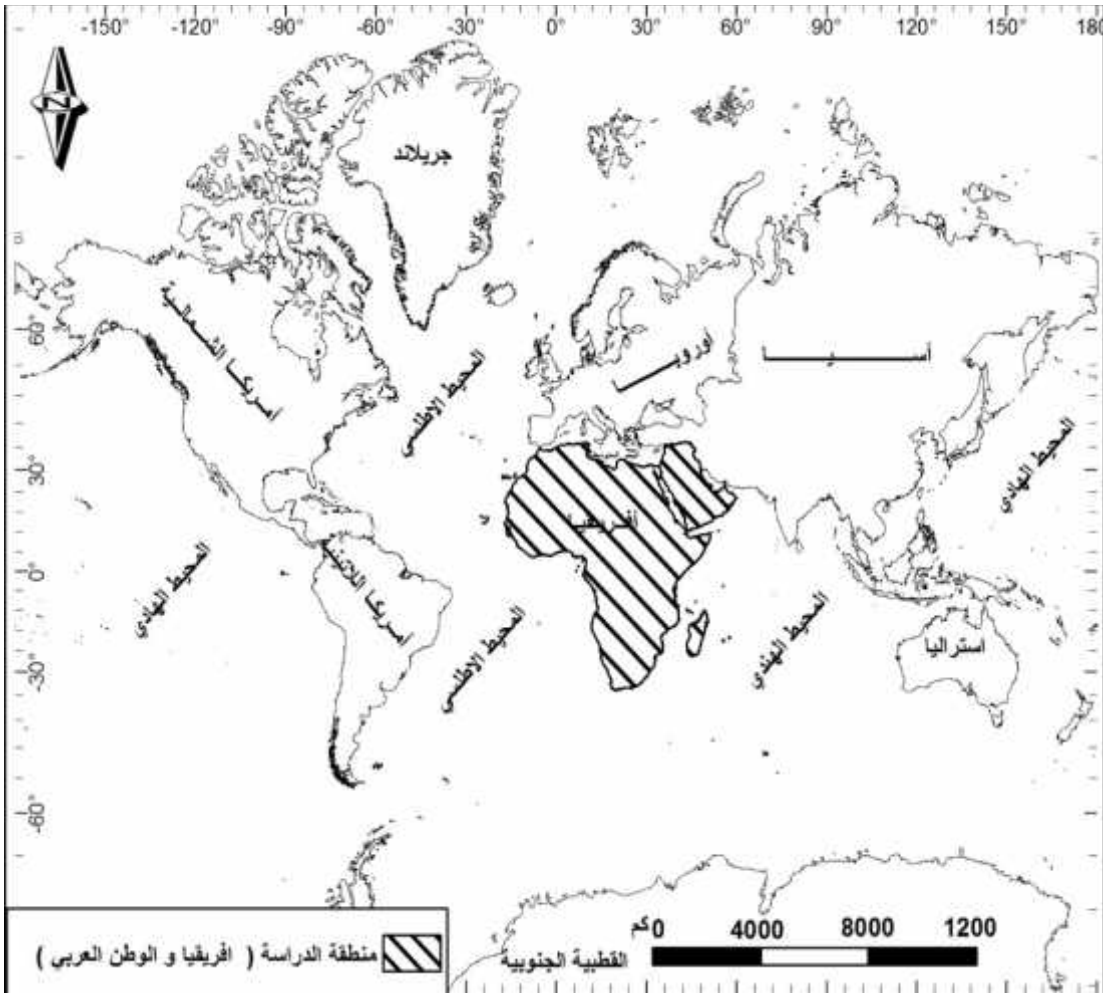

المصدر: مازن مغايري ، موسوعة أطلس العالم ، دار الرضوان ، حلب ص30

المبحث الأول : مفهوم الدبلوماسية

الدبلوماسية كشكل من أشكال القوة الناعمة تعد أهم أدوات السياسة الخارجية للدول والكيانات السياسية، ويمكن تعريفها بأنها مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين بهدف حماية المصالح العليا الأمنية والسياسية والإقتصادية والتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الأتصال والتبادل وأجراء المفاوضات السياسية وعقد الإتفاقيات والمعاهدات[12].غير أن هناك من يختصر ذلك التعريف في صيغة أخرى تقول إن الدبلوماسية هي علم وفن رعاية العلاقات الدولية بواسطة المفاوضات التي يقوم بها السفراء والممثلون الدبلوماسيون، ويشير مصطلح الدبلوماسية في أوسع معانيه إلى عدم لجوء أطراف النزاع بين الدول إلى القوة العسكرية لحل الخلافات والتركيز بدل ذلك على الوسائل السلمية وأهمها المفاوضات الدبلوماسية.[13]

يتضح من خلال ذلك إن الهدف النهائي من الدبلوماسية هو خدمة المصالح الأمنية والسياسية والإقتصادية العليا للدولة بالوسائل التنفذية السلمية، والتاثير على الدول والتنظيمات السياسية بهدف إستمالتها وكسب تاييدها عن طريق مجموعة من الإجراءات مثل المفاوضات والتمثيل الدبلوملسي،أوالإقناع، أوبناء التحالفات السلمية بين الدول والمنظمات الدولية،أوعن طريق التهديد المبطن إذا فشلت هذه الإجراءات،[14] وللدبلوماسية ركائز تستند عليها تدعمها وتساهم في نجاحها، ومنها خبرة وحنكة الدبلوماسيين وكفاءتهم وإلمامهم العميق بأبعاد المشكلات المحلية والإقليمية والدولية التي يواجهونها، وحرصهم على استغلال وأستثمار كل نقط القوة التي في حوزتهم وفي حوزة دولهم، والتقليل إلى أقصى حد ممكن من نقاط الضعف، والإدارة الجيدة للموارد الإقتصادية والبشرية المتوفرة لدى السلك الدبلوماسي، والقدرة على بناء التحالفات السلمية وإعادة تشكيلها على أسس متينة، إلى جانب توفر الدعم السياسي للدبلوماسية من قيادات الدولة العليا،وإيمان السلطات ووعيها بأهمية ودور الدبلوماسية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية،وذلك من مبدأ إن الدبلوماسية الماهرة وليس الإستثمار أو التجارة هو ما تحتاج إليه الدول لتحويل الأعداء إلى أصدقاء.[15]

وهناك صورتان للدبلوماسية هما الدبلوماسية الثنائية أو التقليدية وهي تتم بين دولتين فقط، والدبلوماسية الجماعية وتنقسم بدورها إلى دبلوماسية المنظمات، ودبلوماسية المؤتمرات أو دبلوماسية القمم، ويقصد بدبلوماسية المنظمات تلك المواقف والإجراءات التنفيذية والمفاوضات السلمية الدائمة التي تقوم بها الدول في نطاق المنظمات الإقليمية والدولية عن طريق جهازها الدبلوماسي المتمثل في وزارة الخارجية لحماية مصالحها، وتحقيق أهداف سياستها العليا، كما هو الحال في تلك الإجراءات والمفاوصات الدبلوماسية التي تقوم بها الدول العربية أو الدول الإفريقية بواسطة المجموعتين العربية أو الإفريقية داخل أروقة الهيئة العامة للأمم المتحدة، أو ماتقوم به المجموعة الأوروبية أو مجموعة امريكا اللأتينية داخل المنظمة الأممية الدولية، وتتصف دبلوماسية المنظمات بأنها دبلوماسية دائمة بمعنى أنها غير محددة بوقت معين، أما دبلوماسية المؤتمرات أوالقمم فهي محددة بوقت وغير دائمة بمعنى أنها مرتبطة بالمؤتمرات والقمم التي تعقد في زمن معين، لتدارس مشكلة معينة على الصعيدين الإقليمي والدولي وتنتهي بإنتهاء ذلك المؤتمر.[16]

المبحث الثاني : العلاقة بين الجغرافيا السياسية والدبلوماسية والتنظيم

تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة وتحليل المستويات المختلفة لعوامل قوة الدولة الناتجة من التفاعل المستمر بين العوامل والمتغيرات السياسية والعوامل والخصائص الجغرافية على صعيدي السياسة الداخلية والخارجية،[17] فالواقع الجغرافي يحدد على الأرجح الواقع السياسي

والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري للدول والمنظمات، وبالتالي فانه يسهم إلى حد كبير فيتحديد نوعية ومستويات القوة النسبية التي تتمتع بها الدول والكيانات السياسية المختلفة كمايبين ذلك الشكل (1)

شكل(1) العلاقة بين الجغرافيا والدبلوماسية والتنظيم

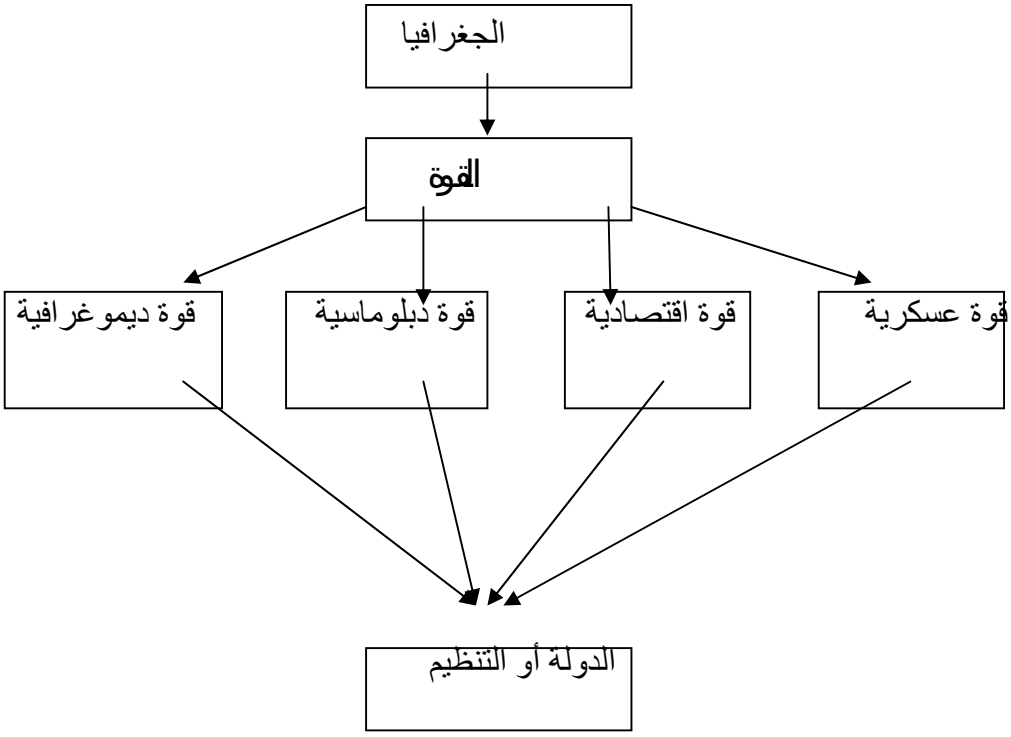

ونلاحظ من الشكل السابق أن الجغرافيا هي أحدى عوامل القوة في العلاقات الدولية فمثلاً من ناحية القوة العسكرية يمكن الإستفادة من طبوغرافية الأرض الجبلية أو الوعرة في بعض المناطق من أجل إقامة وتقوية التحصينات الدفاعية التي يصعب إختراقها من قبل القوة المهاجمة، كما أن الواقع الجغرافي ينعكس دبلوماسياً على نوعية علاقات الدول مع الدول الأخرى، فالدول المتجاورة أو المشتركة في نفس الأقليم غالباً ما تكون علاقاتها أمتنوأنجح من الدول غير المتجاورة أو البعيدة، ولهذا فهي أقدر على التعاون والتضافر والتحالف الدبلوماسي فيما بينها بصورة أفضل وأكبر من الدول المتباعدة،ناهيك على أن الدول المتجاورة بإمكانها حشد طاقاتها واستغلال مواردها المشتركة وحل مشكلاتها الإقليمية بشكل يفوق الدول غير المتجاورة، فمثلاً الدول الأفريقية والدول العربية أقدر على فهم المشكلات الإقليمية المشتركة ومعالجتها فيما بينهم[18]، ومثال ذلك الدول الأوروبية والأمريكية والأسيوية، ويتطلب الجوار الجغرافي من دول مختلفة المصالح كفاءة دبلوماسية من أجل بناء العلاقات وتوطيدها على أساس المصالح المشتركة بين هذه الدول، وفي ذلك يقول نيقولا سبيكمانN.Spykman (تقام التكتلات والتحالفات ليس بفضل الشعور والأحاسيس بل نتيجة عمل الأسباب الجغرافية وتوازن القوى وفي حال ظهور الأحاسيس في تلك الأثناء فهي نتيجة وليس سبباً للتعاون الدولي)[19]، ونظراً لطبيعة التداخل وعلاقات الإعتماد المتبادل وظهور المشكلات العابرة للحدود وبروز القوى الكبرى المهيمنة على العالم، أصبحت معظم الدول بما فيها الدول الكبرى تفضل العمل الجماعي المشترك عن طريق الدخول في تكتلات وتحالفات وتجمعات إقليمية؛ لحماية دولها ولتغليب مصلحة إقليمها الجغرافي، لذلك لاتستطيع إي دولة مهما كانت قدراتها أن تعيش بمعزل عن الدول الأخرى أو أن تتحمل تكاليف عزلتها عن العالم الخارجي، ولخطورة الحرب الحديثة المتسمة بالدمار الشامل فإن

أطراف النظام الإقليمي والدولي المعاصر طوروا أساليب حديثة تقلل من حدة وتكلفة الصراع العسكري والتنافس وتناقض المصالح القومية للدول، وأهم هذه الأساليب تدعيم دور الدبلوماسية والقانون الدولي، وفض المنازعات بالطرق السلمية، وزيادة التعويل على دور المنظمات الإقليمية والدولية في العلاقات الدولية بإعتبارها المكان الحقيقي الذي تمارس فيه الدبلوماسية.[20]

تهدف الدراسة الجيوسياسية للدولة في أطار علاقاتها الخارجية إلى تحليل قوة هذه العلاقة وتوضيح أسسها الجغرافية،والوقوف على نتائجها ودورها في دعم النفوذ السياسي الأقليمي والعالمي وحماية المصالح العليا للدولة، ولذلك ليس من قبيل الصدفة وصف الباحث الجغرافي كوهين.Cohen S للجغرافيا السياسية بأنها الأسلوب الخاص بدراسة العلاقات الدولية، فهي تدرس التفاعل السياسي والإقتصادي بين الدول والمجموعات المرتبطة بعلاقات تعاون مشترك خصوصاً في المنظمات الإقليمية والدولية مثل منظمة الإتحاد الإفريقي(AU) ومنظمة الإتحاد الأوروبي(EU) ومنظمة حلف شمال الأطلسي(NATO) ومنظمة جنوب شرق أسيا(ASEAN)،حيث يتم دراسة الأسس الجغرافية لذلك التعاون ونتائجه وآثاره.[21]

إن تحالف وتكتل عدد كبير من الدول العربية والإفريقية في منظمتي الجامعة العربية والإتحاد الإفريقي وإتجاههم إلى بناء مجموعات وكتل تصويتية متقاربة داخل المنظمات الدولية لاسيما في الأمم المتحدة لم يات من فراغ، وإنما تضافرت العديد من العوامل الجغرافية والتاريخية التي عملت على تعزيز روح التلاحم والترابط بين العرب والأفارقة ولعل أهم هذه العوامل هي وحدة الأرض وإتصالها المكاني تقريباً، وعدم وجود حواجز كبيرة جغرافية وثقافية تفصل بينهم، والتواصل الحضاري والثقافي العربي الافريقي الذي إمتد الآف السنين إلى جانب المعاناة التاريخية المشتركة للدول والشعوب الأفريقية والعربية من الإستعمار والتهجير والعنصرية، وشجعت هذه العوامل على بناء أرضية مشتركة للتعاون والتعاضد والوقوف صفاً واحداً في مواجهة التحديات التي تواجه دولهم على الساحة الدولية.

المبحث الثالث : منظمة الأمم المتحدة وواقعها الدبلوماسي

تعد منظمة الأمم المتحدة أهم وأكبر منظمة دبلوماسية في العالم وهي منظمة حكومية تاسست عام 1945م ومقرها في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية والهدف الرئيس من إنشائها هو حفظ الأمن والسلم الدوليين وتنسيق التعاون والتفاهم بين الأمم والدول في المجالات السياسية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وتضم الأمم المتحدة في عضويتها حتى نهاية عام 2015م نحو 193 دولة موزعين جغرافياً على كامل قارات العالم بالأضافة إلى دولتين غير عضوتين بصفة مراقب وهما دولتا الفاتيكان وفلسطين ، ويحكم الأمم المتحدة ميثاق يقع في 11 مادة موزعة على 19 فصلاً ويعد ميثاق الأمم المتحدة دستور العلاقات الدولية وهو يعلو على أي معاهدة جماعية أو ثنائية بغض النظر عن تاريخها، لذا تعد الأمم المتحدة بمثابة حكومة عالمية لها من القوة المعنوية والمادية ما يجعل الدول تتردد كثيراً قبل أن تخالف قراراتها الدولية،[22] ويحدد الفصل الأول من ميثاق الأمم المتحدة أهداف المنظمة في حفظ السلم والأمن الدوليين وإنماء العلاقات بين الدول على أساس المساواة في الحقوق بين الدول والشعوب وتحقيق التعاون في المجالات كافةً، أما مبادئ الأمم المتحدة فهي المساواة بين الدول والحفاظ على سيادتها وحق تقرير المصير وفض المنازاعات بالطرق السلمية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ذات السيادة وحسن النية في التعامل وعدم التهديد بإستخدام القوة العسكرية، وتتكون منظمة الأمم المتحدة من العديد من الأجهزة والوكالات المتخصصة وغير المتخصصة والتي يوكل إليها تنفيذ وإقرار أهداف ومبادئ المنظمة الدولية[23]وسيقتصر هذاالبحث على دراسة جهازين أمميين مهمين من الناحيتين السياسية والدبلوماسية وهما :

1- مجلس الأمن الدولي

يتألف من 15 دولة من ضمن أعضاء الأمم المتحدة وتتمتع الدول الخمس الكبرى وهي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن، أما بقية الدول الأعضاء وعددها 9 دول فيتم إنتخابهم لعضوية مجلس الأمن عن طريق الجمعية العامة للأمم المتحدة على أساس مبدأ التوزيع الجغرافي لقارات العالم، وبحيث لا تتجاوز فترة عضويتهم بمجلس الأمن مدة سنتين،ومهمة مجلس الأمن هي حفظ الأمن والسلم الدوليين والإسهام في فض النزاعات بالطرق السلمية.[24]

من الناحية الدبلوماسية لايقوم مجلس الأمن على مبدأ المساواة في السيادة بين الدول فأعضاء مجلس الأمن غير متساويين من ناحية إتخاذ القرارات والتصويت عليها حيث إن أي قرار مهم يحتاج إلى موافقة 9 دول من أعضائه من ضمنها موافقة الدول الخمس الكبرى والتي تملك حق إعتراض إي قرار لاتوافق عليه حيث يمكنها إستخدام حق النقض Veto Power ويعني ذلك عدم تساوي أعضاء مجلس الأمن من الناحية التصويتية، حيث يعترف هذا الجهاز بأن هناك دول كبرى وأخرى صغرى، لذلك يعد مجلس الأمن من الناحية الدبلوماسية حكراً على بعض الدول التي تستخدمه لحماية مصالحها وإصدار القرارات التي لا تتعارض مع سياساتها ومصالحها العليا، وهنا لا مكان للمناورة الدبلوماسية التي تقوم بها الدول الصغرى والدول النامية عموماً إعتماداً على ثقلها العددي التصويتي، لذا لجأت هذه الدول إلى الجمعية العامة للامم المتحدة وهي جهاز أممي تنظر اليه هذه الدول على إنه الأكثر عدلاً وإنصافاً والأقدر على حل مشكلات هذه الدول، وحماية حقوقها الدولية التي تتربص بها الدول الكبرى، وعموماً فإن الدول العربية والدول الافريقية ومعظم الدول النامية أعلنت دائماً وبشكل علني عن عدم رضاها على عمل مجلس الأمن، كونه نتاج لمرحلة تاريخية أفرزتها الحرب العالمية الثانية[25]،لذا يجب أصلاحه بإلغاء حق النقض و زيادة عدد أعضائه ليضم مبدئياً الدول الصاعدة من كل قارات العالم ومنحهم حقوق متساوية في التصويت.

2- الجمعية العامة للأمم المتحدة

وتتألف من جميع الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة لذلك تعد أكبر الأجهزة التابعة للمنظمة الدولية، حيث يبلغ عدد أعضائها نحو 193 دولة ومهمة الجمعية العامة للأمم المتحدة دعم ومناقشة مسائل الأمن والسلم الدوليين وترسيخ التعاون الدولي في المجالات السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية، وتصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الدول الأعضاء المشاركين في عملية التصويت، وتتم عملية التصويت في أثناء إنعقاد الجمعية العامة لاجتماعها العادي السنوي أو خلال الجلسات الأضطرارية الخاصة التي يدعو إليها الأمين العام أو بموافقة غالبية الدول الأعضاء .

من الناحية الدبلوماسية تتمتع الدول النامية والتي منها دول المجموعتين العربية والأفريقية في الجمعية العامة للأمم المتحدة نظراً لثقلها العددي بغالبية الاصوات حيث بإمكان هذه الدول ممارسة الضغوط الدبلوماسية، والتفاوض من منطق القوة العددية، وبالرغم من أن ميثاق الأمم المتحدة يخول مجلس الأمن مهمة حفظ الأمن والسلم الدوليين بقرارات ملزمة، في حين أن الجمعية العامة قرارتها إستشارية وغير ملزمة، إلا أن محور الإهتمام الدولي تحول إلى الجمعية العامة نظراً لعجز مجلس الأمن عن القيام بمهامه؛ وذلك لإسراف القوى الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن في إستخدام حق النقض، وإعتراض القرارات التي لاتتوافق مع مصالح هذه

الدول[26]، ونظراً لتمثيل الجمعية العامة لكل دول العالم تقريباً، حيث تتمتع هذه الدول بحقوق تصويتية متساوية؛ فإن لقراراتها أهمية وقوة دبلوماسية ومعنوية كبيرة جداً؛ وذلك لتمثيلها العادل والمنصف لكل دول العالم، وبالتالي كثر لجوء دول العالم إليها لحل مشكلاته عكس الحال مع مجلس الأمن، ومن هذا المنطلق فقد حرصت دول العالم وبالأخص الدول النامية ومنذ تاريخ إنعقاد أولى جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة على تكوين تحالفات تصويتية إقليمية متحدة المصالح داخل الجمعية العامة وهي ما أطلق عليها في فترات لاحقة أسم الجماعات التصويتية في الأمم المتحدة Voting Groups وهي تلك الدول التي تتخذ غالباً نفس الموقف التصويتي وتصوت بنفس الكيفية التي تصوت بها المجموعة الإقليمية التابعة لها على القضايا المشتركة المطروحة للتصويت في الجمعية العامة،[27] وتعقد جماعات التصويت إجتماعات منتظمة قبل أوفي أثناء إنعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة لتوحيد مواقفها والإتفاق على شكل التصويت تجاه القضايا المطروحة على التصويت في الجمعية العامة، وقد يتحدد الموقف التصويتي لهذه المجموعات مسبقاً في أثناء إنعقادالأجتماعات العادية أو الإستثنائية للمنظمات الإقليمية التي تنتمي إليها هذه المجموعات على غرار الإجتماعات التي يعقدها الإتحاد الأفريقي أو الجامعة العربية أو الإتحاد الأوروبي، ويمكن تقسيم أهم المجموعات الإقليمية التصويتية في الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى الأتي :

1- المجموعة الأوروبية
2- المجموعة الأفريقية
3- المجموعة العربية
4- المجموعةالأفرو- أسيوية
5- مجموعة امريكا اللاتينية
6- المجموعة الإسلامية
7- مجموعة أوروبا الشرقية سابقاً

المبحث الرابع : آليات وإستراتيجيات التعاون الدبلوماسي العربي الأفريقي المشترك

ظهرت محاولات عديدة من بعض الدول العربية والإفريقية لبناء سياسة تعاون دبلوماسية مشتركة تدفع لتعزيز وتطوير العلاقات بين الدول العربية والإفريقية وذلك منذ منتصف عقد الخمسينات من القرن الماضي وحتى الوقت الحاضر، وكان هدف هذه السياسة تعزيز وتنمية العلاقات العربية الأفريقية بصفة عامةفي مرحلة أولى، ثم الإستفادة من قوة هذه العلاقات لخدمة المصالح المشتركة على المستوى الدولي في مرحلة ثانية، ويعاب على هذه السياسات أنها كانت عشوائية وثنائية فى أغلب الأحيان، ولم تكن مبنية على أسس إستراتيجية علمية تأخذ في إعتبارها القواسم المشتركة والروابط الجغرافية والتاريخية المتينة بين العرب والأفارقة، مع الحاجة الماسة والحيوية للترابط والتعاون بينهم، وكان يمكن تلمس العذر للعرب والأفارقة لعدم وجود هذه الإستراتيجية في المراحل التاريخية الأولى من هذا التعاون نظراً لوجود العديد من المصاعب مثل وقوع العديد من الدول العربية والأفريقية تحت السيطرة الإستعمارية، واستقطاب بعض الدول العربية والأفريقية من قبل إحدى طرفي الحرب الباردة، ثم إستقاطبها مرة أخرى إقتصادياً تحت منظومتي الكمونولث والفرنكوفونية، بالإضافة إلى عدم أولوية الإتجاه الإفريقيأو العربي لدى السياسة الخارجية لبعض الدول العربية والإفريقية حديثة الإستقلال،[28] كان من المفترض أن تتشكل تلك الإستراتيجية وتظهر بقوة من جديد ولاسيما بعد أن شهدت القارة الأفريقية والوطن العربي تزايدً كبيراً في أعداد الدول المستقلة وعندما راى بعض للساسة العرب والافارقة من مثل جمال عبدالناصرفي مصر وكوامينكروما في غانا، أنه يمكن خلق جبهة دولية

قوية وغير منحازة للقوى الكبرى من خلال تعزيز التحالف العربي الإفريقي، وأخيراً وعوضاً عن تلك الإستراتيجية الشاملة أتفقت بعض الدول العربية والأفريقية على مجموعة من السياسات التي تهدف إلى تعزيز التعاون بينهم، لذلك أتفق العرب والأفارقة على عقد قمة دورية تعقد كل ثلاث سنوات وبإشراف الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية لدعم التعاون العربي الأفريقي، حيث إنعقدت القمة العربية الإفريقية الأولى في القاهرة عام 1977م، وبإنعقاد هذه القمة تبلور التعاون العربي الأفريقي من مجرد علاقات علاقات ثنائية عادية إلى تعاون مبرمج يستند إلى بعض المؤسسات والهياكل القائمة، حيث أقر هذا المؤتمر العديد من الأسس والمبادئ التي من أهمها العمل على مساندة القضايا العربية والإفريقية وتعزيز الإتصال بين المؤسسات الدبلوماسية القائمة لدى الجانبين وتحقيق المزيد من التقارب السياسي بينهما، والتاكيد على الحاجة لتعزيز جبهة الشعوب العربية والأفريقية في كفاحها للتحرر الوطني، وإدانة الإستعمار الجديد والصهيونية والفصل العنصري وكافة أشكال التمييز الديني والعرقي والثقافي، ولقد أقر مؤتمر القمة بعض آليات التعاون ومنها إنشاء مجموعة من الأجهزة التسييرية التي يناط بها تنفيذ ودعم هذا التعاون ولعل أهم هذه الأجهزة ماياتي :

1- موتمر القمة العربي الإفريقي
2- مجلس الوزراء العربي الإفريقي المشترك
3- اللجنة الدائمة
4- مجموعات العمل واللجان المتخصصة
5- لجنة التنسيق

وتعد اللجنة الدائمة ولجنة التنسيق من أهم أجهزة التعاون والتنسيق العربي الإفريقي، فقد أستطاعت هاتين اللجنتين المحافظة على استمرراية نشاطهما وعقد الإجتماعات الخاصة بهما في أوقات متقاربة نسبياً وتمكنتا من الخروج بقرارت مهمة،[29] ونظراً لان من مهام اللجنة الدائمة وضع الخطط العملية لتمكين الدول العربية والأفريقية من التنسيق السياسي في المنظمات الدولية والتكلم بصوت واحد،فقد جاء في قرارات اللجنة الدائمة في دورتيها السادسة والسابعة التي انعقدت على التوالي في تونس وطرابلس عامي(1983- 1984م) على تشجيع وتوجيه ممثلي المجموعتين العربية والافريقية في المنظمات الإقليمية والدولية لإرساء قواعد فعالة لتبادل وجهات النظر، والتباحث حول مختلف القضايا ودراستها وتحديد الموقف الموحد بشانها، وإبرازه داخل هذه الإجتماعات.

ورغم توقف عقد القمم العربية الإفريقية منذ القمة الأولى عام 1977م لفترة طويلة من الزمن، وتعثر وعدم إنتظام إنعقاد بعض الأجهزة التسييرية الخاصة بالتعاون العربي الأفريقي للعديد من الأسباب التي ذكرت أنفاً إلا أن هذه الأجسام الأفروعربية كانت بمثابة الأرضية الجيدة والنواة التي يمكن البناء عليها في إي إستراتيجية مستقبلية مشتركة.[30]

ومنذ تحول منظمة الوحدة الإفريقية إلى الإتحاد الإفريقي في مارس عام 2002م وبإسهام كبير من الدولة العضو في الجامعة العربية ليبيا عاد الإهتمام العربي بأفريقيا من جديد، حيث سعت بعض الدول العربية إلى إعادة أحياء التعاون والتحالف العربي الأفريقي مجدداً وذلك بالحرص على ضرورة عودة وإنتظام عقد القمم السياسية العربية الأفريقية وتوفير كافة أشكال الدعم السياسي والمادي لأجهزة ومؤسسات التعاون المشتركة العربية الأفريقية، ولهذا أنعقدت القمة العربية الأفريقية الثانية في مدينة سرت الليبية في يوم 10- 10- 2010م ويمكن القول إن هذه القمة خرجت بإعتماد أول إستراتيجية مخططة ومنظمة للتعاون العربي الإفريقي ولقد سميت إستراتيجية الشراكة العربية الأفريقية في الإطار الزمني (2011- 2016م)، وهدفت هذه الإستراتيجية كونها الوسيلة المثلى لتأسيس وتأطير التعاون العربي الأفريقي في خضم التحديات

الإقليمية والدولية الراهنة إلي تعميق التعاون السياسي والأمني والأقتصادي والثقافي وتحقيق الشراكة التامة بالإعتماد على الروابط الجغرافية والتاريخية بين العرب والأفارقة، ففي المجال السياسي أقرت الإستراتيجية تحديث الحوار السياسي العربي الأفريقي على جميع المستويات، لتعزيز شراكة قوية ومستدامة بين المنطقتين مع توفر الدعم المؤسساتي الأساسي من الإتحاد الافريقي والجامعة العربية، وضرورة الإلتزام بتفعيل آليات المتابعة والتنفيذ والعمل على تذليل الصعوبات التي تعترضها وتأسيس المشاورات والتنسيق الدوري بين المجموعتين العربية والأفريقية لضمأن موائمة السياسات والمواقف على المستوى الدولي وخاصة في الأمم المتحدة والمحافل الدولية الأخري.[31]

ورغم كل تلك الجهود لازالت هناك بعض العوائق التي تعيق الإستفادة الكاملة من توظيف التعاون والتحالف العربي الأفريقي لمصلحة الدول العربية والإفريقية والتي يجب إيجاد حلول جذرية لها عند مراجعة ووضع إي إستراتجيات مستقبلية للتعاون العربي الأفريقي ومن أهم هذه العوائق :

1- المشكلات الداخلية الأمنية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تعاني منها بعض الدول العربية والأفريقية مثل الحروب الأهلية وتدني المستوى المعيشي وغياب التنمية والصراع العرقي والديني.
2- الصراع الجيوسياسي بين القوى الدولية الكبرى على الموقع الإستراتيجي والموارد الطبيعية الخام للوطن العربي وأفريقيا.
3- التفاوت الإقتصادي الشديد بين الدول العربية والدول الأفريقية.
4- عدم أدراك غالبية القادة السياسيين بأهمية وقيمة التحالف العربي الإفريقي.
5- التدخل الإسرائيلي في القارة الإفريقية لإعاقة التعاون العربي الإفريقي.

المبحث الخامس : إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في الأمم المتحدة ودورها في دعم القضايا المشتركة

يتطلب الخوض في إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في الأمم المتحدة أولاً معرفة التركيب الأقليمي للمنظمة الدولية وكيفية توزع القوة العددية التصويتية داخلها حسب الإقليم الجغرافي، ثم معرفة إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين على ضوء تتبع المواقف الدبلوماسية والتصويتية من القضايا الدولية المشتركة المطروحة للتصويت في الأمم المتحدة، لهذا راينا تقسيم هذا المبحث إلى جزئين رئيسين هما :

أولاً : التركيب الإقليمي للأمم المتحدة وإنعكاسه على الأوزان العددية التصويتية لمجموعاتها الأقليمية

تكونت الأمم المتحدة في بداية تأسيسها عام 1945م من 51 دولة ووصل عدد الدول الأعضاء في نهاية عام 2015م إلى نحو 193 دولة لها حق التصويت موزعين جغرافياً على كامل مناطق وقارات العالم كما يبين ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم (1) تطور التركيب الإقليمي العددي لهيئة للأمم المتحدة (1945-2015م)[32]

الأقاليم / السنة	أفريقيا والوطن العربي		أسيا بدون الوطن العربي		أمريكا اللاتينية		أمريكا الشمالية		أوروبا		الاوقيانوسية		المجموع
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
1945	8	15.6	4	7.8	20	39.2	2	3.9	15	29.4	2	3.9	51
1955	11	14.4	13	17.1	20	26.3	2	2.6	28	36.8	2	2.6	76
1965	44	36.6	20	16.6	22	18.3	2	1.6	30	25	2	1.6	120
1975	59	40.6	22	15.1	27	18.6	2	1.3	31	21.3	4	2.7	145
1985	64	39.7	24	14.9	33	20.4	2	1.2	31	19.2	7	4.3	161
1995	64	34.7	29	15.7	33	17.9	2	1	46	25	10	5.4	184
2005	64	33.5	30	15.7	33	17.2	2	1	48	25.1	14	7.3	191
2015	65	33.6	30	15.5	33	17	2	1	49	25.3	14	7.2	193

المصدر: تجميع الباحث بالإعتماد على:-

1- لوكسليادموندسن،"افريقيا والمناطق النامية " في كتاب تاريخ افريقيا العام،المجلد الثامن، تحرير عليمزروعي،اليونسكو، ط1993،1،ص901

2- www.wikipedia.org/wiki

ومن خلال تحليل بيانات الجدول والذي يبين التركيب الأقليمي لهيئة الأمم المتحدة في الفترة الممتدة مابين عامي (1945-2015م) نلاحظ ان الأقليم العربي الأفريقي الذي تمثله المجموعتين العربية والأفريقية تميزت دوله بأكبر حضور عددي في الأمم المتحدة حسب إحصاء عام 2015م مقارنة بنظرائها من الأقاليم الأخرى، لذا أحتل الترتيب الأول في عدد الأصوات بنسبة 34% من عدد الأصوات الكلي في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وجاء في الترتيب الثاني الأقليم الأوروبي حيث مثلت دوله ربع عدد الأصوات في الجمعية العامة، وهذا يعني تمتع المجموعتين العربية والأفريقية بإمكانية توفر كتلة عددية تصويتية جيدة نسبياً وبالإمكان استغلالها كعامل قوة لمصلحة الأقليم، ويمكن القول أن الإقليم العربي الافريقي حافظ على هذه المكانة طيلة الفترة الممتدة مابين أعوام1965م حتى عام 2015م،ونلاحظ من الجدول إرتفاع عدد أعضاء الأقليم العربي الأفريقي في الأمم المتحدة من 8 دول فقط يمثلون ما نسبته 16% تقريباً من المجموع الكلي لإعضاء هيئة الأمم المتحدة في بداية تأسيس المنظمة الأممية عام 1945م حيث كانت معظم دول الأقليم تحت السيطرة الأستعمارية إلى أن وصل عددهم إلى 59 دولة عام 1975م يمثلون ما نسبته 41% تقريباً من المجموع الكلي لإعضاء المنظمة الدولية، وواصل عدد أعضاء الأقليم في الإرتفاع ليصل إلى 64 دولة عام 1985م وبنسبة تمثل 40% تقريباً من المجموع الكلي لعدد الإصوات، ليصل في نهاية عام 2015م إلى 65 دولة وبنسبة تمثل 34% تقريباً من المجموع الكلي لعدد أعضاء الأمم المتحدة البالغ في نفس السنة 193 دولة.[33]

تعني هذه الأرقام والنسب أن أعضاء الأقليم العربي الأفريقي أستمروا في الإستحواذ على نسبة لاتقل تقريباً عن ثلث أعضاء هيئة الأمم المتحدة، وذلك منذ منتصف الستينات من القرن الماضي حتى الوقت الحاضر؛ وذلك نتيجة لإستقلال معظم دول الإقليم وتحررها السياسي من

الإستعمار وبالتالي ظهور دول جديدة مستقلة في الإقليم وإنضمامها إلي الأمم المتحدة، ولذلك أصبح الأقليم العربي الإفريقي يمتلك نظرياً أكبر كتلة عددية من حيث عدد الأصوات متفوقاً غلى بقية الأقاليم الأخرى، ورغم أن الدول العربية والإفريقية لم تستغل هذه الميزة الإستغلال الأمثل طيلة السنوات الماضية، بفعل الإفتقار إلى إستراتيجية دبلوماسية عربية أفريقية فاعلة ومحددة الأهداف، إلا أن الدول العربية والأفريقية متمثيلين في المجموعتين العربية والافريقية بوسعهم أن يتبنوا هذه الإستراتيجية إذا ما أرادوا وكانت لهم إرادة سياسية للتعاون والتحالف الدبلوماسي فيما بينهم، نظراً لإمتلاكهم أكبر كتلة تصويتية في الأمم المتحدة والتي يمكن استثمارها سياسياً لخدمة القضايا والمصالح العربية الأفريقية، وتحقيق مكاسب سياسية تخدم أهداف السياسة الخارجية للدول العربية والأفريقية، وذلك عن طريق تحسين موقفهم الدبلوماسي وتقوية شروطهم التفاوضية، وفق منطق دبلوماسية الثقل العددي ومن خلال ذلك يمكن إعادة الإعتبار للدول العربية والأفريقية، والرفع من مكانتها السياسية، وتغيير النظرة السلبية التي تنظر بها الدول الكبرى لهذه الدول بصفة خاصةوللدول النامية بصفة عامةً على أعتبار أنه دول ضعيفة وغير فاعلة دولياً، ولاتقوى على الوقوف في وجه الدول الكبرى، وإجبارها على ضرورة تغيير موقفها وإحترام مصالح هذه الدول وعدم التدخل في شؤونها.[34]

وإذا ما نظرنا للإقليم العربي الأفريقي بإعتبار دوله جزء من منظومة الدول النامية وهي دول متقاربة سياسياً وأقتصادياً، وتتواجد جغرافياً غالباً في قارات أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، فيمكن للمجموعتين العربية والإفريقية الإستفادة من هذه الكتلة والتحالف مع دولها ومجموعاتها التصويتية،نظراً لإمتلاكها كتلة عددية تصويتية كبيرة تشكل غالبية عدد الأصوات في الأمم المتحدة ولذلك إستحوذت هذه المنظومة على نصيب الأسد من الكتلة العددية للاصوات الممكنة في الأمم المتحدة، حيث إن هذه الكتلة لم يقل نصيبها عن 60% من عدد الأصوات في الجمعية العامة للامم المتحدة، وذلك منذ تاسيس المنظمة الأممية عام 1945م،حتى الوقت الحاضر، وقد سجلت أعلى نسبة لعدد أصوات هذه الكتلة إلى المجموع الكلي عام 1985م حيث سجلت مانسبته 75% من عدد الأصوات في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهذا يدل على القوة التصويتية الهائلة لمجموعات الدول النامية في الجمعية العامة للأمم المتحدة.[35]

ثانياً : بعض المواقف الدبلوماسية التي إتبعتها المجموعتين العربية والإفريقية لخدمة القضايا المشتركة المطروحة للتصويت في الأمم المتحدة

رغم القصور الكبير في التعاون العربي الافريقي الذي كان ينتظر من خلاله تحقيق العديد من الأهداف المرجوة، فإن المجموعتين العربية والإفريقية وبالتعاون مع مجموعات الدول النامية الحليفة والصديقة كمجموعة أمريكا اللاتينية ومجموعة 77[36] مثلا حققوا بعض النجاحات والإنجازات الدبلوماسية في القضايا المشتركة بصفة عامة، حيث دافعت المجموعتين العربية والإفريقية عن مصالح دولهما الأعضاء في الأمم المتحدة، وكانتا في أغلب الأحيان مفاوضاً جيداً وناداً قوياً في المنتديات والمحافل الدولية، ولقد وقفتا بكل ندية أمام القوى الكبرى والكتل الدولية المختلفة منطلقتين من تاكيد القمم العربية الأفريقية والآليات الناتجة عنها على مبدأ التحرك العربي الأفريقي الجماعي المشترك، والتكلم ككتلة تصويتية واحدة، حفاظاً على المصالح المشتركة ودفاعاً على وحدة وإستقلال الدول العربية والإفريقية، وتبين الوقائع والأحدات الدبلوماسية أن الدول الكبرى والمجموعات التصويتية التي تنتمي إليها حاولت في بعض الأحيان استرضاء المجموعتين العربية والأفريقية من أجل إستمالتهما وكسب تاييدهما في بعض القضايا، وذلك قبل إجراء عمليات التصويت وخصوصاً في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

سنحاول فيما يأتي وعلى سبيل المثال ذكر بعض الأمثلة والوقائع التي تبين أهم النجاحات الدبلوماسية للقوة الناعمة العربية الأفريقية والتي حققتها الوفود العربية والأفريقية الناتجة من تحالف المجموعتين في الأمم المتحدة على النحو الأتي :

1- موقف المجموعتين العربية والإفريقية من القضيتين الفلسطينية والجنوب أفريقية

إنحازت المجموعتين العربية والإفريقية في الأمم المتحدة إلى جانب القضية الفلسطينية، وتاريخياً طالبت الدول العربية والإفريقية من خلال القمم الأفريقية والعربية، وكذلك القمم المشتركة بينهما الأمم المتحدة والدول الكبرى بضرورة إنهاء الإحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية، وإرجاع حقوق الشعب الفلسطيني كاملة، وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس، حيث كانت القمم العربية والأفريقية تنتهي غالباً بإقرار قرارات وتوصيات تطالب المجموعتين العربية و الأفريقية في الأمم المتحدة بالوقوف خلف القضية الفلسطينية ومناصرتها والتصويت لصالحها، وقد قادت هذا التحرك الدبلوماسي العربي الأفريقي بعض الدول الأفروعربية مثل مصر والجزائر وليبيا ولقد برز الدور الإفريقي المؤيد للقضية الفلسطينية بشكل لافت في عقد السبعينات من القرن الماضي حتى وصل الأمر إلى أنه بحلول عام 1973م قطعت نحو 30 دولة أفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الإسرائيلي وذلك إحتجاجاً على الممارسة القمعية ضد الشعب الفلسطيني.[37]

أثمر تحالف المجموعتين العربية والافريقية وبالتعاون مع بعض المجموعات التصويتية للدول النامية على غرار مجموعة 77 على استصدار العديد من القرارات المهمة المؤيدة للقضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، وبفعل الثقل العددي النسبي للمجموعتين العربية والأفريقية، وعدم قدرة مجلس الأمن على إصدار القرارات الملزمة؛ بفعل الإفراط في إستخدام الفيتو من قبل القوى الكبرى، كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة أكثر الأجهزة الأممية تناولاً للقضية الفلسطينية، وأكثرها استصداراً للقرارات حولها، حيث صدرت العديد من القرارات التي تعد نصراً معنوياً ودبلوماسياً للقضية الفلسطينية، ولعل أشهر هذه القرارات القرار رقم 2535 الصادر خلال الدورة الرابعة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة عام 1969م والذي تم فيه الإعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف، وفي الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم لعام 1974م استطاعت الدبلوماسية العربية الافريقية من تحقيق إنجازين كبيرين ومهمين لصالح القضية الفلسطينية، وهما دعوة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية للحديث أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لأول مرة، كذلك تم منع وفد حكومة التمييز العنصري في جنوب افريقيا من حضور جلسات هذه الدورة، بالإضافة إلى إستصدار القرار رقم 3379لعام 1975م الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.[38]

ارتفعت نسبة التاييد الأفريقي للقضية الفلسطينية والتي طرحت للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة من 31% عام 1971م إلى أن وصلت إلى رقم قياسي بلغ نحو 94% عام 1977م، وعلى الرغم من تاييد الدول الأفريقية للقضية الفلسطينية بشكل عام إلا أنه في الحقيقة وجدت بعض العراقيل التي أعاقت الإستفادة القصوى من الثقل العددي الناتج من التضامن العربي الأفريقي في الأمم المتحدة خصوصاً من ناحية الدول الافريقية التي تعذرتحقيق إجماع كامل بينها فيما يخص تشعبات القضية الفلسطينية المطروحة للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ نظراً لتعرض بعض الدول الأفريقية التي عانت وتعاني من الفقر وضعف الإقتصاد وتراكم الديون لضغوط سياسية شديدة؛ نتج عنها مساومات وإبتزاز من قبل الكيان الإسرائيلي والدول الكبرى المساندة له، ما أدى إلى تغير مفاجئ للموقف التصويتي لهذه الدول في اللحظات الأخيرة أو في أثناء التصويت، وأدى هذا إلى رفض بعض الدول الأفريقية أو إمتناعها عن

التصويت على بعض القرارات المؤيدة للقضية الفلسطينية،[39] وبهذا خسرت القضية الفلسطينية بعض الأصوات الإفريقية التي هي في امس الحاجة إليها، ولقد احتجت الدول الافريقية على الدول العربية بتغيير وعدم ثبات موقفها العدائي من دولة الكيان الإسرائيلي الذي كانت تتبناه في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، فليس من المنطقي والحالة هذه أن يطالب العرب الدول الأفريقية بمعاداة هذه الدولة ومقاطعتها دبلوماسياً، في الوقت الذي تقيم فيه بعض الدول العربية علاقات جيدة مع هذا الكيان المحتل.

فيما يخص التعاون العربي الأفريقي في ملف دولة جنوب أفريقيا في الأمم المتحدة فقد وقفت الدول العربية موقفاً مناهضاً لنظام الفصل العنصري في جنوب القارة حيث بلغ متوسط نسبة تاييد المجموعة العربية لقضية جنوب أفريقيا المطروحة للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة في الفترة المحصورة بين عامي 1967-1976 م مانسبته 89% وهي نسبة عالية تدل على مدى قوة التاييد العربي لأهم القضايا الأفريقية.[40]

2- موقف المجموعتين العربية والإفريقية من ترشيحات ممثيلهم وممثيلي الدول النامية لتولي بعض المناصب القيادية في الأمم المتحدة

وقفت المجموعتين العربية والأفريقية موقفاً مسانداً لترشيحات دبلوماسيو الدول العربية والأفريقية بشكل خاص، ودبلوماسيو الدول النامية بشكل عام، لتولي المناصب القيادية في أجهزة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية، وكان لمنظمة الوحدة الأفريقية فضل السبق في سن هذه السنة،حيث دعت الأمانة العامة لمنظمة الوحدة الأفريقية سابقاً إلى تشكيل لجنة وزارية متخصصة ومعنية بالترشيحات الأفريقية لتولي هذه المناصب، ولقد تشكلت هذه اللجنة بالفعل وهي تجتمع حالياً بصفة دورية تزامناً مع إنعقاد القمم الأفريقية، حيث تبحث في ترشيحات الدول الأفريقية وتفاضل بينها، ثم تقوم برفع تقريرها إلى إجتماعات المجلس التنفيذي لإقرارها والموافقة عليها.[41]

لقد برز دور هذه اللجنة جلياً في دعم المرشحين الأفارقة عندما قررت في أثناء إنعقاد قمة الإتحاد الإفريقي في مدينة دربان بجنوب افريقيا عام 2002م الدفع بمرشح من ليبيا لتولي رئاسة لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، وقد رافق هذا الترشيح ضجة إعلامية كبيرة في ذلك الوقت، بفعل رفض القوى الغربية الكبرى وعلى راسهم الولايات المتحدة الأمريكية ذلك الترشيح، كون ليبيا غير مؤهلة لإسباب عديدة حسب وجه النظر الأمريكية لتقلد ذلك المنصب الحساس والمهم في الأمم المتحدة، ولقد شددت الولايات المتحدة الأمريكية في دفاعها عن موقفها أن رئاسة ليبيا لهذه اللجنة المكلفة بالسهر على حماية حقوق الإنسان سوف يطرح مصداقيتها على المحك،ولكن رغم الضغوط الشديدة التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية على هذه اللجنة وعلى أعضاءها وخصوصاً أعضاؤها الأفارقة لمنع تولي ليبيا هذا المنصب، إلا أن نتائج التصويت كانت حاسمة وبفعل الدعم العربي الإفريقي تحصلت ليبيا على 33 **صوت من أصل** 53 **صوت إي بنسبة** 62% من عدد الأصوات، حيث وافقت على هذا الترشيح 33 دولة من بينها 15 دولة أفريقية، وعارضته 3 دول من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، وأمتنع عن التصويت 17 دولة، وبذلك تولت ليبيا رئاسة لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة رغم المعارضة الشديدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، ويرجع ذلك إلى وقوف الدول الافريقية والعربية وبعض الدول النامية موقفاً جماعياً مسانداً للمرشح الليبي.[42]

ومن ناحية أخرى وقفت المجموعتين العربية والأفريقية موقفاً مسانداً لترشح العديد من الشخصيات العربية والأفريقية والأسيوية، لتقلد منصب الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة **في**

سنوات مختلفة، وذلك تنفيذاً لما ورد من إتفاقيات التنسيق المشترك بين المجموعات العربية والأفريقية والأسيوية، ولقد أدى ذلك التنسيق إلى نجاح إختيار العديد من الشخصيات العربية والأفريقية والأسيوية لهذا المنصب ونذكر على سبيل المثال نجاح ممثل مصر السيد بطرس بطرس غالي في تولي هذا المنصب عام 1991م وهي المرة الأولى التي يصل فيها شخص أفريقي لهذا المنصب، ونجاح كوفي عنان ممثل غانا عام 1996م، وبان كي مون ممثل كوريا عام 2006م[43]

1- موقف المجموعتين العربية والأفريقية من مباحثات إصلاح منظمة الأمم المتحدة

بدأت فكرة إصلاح الأمم المتحدة مع بداية التحضير لإنعقاد الدورة الستون للجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2005م وبعد جولة مفاوضات طويلة وشاقة بين أعضاء الأمم المتحدة تم التفاهم على خطة موسعة لإصلاح الأمم المتحدة وتنص الخطة على إجراء تغيرات غير مسبوقة على منظمة الأمم المتحدة في مجالات بناء الأمن والسلام، وحقوق الإنسان وحماية المدنيين، ومكافحة الأرهاب وإجراء إصلاحات شاملة على إدارة أمانة الأمم المتحدة وإصلاح مجلس الأمن الدولي، وتضم وثيقة التفاهم إتفاقيات مبدئية حول جميع الإصلاحات الرئيسة تقريباً، ويتوقف إقرارها نهائياً على قدرة المفاوضين على إنجاز الإتفاق النهائي المتعلق بتفاصيل الإصلاحات وهي تفاصيل مثيرة للجدل بين دول العالم.[44]

لقد أصرت المجموعة الأفريقية وبدعم قوي من المجموعة العربية ومجموعات الدول النامية التي تسيطر على غالبية مقاعد الأمم المتحدة، على معارضة ورفض سعي الولايات المتحدة الأمريكية وبدعم من بعض الدول الغربية لتوسيع سلطة الأمين العام للأمم المتحدة لتشمل التصرف في الميزانية وتنظيم الموارد البشرية، وذلك خوفاً من سحب البساط من مؤسسة الجمعية العامة للأمم المتحدة وإعطاء صلاحياتها إلى شخص الأمين العام للأمم المتحدة.

وبخصوص إصلاح مجلس الأمن فقد جرى تقديم ثلاثة مشاريع مقترحة بشان إصلاح وتوسيع المجلس إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة للتداول فيها وبحثها، ومن بين مشاريع القرارات الثلاثة مشروع قرار دعمته المجموعة الأفريقية بتوصية من الإتحاد الأفريقي، وبمساندة أربع دول وهي المانيا والبرازيل والهند واليابان، ويهدف هذا المشروع إلى زيادة عدد الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن إلى ست دول مع ضرورة إحتفاظ أفريقيا بمقعدين دائمين في مجلس الأمن.[45]

تمسكت المجموعة الأفريقية ومن خلفها الإتحاد الإفريقي منذ عام 2005م وحتى كتابة هذه السطور بهذا المشروع بقوة وبمساندة من بعض الدول العربية والاسيوية، ورات المجموعة الأفريقية أنه من المنطقي إصلاح المنظمة الدولية للأمم المتحدة إصلاحاً شاملاً وجذرياً، وذلك تجنباً للإصلاحات الشكلية والسطحية التي تبتعد عن التجسيد الحقيقي للمبادئ والأهداف التي أنشئت من أجلها المنظمة الدولية، والتي يفترض أن تكون عضويتها وتمثيلها عادلاً لمختلف أمم وشعوب العالم، مع الحرص على وحدة وإستقلال وسيادة كافة الدول الأعضاء، ونظراً لتمسك الأفارقة بهذا الموقف والخلافات الشديدة بين دول العالم حول عملية الإصلاح في الأمم المتحدة وخصوصاً إصلاح مجلس الأمن، فقد صعب في الحقيقة إيجاد وسيلة توفيقية شاملة بحيث ترضي جميع الأطراف.

الخاتمة :

تناولت هذه الدراسة إمكانيات القوة الدبلوماسية للمجموعتين العربية والأفريقية في ظل ثقلهما العددي في هيئة الأمم المتحدة، وبينت الدراسة أنه يمكن الإستفادة من الثقل العددي لهاتين المجموعتين لتحقيق مكاسب سياسية مهمة، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أخرى وأهمها :

1- أهمية العامل الجغرافي في ترسيخ وتقوية التعاون الدبلوماسي العربي الأفريقي من خلال إسهامه في تقريب وجهات النظر حول المسائل المشتركة، وتعزيز الروابط السياسية من أجل فهم أفضل للمشكلات الإقليمية والدولية التي يتم تداولها في أكبر وأهم منظمة دولية.
2- تعد الدبلوماسية أداة من أهم أدوات السياسة الخارجية للقوة الناعمة للدول والمنظمات السياسية والإقتصادية الدولية، ويمكن ملاحظة الإعتماد المتزايد عليها من قبل الدول والكيانات السياسية لانها أسهل الطرق وأقصرها وأقلها تكلفة للوصول إلى أهداف السياسة الخارجية.
3- حقق التعاون الدبلوماسي العربي الأفريقي المشترك في الأمم المتحدة من خلال المجموعتين العربية والأفريقية بعض النجاحات والإنجازات المهمة على الصعيد الدولي وبهذه الأنجازات تم إعادة الإعتبار لهذا التكتل التصويتي ولدوله النامية الصغرى، ومن خلاله أيضاً تم إعادة الثقة للقرارات الدولية الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.
4- ضعف وقصور الآليات المشتركة المهتمة خصوصاً بتنسيق التعاون الدبلوماسي العربي الإفريقي في الأمم المتحدة،ويعاب على آليات التنسيق الحالية عدم إعتمادها على إستراتيجية شاملة محددة الأهداف وطويلة المدى تاخذ في إعتبارها المرتكزات الجغرافية والتاريخية ونقاط الإلتقاء التي تدعم التعاون العربي الأفريقي المشترك.

المراجع والهوامش :

1- جمال حمدان،الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، مكتبة مدبولي للنشر،بدون طبعة،القاهرة،1996،ص12
2- مصطفى عبدالله خشيم، موسوعة العلاقات الدولية، الدار الجماهيرية للنشر ط1،د.ت،ص127
3- علي محمد شمبش،العلومالسياسية،المنشاة العامة للنشر والتوزيع،ط2طرابلس،1982،ص344
4- القوة الناعمة مفهوم صاغه الباحث الأمريكي" جوزف ناي" لوصف القدرة على الجذب والإقناع والتاثير على الأخرين"الدول والمنظمات" دون إستخدام القوة العسكرية الصلبة من خلال المنظمات السياسية وغير السياسية. وللمزيد ينظر إياد خلف عمر الكعود،إستراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الامريكية في المنطقة العربية،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الشرق الاوسط،عمان،2016،ص8
5- ابراهيم احمد سعيد،افريقيا جنوب الصحراء،منشورات جامعة الزاوية،ط1،الزاوية،1993،ص5
6- محمد المبروك يونس،تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية(1952-1977)،الشركة العامة للورق،الزاوية،1993،ص5
7- الفاتح عبد الله عبد السلام"التعاون العربي الإفريقي التجربة والأفاق المستقبلية"،مجلة دراسات أفريقية،العدد الرابع،الخرطوم،1989
8- سالم حسين عمر البرناوي،استراتيجية التعاون العربي الإفريقي،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضرط1،بنغازي 2005
9- الأمم المتحدة،صندوق الأمم المتحدة للسكان،توقعات سكان العالم،نيويورك،2015.
10-الأطلس الوطني،مصلحة المساحةط1طرابلس،1978،ص3-4

11- www.wikipedia.org/wiki

12- عبد الوهاب الكيالي،موسوعةالدبلوماسية،الجزءالثاني،الموسسة العربية للدراسات والنشر،1990،ص658

13- علي محمدشمبش، مرجعسابق،ص347

14- يوسف العزوزي،"سؤال الأداء الدبلوماسي المغربي تجاه قضية سبتة ومليلية"،المجلة العربية للعلوم السياسية،العدد29،بيروت،2011،ص143

15- تشارلز كوبشان،" كيف يصبح الأعداء أصدقاء؟ جذور سلام مستقر"،ترجمة محمود عبده علي،مجلة السياسة الدولية،العدد85،القاهرة،2011،ص173

16- علي محمدشمبش،مرجعسابق،ص300-347

17- محمد عبد الغني سعودي،الجغرافيا والمشكلات الدولية،دار النهضة،بيروت،دط،1968،ص20

18- البشير علي المبروك الحميدي،الإتحاد الأفريقي دراسة في الجغرافيا السياسية،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الزاوية،2004،ص36

19- عدنان صافي،الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر،مركز الكتاب الأكاديمي،عمان،1999،ص137

20- مصطفى عبدالله خشيم،مرجع سابق،ص148

21- علي احمد هارون،أسس الجغرافيا السياسية،دار الفكر العربي،القاهرة،1998،ص29

22- سالم حسين البرناوي،العلاقات العربية الأفريقية،منشورات أكاديمية الدراسات العليا،ط1،2005،ص26

23- مصطفى عبدالله خشيم،مرجع سابق،ص284

24- المرجع السابق،ص323

25- أشرف سويلم،"منيديرهذا العالم؟ الحاجة إلى قواعد دبلوماسية جديدة" مجلة السياسة الدولية،العدد185،2011،ص39-40

26- مصطفى عبدالله خشيم،مرجع سابق،ص309-310

27- المرجع السابق،ص303

28- الفاتح عبد الله عبدالسلام،مرجع السابق،ص38-39

29- سالم حسين البرناوي،إستراتيجية التعاون العربي الأفريقي،مرجع سابق،221

30- المصدر السابق،ص270-271

31- www.moqtal.com/openshare/bohoth

32- هوامش الجدول(1) أمريكا اللاتينية تشمل دول قارة امريكا الجنوبية والوسطى بالإضافة إلى دول البحر الكاريبي.

وزعت دول الإتحاد السوفييتي السابق على قارتين أوروبا وتشمل دول روسيا واوكرانيا- مالدوفا- روسيا البيضاء- أرمينيا- اذربيجان- جورجيا- استونيا- لاتفيا- لتوانيا. وأسيا وتشمل كازخستان- قرغيزستان-طاجاكستان- تركمانستان- اوزبكستان.

الأوقيانوسية تشمل أستراليا- نيوزيلندا- جزر المحيط الهادي.

حسبت تركيا وقبرص منذ عام 1995م وما بعده ضمن خانة الدول الاوروبية.

33- بيانات الجدول (1)

34- لوكسليادموندسن، افريقيا والمناطق النامية،مرجع سابق،ص901

35- بيانات الجدول (1)

36- مجموعة السبع والسبعون 77 هو تحالف من الدول النامية أقيم لغرض اقتصادي سياسي وذلك لخلق قدرة تفاوضية ضمن نطاق منظمة الأمم المتحدة وكان هذا التحالف يتكون في الأصل من 77 دولة ليزداد عدد الدول المنظمة لهذا التحالف حتى وصل ألى134دولة ولقد تاسس هذا التحالف في عام 1964م بمبادرة من77 دولة نامية وهو أكبر تحالف للدول النامية في الأمم المتحدة وللمزيد ينظر

www.albayan.ae/across

37- سالم حسين البرناوي،إستراتيجية التعاون العربي الأفريقي،مرجع سابق،ص118

38- المرجع السابق،ص121

39- الفاتح عبد الله عبدالسلام،مرجع سابق،ص34-35

40- سالم حسين البرناوي،إستراتيجية التعاون العربي الافريقي،مرجع سابق،ص80

41- أمانة اللجنة الشعبية العامة للأتصال الخارجي والتعاون الدولي،وثائق منظمة الوحدة الافريقية،طرابس،1990.

42- أحمد الرخامي"الجماهيرية أمام مهمة مقدسة" مجلة أفريكانا،العدد الرابع،2003م،ص49.

43- لوكسليادموندسن،مرجع سابق،ص964

44- www.un.org/arabic/doc/reform.html

45- www.news.un.org/arabic/2017

الدافع العلمي للاستشراق
في دراسته لتراث الإسلامي
من وجهة نظر محمد البهي ومحمد[1] ياسين عريبي[2]
دراسة تحليلية مقارنة

د يوسف موسى على عبدالله ابوعليقة [3]

رئيس قسم الفلسفة
جامعة الجبل الغربي كلية الاداب والعلوم/ الشقيقة

ملخص البحث :

تعددت أهداف و وسائل الاستشراق لتدمير العالم الإسلامي و لفرض ثقافته على أبناء المجتمع العربي الإسلامي ، سواء عن طريق التعليم المباشر، أو غير المباشر ،أو من خلال النخبة الوطنية التي تعلمت في الغرب واستلهمت نموذجه، وعادت حاملة الولاء له؛ تحارب الإسلام وتطعن في أصالة فكره. بناء عليه فأن **مشكلة البحث تكمن** في التنبيه إلى أن أهداف الاستشراق من دراسة العالم الإسلامي لم تكن من اجل التعرف على ثقافة الشعوب والأمم السابقة والتعلم منها ؛بل من اجل تعديل سياسي يضع خططه ملائمة لاحتلاله قطراً بعد قطر، وغزوه ثقافياً وعسكرياً حتى يسهل عليهم امتلاك خيراته وثرواته. حيث تأتي **أهمية البحث**، كتجديد وتأصيل لكثير من الموضوعات التي تنمي المعرفة بالاستشراق و خطورته على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي. **أما الهدف** فيكمن في إجادة جيلاً من الباحثين يبين أهداف المستشرقين ووسائلهم في دراسة الفكر الإسلامي والطعن فيه، من خلال إتباعهم مناهج تسئ للفكر الإسلامي ولا يمكن تطبيقها علي مبادئ الإسلام الصحيح . وللوصول لهذا الهدف **أستخدم المنهج** الوصفي التاريخي والمنهج التحليلي والمقارن. فكانت أهم نتائج البحث :**أن** الغرب يستعمل كل أسلحته لهدم الإسلام من خلال تشويه وإفساد أسسه ومبادئه و مفاهيمه الإسلامية ، وليثبتوا للعالم تقدم المسيحية وتأخر الإسلام.

---

[1] الدكتور محمد البهي:هو وزير الأوقاف المصري الأسبق أحد مفكري الإسلام في العصر الحديث وتحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هامبورج بألمانيا. ولد محمد البهي بقرية 'أسمانية' **التابعة لمركز** شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر يوم 2 **من جمادى الآخرة** 1323هـ/3 **من أغسطس** 1905م وافته المنية في 10 **من سبتمبر** 1982م عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاماً (al-Bahi 1983) .

[2] الدكتور محمد ياسين عُريبـــي:مفكر وفيلسوف ليبي ولد في سنة 15\11\1939م في مدينة غريان بالجبل **الغربي جنوب طرابلس**/ليبيا، وهو أحد مفكري الإسلام في العصر الحديث. تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة من جامعة فريدريخ فلهم بمدين بون الألمانية. توفي رحمه الله في 3\11\1998م بضاحية من ضواحي مدينة فرانك فورت بألمانيا (al-Herramah 1998). **ذلك أثناء حضوره للمؤتمر العلمي الذي** تقيمه جمعية كانط Kent كل سنة، ثم ووري جثمانه في مسقط رأسه بليبيا.

[3] د يوسف موسى على عبدالله ابوعليقة، رئيس قسم الفلسفة، بجامعة الجبل الغربي كلية الاداب والعلوم:
EMIL: YMA2018@YAHOO.COM

مقـــدمـــة :

الاستشراق حركة ذات تاريخ طويل قامت من أجل أهداف كثيرة متعددة ، اختلفت وتباينت حسب المراحل التاريخية، وربما يغلب عامل أو أكثر في مرحلة معينة على غيره من العوامل ؛ولكن الأمر الذي يجتمع عليه جمهور الباحثين في موضوع الاستشراق؛ ومنهم المفكريَّن محمد البهي ومحمد ياسين عريبي، أن الاستشراق قام لتحقيق هدف معين ،سواءً أن كان دينياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو علمياً. ورغم اختلاف هذه الأهداف ؛ألا إنها تسعى إلى الإفادة من بعضها في تحقيق غاياتها ، فالهدف الديني ، يتداخل مع الأهداف الأخرى كالهدف السياسي أو الهدف العلمي ؛وبالتالي تلتقي كل الأهداف في بوتقة واحدة هي خدمة الاستعمار والصهيونية. وهو ما نوه إلية المفكريَّن في جل مؤلفاتهم وأبحاثهم مؤكدان على أن الهدف الأساسي والمباشر للاستشراق هو هدفاً ديني في أساسه،استعمارياً في مضمونه ،علمياً في ظاهره؛وكلها جاءت من اجل خدمة النصرانية في البلاد الإسلامية.

فقد بينوا من خلال دراساتهما على أن الغرب عمل على تعلم اللغات الشرقية من **أجل التعرف** على مصادر النصرانية من اللغة العبرية ، وقد ساقتهم دراسة اللغة العبرية إلى تعلم اللغة العربية ، وتعلم اللغة العربية قادهم إلى الاستشراق، فاللغة العربية هي لغة دين وثقافة وفكر جاء ليحل محل الدين النصراني والثقافة والفكر المنبثقين عن الدين النصراني ، فأوجد هذا نزعة التعصب التي قادت إلى استخدام اللغة العربية والعبرية معاً. وفي هذا يقول الطهطاوي:" **وقد** قيل : إنك لا تكاد تجد مستشرقا إلا أجـاد اللـغة العبرية والعربية معا " [1] .

ذلك لان اللغة العربية ظلت لفترة طويلة ولازالت لغة علم وثقافة وفلسفة ،والسبيل الوحيد لنهوض وازدهار الحضارات، وبدأت أقوم طريق لفهم الكتب السماوية وفلسفتها فتسابق أصحاب الديانات الأخرى إلى تعلمها وتعليمها لمواطنيهم وذويهم من مبشرين وغيرهم ،وهو ما يؤكده محمد ياسين عريبي قوله: " لما أشاد بأهمية اللغة العربية من حيث أنها لغة **العلم في ذلك الوقت** كما هو الحال للغة الانجليزية في عصرنا هذا"[2]

نستنتج من هذا أن العامل الديني كان عاملاً أساسيا لتعلم اللغة العربية وبالتالي كان دافعاً قوياً وراء انتشار الاستشراق في العالم الإسلامي، إذ أنشئت في الغرب المعاهد والمدارس لتعلم **لغات الشرق** وأديانه ، "ليرجع فضل دراسة اللغات الشرق في الحقيقة إلى المرسلين المبشرين الموفدين إلى البلاد الشرقية من لدن الباباوات، فهؤلاء هم الذين حملوا معهم عند رجوعهم إلى بلادهم تلك اللغات، وقد كانت المجادلة في العلوم والآداب ضمن اختصاص دائرة الاكليروس المسيحي أي الرهبان ، وهم الذين قبضوا على ناصيتها واختصوا بها ومنعوا الجمهور من تداولها"[3] .

وخير دليل على أن دراسة القرآن الكريم واللغة العربية هي بداية انطلاق وانفتاح الغرب على العالم الإسلامي ما ذكره محمد ياسين عريبي قائلاً : يؤكد يوحنا فيكJohan Fuck **على أن** دراسة القرآن واللغة العربية قد جاءت كمنطلق للاستشراق بسبب فكرة التبشير حيث أن انتصار الصليبيين بقوة السلاح لا يؤدي إلى تنصر المسلمين بل اعتقدت الكنيسة في أن قوة الكلمة هي الأساس لتحقيق التبشير في ضوء العقل ومن هنا جاءت فكرة السيطرة على نبع العقيدة الإسلامية ألا وهو القرآن[4].

---

[1]- الطهطاوي .محمد عزت إسماعيل ،1991م ، التبشير و الاستشراق ، **أحقاد على النبي - وبلاد الإسلام** ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ص 45 .

[2] عريبي ،محمد ياسين،1991م .الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. **الربط :المجلس القومي للثقافة** العربية..ص196.

[3]سما يلوفيتش .**أحمد** 1998م. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. القاهرة: **منشورات دار الفكر العربي** .، ص48-49.

[4] عريبي .محمد ياسين 1991م،،الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص14

فقد كشف هذا الاهتمام باللغة العربية من قبل المستشرقين عن أهداف دينية أولاً ، ثم استخدم لخدمة الحركة الاستعمارية العالمية ،وفي مرحلته الثالثة تحول إلى أهداف علمية ؛ فلقد أصبحت لغة العلم والفلسفة ولابد للرهبان من معرفتاها للدفاع عن العقيدة ومنع انتشار الإسلام الذي أصبح يزحف على المعاقل المسيحية ويطرق أبوابها؛ من هنا فكرت البابوية في روما في مواجهة هذا الزحف بالتبشير المضاد بالمسيحية في البلاد الإسلامية نفسها .

فالهدف الديني من وجهة نظر المفكرين هو الأساس والدافع الوحيد والرئيسي لتعلم اللغات الشرقية عامة واللغة الإسلامية خاصة؛ حيث ظلت اللغة العربية بيت القصيد في نشاط الرهبان لأسباب الدفاع والهجوم و الاحتلال والاستغلال والحرب والسلام والتبشير والاستعمار.

فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من أثار عميقة،**أدت إلى الحقد** الغربي على هذا الدين الذي ملئ بنوره الكون،فعملوا جاهدين على فهم أسباب سرعة انتشار هذا الدين الجديد.فظهرت حركة الإصلاح الديني المسيحي وشعر المسيحيون :البرتستانت والكاثوليك بحاجة ملحة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية وهذا لا يتأتى إلا بتعلم لغة الشرق وعلى رأسها اللغة العربية التي سادت في تلك الفترة ،وبالتالي كرسوا كل جهودهم ووسائلهم من جل شرح كتبهم و تفهمها " على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية الإسلامية لان هذه الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوي"[1].

اتفق المفكريَّن على أن المستشرقين بدلوا كل جهودهم من أجل إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه وزرع الفتنة بين شعوبه ؛ حيث سُخر الكثير منهم لدراسة اللغة العربية والإطلاع **الواسع** على علومها ومعارفها ؛لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة للقاء كثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام للتهوين من شأن الدعوة الإسلامية والتقليل من أثرها في الحياة. ولبلوغ هذه الأهداف عدوا العدة لمحاربة الإسلام في عقر داره متسللة إلى العصب الرئيسي للأمة الإسلامية-**القرآن** الكريم- للطعن فيه بعد أن حاولوا ترجمته إلى لغاتهم .من هنا كان الهدف الديني في مقدمة أهداف الاستشراق وأهمها .

الدافع العلمي :

إذا كان السبب الرئيسي و المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق - حسب رأي المفكرين ومن سبقهم -هو سبب ديني في الدرجة الأولى؛ فأنهما يؤكدان على أن الدافع العلمي لا يقل أهمية عن الدافع الديني، والسياسي الاستعماري أيضا ؛بل انه أخطرهم لما فيه من تزوير وتحريف للإرث الثقافي الخاص بالأمة الإسلامية, مؤكدان على أن المستشرقين والمبشرين على حدٍ سواء حاولوا دراسة الإسلام بنية منعقدة على جمع المطاعن الملفقة عن الإسلام، وهم يختبئون وراء زي العلم والبحث عن الحقيقة، غير أن العصبية تغلبهم عن أن يقولوا كلمة الحق، وأن ينطقوا بما في أيديهم من شواهد ؛ وحتى من يقول منهم في الإسلام كلمة حق ، لا يمكن أن تسلم كتابته من بعض التعليقات المضلّلة؛ لأنهم لم يستطيعَ التخلّص من أهوائهم ونزعاتهم الموروثة منذ أيام الصليبيين.

يرى محمد البهي أن الفرق بين المستشرقين والمبشرين هو أن **الاستشراق أخذ صورة البحث** الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية؛ **موضحاً ذلك** بقوله: الاستشراق و التبشير كلاهما في ذلك سواء والفرق الجوهري بينهما هو أن **الاستشراق أستخدم**: الكتاب، والمقال، والمجلات العلمية، وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشات في المؤتمرات العلمية العامة . أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء . **كما سلك** سبيل العمل الخير الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى

[1] سمايلوفتش .احمد ، 1998م ، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ،ص49

واللقطاء؛ ولم يقصر التبشير في استخدام النشر والطباعة وعمل الصحافة في الوصول إلى غايته."[1].

فلم تكن غاية الاستشراق في عملها ذلك الرقي بأبناء الأمة الإسلامية والرفع من مستواهم؛ بل أنها كانت حركة قوية لامتلاك أكبر قدر ممكن من التراث المادي – اثري-، والفكري -كتب ومخطوطات-، الذي قاموا بدراسته وفق مناهجهم، ومستوى فهم كل واحد منهم ، فجاء أكثره مشوهاً. ذلك لأن الاستشراق يقدمون تفسيراً للتراث العربي الإسلامي من خلال تراثهم هم، ثم يقطع أوصال هذا التراث عند تقسيمه وتشتيته.

وقد بيَّن محمد ياسين عريبي أن غاية المستشرقين من دراسة العالم الإسلامي تكمن في جمع المخطوطات العربية وفهرستها وتحقيقها و اخذ ما أمكنهم منها وما رأوه ضرورياً لدراستهم وأبحاثهم، ,وما يخدم مصلحتهم ،ومصلحة الاستعمار ،فقد اقتنوا الكم الكبير والمهم من المؤلفات العربية والمصادر -في التاريخ والأدب والتفسير والحديث والفقه- وترجموها إلى لغاتهم دون أمانة علمية فنسبوها لبحاثهم ومفكريهم،دون إرجاعها إلى مصادرها الأصلية.

كما وضعوا المعاجم و الموسوعات العلمية مستخدمين غيرهم ممن يجيدون اللغة العربية في ترجمة بعض النصوص والمصطلحات التي يصعب عليهم فهمها. ولم تكن هدفهم من ذلك خدمة العلم والمسلمين بل كان هدفهم هو خلق التخاذل الروحي والشعور بالنقص في نفوس الشباب المسلم وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية ؛ وهو نجد الدكتور زقزوق يؤكد ذلك بقوله : " إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام ، واجتذابهم إلى الدين النصراني "[2]

من هنا يأتي دور المفكرين في مواجهة الاستشراق العلمي من خلال فضح المخططات و الطرق التي سلكها أعداء الإسلام من اجل تظليل أبناء الأمة الإسلامية وجرفهم في تيار الحضارة الزائف تحت عناوين خادعة براقة بقيادة نفراً من المبشرين يعمل على إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب ، لسلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها. بتنبّيه أبناء المسلمون وتوعيتهم ، حتى يتقوا شرّ أعدائهم ويحبطوا خططه ، فاضحاً عمل المبشرين في تزوير الإرث الإسلامي بعد ترجمته والموازنة بينه وبين الإرث الغربي وتفضيل هذا الأخير عليه؛ولم يكن غرضهم من ذلك إلا تدمير عنصر القوة في الإسلام الكامنة في أصالة فكره وعقيدته.

فلم تكن حركة الاستشراق كما تبدو في ظاهرها حركة علمية تحاول دراسة التراث الشرقي لما له من دور الريادة في توجيه الفكر العالمي . بل أنها حركة مغرضة. فالمستشرقون لم ينفقوا الأموال على التحقيق والنشر ليسهموا بهذا في تنمية ثقافتهم القومية ، كما أنهم لم يفعلوا هذا مساعدة لنا في المحافظة على نشر تراثنا والانتفاع به في تطوير حياتنا، فهذا أمر لا يعنيهم ؛ لذلك كان نشر تراثنا لغاية ابعد من هذا وذاك ، كان وسيلة لدراسة نفسية الشعوب الإسلامية حتى يكون تخطيط الفكر الاستشراقي في موقفه من هذه الشعوب قائماً على أسس علمية تحقق ما يصبوا إليه من آمال المستشرقين ودولهم في الإحاطة بوسائل الإخضاع والسيطرة .

وهو ما يؤكد محمد ياسين عريبي مضيفاً إلى ذلك أن المهمة الكبرى وراء عمل الاستشراق؛ تكمن في استلاب الفكر العربي الإسلامي بقوله: "وإذا كانت الأفكار أسبق من الظواهر فإن استعمار البلاد العربية الإسلامية في ق(19-20) من طرف الغرب لم يكن إلا نتيجة استلاب الفكر العربي الإسلامي في القرنين السابقين من ديكارت إلى كانط وقد خطط التبشير و الاستشراق لمثل هذا الاستعمار منذ البداية ولعل أوضح صورة لهذا التخطيط ما نلمس في مدارس الترجمة بالجناح الشمالي الغربي من الزاوية المنعكسة و خاصة في مدرسة طليطلة "[3].

---

[1] البهي .محمد .د.ت المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.الأزهر. القاهرة: مطبعة الأزهر، ص2

[2]- زقزوق، محمود حمدي، 1989 م ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط 2 ، القاهرة : دار المنار، ص 35 .

[3] - عريبي،محمد ياسين ،1991م ، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي 143

نستنتج من أقوال المفكريَّن أن هدف المبشرين و المستشرقين من ترجمة علوم الإسلام وتراثه.لم يكن من جل البحث العلمي والتعرف على الأمم الأخرى ؛بل أن غايتهم من ذلك حتى تؤتي محاولات التنصير ثمارها بنجاح من خلال تعلم لغات المسلمين ، وقد عبر عن هذه الثمار في دعوة (لول) بارتداد العرب إلى النصرانية من الإسلام ، كما كان (غريغوري العاشر) يأمل في ارتداد المغول إلى النصرانيـة ، وقبله كـان (الإخـوة الفرنسيسكان)قد توغلوا في أعماق آسيا يدفعهم حماسهم التنصيري ، ومع أن آمالهم لم تتحقق في وقتهـا إلا أن الروح التنصـيرية قد تنـامت منذئذ [1] .

و بالتالي نال الاستشراق رعاية الكنيسة ومباركتها عندما ثبت فشل الحروب العسكرية من خلال انحسار المد الغربي الصليبي بعد جهود قرنين من الزمان ، فاتجهت الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم ، فكان التوجه إلى ما نسميه اليوم بالغزو الفكري في تحقيق ما فشل فيه سلاح الغزو الحربي.

وسائل الاستشراق لتحقيق أهدافهم :

سعى المستشرقون والمبشرون إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الوسائل والأساليب التي تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم وتحقق غاياتهم ، فلم يترك مجالا من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلا تخصصوا فيها، لنشر أبحاثهم وبث آرائهم ولإحكام خطط الكيد للإسلام والمسلمين إلا سلكوها ومنها: التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب ، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية.إلى غير ذلك من الوسائل والأساليب تحقيق أهدافهم ؛وهو ما يؤكد محمد البهي بقوله: حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسـائل : ألفوا الكتب ألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين،وجمعوا الأموال وانشأوا الجمعيات ، وعقدوا المؤتمرات ، وأصدروا الصحف،وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم[2].

فلا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به الاستشراق من تحريف للتاريخ الإسلامي ، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته ،وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله،وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية حيث : " عمد المستشرقون إلى وصف الفكر الإسلامي على انه أمشاج من الفكر اليوناني الافلوطيني ،مما ساعد على استلاب الجوانب الإبداعية في الفكر العربي الإسلامي وجعلها من إبداع الغرب، وفي ضوء منهج التقليد والتلقي أكدوا الشرق من طرفه انحراف هذا المسار حتى أصبح اعتقاداً " [3].

فقد كان هدفهم تخريبياً عدائياً إلى حد كبير أنها تستهدف أن تعرف المزيد عن الإسلام لتكون اكثر تهيؤا لعرض نقائصه،وهو ما بينه الجندي بقوله: "وكان انتقال هذا التراث إلى أيدي الاستشراق واحدا من أخطر التحديات ، لأنه أصبح إحياؤه يجري على النحو الذي يختاره الاستشراق لا وفق إرادتنا الخاصة"[4].

أذن فالاستشراق سواء بصورته القديمة، أو الذي ظهر بعد عصر النهضة، أو ذلك الذي نعايشه اليوم؛ عمل على تشويه الإسلام وهدم مرتكزا ته وحضارته بصورة لا هوادة فيها. فقد

---

[1]- إدوارد سعيد : 1979م. الاستشراق .نيويورك : كتب عتيقة. ، ص 328 .

[2] - البهي. محمد محمد.د.ت. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.مجلة الأزهر.القاهرة: مطبعة الأزهر.،ص13

[3] عريبي،محمد ياسين، 1990م .تأملات في بناء المجتمع الإسلامي.الطبعة الثانيةطرابلس:منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ،ص61.

[4] أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر ص339 بتصريف.

أحياءا أنواعا معينة وأولوها اهتماماً كبيرًا ، منها دراسات الحلاج التي عني بها **المستشرق**(ماسنيون) ودراسات عن السهر وردي ، وبشار ، وابن نواس ،وألف ليلة وليلة، كلية و دمنة نوما يتصل بابن الرواندي،وأحياء الأغاني ، وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شانها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزيفه[1].

بناء عليه يؤكد المفكريّن على أن هذه الوسائل سخرت من اجل تحقيق غاية الاستشراق التي هي:تحجيم المد الإسلامي والحيلولة بينه وبين الشعوب المسيحية،وصرف المسلمين عن دينهم لإضعاف شوكتهم ،و وتمكين الاستعمار من بلادهم بعد تحطيم روح المقاومة الإسلامية . **وقد** اشترك في هذا العمل كل من المستشرقين و المبشرين، وحتى أولئك الذين أعدوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وألفاظ القرآن، وأولئك الذين فهرسوا المخطوطات العربية، وحققوا كثيراً منها، وأظهروها إلى النور؛ نكون مخطئين إذا اعتبرناهم ممن خدموا العلم، وأنهم أرادوا خدمة الإسلام والمسلمين بنية خالصة، بل كانت غايتهم من خلال ما قاموا به من أعمال الفهرسة، وطباعة المخطوطات، وغيرها هو تسهيل عملية تداول الكتب الشرقية، وتيسير الاطلاع على محتوياتها، حتى يتمكن الرجل الغربي أن يستوعب الشرق، وينفذ إلى أعماقه بسهولة ويسر.

وهو ما يؤكده محمد ياسين عريبي بقوله:" أن الدافع الأساسي لنقل هذا التراث هو التبشير الذي اتخذ من الاستشراق وسيلة تحقق الغاية ، إذ أن معرفة الحضارة الإسلامية هي الأساس لانتصار الصليب على الهلال ، وإذا كان الصليبيون قد ولوا الأدبار بعد صراع دام أكثر من مائتي سنة، فإن الغرب قد انتصر بالفعل في هذا الصراع من خلال سلبه لحضارة الشرق ، وهذا ما يفسر نشاط الترجمة في القرنين الثاني والثالث عشر"[2].

حيث تطور الاستشراق وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري (**أواخر القرن الثامن عشر** الميلادي) عمدوا إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية، والاتجاه به وجهة البحث العلمي البحت فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبرج وغيرها.

فمنذ أن قرر مؤتمر فيينا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارس أوربا وجامعاتها تقدم الاستشراق في غضون قرنين من الزمان تقدماً جباراً إذ أثرت في حركته النهضة الأوربية الحديثة ، حيث غدت إيطاليا في ذلك العهد موطن علم الاستشراق . فانتشرت العربية بين الطليان انتشاراً عظيماً حتى إن تجار البندقية وجنوا وبيزا ونابولي ،كانوا يرون تعلمها من الأمور الضرورية للحياة على النحو ما ننظر اليوم إلى اللغة الفرنسية أو الانجليزية. والى هنا انتهت مرحلة تقدم الاستشراق ونهضته لان كل بلد أوربي تقريباً قد أقام المعاهد لدراسة الإسلام واللغة العربية وآدابها .

فاللغة هي الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب والحكومة أو للوصول إلى تفهم محتويات عقائد الشعوب الأخرى وتبيان مظاهر القوة والضعف فيها، ومن هنا كانت اللغة العربية أساس منشأ الاستشراق وظهوره وهو ما أكده محمد ياسين عريبي بقول: " فها هو بير دوبيو Pierre Dubios يؤلف كتابه(**إعادة استعمار الأراضي المقدسة**) في مطلع القرن الرابع عشر ليضع فيه برنامجا موسعا لاستعمار الأراضي الإسلامية عن طريق الملكية الفرنسية، وعلى رأس هذا البرنامج فتح مدارس للغة الإسلام يتعلم فيها الضباط والمترجمون والأطباء ،**وذلك من اجل** تحقيق السياسة الاستعمارية واستمرارها، وليس هذا فحسب بل يتضمن البرنامج تعليم البنات الأوربيات اللغة العربية لكي يتزوجن فيما بعد بقادة الإسلام وليخدمن التبشير المسيحي بهذه الوسيلة"[3].

---

[1] - الجندي، الإسلام في وجه التغريب.ص400

[2] عريبي،محمد ياسين،1991م،**الاستشراق وتغريب** العقل التاريخي العربي،ص142.

[3] عريبي،محمد ياسين،1991م،الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي،ص194.

فما كان برنامج فتح المدارس في الدول الأوربية ليتعلم فيها **البنات وكبار الضباط من** المستشرقين اللغة العربية ما هي إلا تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الإسلامية، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الإسلامية، وعزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق في المجتمع الإسلامي وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الإسلام بالقوة " **فإن أي محاولة لتصور فلسفة الاستشراق لا تعدو ما أورده الباحثون** المنصفون من أنها محاولة الاستعمار الغربي لدراسة العقلية العربية الإسلامية ،والنفسية العربية الإسلامية،بقصد الانتفاع بذلك في التعامل معها ، والسيطرة عليها ،وتدمير مقوماتها التي أعطتها القدرة على التماسك **والصمود.** [1] .

ومن هنا يصور لنا محمد ياسين عريبي على أن منشأ وبداية الاستشراق هي اللغة بقوله:" **إن** قانون اللغة بأثره المباشر وغير المباشر أدى إلى ظهور الاستشراق كتخصص ببعض البلدان الأوربية في القرن السادس عشر ،ذلك بسبب ظهور المعاجم وكتب النحو العربي وجمع المخطوطات مما كان له الأثر في ظهور الترجمات بلغات أوربية أخرى إلى جانب اللاتينية والتوسع في تدريس النصوص العربية في أصولها.." [2].

فبعد أن اصدر المجمع الكنيسي العام قانون اللغة رقم(11) **لسنة** 1311. والذي يقتضي بتدريس اللغات الشرقية وعلى رأسها اللغة العربية، ولقد تقرر تدريس هذه اللغات في خمس جامعات أوربية كبيرة. وبهذا القانون دخلت أوربا في عصر النهضة الحديثة وخرجت من العصر الوسيط وبالأحرى خرجت من عصر التبعية إلى المركزية ، فكثرت المدارس الشرقية بما لها من أقسام داخل الجامعات، وبما لها من تدريس باللغات الشرقية ، وترجمات عليمة دقيقة وتحقيق ونشر وجمع للجميع المخطوطات من هنا يؤكد محمد ياسين عريبي إنه: " وبفضل هذا التأسيس استطاعت أوربا أن تسيطر مع نهاية القرن السادس عشر على العقل التاريخي المكتوب من خلال وضع كتب النحو والقواميس والمعاجم وجمع المخطوطات والتحليل والتركيب ، واستمر هذا المنهج يعم جميع أنحاء القارة الأوربية ممتدا بامتداد الحضارة الغربية إلى روسيا وأمريكا بل امتدت الدراسات الشرقية إلى الشرق نفسه بفعل الجمعيات وإنشاء المعاهد والجامعات كما في الهند ومصر ولبنان وغيرها من البلدان الأخرى وأصبحت هذه الجمعيات والمعاهد والجامعات **والمراكز والأقسام لدراسة حضارة** الشرق تعد في يومنا هذا بالآلاف حيث يوجد في أمريكا لوحدها ما يزيد عن 1500 مؤسسة لدراسة الشرق و حضارته.أما المخطوطات العربية التي تعج بها المؤسسات العلمية الغربية فهي تزيد عن 150 ألف مخطوطة منها المحقق ومنها المترجم ومنها ما هو تحت البحث والدراسة ، وبهذا الانتشار لتعلم العربية وعلومها المتطاول في الزمان الممتد من عصر لول إلى وقتنا هذا تحققت المركزية الغربية بالفعل في مصادرتها للعقل التاريخي العربي." [3] .

ويؤكد المفكريَّن على أن من الوسائل التي أحدثها الاستشراق لبلوغ غايتهم إلى جانب ترجمة أمهات الكتب، **قاموا بإلقاء المحاضرات ، وإصدار المجلات ، و نشر المقالات في الصحف** .حيث تعدد المجلات التي ينشرونها تحت مسميات إسلامية وغايتهم من ذلك الطعن في الدين الإسلام وفي الإسلام وهو ما ينبه إليه محمد البهي بقوله: "ويصدر الأمريكيون في الوقت **الحاضر (مجلة شئون الشرق الأوسط)، وقد حلت محل مجلة**(جمعية الدراسات الشرقية) **التي** كانوا يصدرونها في أوائل هذا القرن، وآخر المجلات التي يصدروها المستشرقون أمريكيون هي **مجلة (العالم الإسلامي** The Muslim World) أنشأها صمويل زويمر S .Zweimer

---

[1] الجندي،الإسلام في وجه التغريب،ص402.

[2] - عريبي،محمد ياسين،1991م ،الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، ص195-196

[3] - عريبي،محمد ياسين،1991م ،الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، ص193

1911م وتصدر من (هارتفورد) بأمريكا وطابعها تبشيري سافر ... وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة (العالم الإسلامي) في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وفي أسمها أيضا"[1].

بناء عليه نادي محمد ياسين عريبي إلى الأخذ بالمثل فطالب بضرورة الاتجاه إلى تحقيق التراث ، وترجمت الكتب ، وإصدار الدوريات والمجلات والنشرات العلمية ، وضرورة إسهام الباحثين في هذه النشاطات تحت أشراف وحدات وهيئات تقوم بتقويم الإعمال والنقد الايجابي لها حيث اقترح إصدار مجلة متخصصة تُعَنىَ :" بتتبع بحوث الاستشراق التي يوردها الغرب الصليبي للشرق الإسلامي سوء في كتبه عن التراث الإسلامي أو في بحوثه ومجلاته"[2] .

فمحمد البهي يؤكد على أن " أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات ، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة،؛ ومصدر الخطورة في هذا العمل هو المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على ما فيه من خلط و تحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين." [3].

ليس هذا فحسب بل ويعتمد المستشرقون كثيراً على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقدوه كان في عام 1783م ومازالت مؤتمرات تتكرر حتى اليوم. فهذه الوسائل وغيرها سخرت كمخططات بديلة لتحقق أهداف الحروب الصليبية وهو ما يؤكده إدوارد سعيد بقوله: " أن ذلك – انهزامهم في الحروب الصليبية-كان يدفعهم إلى البحث عن خطط بديلة تحقق أهداف الحروب الصليبية دون حروب عسكرية بحيث تنجح في النهاية في تشويه هذا الإسلام وصرف الناس عنه "[4]

وان كان هذا ليس بغريب ولكن الغريب هو أن الدول الغربية أنشأت العديد من المؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها خدمة لأبناء الإسلام ظاهراً ، و لكان الهدف الحقيقي منها ،هو الغزو الفكري عن طريق التبشير نذكر من هذه **المؤسسات على سبيل المثل لا الحصر:**

في مصر : المعهد الشرقي بدير الدمينيكان .- المعهد الفرنسي .- الجامعة الأمريكية .- **دار السلام** .

في لبنان : جامعة القديس يوسف ،وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وهي تعرف اليوم باسم الجامعة اليسوعية - الجامعة الأمريكية بيروت، وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الإنجيلية وهي بروتستينية .

في سوريا : مدارس اللاييك، الفرير، ودار السلام، وغيرها وهكذا في كل الأقطار السلامية .

ولكن الأهم والأخطر من تلك الوسائل ؛ والتي نبه وحذر منها المفكريَّن محمد البهي ومحمد ياسين عريبي هي تلك الوسائل التي يستعملها الاستشراق في التشويش على دعوة الإسلام محاولة إغراء شباب المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة، وتصدير هذه التيارات إلى أقطار المسلمين؛ لتضليل أبناء الأمة الإسلامية وصرفهم عن دينهم، وأهم هذه التيارات الفكرية المضللة كالمادية والعلمانية والتي سيتم تناولها بدقة في باب لاحق ولكن لا باس أن ننوه هنا لهذه التيارات الفكرية المضللة بشكل موجز حتى يبلغ الموضوع مضمونه.

فقد قامت الحضارة الغربية على المادية البحتة والعلمانية والإلحاد ، فكان من جراء ذلك أن أصيبت البشرية بالخواء الروحي لابتعادها عن العقيدة، فاتجه العلم والتقدم إلى تهديد البشرية بالدمار ، وكلما زاد التقدم العلمي في الغرب زادت الفجوة بين الدين والحياة الواقعية وبين المادة والروح ، فأنشأ هذا الفصام أجيالاً حائرة قلقة ، لا تعرف للفضيلة قيمة ولا للسعادة معنى ، تحمل

[1] - البهي ،محمد، .د.ت ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ،ص14

[2] - المبروك. ناصر ضوء ،2005م، مناهج البحث الإسلامي في دراسات ياسين عريبي، ص132

[3] - البهي ،محمد، .د.ت ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، ص14

[4] - ادوارد سعيد ، الاستشراق ، ترجمة كمال ابوديب، طبع مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، 1981م، ص101

حتفها بعلمها وتقدمها ،وهو ما نبه إليه محمد ياسين عريبي بقوله: "أن على العرب أن يعوا بان الطاقة المادية ... مهما تفنن الإنسان في تسخيرها كما تفعل حضارة الدمار في صنعها للقنابل الذرية والنيوترونية لغرض هيمنتها فإنها لا تستطيع إن تسقط المبادئ ؛ بل بالعكس حيث أتبث دستور التوحيد أن الطاقة المادية مسخَّرة للإنسان كوجود معنوي،والأخذ بهذا المبدأ لا يتعارض مع إثنية الوجود العربي على مستوييه الثقافي والعقدي، فعلينا الإقلاع على أوهام النوع البشري . ولا تخلو هذه الأوهام من هيمنة الأستاذ الغربي في توجيه الفكر الغربي"[1].

حيث يتّسم العصر الحديث بتحكم المادية في تفكير الناس وفي سلوكهم، والمادية تنكر المشاعر الإنسانية التي يعمل الدين على غرسها وتنميتها في النفوس؛ من الرحمة والمودة والعطف والإيثار، وكل ما يشيع في كيان الإنسان من عواطف إنسانية نحو أهله وقرابته ومجتمعه والإنسانية كلها.

لذا رفض محمد البهي المادية التي تدعو إلى الانطلاق و تجعل حرية الفرد محتكرة من الغير؛ مطالباً بالقيم و المبادئ التي تجعل من الفرد ومن غيره وحدة واحدة في الترابط والانسجام ، بعيدة عن الفردية والأنانية ؛قائلاً: " أن المادية تدعو إلى الانطلاق لأنها تنكر القيم والمثل والمبادئ، وتؤمن بالفردية والأنانية التي هي أخص مظاهر الطفولة الإنسانية ، ونفهم أن الروحية تدعو إلى الحد وعدم الانطلاق ، لأنها تدفع الإنسان نحو الارتفاع نحو المستوى الإنساني الرفيع وهو مستوى الرشد.وفي هذا المستوى يقر الرشيد بوجود غيره. ويؤمن بالقيم و المبادئ التي تجعل منه ومن غيره واحد في الترابط والانسجام والإقرار بالغير مع الإيمان بوجوب الانسجام معه يجعل حرية الفرد في حدود مصلحة الغير . [2]

و يحذر المفكريَّن شباب المسلمين من الانقياد الأعمى لمثل هذه الدعوات الضالة المضللة، ومن الغرق في التيارات الفكرية التي يحاول الاستشراق إغراق المسلمين بها؛ للتشويش على عقيدتهم وإبعادهم عن دينهم . مشيران إلى الخطأ الأكبر الذي جناه المسلمون ، حين ألقوا فلذات أكبادهم في أحضان الغرب، ليأخذوا عنهم تقدمهم التكنولوجي ولكن الحصيلة كانت العكس، فقد رجع أبناؤهم غزاة ناقمين على دينهم وحضارتهم وأمتهم،جاءوا بالأفكار الهدامة والأخلاق الهابطة، والرذيلة ، ولم يفيدوا من العلم والتقدم شيئا يَذكر؛ حيث يؤكد محمد البهي البدايات الأولى لتلك الاتجاهات العلمانية التي باتت تقوض سيطرتها على الإسلام ، وعقائده الأصيلة من الداخل وفي نفوس الأجيال الناشئة ، لتهدم البناء الإسلامي من قواعده،بقوله:" اقتحم الاتجاه العلماني مجتمع المسلمين في أي مكان احتله المستعمر الصليبي منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وقبله في بعض البلاد الإسلامية...أقتحم الاتجاه العلماني مجال التعليم في المجتمع الإسلامي، وبعد فترة من الزمن تمكن منه ، واستطاع أن يكون الأساسي في تخريج المثقفين،والمفكرين، والبورجوازيين في أجيال هذه المجمعات"[3] .

أخيراً يؤكد المفكريَّن على أن نشاط هذه الاتجاهات بدأ منذ القرن التاسع عشر الميلادي عندما هيمنت طلائع العلمانيةفي تركيا ومصر ، وسائر بلاد المسلمين ؛ وظهر عشاق العلمانية وتلاميذ الغرب ، وبدأت على أيديهم معركة ما يسمى بالصراع بين القديم والحديث أو ما يعرف بالأصالة والمعاصرة أو كما يعرفها البعض بمعركة التحرر من الإسلام من الداخل ؛ فقامت حركة منظمة قوية على أيدي هؤلاء المتغربين أتباع الغرب،يحكمهم هدف واحد ، ومصير واحد، ألا وهو التحرر من قيود القديم والأخذ بالحديث العصري ،وهذا لا يتأتى إلا بالتشكيك والطعن في الإسلام ؛ وكان على رأس هؤلاء المتغربين الدكتور طه حسين الذي طالب باستبدال قيم الإسلام

---

1 - عريبي،محمد ياسين ،1990م .تأملات في بناء المجتمع الإسلامي.الطبعة الثانيةطرابلس:منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . ص187

[2] - البهي ،محمد،1982م. الإسلام في الواقع الإيديولوجي المعاصر. القاهرة: مكتبة وهبة . ص17

[3]- البهي،محمد ،1982، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر. مشكلات الحكم والتوجيه،ط3 ،القاهرة : مكتبة وهبة،ص353م

الأصيلة، بالإنتاج الغربي الراقي – على حد تعبيره –فجاءت كتبه و بحوثه لا تخلو من المس والطعن والتشكيك في القيم والأخلاق الإسلامية.

نتائج البحث :

بعد هذه الدراسة المبسطة والبسيطة في عالم الاستشراق الكبير من وجهة توصل الباحث ومن خلال وجهة نظر المفكرين إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

1- يؤكد المفكرين على أن دراسة المستشرقون لقضايا الإسلام - لغته وتاريخه وشريعته وتراثه- تمت بروح غير علمية، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية، وهم لا يتصورون أي شيء إلا في حدود مفاهيمهم المسيحية وعقليتهم الغربية.

2- يؤكد المفكريَّن على أن دراسة المستشرقين يحاولون أن يخضعوا العالم لهيمنة الفكر الغربي عن طريق وسائل الإعلام التي يملكون وكالات أنبائها، وعن طريق الكتب والمجلات والدوريات والصحف التي يصدرونها ، وغيرها مما كان لها الأثر الكبير على أبناء امتنا الإسلامية.

3- يتفق المفكريَّن على إن الاستشراق في بدايته كان عبارة عن دراسات وأبحاث قام بها القساوسة ولاهوتيون تدعمهم الكنيسة أو الدولة، لتعلم اللغة العربية ودراسة الإسلام ، ولكن سرعان ما امتدت هذه الدراسات إلى الجامعات لتأخذ شكل مغاير للبحث العلمي بالطعن في الإسلام والدين الإسلامي من قبل أشخاص تتلمذوا على أيدي المستشرقين ، تدفعهم أهواء الاستعمار للسيطرة على العالم .

4- يؤكد محمد ياسين عريبي على أن الدافع الديني قد التحم بدوافع أخرى قومية واقتصادية واستعمارية، في ضوء هذه الدوافع استطاعت أوروبا أن تتخذ من التراث المكتوب كعقل تاريخي في أقصى درجات تطوره، استطاعت أن تأخذ من هذا العقل نبراساً تشع به نور الحضارة في ربوع الغرب ، و إذا كانت الفلسفة هي الأساس فإن أهم عمل قام به التبشير و الاستشراق هو ترجمة الكتب الفلسفية من أجل الدفاع عن العقيدة المسيحية ن ولكن هذا الدافع سرعان ما تحول إلى هجوم من خلال تجسد الأفكار المكتوبة وانعكاساتها ، حيث أدت عوامل الصراع إلى مركزية غربية سلبت كل ما لغيرها ونسبته لنفسها.

5- يتفق المفكريَّن على أن المستشرقين بدلوا كل جهودهم من أجل إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه وزرع الفتنة بين شعوبه ؛ حيث سُخر الكثير منهم لدراسة اللغة العربية والإطلاع الواسع على علومها ومعارفها ؛لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة للقاء كثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام للتهوين من شأن الدعوة الإسلامية والتقليل من أثرها في الحياة؛ ولبلوغ هذه الأهداف عدوا العدة لمحاربة الإسلام في عقر داره متسللة إلى العصب الرئيسي للأمة الإسلامية-القرآن الكريم- للطعن فيه بعد أن حاولوا ترجمته إلى لغاتهم المختلفة.

6- يؤكد المفكريَّن على أن عمل الاستشراق يكمن في إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأها بترجمة القرآن والحديث النبوي وبعض الكتب المعروفة ؛ وغايته من ذلك معرفة الإسلام عن قرب لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية،وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام، ثم إحكام الرد على ما فيه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبي من ناحية أخرى،فأطلق الغرب شعوباً ودول تشجع طلاب العلم والباحثين والمبشرين على حد سواء، لدراسة الشرق الإسلامي وحضارته.

7- يؤكد المفكريَّن على أن موقف الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى من الإسلام حددته محطتان رئيسيتان هما : ضرورة التعلم منه كونه الأقوى والأعلم ، والتصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية . فالتصارع معه كعقيدة ظن منهم على أنه دين سيقضي على سلطة الكنيسة التي كانت مهيمنة على كافة مناحي الحياة العلمية والدينية هو ما دفعهم إلى رفع راية العداء للإسلام؛ فكان من أهم الخطوات التي اتخذتها الكنيسة في أوربا لمواجهة مشاعر الاندهاش

والخوف من الإعجاب بالإسلام والدين الإسلامي من قبل أتباعها؛ إن عملت على تشويه صورة الإسلام.

8- بيَّن محمد ياسين عريبي أن غاية المستشرقين من دراسة العالم الإسلامي تكمن في جمع المخطوطات العربية وفهرستها وتحقيقها و اخذ ما أمكنهم منها وما رأوه ضرورياً لدراستهم وأبحاثهم، ,وما يخدم مصلحتهم ،ومصلحة الاستعمار ،فقد اقتنوا الكم الكبير والمهم من المؤلفات العربية والمصادر -في التاريخ والأدب والتفسير والحديث والفقه- وترجموها إلى لغاتهم دون أمانة علمية فنسبوها لبحاثهم ومفكريهم،دون إرجاعها إلى مصادرها الأصلية.

9- حذر المفكريَّن محمد البهي ومحمد ياسين عريبي من تلك الوسائل التي يستعملها الاستشراق في التشويش على دعوة الإسلام في محاولة منه لإغراء شباب المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة، وتصدير هذه التيارات إلى أقطار المسلمين؛ لتضليل أبناء الأمة الإسلامية وصرفهم عن دينهم، وأهم هذه التيارات الفكرية المضللة كالمادية والعلمانية.

10- يحذر المفكريَّن أيضا شباب المسلمين من الانقياد الأعمى لمثل هذه الدعوات الضالة المضللة، ومن الغرق في التيارات الفكرية التي يحاول الاستشراق إغراق المسلمين بها؛ للتشويش على عقيدتهم وإبعادهم عن دينهم . مشيران إلى الخطأ الأكبر الذي جناه المسلمون ، حين ألقوا فلذات أكبادهم في أحضان الغرب ، ليأخذوا عنهم تقدمهم التكنولوجي ولكن الحصيلة كانت العكس؛ فقد رجع أبناؤهم غزاة ناقمين على دينهم وحضارتهم وأمتهم ، جاءوا بالأفكار الهدامة والأخلاق الهابطة .والرذيلة ، ولم يفيدوا من العلم والتقدم شيئا.

المصادر والمراجع :

1- ادوارد سعيد ، الاستشراق ، ترجمة كمال ابوديب، طبع مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، 1981م، .

2- إدوارد سعيد : 1979م. الاستشراق .نيويورك : كتب عتيقة.

3- أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر .

4- البهي .محمد .دت المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.الأزهر. القاهرة: مطبعة الأزهر.

5- البهي 1982م. الإسلام في الواقع الإيديولوجي المعاصر. القاهرة: مكتبة وهبة .

6- البهي. محمد محمد.دت. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.مجلة الأزهر.القاهرة: مطبعة الأزهر.

7- البهي،محمد محمد،1982، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر. مشكلات الحكم والتوجيه،ط3 ،القاهرة : مكتبة وهبة.

8- زقزوق، محمود حمدي، 1989 م ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط 2 ، القاهرة : دار المنار.

9- سما يلوفيتش .أحمد 1998م. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. القاهرة: منشورات دار الفكر العربي.

10- الطهطاوي .محمد عزت إسماعيل ،1991م ، التبشير و الاستشراق ، أحقاد على النبي - وبلاد الإسلام ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي.

11- عريبي ،محمد ياسين،1990م .تأملات في بناء المجتمع الإسلامي.الطبعة الثانيةطرابلس:منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

12- عريبي ،محمد ياسين،1991م .الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. الرباط :المجلس القومي للثقافة العربية.

13- المبروك. ناصر ضوء ،2005م، مناهج البحث الإسلامي في دراسات ياسين عريبي.

النشاط الاقتصادي في مدينة زويلة
خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي

د .أم العز عبد القادر محمد عبد القادر الشريف

جامعةطبرق/ كلية الآداب / قسم التاريخ

الملخص :

النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، يعد هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث لأن الاقتصاد هو المحرك الأساسي للدول والمدن إما نحو الازدهار والتطور أو بالعكس الانتكاسة والانهيار؛ ومن هنا كان سبب اختياري لهذا الموضوع. فقد عاشت زويلة خلال هذا القرن، تطوراً في النشاط الاقتصادي وساعد في ذلك عدة عوامل ومقومات ؛ أهمها سيادة سلطة ملوك بني الخطاب، ومثل هذا القرن ذروة قوتهم ونفوذهم واتساع سلطاتهم حتى شمل حدود بلاد السودان وودان وفزان. واستطاعوا تسخير المقومات الطبيعية والموارد الاقتصادية والاجتماعية للنهوض بهذه المدينة الأزلية الواقعة وسط الصحراء، حتى اصبحت في عهدهم مدينة عامرة ومركزاً للسلطة (عاصمة)، يهابها القاصي والداني كما شهد بذلك بعض المؤرخين والجغرافيين العرب ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع.

وتهدف الدراسة إلى توضيح وفرة الموارد الاقتصادية والمقومات الطبيعية لا يمكن الاستفادة منها في النهوض بالحياة الاقتصادية لأي مدينة في ظل غياب السلطة الحاكمة المنظمة التي توفر الأمن والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، فالسلطة الحاكمة المهابة في محيطها الجغرافي تعد معول أساسي لجذب واستقطاب العناصر السكانية وتشجع على الهجرات إليها من المدن والمراكز الكبرى بقصد الانتفاع الاقتصادي مهما كان موقعها الجغرافي حتى وإن كان وسط الصحراء. وتهدف إلى إبراز دور السلطة الحاكمة ـ ملوك بني الخطاب، في الاستفادة الحقيقية من تلك المقومات والموارد وتسخيرها بشكل جيد انعكس إيجاباً على مستوى الحياة الأقتصادية في عهدهم ، فشهدت التطور والازدهار وشمل الاستفادة من مقدرات الرعي والزراعة والصناعة واستثمار التجارة حيث أسهمت كلها في إزدياد النشاط التجاري بها. وتهدف أيضا إلى توضيح دور غياب السلطة وما يرافقه من تدهور أمني سواء كان بفعل عوامل داخلية أو خارجية وأثره على النشاط الأقتصادي لزويلة.

ولأجل توضيح هذا البحث اعتمدت على المنهج التاريخي والسردي، والمنهج التحليلي لبعض الأحداث للوصول إلى دراسة قائمة على الترجيح والتحليل. ونتيجة لما سبق قسمت الموضوع إلى عناصر عدة فضلاً عن مقدمة وخاتمة وملحق ، ورأيت لازماً توضيح بعض المدلولات المرتبطة بالعنوان ومنها :

- مدلول زويلة .
- مدلول القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

ثم دراسة (النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) وقسمته **إلى** :

أ- **أثر الموقع الجغرافي** .

ب- أثر المناخ والموارد الطبيعية.

ثم إلى :- **أولاً** - نشاط الصيد والرعي . ثانياً - **نشاط الزراعة** .

ثالثاً - **نشاط الحرف والصناعات**. **رابعاً** - **نشاط التجارة**

المقدمة :

النشاط الأقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، من المواضيع الهمة التي تحتاج إلى دراسة عميقة وتحليل لفهم حقيقة هذه المدينة التي عانت الإهمال على مر تاريخها إما بسبب أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية أو بسبب تركيز الدارسون وعنايتهم بدراسة المدن الرئيسية في بلاد المغرب واقتصادها، وأهملوا هذه المدن الداخلية ودور القوى السياسية في النهوض باقتصادها، وما هي ابرز قرون التطور بها أو الانتكاسة ودور الأحداث التاريخية التي مرت بها في حياتها الاقتصادية.ومن هنا جاء سبب اختياري لهذا **الموضوع**.

يكفي إلقاء نظرة على خريطة أفريقيا، فمن خلال الاتصالات العابرة للصحراء من مدينة زويلة، للدرك الأهمية المتميزة التي احتلتها في تاريخ التجارة عبر الصحراء، فبسبب التوغل العميق لخليج سرت من الناحية الشمالية، ووجود حوض بحيرة تشاد في الجنوب يقل طول **الطريق** الواصل بين البحر المتوسط، وبلاد السودان المار بزويلة عن طول أي من الطرق الأخرى بألف كيلو متر، وهو ما يزيد عن رحلة شهر بالقوافل ، **وقد جعل وجود التجمعات** السكانية بزويلة – **قلب الصحراء** ، بالإضافة إلى نقاط المياه والقرى على هذا الطريق، وكذلك قوة وهيبة حكام بني الخطاب ملوك زويلة في القرن الرابع الهجري، هذا الطريق أسهل من الطرق الأخرى العابرة لمناطق المغرب الأدنى والأقصى ومصر، ولقد كانت زويلة خلال عصور طويلة أرض التقاء وعبور فريدة لا نظير لها في الأقاليم الواقعة بين المحيط الأطلسي **والبحر الأحمر**، وبالرغم من هذه الحقيقة كان تاريخها مهملاً تقليدياً، ولكن هذا الإهمال لا يعن ضعف هذه المدينة ونشاطها الاقتصادي؛ فقد شهدت زويلة خلال القرن الرابع الهجري طفرة اقتصادية أسهمت فيها مقومات طبيعية وسكانية واقتصادية عدة فضلاً عن العامل الأبرز وهو قيام مملكة بني الخطاب فيها حيث جعلوا منها مركزاً لسلطانهم الممتد حتى حدود بلاد السودان ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع.

لقد حرك الموقع المتميز لزويلة لكونه ملتقى الطرق التجارية العابرة للصحراء، ومحل التقاء مجموعات بشرية مختلفة_ بربر وعرب وغير ذلك، الكثير من الأحداث التي جعلت تاريخ **هذه** المدينة مضطرباً، تارة من التدهور إلى الازدهار وآخري من ازدهارها إلى تدهورها وانحطاطها، فقد شهدت القرون الثلاثة الأولى تغيرات عدة منها الفتح الإسلامي لها، **وشكلت** زويلة قاعدة رئيسة حرص القائد عقبة بن نافع على فتحها ليؤمن خلفية الجيش الإسلامي الفاتح لبقية بلاد **المغرب**، فكان ذلك بداية نواة دخول الإسلام إليها.وشهد القرن الثاني الهجري اضطرابات تمثلت في ثورات الأباضية وشكلت زويلة حصناً أباضيا تابعاً لإمارة أبى الخطاب

المعافري الأباضي مما أدى إلى دخولها في صراعات سياسية قوية مع الخلافة العباسية. وبعدها جاءت سيطرة القبائل في القرن الثالث الهجري وما صاحبها من نشوب بعض النزاعات القبلية مما أدى ذلك إلى عدم استقرار أمنى أثر على قلة نشاطها الأقتصادي. أما القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فكانت الهجرة الهلالية وما رافقها من خراب لبلاد المغرب رغم أثارها الإيجابية في تعريب البلاد، إلا أنها أضرت بالعمران والاقتصاد عامة، وأدى ذلك إلى ضعف حكام بني الخطاب الذين تم القضاء عليهم نهائياً في القرن السادس الهجري / **الثاني عشر** الميلادي، على يد قراقوشا لأرمني فساد الكساد الاقتصادي المدينة وصارت أمورهم نكده وأحوالهم كدرة كما وصفها الإدريسي .

أما القرن الرابع فقد شهد استقراراً سياسياً تمثل في سيادة مملكة بني الخطاب- **العصر** الذهبي؛ فقد ساعدتهم القوة والسيادة على الأستفادة من تلك المقومات التي تميزت بها هذه المدينة دون غيرها إلى النهوض باقتصادها واتساع تجارتها حتى صارت عاصمة لإقليم فزان عامة في عصرهم، وهذا يسوقنا إلى القول بأن النشاط الأقتصادي رهن الأستقرار السياسي والأمني فكلاهما مكمل للأخر ومن هنا هدفت الدراسة إلى توضيح كل تلك المسائل السابقة للوصول إلى دراسة علمية مبنية على التحليل والترجيح.

وسعيت من خلال هذا البحث إلى ا**براز دور النشاط الاقتصادي وأثره ومدى تأثره بالأحول** السياسية في القرن الرابع الهجري، وربطت بينه وبين الأوضاع الاجتماعية وأثرها على النمو الاقتصادي الذي بلغ صداه بلاد المغرب عامة والمشرق وبلاد السودان، حيث كان ملوك بني الخطاب يتبادلون الهدايا مع أمراء المغرب وتدق الطبول لتجار زويلة في بلاد السودان ويستقبلونهم بالأهازيج والأغاني في بلاد غانا(*) ويقولون حين يرون الزويليين (زويلة زويلة)، ووصلت علاقاتهم التجارية اوداغست(*)**وسجلماسة**(*) حيث لعب حكام زويلة وتجارها دور الوسيط التجاري بين تلك المدن مما عاد بالثراء على المدينة.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي المعتمد على سرد بعض الأحداث التاريخية لتوضح أثرها على الحياة الاقتصادية، والتحليل والترجيح للوصول إلى أدق وأصحها.

وللتوضيح قسمت الموضوع إلى مقدمة وخاتمة وذيلت الدراسة بملحق يظهر موقع زويلة والطرق التجارية المهمة العابرة لها، وقسمته إلى عناصر على النحو الآتي :

النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

- مدلول زويلة.
- مدلول القرن الرابع الهجري.

---

*غانا: - تقع جنوب غرب سجلماسة، واشتهرت بالذهب والرقيق؛ الحميري، الروض المعطار، تحقيق احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة، ط2، 1980م، ص 225.

*اوداغست:- تقع جنوب مدينة سجلماسة بها اسواق عامرة وتمثل مصدراً للذهب؛ ياقوت الحموى، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1991م، ج1، ص 277-278.

*سجلماسة:- جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فأس عشرة ايام، وحولها المعادن من الذهب الفضة كالنبات ؛ اليعقوبي، البلدان، تحقيق الضناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص198.

(النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري) وراعيت توضيح أثر العوامل الجغرافية والطبيعية في النشاط الاقتصادي ومنها :

أ- أثر الموقع الجغرافي .

ب- أثر المناخ وتنوع الموارد الطبيعية .

ثم تناولت :

أولا:- نشاط الصيد والرعي.

ثانياً:- نشاط الزراعة.

ثالثاً:- نشاط الحرف والصناعات.

رابعاً:- نشاط التجارة.

النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

إن دراسة الحياة الأقتصادية لمجتمع ما تتطلب الإحاطة بالبيئة الطبيعية لذلك المجتمع ونوعية العناصر البشرية التي يتكون منها، لأن العملية الاقتصادية تفاعل الإنسان مع بيئته، ودرجة سيطرته عليها بالزراعة أو الصناعة، والتغلب على نواقص البيئة أو استثمار فائضها بالتجارة، تحدد حال اقتصاده: غني أو فقراً حركة أو جموداً .ولهذا فدراسة العوامل الجغرافية وتركيب السكان في زويلة([1])، والسلطة الحاكمة خلال القرن الرابع الهجري ليس مدخلاً ضرورياً لمعرفة الأحوال الأقتصادية فيه فحسب بل مدخلاً وجزءاً عضوياً لا ينفصل عن هذه الدراسة، وبما إن لفظي "زويلة" والقرن الرابع الهجري يستعملان استعمالاً خاصاً في هذه الدراسة فينبغي تحديد مدلولها.

- مدلول زويلة :

لفظ زويلة اسم يدل على مكان جغرافي يقع وسط الصحراء([2])، وتعد مدينة أزلية([3])، وينطق اسمها بفتح الزين وكسر الواو واللام ساكنة([4])، وتبعد عن أجدابية بنحو أربعة عشر([5])، مرحلة([6])، وبخمس مراحل كبار عن سرت([7])، وأربعون مرحلة عن بلاد كانم([8]).

أما مدلول زويلة السياسي فيختلف من عصر إلى آخر، و" زويلة" في القرن الرابع الهجري هي ما بسط ملوك بني الخطاب عليها سلطتهم السياسية. وصارت في عهدهم عاصمة ومركزاً لبلاد فزان([9])، إذ سيطروا على إقليم فزان عامة؛ وشكلت مدن زويلة وفزان وودان وجرمه وغيرها من المدن الواقعة ضمن النطاق الجغرافي الصحراوي إقليماً موحداً([10])، في

عهدهم([11])، فقد وحدت الظروف الجغرافية والتركيبة السكانية([12])، أوصاله تحت سلطانهم، وتمكنوا من فرض سيادتهم عليه حتى بلاد كانم أول حدود بلاد السودان ([13])، واشتهرت زويلة في عهدهم باسم" زويلة بني الخطاب"([14])، بل اتسعت تسميتها وصارت تشمل كافة مدن الإقليم، حيث ذكر الإدريسي إن زويلة هي أول حدود بلاد السودان والمجاورة لكانم([15])، في حين إن فزان هي المجاورة والمحاذية لها([16])، ويرجع هذا لقوة نفوذهم واتساع سلطانهم، فقد أكد ابن حوقل بأن ملوك بني الخطاب مطاعون في أدنى الارض وفيهم المملكة وهم علية قومهم([17])، بل ويزيد الإدريسي على ذلك بأن سبب شهرة هذه المدينة نسبة إلى عبدالله بن الخطاب الهواري مؤسسها وبانيها([18])، بالإضافة لذلك ارتبطت القبائل في ودان وفزان بمركز السلطة في زويلة؛ حيث كان رجالها يفرون إليها عندما تتعرض اراضيهم لأي تدخل أو هجوم لطلب الحماية منهم([19]).

- مدلول "القرن الرابع الهجري"

الحياة الاقتصادية مظهر حضاري، والحضارة حركة مستمرة، والتغيرات فيها تأتي متدرجة مع الزمن ولهذا ينبغي اختيار حادث يرمز إلى بداية التغير وآخر يمثل نهايته والتغير البارز في زويلة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هو سيادة مملكة أسرة بني الخطاب متخذين من زويلة مركزاً لهم، وقد بلغت هذه المملكة أوج ازدهارها خلال القرن الرابع الهجري([20])، واستمرت في حكمها حتى نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي([21])، فزويلة ما قبل القرن الرابع الهجري، شهدت تغيرات سياسية عدة, فقد كانت تابعة لإقليم برقة أثناء الفتح العربي الإسلامي في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي([22])، وفي منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أصبحت زويلة حصناً تابعاً لإمارة أبي الخطاب المعافري([23])، وسيطرت على الطرق العابرة للصحراء، فكانت هذه السيطرة تمثل كارثة حقيقة بالنسبة للخلافة العباسية التي خرجت عن سلطانها، فنتج عن ذلك وقوف الخلافة العباسية بقوة ضد الخارجين عن سلطانها، وقضت عليهم بقوة السيف، حيث أرسل محمد بن الأشعث([24])، جيش بقيادة إسماعيل بن عكرمة الخزاعي إلى زويلة سنة (145هـ/762م) للقضاء على اتباع إمارة أبي الخطاب المعافري، فتمكن من الاستيلاء على المدينة ونفي سكانها وقتل زعمائها([25])، وفي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كانت زويلة خاضعة لسلطة القبائل البربرية وأكثرهم من قبائل رواية

حسبما ذكر اليعقوبي([26])، **وكانت تجارتهم** بسيطة تقوم على تجارة الرقيق مع ملوك السودان، وبها مزارع من النخيل وقليل من الذرة وغيرها([27]).

ومن هنا كانت الأهمية الكبيرة لسيطرة ملوك بني الخطاب في القرن الرابع الهجري، إذ أمتد نفوذهم خارج حدود زويلة حتى شمل ودان([28])، **وفزان**([29])، وساعدهم في هذه السيطرة **القوة والسلطة، فقد كانوا** " مطاعين في أدني البلاد وأباعدها " حسبما وصفهم ابن حوقل([30]). **أما في منتصف القرن الخامس** / الحادي عشر الميلادي وحتى نهاية القرن السادس الهجري أصاب المدينة الضعف والتدهور الاقتصادي، وربما السبب يرجع إلى هجرة بني هلال الذين انزلوا خراباً بالغاً ببلاد المغرب عامة ؛ وامتد أذاهم حتى زويلة وفزان ، يضاف لذلك ضعف أبناء الاسرة المالكة الذين تولوا السلطة بعد القرن الرابع الهجري (العصر الذهبي)؛ **حتى تمكن** قراقوش من القضاء عليهم([31])، وعاث في مملكتهم فساداً مما سهل لملوك كانم([32])، السيطرة **على فزان** وزويلة وحتى ودان([33]).

وبناءً على ما سبق لا يمكن نكران دور هذه الأسرة الحاكمة التي بلغ أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري، على تطور النشاط الاقتصادي لزويلة خلال هذا القرن حيث اشتهرت في عهدهم بأنها قاعدة بلاد فزان عامة([34]).

- **النشاط الاقتصادي في زويلة خلال القرن الرابع الهجري:**

حظيت مدينة زويلة بتنوع مقوماتها الطبيعية والبشرية والتي أثرت في انتعاش الحياة الاقتصادية بها، ومن أبرز هذه المقومات:

أ- أثر الموقع الجغرافي :

تميزت زويلة بأهمية موقعها الجغرافي، وتعد من أهم الطرق الصحراوية إذا ما استثنينا طريق النيل والطريق الساحلي([35])، وتؤكد الروايات التاريخية والجغرافية بأن موقع زويلة يمثل همزة وصل في الصحراء تربط بين المشرق والمغرب([36])، **والمنطق التي تقع على ساحل** البحر، ومنها سرت التي تبعد عنها مسيرة خمسة مراحل؛ بمسافة 320كم([37])، **وبلاد السودان** _ بوابة زويلة الجنوبية([38]). وساعد الموقع على تحكم المدينة في الطريق الساحلي والطرق الصحراوية التي ازدهرت فيها تجارة القوافل التي أسهمت في أنتعاش الاقتصاد؛ ووصفها البكري بأنها ملتقي للقوافل من كل مكان، ومنها يفترقون لمقاصدهم التجارية([39]). **ولذا فالراجح** أن طريق زويلة هو الأكثر استعمالا بسبب سهولته وتوافر نقاط المياه به؛ ومن المحتمل إن تجار

زويلة كانوا يواصلون الرحلة بدلاً عن هذه القوافل، مضيفين بذلك مصدراً مهماً للدخل، ومن جهة أخرى ازداد ثراء زويلة وتعاظمت مواردها من رسوم المرور المحصلة على القوافل العابرة لحدودها([40]).

ب- أثر المناخ وتنوع الموارد الطبيعية:

تقع زويلة وسط الصحراء، فمناخها يتصف بالجفاف والحرارة وأمطارها قليلة([41])، وأهم مصادرها للمياه الآبار الكثيرة والعيون،وساعد هذا المناخ على كثرة أشجار النخيل وكذلك زراعة القمح والشعير والذرة([42])، وتربية الإبل، فقد امتلك حكام زويلة الكثير من الحيوانات وأكثرها من الجمال([43])، فاستفادوا منها في التجارة والصناعة والحراسة([44]).

استفادت زويلة من تنوع الموارد الطبيعية التي تحملها القوافل العابرة لأراضيها نحو بلاد السودان أو إلى مصر وبلاد المغرب ؛ وأهمهما تجارتي الرقيق والذهب ([45])، **وتصل** إلى زويلة قوافل من حلوان محملة بالحديد والنحاس وتشتري الذهب والأحجار الكريمة من زويلة عن طريق تجار بلاد السودان([46])، وعليه لم تكن زويلة محطة اساسية للتجارة فقط ولكنها تسهل التعاون بين التجار من مختلف الامصار والمدن؛ مما أضاف الكثير إلى ثرائها.

اما عن المقومات البشرية، فشهدت تنوعاً في السكان وعلى رأسها قبائل هوارة ومزاته ([47])، وأسهمت هذه القبائل بفضل قوتها ونفوذها الاجتماعي والسياسي في حماية المدينة([48])، فعاشت زويلة في سلام، ولم تكن تخاف جيرانها، وامتدت هذه الحماية حتى على الطرق الصحراوية([49])، **واستقرت** القبائل العربية في المدينة وأسهمت في تنوع اقتصادها بفضل خبرتها الاقتصادية، وسكن زويلة عرب من البصرة والكوفة وخراسان([50])، وجلبوا معهم أصنافاً من التمور منها تمر البرني([51])، الذي لم يكن معروفاً في بلاد المغرب. أما عن الاقليات الاخرى مثل اليهود، فقد كان وجودهم من أجل التجارة خاصة تجارة الذهب والمعادن([52])، **وكذلك عنصر** الرقيق الذي استخدم في التجارة والزراعة والخدمات الأخرى([53])،

أولاً :- نشاط الصيد والرعي :

أ- **الصيد:** تقع زويلة وسط الصحراء([54])، وتتمتع بالمناخ الصحراوي ومظاهر سطح طبيعية كالجبال والاودية([55])، فأسهم ذلك في الغالب أن تكون مدينتهم ملاذاً للثروة الحيوانية البرية، التي تلائمها هذه الطبيعية الصحراوية.

ورغم قلة الروايات التاريخية على نشاط الصيد، إلاّ أنه يمكننا استخلاصه من بعض الروايات التاريخية، فقد اشتهرت زويلة بكثرة مواشيها ومن جلودها أخذوا الجلود المعروفة بالجلود الزويلية([56])، وربما كان الصيد أحد الطرق للحصول على تلك الجلود.

اعتاد ملوك بني الخطاب على الصيد بقصد المتعة والاستفادة من لحومها وإرسالها إلى الملوك والامراء كهدايا في المناسبات العامة والخاصة، فقد ذكر ابن ابي دينار أن ملك زويلة من بني الخطاب أرسل بهدية إلى المنصور بن بلكين الزيري_ ثاني أمراء بني زيري، مكونة من زرافة وشيء كثير من أمتعة بلاد السودان بمناسبة ختان ابنه([57]).

ب- **الرعي:** يعد من أهم الانشطة التي زاولتها القبائل على مر تاريخها، وارتبطت المراعي بسقوط الأمطار، فبعد موسم المطر تنتقل القبائل من مكان لآخر بحثاً عن المراعي بقصد الرعي، وكانت قبائل زويلة ترعى في أراضيها، وتقصد المدن الأخرى مثل جرمة وفزان للرعي فيها([58])، وامتلك أهل زويلة قطعاناً من الماشية، ومن جلودها أخذوا الجلود الزويلية([59])، وساعدت طبيعة المدينة على تربية الأبل واستخدموها في الزراعة([60])، والرعي([61])، والحراسة([62])، والتجارة([63])،

ثانياً:- نشاط الزراعة :

شهدت زويلة تنوعاً في محاصيلها الزراعية وأسهمت في نشاط الحركة التجارية فيها، واستعمل أهلها مصادر عدة للري منها، الأمطار([64])، ولقلتها جمع أهل المدن الصحراوية مياه الأمطار في الآبار للاستفادة منها في بقية العام([65])، وانتشرت العيون في زويلة ([66])، ومعظم المدن الصحراوية وساعدها على ذلك كثرة المياه الجوفية المختزنة في الأرض([67]). واستخدم أهل زويلة عدة طرق للري، منها آلة الأنجفة وتعرف باسم الخطارة([68])، وعرفوا سقاية الزروع بالأبل([69])، عن طريق آلة الشادوف أو الدولاب([70]).

● **أهم المحاصيل :** أثرت طرق الري على انواع المحاصيل التي انتجتها زويلة، والتي أرتبطت بالمناخ الصحراوي، ويمكننا تصنيف هذه المزروعات إلى صنفين :

الأول : للاستهلاك الداخلي لسد حاجة الاكتفاء الذاتي ومنها زراعة القمح، والشعير، والذرة البيضاء، ومحاصيل أخرى لم يفصل المؤرخون في ذكرها([71]).

الثاني : زراعة المحاصيل التي عرفت بكثرتها وأشتهرت بجودتها ورخص أسعارها، وهي أشجار النخيل، فقد اهتم حكام زويلة بهذه الزراعة وشهدت معظم المدن التي خضعت لسيطرتهم

كثرة اشجار النخيل بها([72])، بما في ذلك زويلة([73])، وأدى ذلك إلى تصديرها إلى برقة وطرابلس وغيرها من المدن، وقد أشادوا بجودتها ورطابة وحلاوة تمورها([74]).

ثالثاً:- نشاط الحرف والصناعات:

ساعدت الثروات الطبيعية على قيام حرف وصناعات تقوم على استغلالها والأستفادة منها في نشاط حياتهم الاقتصادية وأسهم ذلك في تنوع مصادر دخلهم.

وأهم الصناعات التي أشتهرت زويلة بها جلودها المعروفة باسمها([75])، وعلى الارجح دخلت هذه الجلود في صناعات أخرى مثل الأحذية والسروج ([76])، وفي صناعة الدلاء التي استخدموها في الري([77]). واعتمدت هذه الصناعة على مادة الشب التي تحافظ على الجلد من التلف وفي الغالب أستورد أهل زويلة هذه المادة من سرت المشهورة بالشب السرتي([78]).

حاك أهل زويلة الثياب والأقمشة وأشهرها القماش الأحمر الذي استخدموه في نظام المقايضة فقد استبدلوه بالرقيق مع تجار غانا([79]). ولم تتوقف زويلة عن التطور والنمو في القرن الرابع الهجري، حتى وصفها بعض المؤرخين بأنها مدينة كبيرة([80])، وعامرة([81]).

مما لا شك فيه أن كثرة أشجار النخيل بالمدينة ساعدت على وجود صناعات أساسها شجرة النخيل، منها صناعة الأطباق واستخراج عسل التمر([82])، بالإضافة إلى استخدام السعف في أغراض عدة كالبناء وغير ذلك؛ وكان من عادة حراس زويلة استخدام جريد النخيل في حراسة السوق حسبما ذكرها البكري([83]).

رابعاً:- نشاط التجارة :

ساعدت عوامل عدة في ازدهار التجارة بزويلة، منها شبكة الطرق الصحراوية التجارية([84])، والتي تعد عصب الحياة الاقتصادية فيها، فهي تربط بين المحطات التجارية البحرية كطرابلس، وسرت([85])، وبين بلاد السودان مصدر الرقيق([86])، والذهب([87]). فضلاً عن ذلك أسهم انتاج زويلة الزراعي، والصناعي، وثرواتها الحيوانية، والبشرية في أزدياد هذا النشاط([88])، ويعكس هذا التطور التجاري فترة السلام والأمن التي عاشتها زويلة في عهد بني الخطاب، فقد كانت القبائل تدين لهم بالطاعة وتخشى سلطانهم وتخاف قوتهم حتى حدود بلاد السودان، وودان([89]).

وأنعكس هذا الأمن على المدينة الواقعة وسط الصحراء إذ لم تحط بها أسوار تحميها، وكانت لهم طريقة بارعة في الحراسة، حيث يدور الحراس المسؤولون عن المراقبة على ظهور جمالهم ويمسكون بجرائد النخيل التي تُجر على الأرض، ويدور بها حول المدينة وفي الصباح يقوم الحراس راكبين جمالهم يقتفون أثر الرمال، ويتبعون الهارب للأمساك به سواء كان لصاًأو عبداً أو جملاً حسبما ذكر البكري([90]).

وبناء على ما سبق أصبحت زويلة قبلة تقصدها وفود التجار من المشرق ومصر([91])، والمغرب واستقروا بها؛ حيث عاش فيها تجار من البصرة والكوفة وخراسان([92]).ورافق زيادة الحركة التجارية ([93])، أزدياد عدد الخدمات فكثرت الأسواق والحقت بها الحمامات([94])، ولم تذكر المصادر المتاحة بين أيدينا الآن مرافق أخري كالفنادق وأماكن إقامة التجار، ولكن الراجح أن ملوك زويلة لم يغفلوا عنها؛ لأن مدينتهم ملتقي للقوافل الصحراوية ومنها تنطلق مرة أخري([95]).

•أبرز الأنشطة التجارية :

شهد القرن الرابع الهجري طفرة اقتصادية، فنقل أهل زويلة بضائعهم التي أنتجوها إلى المدن الأخرى مثل برقة، وأوجلة، وطرابلس وسرت، ومنها تصدَ إلى بلاد المشرق والمغرب([96]).

عُرفت في زويلة صناعة الجلود الزويلية([97])، وكانت مرغوبة في بلاد السودان وكانم([98])، ولاقت رواجاً في أسواق المشرق([99])، وحمل معها الملح الطرابلسي التي تزعمت زويلة بيعه وتصديره إلى بلاد السودان([100])، وكان يستبدل بالذهب مع تجار اوداغستوغانا([101]).

تزعمت زويلة تجارة الرقيق الأسود حيث ويعد المصدر الأهم لثراء المدينة فقد وصف بعض المؤرخين هذه التجارة وصفاً دقيقاً بقولهم منذ القرن الرابع الهجري فقد كانت أفواج العبيد السود التي تدخل إلى بلاد المغرب والمشرق تأتي من زويلة بأعداد لا تحصى ولا تعد، ويباعون بأرخص الأثمان([102]).وقد حققت هذه التجارة أرباحاً كثيرة في الاسواق الكبرى بسبب قوة صبر العبيد وطاعتهم ورخص سعرهم([103])، وكانت طريقة حصولهم عليه ميسرة وسهله إما بالسبي([104])، أو هدايا من ملوك السودان([105])، أو باستبدالهم بالملح أو القماش الأحمر الذي أشتهرت به زويلة([106]).

رغم ذلك لم تكن تجارة الرقيق المصدر الوحيد للثراء في القرن الرابع الهجري ؛ بل كانت هناك تجارة الذهب الذي لعبت فيها زويلة دور الوسيط الأساس بحكم موقعها الجغرافي، فقد ذكر الأصطخري: إن هناك منجم للذهب لا مثيل له من الوفرة والنقاء يقع في الغالب بين زويلة وسجلماسة، فذهب نشاط تجار زويلة لأبعد من كانم مصدر الرقيق، إلى بلاد جاو بهدف احتكار بضاعة صحراوية مجزية وهي الذهب([107])، وبذلك أصبحت زويلة مركزاً لتبادل تجارة الذهب بين تجار، مصر والمشرق، وتجار بلاد السودان([108])، واستفاد حكام زويلة من هذه السلعة المربحة، وزاد استخدامها في سك العملة الذهبية في عهدهم([109]). ويضاف إلى ثراء زويلة موقعها الذي يعد ملتقي للطرق العابرة للصحراء فتعاظمت مواردها من رسوم المرور المحصلة من القوافل، بالإضافة لذلك تعد زويلة منطقة عبور لأهم منتجات بلاد السودان من الملح، والشب، والذهب وغيرها من البضائع التي أسهمت في نشاطها التجاري([110]).

وهكذا يمكننا القول إن القرن الرابع الهجري مثل ذروة النشاط الاقتصادي في زويلة، وساعدها على ذلك تنوع مقوماتها الجغرافية، والطبيعية التي لم يدخر حكامها جهداً في الأستفادة منها للنهوض بمكانة بلادهم؛ فنتجة ذلك صارت زويلة مدينة كبيرة وعامرة بأسواقها وتجارتها ومحطة رئيسة وسط الصحراء([111])، فزاد ذلك من هيبة وشأن حكامها من بني الخطاب المطاعيين والمهابين في أدنى بلادهم وأباعدها([112])، وامتدت هذه الشهرة لأبعد من ذلك حيث كانت الطبول تدق لتجار زويلة في بلاد غانا ويستقبلونها بالأنغام ويقولون "زويلة زويلة"([113]).

هوامش البحث :

(1)"ذكرت كتب الجغرافيا والتاريخ مدن أخري تحمل نفس الاسم منها:1- زويلة بلاد السودان: (زويلة بني الخطاب) موضوع البحث، وعرفت بهذا الاسم نسبة لقبيلة زويلة أحد بطون هوارة، ومواطنهم بين برقة وفزان وبلاد السودان. 2- باب زويلة : أحد أبواب القاهرة وتذكر الروايات بأن القائد جوهر الصقلي عند ذهابه إلى مصر، ارتحل معه معظم رجال قبيلة زويلة وناصروا الفاطميين وتقديراً لجهودهم أطلق اسمهم على باب عظيم من أبواب قاهرة المعز. 3- زويلة المهدية: تقع في الساحل الشرقي لإفريقية بناها الخليفة عبيد الله مقابل المهدية سنة (304هـ/ 917م) ؛ ابن خلدون، العبر، مؤسسة جمال، بيروت، 1979م، ج6، ص145؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، دارصادر، بيروت 1840م، ص147؛ الطيب، محمد سليمان ، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، ص72.

(2)البكري، المغرب ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1837م ، ص 10.

(3) مجهول، الأستبصار، ط جامعة الاسكندرية، 1958م، ص 5-6.

(4) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 960.

(5)البكري، المصدر السابق، ص 10.

(6)المرحلة : مسافة يقطعها الماشي، وتقدر بمسيرة نصف يوم؛ البوجديدي، محمد سعيد، المصطلحات الجغرافية الليبية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2006م،ص 85.

(7)الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص 312.

(8)البكري، المصدر السابق، ص11.

(9) تيري، جاك، تاريخ الصحراء الليبية، ترجمة جادالله عزوز الطلحي، اللجنة الشعبية العامة للثقافة، ليبيا، 2001م، ص 158.
(10) ابن سعيد، **الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت ،1970م** ، ص127.
(11) ساعدت العوامل الدينية ملوك بني الخطاب على تكوين هذه الوحدة الجغرافية حيث كانت زويلة وودان وفزان حصناً للمذهب الأباضي منذ القرن الثاني الهجري، وبالرغم من القضاء على مؤسس هذا المذهب سنة 144هـ، إلا أن مذهبهم استمر، فقد ذكر اليعقوبي إن أهل زويلة "قوم مسلمون أباضية كلهم"؛ **المصدر السابق، ص183**؛ يحي معمر، المرجع السابق، القسم الأول، الحلقة الثانية، ص ص 156-157.
(12) تزعمت التركيبة السكانية قبائل هوارة أحد بطون البرانس، مدينة زويلة خاصة وفزان وودان عامة، وتفرعت بطونها، كذلك شكل العرب احد عناصر السكان، حيث بدأ توافدهم مع بداية الفتوحات الإسلامية وساعد وجودهم على تكوين وحدة كبيرة من عرب وبربر، وتعريب البلاد، يضاف لذلك شكل الرقيق أحد عناصر السكان وكان سبب وجودهم الرئيس التجارة، اليعقوبي، المصدر السابق، ص183؛ **ابن حوقل، المصدر السابق، ص106**؛ الإدريسي، المصدر السابق مج1، ص116؛ **غوستاف، حضارة العرب، ترجمة** عادل زعتر، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1940م، ص304.
(13) ابن سعيد، المصدر السابق،ص127.
(14) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص ص115-116.
(15) المصدر نفسه، ص ص312-313.
(16) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج8، ص123.
(17) صورة الارض، دار صادر، بيروت، 1938م، ص106.
(18) **المصدر السابق، مج1، ص ص115-116.**
(19) الحميري، **المصدر السابق، ص608.**
(20) **ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.**
(21) انتهي حكم بني الخطاب على زويلة سنة (568هـ/1173م)، على يد القائد قراقوش الارمني الذي قام بقيادة حملة على إفريقية الولاء فيها لصلاح الدين الأيوبي، وتمكن من دخول زويلة وقتل آخر ملوك بني الخطاب وعاث فيها فساداً؛ **ابن غلبون**: التذكار، تحقيق الطاهر احمد الزاوي، المدار الإسلامي ، بيروت، 2004م، ص98.
(22) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، تحقيق أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1964م، ص230.
(23) أول إمام بايعه الأباضية في المغرب، وهو أحد حمله العلم الخمسة إلى بلاد المغرب وينسب إلى الأباضية اتباع عبدالله بن أباض؛ أبوزكريا، كتاب السيرة، تحقيق عبدالرحمن ايوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص ص57-58.
(24) عامل الخليفة ابي جعفر المنصور على مصر، واختاره قائداً للقضاء على امارة أبي الخطاب المعافري في المغرب، فتمكن من هزيمته في معركة تاورغا سنه (144هـ/ 761م)؛ ابوزكريا، المصدر السابق، ص73-75.
(25) بابا عمى، محمد بن موسي وآخرون، معجم أعلام الأباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2000م، ج2، ص 267.
(26) **البلدان، ص183.**
(27) المصدر نفسه والصفحة.
(28) **ابن غلبون، المصدر السابق، ص ص98-105.**
(29) الإدريسي، نزهة المشتاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، مج1، ص115-116، 312-313.
(30) **المصدر السابق، ص 106.**
(31) التيجاني، رحلة التيجاني، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م، ص 110،331؛ **ابن خلدون،المصدر السابق،ج 6،ص14.**
(32) وهي ناحية واسعة جنوب فزان، وتعد بوابة بلاد السودان للدخول إلى المغرب عن طريق مدن إقليم فزان وأهمها مدينة زويلة؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج8، ص 123.
(33) **ابن سعيد، المصدر السابق، ص 127.**
(34) الحميري ، المصدرالسابق،ص608؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص127.
(35) **ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص61-67-153.**
(36) **البكري، المصدر السابق، ص10.**
(37) الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص312؛ تيري، المرجع السابق، ص475.
(38) الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص313.
(39) **المصدر السابق، ص10.**

(40)تيري، المرجع السابق، ص478.
(41)زرقانة، ابراهيم احمد، جغرافيةالمملكة الليبية، دار النهضة، مصر، 1964م، ص62.
(42)الادريسي، **المصدر السابق، مج1، ص313.**
(43)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183؛ **البكري، المصدر السابق، ص11.**
(44)تيري، المرجع السابق، ص 468.
(45)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183؛ **البكري، المصدر السابق، ص11.**
(46)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(47)تيري، المرجع السابق، ص ص478-479.
(48)الادريسي، المصدر **السابق، مج11، ص116.**
(49)**ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.**
(50)تيري، المرجع السابق، ص474.
(51)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(52)**البكري، المصدر السابق، ص11.**
(53)تيري، المرجع السابق، ص ص 478-479.
(54)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(55)**البكري، المصدر السابق، ص10.**
(56) **زرقانة، المرجع السابق، ص62.**
(57)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(58)المؤنس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ، ص77
(59)الإدريسي، المصدر السابق، مج1، **ص ص109-111-313.**
(60)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(61)**البكري، المصدر السابق، ص10.**
(62)الإدريسي، المصدر السابق، ص313.
(63)**البكري، المصدر السابق، ص11.**
(64)المصدر نفسه، ص10.
(65)الإدريسي، المصدر السابق، ص109.
(66)**البكري، المصدر السابق، ص12.**
(67)الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص113.
(68) **زرقانة، المرجع السابق، ص ص60-62.**
(69)الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص112.
(70)**البكري، المصدر السابق، ص ص10-11.**
(71)الحميري، المصدر السابق، ص183.
(72)اليعقوبي، **المصدر السابق، ص183؛ البكري، المصدر السابق، ص10.**
(73)**ابن حوقل، المصدر السابق، ص67.**
(74)**البكري، المصدر السابق، ص10**؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص313.
(75)**ابن حوقل، المصدر السابق، ص67**؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص313.
(76)اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(77)المزيني، صالح مفتاح، ليبيا، الدار العربية للنشر، طبرق، 2002م، ص211.
(78)الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص112.
(79)**ابن حوقل، المصدر السابق، ص68.**
(80)**البكري، المصدر السابق، ص11.**
(81)الحميري، المصدر السابق، ص608.
(82)الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص116.
(83)المزيني، المرجع السابق، ص209.
(84)**المصدر السابق، ص11.**
(85)**انظر الملحق** "الطرق التجارية لمدينة زويلة ، ص .
(86)**البكري، المصدر السابق، ص11.**
(87)الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1971م، ص43.
(88)**ابن حوقل، المصدر السابق، ص101.**

(89) البكري، المصدر السابق، ص ص10-11؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص67.
(90) تيري، المرجع السابق،ص470-474.
(91) المصدر السابق، ص11.
(92) تيري، المرجع السابق، ص477.
(93) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(94) البكري، المصدر السابق، ص11؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص313.
(95) البكري، المصدر السابق، ص10.
(96) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص66-68.
(97) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(98) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص313.
(99) ابن حوقل، المصدر السابق، ص97.
(100) تيري، المرجع السابق، ص ص639-690.
(101) ابن حوقل، المصدر السابق، ص101.
(102) الاصطخري، المصدر السابق، ص43؛ البكري، المصدر السابق، ص11؛ الادريسي، المصدر السابق، مج1، ص ص109-110.
(103) الاصطخري، المصدر السابق، ص ص43-44.
(104) الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص110.
(105) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.
(106) البكري، المصدر السابق، ص11.
(107) المصدر السابق، ص ص43-44.
(108) تيري، المرجع السابق، ص ص477-478.
(109) أيوب، محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية، طرابلس، دت، ص90.
(110) تيري، المرجع السابق، ص ص477-478.
(111) البكري، المصدر السابق، ص ص10-11؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص127.
(112) ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.
(113) البكري، المصدر السابق، ص183.

الخاتمة :

يتضح مما سبق أن العقبة الأولى التي تواجه التطور الأقتصادي لأي مدينة ما هي الأمن والاستقرار، ففي القرون الثلاثة الأولى وما ترتب عليها من تغيرات سياسية ودينية واجتماعية أثرت على النشاط الأقتصادي في زويلة كما أن القرنين الخامس، والسادس الهجريين رافقهم اضطراب للأمن بفعل الهجرة الهلالية ؛ والتدخل الأيوبي بقيادة قراقوش الأرمني، أدي إلى ضعف السلطة وانتهاء سيطرة ملوك بني الخطاب عليها، فشكل ذلك ثقلاً على الحياة الاقتصادية التي أصابها الكساد لدرجة كبيرة.

شهد النشاط الاقتصادي تغيراً كبيراً في القرن الرابع الهجري، فقد ساعدت عوامل عدة في الاستقرار والوحدة السياسية وتمثلت في قيام حكم مملكة بني الخطاب الذين اهتموا ببناء زويلة وزيادة عمرانها فصارت مركزاً –عاصمة، خضعت لها كل المدن الواقعة ضمن الإقليم الصحراوي، والذي عرف باسم إقليم فزان. ولم تعد زويلة تلك المدينة التي عرفت في قرون عدة بقلة سكانها وضعف أنتاجها الزراعي والصناعي، ولا تتميز إلاّ بكونها منطقة عبور للتجارة المارة إلى السودان أو المتجهة إلى بلاد المشرق والمغرب، وإنما أصبحت مدينة عامرة واسعة كثيرة السكان وبها الإنتاج الزراعي، والصناعي ومزدهرة التجارة التي تعد المدخل الرئيس لثرائها، وقد أسهم حكام زويلة في تذليل كل الصعاب لتكون مدينتهم محطة صحراوية تجارية تقصدها القوافل التجارية العابرة للصحراء من كل اتجاه، فسخروا لذلك المقومات الطبيعية،

والموارد الأقتصادية، والبشرية حتى أصبحت زويلة في عهدهم مدينة استقرار وسلام وصارت قوتهم مهابة ومطاعة وتخشاهم القبائل الأخرى في أدني البلاد واقصاها كما وصفهم ابن حوقل.

ونتيجة لذلك زاد عدد سكانها، حيث كانت القبائل تقصدها للتجارة فضلاً عن الهجرات العربية إليها والتي رافقت مرحلة الفتح العربي الإسلامي ثم أصبحت تزداد قرناً تلو الأخر بسبب التغيرات السياسية والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية في البلدان الأخرى؛ وأسهمت هذه العناصر في زيادة النشاط الاقتصادي في زويلة بفعل خبراتهم التي نقلوها معهم سواء في المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري وغير ذلك، فضلاً عن أقليات آخري دخلت زويلة بقصد التجارة ومنهم اليهود وقد حرص ملوك بني الخطاب على تقديم التسهيلات لهم، بل وأجلسوهم في مجالسهم وتقربوا منهم وذلك لبراعتهم في تجارة الذهب وصارت زويلة تمثل محطة مهمة للالتقاء بين تجار الذهب بين بلاد السودان ومصر والمغرب، وكذلك شكل عنصر الرقيق أحد عناصر السكان فقد مثل الرقيق مصدر دخل مهم كان له الأثر الكبير في ثراء حكام زويلة وسكانها، وأكد بعض المؤرخين أن معظم الرقيق الأسود في بلاد المغرب كان مصدره زويلة، وشكلت تجارة الرقيق سلعة رابحة وراج المثل الشعبي القائل(دواء الجرب القطران ودواء الفقر السودان). ونتيجة لما سبق استغلت الموارد الطبيعية بصورة لم تعرفها المدينة من قبل فشملت الزراعة فزادت كثافة الإنتاج الزراعي بالذات زراعة التمور التي أشتهرت بكثرتها وجودتها، ويصدر إنتاجها إلى برقة وطرابلس ومنها إلى البلدان الأخرى. وعرفت زويلة بعض الصناعات وأهمها صناعة الجلود الزويلية، وحياكة بعض الأقمشة المرغوبة في بلاد السودان ومصر، وسكت أيضا العملة الذهبية في عهد بني الخطاب، فلا غرو بعد هذا أن تتطور هذه المدينة الأزلية القديمة إلى مدينة كبيرة عامرة بأسواقها وعمرانها وكان لهذا الأزدهار الأقتصادي أثره في النهوض بمستوى الحياة الاجتماعية، وتمتعت الطبقة الحاكمة بشهرة واسعة وصلت إلى حد تبادل الهدايا مع أمراء بلاد المغرب والسودان، وتحول السكان إلى حياة المدنية واكتسبوا مهارات تجارية أسهمت في ثرائهم.

وتوصلت الدراسة إلى أن الضعف السياسي (القوة الحاكمة) نتيجة لأسباب عدة وما يرافقه من خراب ودمار أدي إلى نهاية حكم هذه الأسرة فانعكس ذلك سلباً على الحياة الاقتصادية واخفق أهل البلاد في بناء اقتصادهم مما أدي إلى سيطرة قوى أخرى على بلادهم فأصبحت معيشتهم كدرة وأحوالهم نكده كما وصفهم بعض المؤرخين.

الملحق رقم (1)
خريطة الطرق التجارية.

من إعداد الباحث اعتماداً على:
١. اليعقوبي: البلدان، ص 183-184.
٢. البكري: المغرب، ص 10-17.
٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، مجلد ١، ص 100-312-313.
٤. د. مصطفى مفتاح الزوي: ليبيا، ص 236.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر :

(1) أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر، ت النصف الثاني من ق 4هـ/10م): السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، 1981م.

(2) **أبو الفداء** (عماد الدين إسماعيل بن محمد، ت732هـ/1330م): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1984م.

(3) ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني، ت1092هـ/ 1681م): المؤنس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ.

(4) الإدريسي (أبو عبد الله بن عبد الله بن إدريس، ت558هـ/1162م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

(5) **الإصطخري** (الكرخي، ت النصف الأول من ق4هـ/10م): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1971م.

(6) **البكري** (أبو عبيد الله ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1837م.

(7) التيجاني (**عبد الله بن محمد بن أحمد**، ت707هـ/1307م): رحلة التيجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م.

(8) الحميري (محمد بن عبد الله ت ق9هـ/15م):الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة، ط2، 1980م.

(9) **ابن حوقل**(أبو القاسم النصيبي، ت380هـ/990م): صورة الأرض، دارصادر، بيروت، 1938م.

(10) **ابن خلدون** (**عبد الرحمن بن محمد**، ت808هـ/1405م): **العبر، مؤسسة جمال** للطباعة، بيروت، 1979م.

(11) ابن سعيد (علي بن موسى، ت685هـ/1286م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م.

(12) **ابن عبد الحكم** (عبد الرحمن بن أعين، ت257هـ/871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1990م.

(13)ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل،القرن 12هـ/18م): التذكار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.
(14)مجهول (كاتب مراكشي القرن 6هـ/12م): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، طبعة جامعة الإسكندرية، 1958م.
(15)ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1991م.
(16)اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب، ت284هـ/897م): البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.

ثانياً: المراجع :

(1) أيوب، محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية، طرابلس، دت.
(2) **بابا عمي. محمد بن موسى وآخرون:** معجم أعلام الأباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 2002م.
(3) زرقانة، إبراهيم احمد، جغرافية المملكة الليبية، دار النهضة، مصر، 1964م
(4) الطيب ، محمد سليمان :موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م.
(5) غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتر، دار احياء الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1940م.
(6) المزيني، صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الدار العربية للنشر، طبرق، ليبيا، 2002م.
(7) **معمر.** علي يحيى: الأباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط3، 2003م.

Abstra

Economic activity in Zuwaila during the fourth century AH / 10th century AD is a new topic of study and research because the economy is the main engine of the states and cities either to prosperity and development or vice versa. Zuwaila lived during this century, the development of economic activity and contributed to several factors and elements contributed to it; the most important is the sovereignty of the authority of the kings of BaniKhattab, and such a century peak strength and influence and the expansion of their powers to include the borders of Sudan,

And they have been able to consume and harness the natural resources and economic and social resources to promote this eternal city located in the middle of the Sahara, until they become a city and a center of power (capital), feared by the distressed and Aldani as witnessed by some Arab historians and geographers, hence the importance of studying this subject.

The study aims at providing economic resources and natural resources that can not be utilized in the economic activity of any city in the absence of the ruling governing authority that provides security and social and economic stability. The ruling authority in its geographical environment is a key factor to attract and attract population elements and encourages migrations from cities And major centers for the purpose of economic use, regardless of its geographical location, even in the middle of the desert.

The study aims at the fact that the ruling authority of the kings of Bani Al-Khattab contributed greatly to the real benefit of these assets and resources and the good use of them has been positive in the level of economic life in their era and described the activity and development and prosperity, which included utilization of the capacities of grazing, agriculture, industry and trade investment, The study also aims to show that the absence of power and deterioration of security, whether due to internal or external factors, leads to its reflection in the economic activity of cities and civilizations, including Zuwaila.

In order to clarify this study, it was based on the historical and narrative approach and the analytical approach of some events to reach a real study based on regression and criticism.

As a result of the above divided the drama into several elements and an introduction and conclusion and I saw it necessary to clarify some of the implications associated with the title of the research, including clarification:

- The meaning of Zuwaila
- The significance of the fourth century AH / 10th century AD

And then study the economic activity in Zuwailah during the fourth century AH / 10th AD, and divided it into: -

-Impact of geographical location
-Impact of climate and natural resources

Then to: - First: the activity of hunting and grazing
Second: Agriculture activity
Third: Crafts and industries
Fourth: Trade activity

الثورات الشعبية في ليبيا ضد التواجد العثماني

د /المبروك محمد موسى علي

جامعة الزاوية

كلية الآداب

التمهيد :

إشكالية البحث : تساؤلات تتعلق بكيفية قيام الانتفاضات وأسبابها، وتطوراتها، وانتشارها في مختلف مناطق من البلاد، وزعامتها، ونتائجها.
اقتناعي بأهمية الموضوع الذي يشكل جانباً من التاريخ النضالي للشعب الليبي.، وأن يكون حافزا للآخرين لدراستها من جوانب أخرى، وتنال مع غيرها من الانتفاضات الشعبية التي قامت في الوطن العربي ضد الوجود العثماني، اهتمام الباحثين، والدارسين بما يسلط المزيد من الأضواء على المجهول من تاريخ البلاد النضالي، في سبيل استرجاع حقوقه، و الاحتفاظ بكرامته، وتعتبر من أهم الانتفاضات التي شهدتها إيالة طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني وأخطارها,فقد كانت شعبية عارمة شملت مناطق كبيرة من الايالة ضمت بعض القبائل الكبيرة ذات القوة ، والنفوذ، وأتسع تأثيرها في منطقة جغرافية واسعة شملت، والتي استمرت فترات زمنية طويلة، فشكلت بذلك خطورة كبيرة هددت الوجود العثماني في البلاد، وألحقت بجيشه الهزائم في عدة مواقع ،واستنزفت إمكاناته الاقتصادية، وسببت له الأزمات السياسية التي أدت إلي سقوط الولاة ، وتغير القيادات العسكرية ،والتي كان لها تأثيرا على الأوضاع القبلية ،ومراكز نفوذها في الداخل ,كما استرعت على الصعيد الخارجي انتباه الحكومات الانجليزية والفرنسية فأسرعت بالتدخل ولو بصورة غير مباشرة في الصراع الدائر بينهما.

في مطلع القرن السادس عشر، حققت الدولة العثمانية انتصارات كبرى، واحتلت مناطق كثيرة في أوربا والمشرق العربي تحولت إلي دولة كبيرة في الشرق فبعد القضاء على دولة المماليك في الشام عام 1516 م ومصر 1517م ، وغرب الجزيرة العربية، و استلامهم مفاتيح الحرم من الخليفة المملوكي في القاهرة ، وصارت ينظر إليها كقوة عسكرية ’إسلامية مدعوة لخوض الجهاد المقدس ضد الكفار,وحاولت هذه الدولة ، أن تسير في حكم البلاد العربية التي خضعت لنفوذها، بأسلوب يتناسب وطبيعة هذه البلاد وعاداتها وتقاليد أهالها ، ونظم الحكم التي كانت سائدة فيها من قبل ، وفي نفس الوقت تتناسب وفلسفة الحكم العثماني ذاته ، وفي إطار تحقيق هذا الهدف وضع العثمانيون تقسيما إداريا للبلاد العربية التي خضعت لسيادتهم عرف بنظام الإيالات، أو الباشويات، أو الولايات ، فقد قسمت البلاد العربية إلى قسمين، هما المشرق العربي والمغرب العربي، الذي تكونت فيه ثلاث ولايات هي طرابلس والجزائر وتونس ، وقد كانت كل ولاية تقسم بدورها إلي عدد من الوحدات الإدارية والمالية مثل القضاء والناحية [5] وفي 1551م ، استولى العثمانيون على طرابلس، وكان سكانها قد خاضوا,على طوال أربعين سنة صراعاً ضد الغزاة الأسبان الذين احتلوا طرابلس سنة 1510 م ثم ضد فرسان مالطا الذين سلمهم الأسبان المدينة سنة 1530 م، وقد استفادت هذه الدولة من نتائج الصراع الذي امتدَّ سنوات طويلة ، لكي تغطي الدولة العثمانية على أطماعها التوسعية أصرت على إظهارها في مظهر محررا للشعوب الإسلامية من الضيم الأجنبي، غيران السياسة التي أتبعها العديد من الديات والمتمثلة في فرض الميري (الضرائب)ودفعها بالقوة على جميع المحاصيل من ألأهالي، إلى جانب أعمال السلب والنهب والقتل والتشريد كان لها رد فعل لدى ألأهالي مما أدى، إلى قيام العديد من الانتفاضات ضد الوجود العثماني في البلاد من أجل التخلص من هذا الوضع، وإن هذه

السياسة خلفت سخطاً عارماً على الدايات **الأمر الذي أدى إلى رفض الوجود العثماني، وعلى** الرغم من الجهود التي بدلها بعض الدايات للتقرب إلي بعض الزعامات القبلية، **فإن الأوضاع** عند الأهالي كانت أكثر خطراً، الأمر الذي دعاهم إلى القيام بثورات في مختلف القبائل، **والتي** استمرأت طيلة الحكم العثماني في هذه البلاد ، ونذكر البعض منها :

أ - في سنة 1587 م قام الانكشارية بمذبحة الحجاج المتجهين إلي مكة المكرمة فثار عليهم أهالي الساحل في تاجورا بقيادة الشيخ يحي بن يحي ، وأتسع نطاق الثورة عبر سكان المناطق الجبلية في جبل نفوسة وبنغازي ودرنة عن تأييدهم لثورة أهالي تاجورا [6]

ب - خلال عهد محمد باشا الساقزلي، **سنة** 1633**م**/ 1649 م ثار الزعيم القبلي جابر بن **موسى** في تاورغا ألأمر الذي دفع بالسلطات العثمانية إلى إعداد حملة عسكرية والالتقاء به في مشارف تاورغا التي هزمت في بداية المعركة غير أنها استطاعت القضاء عليه بعد وقوع زعيمها في الأسر ومقتله، رجعت ثاورغا تحت سيطرة الدولة[7]

ج - بعد ثلاثة سنوات من تولي صفر داي الحكم في ايالة طرابلس الغرب ، **ففي عام** 1656**م** قامت ثورة في تاجورا بزعامة عويس ضد الداي صفر،وقدمت قبيلة الرقيعات الدعم لهذه **الثورة** ، وقامت بمهاجمة مدينة طرابلس عاصمة الايالة، **وخلال فترة حكم الداي صفر تعرض** للمصاعب الكبيرة [8] في إقليم فزان، **في سنة** 1694 **م** حيث استفادا الناصر بن محمد شيخ فزان من ضعف الإدارة العثمانية ورفض دفع الإتاوة السنوية إلى خزينة الايالة ، **في الوقت الذي** كان العثمانيون يتطلعون بدورهم إلى تدعيم مواقعهم في ذلك الإقليم الذي تمر من خلاله تجارة القوافل من منطقة أفريقيا الوسطى إلى موانئ **البحر المتوسط** [9]

د - في سنة م 1639 قام أحمد بن عبد الهادي أمير واحة أوجلة التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بنغازي، **والتي شكلت خطرا على طرق تجارة القوافل** ، وقد كانت هذه الواحة نقطة عبور لها غير إنه لم يتمكن من مواجهته ، **وبدأ الزحف العثماني بالتوغل في الواحات التي تقع في الجنوب الشرقي من البلاد**[10] كما انتفض أهالي برقة في مدينتي بنغازي ودرنة ضد الظلم العثماني لهما مستفيدين من ضعف حاكم الايالة في طرابلس الغرب ، وصراعه الفاشل مع جيرانه في الايالة التونسية[11]

هـ - وقام منصور بن خليفة في عام 1687 م الذي كابد ظلم الإنكشارية الأمر الذي دفع بالداي محمد الإمام إلى إرسال حملة عسكرية لمواجهته فأثار أهالي ترهونة الذين كانوا ساخطين بسبب مضايقات ألإنكشارية في الحاميات المحلية ، ولما علم بوصول قوات كثيرة قادمة من طرابلس، **إلى تاورغا**، فرَ ومعه العديد من الأهالي الذين انضموا إليه حيث التقى الطرفان بالقرب من **تاورغا**، وفي بدئ المعركة انتصر زعيم الثوار، غير أنه تحت ضغط الأهالي تلك المنطقة اتجه **نحو سرت، و أوغل نحو حدود برقة** [12]

و - ففي سنة 1694**م**، لم تكن الأمور هادئة في فزان، حيث رفض الناصر بن محمد، **دفع المبالغ** المقرر دفعها إلي حكومة الولاية في طرابلس الغرب ، فتوجهت له قوة كبير بقيادة يوسف بك، **و** دارت بينهم معركة بالقرب من مرزق غير أن قائد الحملة العثمانية، على فزان أستطاع أن يشق **صفوف الثوار**، ونتيجة لذلك وقع شيخ فزان الناصر بن **محمد في الأسر، وبعد مضى خمسة** أشهر عاد أهالي فزان إلى الثورة من جديد، **وقاموا بطرد ممثل طرابلس** ، وتكليف تميم بن جمعة شيخاً لفزان[13]

ز- بينما في سنة 1699 م قام عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي، **بثورة في منطقة تاورغا** ، وجمع الساخطين من أهالي المنطقة،وأنضم إليهم أولاد سليمان، وصار يغير على قرى منطقة **مصراتة**، وزليطن، للنهب والسلب ، وخرجت له قوة من طرابلس يقودها خليل بك ، حيث بددها ودمرَها في سنة**1700م** ، [14]، وقد أدت هذه الانتفاضات التي قامت في مناطق مختلفة من الايالة رفضا للحكم العثماني ساعدت في مجملها إلى انهيار الأوضاع الاقتصادية في البلاد وهجرة الكثير من الأهالي العديد من المناطق[15]

حـ وفي سنة 1703 م خرجت قبيلة المحاميد، على طاعة الدولة في عهد الداي خليل بيك، وذلك بسبب انتقاص من امتيازاتها، وتضامن مع هذه القبيلة أهالي غريان، حيث توجهت لهم قوة عسكرية كبيرة لضربهم مكونة من ثلاثة آلاف عسكري من الانكشارية،وحوالي خمس مائه من قوة الفرسان، وستة ألاف من المتطوعين العرب من القبائل المعادية للمحاميد، ودارت المعارك بوادي الأرباع بالقرب من غريان، وفي الوقت نفسه قام بعض المسلحين من المحاميد بشن غارات على المناطق المأهولة بالسكان القريبة من طرابلس،الأمر الذي كلف حكومة الإيالة مجهوداً كبيراً للقضاء على هذا التمرد [16] وفي سنة 1711 م هبت عاصفة التغيير و الأحداث القوية على إيالة طرابلس الغرب، تمكن أحد القادة العسكريين العثمانيين الدين استقرت أسرتهم البلاد،وهو أحمد باشا القرمانلي[17] من الاستيلاء على السلطة ، فأنهى السيطرة العثمانية المباشرة التي دامت مائة وستين عاما من 1551 إلي 1711، و وضع حداً لذلك العهد الطويل من الفوضى السياسية والإدارية التي عمت البلاد، من التهديد والسلب والنهب من طرف الانكشارية وعدم الاستقرار، وقيام الثورات الداخلية التي عمت الايالة في أوقات مختلفة،حيث كان موقف الحكومة المركزية هو الاعتراف بالآمر الواقع، وهو الاعتراف بشرعية حكم أحمد باشا القرمانلي على طرابلس في عام 1714م ،وأن يكون الحكم وراثيا في أسرته [18]

قد قسمت الايالة إلي ثلاثة ألوية هي طرابلس ومصراتة وبنغازي، وكانت الألوية تقسم إلى أقضية، ولا قضية إلى نواحي تحكم بواسطة جهاز إداري محلي لتطويع الأهالي، حيث يتم إرسال قوات من طرابلس إلي المناطق التي تحتاج إلى المساعدة في تحقيق ذلك، وكانت السمة البارزة لحكم عائلة القرمانلي هو الصراع الدموي بين أفرادها، والتكالب على السلطة، وقد ترك هذا الصرع أثاره السلبية؛ إذ عمت البلاد الكثير من الانتفاضات، التي كانت في مجملها تهدف ألى التخلص من حكم العائلة القرمانلية [19] ،والتي سنت القوانين الصارمة التي ألحقت بالأهالي أضراراً كبيرة بما سنته من ضرائب استثنائية على الزراعة والتجارة اللتين كانتا تشكلان اقتصاديات الايالة، وكان لذلك انعكاسه السيئ إذ أدى إلى نزوح الكثير من الأهالي البلاد [20] ونتيجة للظروف السيئة التي أصبحت عليها الايالة اندلعت العديد من الانتفاضات الشعبية في مناطق كثيرة من البلاد ، حيث انتفضت قبيلة أولاد سليمان سنة، 1806م بزعامة الشيخ عبد الجليل غيث سيف النصر، الذي انتهز والده فرصة اضطراب أحوال البلاد بسبب تجدد الصراع بين الوالي يوسف باشا القرمانلي، والدويلات الايطالية التي حاولت الحصول على بعض الامتيازات مثل الحكومة الأمريكية فأعلن الشيخ غيث الخروج عن طاعة الحكومة في طرابلس، واجبر السفن الأوربية القادمة إلى ميناء سرت على دفع الرسوم الضرائب إليه بدلا من دفعها إلي خزينة الايالة [21] وعليه أرسل يوسف باشا قوة عسكرية بقيادة ابنه محمد إلي سرت للقضاء على الثورة والقبض على زعمائها،و تمكن من قتل الرأس المدبر لها الشيخ غيث ، وأسر أبنه عبد الجليل صغير السن، وأمر بنقله إلي طرابلس ليعيش في وسط العائلة الحاكمة حتى يبلغ رشده،وساعدته تلك الظروف على معرفة سياسة هذه العائلة، أسرار حياتها[22]، وسنة 1826م قامت الثورة في إقليم برنو، و طلب حاكمها المساعدة من يوسف باشا القرمانلي،الذي أرسل حملة لنجدة صديقه،بقيادة عبد الجليل غيث سيف النصر،الذي استطاع الوصول إلى الحدث، والقضاء على حركة التمرد في الإقليم، غير أن هذه الثورة أعادت إلي ذاكرته الحملة التي ذهب والده ضحيته عام 1806 م، وبعد وصوله إلى مدينة طرابلس أخذ يفكر للثورة ضد يوسف باشا القرمانلي أخذا لثار والده[23]، وفي عام 1830 أعلن عبد الجليل سيف النصر الخروج عن طاعة يوسف باشا في منطقة بني وليد التي تقع إلى الجنوب الغربي لسرت، وانضمت لها القبائل المجاورة، وامتدَ زحفها إلي سرت و فزان،نتيجة المتاعب السياسية والاقتصادية التي مرت بالبلاد تلك السنة، وبذلك حاول الباشا دعوة عبد الجليل للتفاوض معه ومعرفة مطالبه فقرر عبد الجليل أن يبعث بمندوب عنه لمقابلة الوالي، ومناقشة المواضيع التي تهم الطرفين، فأعتبر يوسف باشا ذلك تحديا له، أمر بقتل مندوب عبد الجليل ، فجاء رد عبد الجليل سريعا، بإرسال قوة لاحتلال إقليم فزان ،ولما تأزم الموقف بينهما عرض القنصل البريطاني في طرابلس التدخل

لإنهاء الأزمة فرفض الوالي ذلك الطلب ، و أمر بإعداد حملتين بقيادة ولديه بالتوجه إلى منطقة بني وليد مركز قيادة عبد الجليل،حيث وقعت المعارك بينهم و استطاعت قوات الباشا التغلب على الثوار وإجبارهم على ترك بعض مواقعهم، غير أن تدخل القبائل المرابطين الموالين للباشا من أولاد أبو سيف، وأولاد أبو مريم ،وتعهد عبد الجليل بن غيث بإجلاء إقليم فزان [24] ، غير أن عبد الجليل زاد إصراراً على عدم تركه فزان ، أعد يوسف باشا حملة عسكرية تحت قيادة محمد المكني لوضع حدا لثورة عبد الجليل، واسترجاع إقليم فزان إلى تبعيته بالايالة المباشرة،وعند وصول المكني إلى إقليم فزان،تعرض لمقاومة قويه من أنصار عبد الجليل، لذ أرسل إلى طرابلس يطلب إمداده بالعساكر والعتاد الحربي،أبلغ بان يوسف باشا قد تنازل عن الحكم إلي أبنه علي باشا، وأنه أقر عبد الجليل حاكما على إقليم فزان، وبهذا الاعتراف انتهت مؤقتا مشكلة فزان ، أصبح عبد الجليل يمارس نشاطه كحاكم لفزان[25]، والذي يمكن قوله بأن اعتراف علي باشا القرمانلي بعبد الجليل غيث كحاكم على إقليم فزان هي بسبب إعلان الثورة في مركز الولاية بالساحل و المشية بقيادة ابن أخيه محمد باشا [26] وفي عام 1810م ، قرر أهالي قضاء نالوت التابع للجبل الغربي، الخروج عن طاعة الشيخ بالقاسم بن خليفة شيخ الجبل، ورفضت دفع قيمة الضرائب المفروضة عليهم لخزينة الايالة،فحاول شيخ الجبل إقناع الأهالي بدفع المبالغ المقررة عليهم، والاعتراف بسلطة الايالة عليهم، واستغل يوسف باشا الفرصة فسارع بإرسال حملة إلى نالوت بقيادة ولدي أحمد، وعلي،ودارت معركة ضاربة بالقرب من نالوت،وانتهت المعركة بالتفاوض، وإجبارهم على دفع الضرائب المفروضة، وتسليم العبيد الدين كانوا عندهم كمصاريف حربية [27] ، وقد عززت هذه الثورة رغبة يوسف القرمانلي في ضم هذه المنطقة إلى إشرافه المباشر، ورغبته في الحصول على أكبر كمية من الضرائب من السكان [28] غير أنه لم يتمكن من تحطيم الروح ألاستقلالية، التي عمت أرجاء الايالة طيلة المرحلة السابقة، ضد سياسة الإدارة العثمانية التي تركزت ة أساسا على إغراق الأهالي بأعباء الضرائب، وإتباع سياسة التعسف والجور، الذي كان سبب في الثورات التي عمت البلاد طيلة الفترة السابقة التي كان لها الأثر المباشر في زوال حكم الأسرة القرمانلية، وكانت فرصة سانحة للحكومة المركزية للسيطرة على طرابلس الغرب من جديد وجعلها تابعة للحكم العثماني المباشر ففي يوم 26 محرم 1251ه الموافق 24 مايو 1835 م تمكن مصطفى نجيب باشا من السيطرة على الحكم في إيالة طرابلس الغرب المباشر [29]، غيران فترة الوالي لم تدم طويلا بطرابلس الغرب لسخط الأهالي عليه، كما أن الحكومة العثمانية رأت في وجوده بهذه الايالة خطر يهدد بالانفصال من جديد ،و بعد أن سك عملة نقدية محلية باسمه ، ومن بين الأخطاء التي ارتكبتها سلطة الايالة هي اعتقال الشيخ غومة بن خليفة المحمودي، الذي قدم إلى مدينة طرابلس في يوليو 1835م ، ومعه عددا من أعيان قبائل الجبل مهنئاً بعودة طرابلس إلي سلطة الدولة المباشرة، وبقدوم الباشا الجديد، وهي عادة متبعة عند قبيلة المحاميد يقدمون التهاني إلي كل واليا جديداً، وحضر الوالي مصطفى نجيب مراسم الاحتفال ، وقدم الهدايا إلى مشايخ المحاميد برنساً مطعماً بالفضة [30]، وعلى الرغم من تقديم الهدايا إلى الوفد غير أنه غدر بالشيخ غومة ووضعه في السجن وألغيت مراسم الاحتفال بدون ذكر الأسباب، الفعل الذي استنكره جميع الأهالي في الايالة من تصرف الباشا غير المقبول في حق الشيخ غومة المحمودي ، وطلبوا منه إخلاء سبيله ، ولكن الباشا رفض الطلب ، و أصرَ على إبقائه في السجن ، و ما أن وصلت المعلومات إلى السلطان محمود الثاني تفيد باعتقال الشيخ غومة المحمودي، و أثره على حالة الاستقرار الأمني في البلاد ، وامتناع أعيان الدواخل ، وشيوخها من التعاون مع مصطفى نجيب ، واستياء الحكومة الفرنسية من الإطاحة بالأسرة القرمانلية[31] مما جعله يقوم بإعفاء مصطفى نجيب من مهامه [32]، بغرض التخفيف من حدة توتر الوضع،وفي شهر سبتمبر 1385 ثم تكليف الوالي محمد رائف باشا الذي أطلق سراح الشيخ غومة المحمودي أملا منه في الاستعانة به لبسط نفوذه على المناطق الداخلية في الايالة،في الوقت الذي كانوا الأهالي يعقدون أمالا كبيرة عليه في الاحتماء به من بطش الدولة،وقد حقق الشيخ غومة أمل الأهالي فيه ، عندما ثار أهالي غريان على الوالي محمد رائف باشا ،

واستنجدوا بالشيخ غومة فهب لنجدتهم ومعه بعض فرسان أهل الجبل الغربي ، وبمساعدتهم تمكنوا ثوار غريان من تحقيق النصر على القوات التي يقودها طاهر باشا، والاستيلاء على الكثير من العتاد الحربي والمؤن ،و إجبار القوات الحكومية إلى الانسحاب إلي مدينة طرابلس [33] ، وعند وصوله إلى طرابلس وجد أمامه فرمان بتعينه دايا على طرابلس خلفا لمحمد رائف باشا [34] ، ويذكر محمد بهيج بان الوالي طاهر باشا قد خاض ثمانيا وعشرين معركة ضد أهالي الجبل بقيادة الشيخ غومة [35]، غير أنه تم الاتفاق على الصلح بين الوالي والثوار على أن يتول الشيخ غومة المحمودي وظيفة مدير غريان، مقابل تسليم المدافع الذي وقعت في أيدي الثوار إلي الحكومة[36]

ففي يوم 25 مايو عام 1837 وصل الداى الجديد حسن باشا الجشملي إلى طرابلس الذي عمل على المصالحة مع الثوار [36] حيث كانت فترة حكمه تمتاز بالهدوء في جميع أرجاء الإيالة ، ولكن الحكومة العثمانية قامت بنقل الوالي حسن باشا ، وكلفت بدلاً منه علي عشقر باشا 1838 / 1842م الذي عّرف بقسوته لرجال حركة المقاومة، وعلى الرغم من قيامه بعقد المصالحة مع الثوار في غريان في شهر نوفمبر 1838 م على أن يلتزم الأهالي بدفع مبلغ مالي وقدره ثمانية وعشرين الف قرش عن منطقة غريان و ترهونة و ورفلة و سرت وفزان و سهل الجفارة [37]

ولقد ساعد مقتل عبد الجليل غيث سيف النصر إلى حصر الثورة في الجبل الغربي الآمر الذي دفع بالشيخ غومة المحمودي بالقدوم ، ومعه أعيان، ومشايخ الجبل إلي طرابلس يوم 10 رجب الموافق 17 أغسطس 1842م ، وعقدوا صلحا مع الوالي علي باشا عشقر، الذي كان منشغلا بإحداث ثورة سيف النصر والقضاء عليها في 1842 م و لكنه عاد في نهاية العام ليركز هجومه على قري الجبل غير أن ولايته انتهت قبل أن يحقق أهدافه، بتولي أمور الايالة الوالي محمد باشا أمين [38] في شهر يوليو الذي قام بإصلاحات إداريه وفرض الأمن في البلاد غير أنه كان عاجزاً عن تهدئة الثوار الدين يدافعون عن استقلالهم [39] ، وفي نفس الوقت وصل زعيم ثوار الجبل الغربي إلي طرابلس ، ومعه أنصاره حيث استقبل بكل الحفاوة والتقدير ومنح لقب البكوية [40]، غير أن هذا الأمر أنقلب رأسا على عقب، حيث تم استدعاء الشيخ غومة والمقربين منه ، والقي عليهم القبض ، وإرسالهم على الفور فوق سفينة ألي الاستانه ثم إلي طرابزون[41] ،باعتا على قيامها ، وصمد أهالي الجبل أمام ضربات الجند العثماني أكثر من عام على الرغم من بشاعة الأعمال ا لتي قاموا بها من قتل العديد من قبيلة المحاميد والسبعه المؤيدة للشيخ غومة، وسلبت أموالهم ،وسرقت مواشيهم ، حتى أصبح الفرد يخشي أن يقول أنا محمودي أو سبعي حفاظا على نفسه وماله ، ومستقبله[42] حتى أصبح الفرد المحمودي ، أو السبعي يخشي أن يقول أنه من هاتين القبيلتين حفاظا على نفسه وماله ومستقبل أسرته ، ولم تتوقف عملية الانتقام ،إلا بعد تدخل الوالي محمد باشا، ، أصدراوامر المشددة إلي جميع الموظفين ، وكذلك المواطنين بعدم الاعتداء عن أي شخص من قبيلتي السبعة أو المحاميد[43]، ولكن هذه الأوامر لم تمض عليها فترة طويلة ، حتى بدأت بوادر الثورة من جديد في الجبل نتيجة لهروب ميلود سعيد الشقروني من منفاه بطرابزون عام1259ه الموافق 1843م، و وصوله إلي تونس، ومنها إلي إلى قبيلة الشقارنه ، وأبلغ ألأهالي بان الشيخ غومة المحمودي في طريقه إلى البلاد ، وسيدخل الجبل في المدة القريبة [44] ، واتخذ ميلود الشقروني من مدينة يفرن قاعدة لنشاطه و التي ثارت بمجرد وصوله وحوصرت قصر المجيدية بيفرن، حيث طلب القائد العسكري النجدة من طرابلس ، ووعد الجند المحاصرين داخل الحامية من قبل الثوار بزيادة مرتباتهم ، وطمأنهم بقرب وصول النجدة إليهم[45]، واستطاعت القوات التي أرسلها محمد أمين باشا، إلي يفرن للقضاء على الثورة ،والاستيلاء على قصر المجيدية وقصر الشقارنه ، ومقتل الشيخ علي بن ساسي التقرباسطي، وهروب ميلود الشقروني إلي تونس[46]، وتمتع الجبل بسنوات قليلة من الهدوء،وفي عهد الوالي مصطفى نوري باشا رفضوا أهالي فساطو السماح لموظفي الدولة القيام بعملية إحصاء أشجار الزيتون، وإمام إصرار الموظفين على أخذ الأعشار قام الأهالي بطردهم من فساطو[47]الأمر الذي دفع بالوالي إلي إرسال قوات من العاصمة لإرجاع الهدوء إلي المدينة ،و إجبارهم على

الخضوع إلي مطالب الدولة في دفع الضرائب المقررة عليهم, غير أن الوقت لم يكن في صالح الحكومة العثمانية لم تمضي فترة قصيرة من إنهاء ثورة فساطو **حتى وصلت معلومات عن** هروب الشيخ غومة المحمودى من منفاه و وصوله إلي تونس عن طريق مالطا , هو ورفاقه, واستقر بهم المقام ببلدة مطماطة بالجنوب التونسي بعد غياب دام ثلاثة عشر عاما,, **كانوا في** ضيفة قريتي المثاليث ونصره,فرحبت بهم هذه القبائل, امدتهم بما يحتجون إليه من جمال وخيول[48]، **واستطاع** الشيخ غومة ورفاقه دخول جبل نفوسة , و بدأ في تعبئة الأهالي في الحوامد **وكاباو ونالوت،على الثورة** , وتأكد للشيخ غومة وقوف كل القبائل, **في الجبل من الحرابة** والرحيبات وفساطو والرجبان و الزنتان والخلايفه معه ضد الوجود العثماني في **الجبل**،[49] ويقول الشيخ محمد الأزهري الجروي الزنتاني في مذكراته اليومية بان الشيخ غومة دخل الجبل بتاريخ أواخر رمضان عام 1271 الموافق يونيو 1855 م بينما وصل الزنتان يوم 7**شوال**[50]، وبعد حصوله على موافقة القبائل بالهجوم على قصر المجيدية بيفرن,**مركز لواء الجبل**، وهو المعسكر العثماني الوحيد في الجبل, و بداخله أربع سرايا من المشاة, وسرية من الفرسان , وكمية كبيرة من الذخائر, وقتل جنديين, و وقع ضباط من كتيبة الفرسان أسراً ولكن السلطات العثمانية في طرابلس أرسلت بقوة إضافية من قوة المدفعية والفرسان إلى حامية يفرن , غير أن الشيخ غومة كان لهم بالمرصاد , حيث قسم أنصاره إلى قسمين,**مجموعة تبقى تحاصر معسكر** يفرن , والثانية تعترض القوات القادمة من طرابلس عن طريق غريان في مكان يعرف بعين الرومية,وثم اللقاء بينهم, **وكان النصر لغومة وأنصاره** , و رجعت القوات العثمانية مهزومة إلى **طرابلس**[51]وفي محاولة من الشيخ غومة وهو في مركز القوة أن يبرهن للباشا على رغبته في **الصلح**, فسرح كل الأسر مع معداتهم, وأرسلهم إلى طرابلس, كما قام بمخاطبة الباشا برغبته في إنهاء القتال, **استعداده لخدمة الدولة**, ولكن الرد جاء مخالفا لما طلبه الشيخ غومة [52] ,ووجه الباشا **نداء** إلى رفاق الشيخ غومة **في أواخرعام** 1855م, وعدهم بالعفو والآمان, في حالة تركهم للشيخ غومة , ورجوعهم إلي منازلهم, وعلى الرغم من تعهد الباشا للثوار ,فان معظمهم ظلوا مع الشيخ غومة خوفا من انتقامه , وعدم استطاعتهم الهروب ,**غير أن اتساع حركة الثورة التي قامت بعد** عودة الشيخ غومة من منفاه انتشرت في جهات أخرى بعيده عن جبل نفوسه, حيث أنظمت إلى الثورة قبائل بن وليد والزاوية والعجيلات و ورشفانه والعلالقه و غريان , **ونادوا** بالشيخ غومة قائدا , ومنقذا لهم من ظلم العثمانيين [53] ,**وبوصول الوالي عثمان باشا إلي طرابلس** تغيرات الخطة العسكرية العثمانية اتجاه الثورة وقائدها بإعداد قوة عسكرية من جند وعتاد بقيادة قائمقام الجبل بالتوجه إلي معسكر عين الرومية الموجود به غومة والثوار , حيث كان اللقاء بينهم في معركة نتجت عنها هزيمة الشيخ غومة , **انسحب إلي فساطو**, وبعد هذه المعركة **حاول الوالي** عثمان باشا المصالحة مع الشيخ غومة فأرسل إليه بعض أعيان البلاد , وأهداه **برنسا محلي بالفضة و حصانا** ,وطلب من الوفد إقناعه بمغادرة البلاد إلي تونس , والتعهد بعدم الرجوع إليها أو القيام بأي نشاط يهدد أمن البلاد وسلامتها ,ونتيجة للهزائم المتلاحقة التي ألحقت بالشيخ غومة فانه لم يجد أمامه غير الاستجابة لطلب الوالي , **ومغادرة الجبل** , و معه سبعين نفرا من أعوانه[54] وعند وصول الشيخ غومة إلي تونس تقدم بطلب للقنصل الفرنسي لغرض التوسط لدى باي تونس محمد باشا للسماح له بالإقامة بالبلاد التونسية,**وقبلت وساطة القنصل** الفرنسي بشرط عدم قيام الشيخ غومة بأي نشاط سياسي فترة وجوده في تونس , غير أن الشيخ غومة شعر بالمضايقة من قبل الجيش التونسي الذي قام بمهاجمة المعسكر الذي يقيم فيه, **و أجبر على الفرار** 'لوادي سوف القريب من الحدود الجزائرية [55]و بذلك استقر رأيه نهائيا على الذهاب إلي الأراضي الجزائرية , **الذي أستقبل بكل الاحترام من طرف الحاكم العام الفرنسي**, غير أنه لم يطيب له المقام في ديار الغربة ففي أواخر عام 1857م, عاوده الحنين إلي الأهل والبلاد فقرر الرجوع إليها, وكانت ففكرته الاتصال بأعيان وشيوخ الجبل لمعرفة مدى استعدادهم لا **لشعل** الثورة من جديد في الجبل,و إن كان غير ذلك فانه سيقوم بالسيطرة على الأراضي الواقعة بالقرب من الحدود التونسية , والسيطرة على قبيلتي درج وغدامس, والاتصال بقبيلة أولاد

سليمان التي كان يتزعمها عبد الجليل غيث سيف النصر، في فزان ،و بوصول المعلومات إلي الوالي عثمان مظهر باشا من منطقة الجبل التي تفيد بوصول الشيخ غومة إلي وادي اوال إلي الجنوب الشرقي من درج ، فانه أمر اللواء مصطفى باشا قائد الجيش بالتوجه إلي مقر الشيخ غومة بوادي اول ، وقد تمكنت القوات العثمانية من الانتصار على الشيخ غومة وقتله، ويذكر الشيخ الأزهري في كناشه انه توفيا في أواسط شعبان 1274 / [56]

أما مصير عائلته و من كانوا معه، من القبائل الأخرى، ثم القبض عليهم جميعا ، وقد الحق بهم الانتقام الشديد، وبعث الوالي أحمد عزت باشا في رسالة إلي السلطان بأن الأهالي تلقوا خبر مقتل غومة بارتياح [57] ، ولكن الواقع غير ذلك فإن وفاة الشيخ غومة عند الأهالي فإنهم خلدوه في أمثالهم ، أشعارهم، وأغنياهم الشعبية.

ردود فعل الحكومة العثمانية ضد أهالي الجبل عقب انتصار الجيش العثماني على الثوار بعد مقتل زعيمهم غومة، أمر الوالي أحمد عزت باشا قائد جيشه بتدمير جميع قصور القبائل التي اشتركت في الثورة ضد الوجود العثماني لغرض تجوعهم ، وتفريق جمعهم ، وتجريدهم من السلاح،حيث بلغ هدم واحد وثلاثين قصرا وهي تحتوي 6450 غرفة كما تم مصادرة1537 بندقية، و نجا أهالي قضاء نالوت من تدمير قصوره [58] ، الأمر الذي ساعد الأهالي على الهجرة عن ديارهم بالتوجه نحو الصحاري ،و إقامة مساكن لهم من الخيام، أو النزوح إلي الترلب التونسي، ويصف الرحالة الألماني بارث الذي زار طرابلس سنة 1846 م بأنها تعيش في ظروف صعبة بسبب الحروب الأهلية [59] بينما يذكر أثوري روسي إن نزوح الأهالي كان وسيلة لتامين معيشتهم [60]غير أن الكاتب العثماني محمود ناجي يصف حالة الولاية بقوله أن الولاية فقدت الكثير من سكانها بسبب النزوح ، وارتفاع عدد الوفيات إذ لم يبقي فيها سوى 30 %من عدد سكانها [61]، والذي يمكن قوله بأن هذه النسبة غير دقيقه لأنها غير معتمدة على إحصاء رسمي من ايالة .

التدخل الأجنبي في ولاية طرابلس الغرب :

كان لموقع ولاية طرابلس الغرب ،الجغرافي ، امتداد ساحلها في الشمال الإفريقي المواجه للساحل الجنوبي الأوربي، المطل على البحر الأبيض المتوسط ، أهمية كبرى ، وخاصة الدول التي ترتبط بتعاون و صداقة مع الدولة العثمانية، حيث كانت ترسو السفن الأوربية في الموانى الطرابلسية من حين إلى لأخر، أما للحماية أو لإصلاح عطب ، أو لتزويد ها بما تحتاج إليه من مواد غذائية،غير إن الدول الأوربية زاد اهتمامهم بولاية طرابلس الغرب منذ وصول أحمد باشا القرمانلي إلي السلطة عام 1711م ، وإنهاء السيطرة المباشرة على الولاية الذي حكم البلاد حكما مستقلا عن الباب العالي ، الذي استطاع أن يفرض قواته على الكثير من الدول الأوربية التي تستعمل سفنها مياه البحر المتوسط مجالا لنشاطها التجاري ، ، وذلك بفرض عليها دفع الضرائب والهدايا الكبيرة سنويا عليها أو للحافظ على أمنها و سلامتها من اعتدا الأسطول الطرابلسي عليها [62] ،وبذلك كان لزاما على هذه الدول تكليف ممثلين لهم في طرابلس للتواصل بينهم وبين الباشا في طرابلس للحفاظ على سفنهم ورعاياهم ، حيث توافد على مدينة طرابلس الكثير من قناصل الدول الأوربية من فرنسا وانجلترا والسوبد والبندقية وتوسكانيا ونابولي وسردنيا والولايات المتحدة الأمريكية [63] واشتداد التنافس بين القنصلين الفرنسي و الانجليزي من اجل الحصول على نفوذ سياسي في البلاد،حيث ساند القنصل الانجليزي الثوار بقياد عبد الجليل عيث سيف النصر ، و وقف القنصل الفرنسي إلي جانب الوالي مع باشا القرمانلي،مدافعا عنه ، وعن حقه في الاحتفاظ بحكمه ، أصبح هذا التنافس بينهما كأنه صراع بين القنصلين على مناطق نفوذ بينهما ، وكانت سنه 1830 م من السنوات الحاسمة في تاريخ الشمال الأفريقي العربي فقي هذه السنة أصبح التدخل الفرنسي واضحا بسحبها لآخر دعامة يعتمد عليها حكم العائلة القرمانلية في البلاد و ذلك لقبول يوسف باشا بالمعاهدة التي فرضتها عليه الحكومة الفرنسية، وفي هذه السنة احتلت القوات الفرنسية الجزاير ، غير أنها فكرت في أستخدام محمد

علي والي مصر لتحقيق أهدافها وهو تأديب دأي الجزائر كما أنها كانت تأمل أن تستخدم قواته لنشر نفوذها في الشمال العربي الإفريقي، ،وبذلك أحدت فرنسا مند سيطرتها على الجزائر تعمل على تكتيف وجودها السياسي على كل من تونس و طرابلس الغرب تمهيدا لاحتلالهما عسكريا ،بينما زاد القنصل الفرنسي من تدخله في طرابلس بأن قام ببناء استراحة له على شاطئ تاجورا بدون موافقة الباشا ، و كان يجتمع فيها بالمشايخ و زعماء البلاد الدين فصلتهم الحكومة من مناصبهم ، ويحرضهم على الثورة ، وذلك بناء على الرسالة التي بعت بها الوالي مصطفى نوري إلي السلطان العثماني يعلمه بما يقوم به القنصل الفرنسي من اجتماعات مع المفصولين من وظائف الدولة في طرابلس الغرب، غير إن الولاية فشلت في وضح حد لنشاطهم، وتدخلهم في شئون الولاية الداخلية ، فقد استمر القناصل في نشاطهم السياسي ووضعهم لعراقيل أمام الإدارة العثمانية في طرابلس ، والتدخل في شئونها الداخلية علنا إلى عام 1882 م حيث استطاع الوالي العثماني أحمد راسم باشا أن يجعل حدا لتدخل القناصل في شئون الداخلية للبلاد ،غبر أنه ظهر عمل سياسي جديد في الولاية تمثل في الصراع العلني بين كل من القنصل ل الانجليزي، والقنصل الفرنسي من أجل احتلال ولاية طرابلس الغرب ، وخاصة بعد احتلال فرنسا لتونس عام 1881م، وتواجدها في أواسط أفريقيا مند عام 1878م ثم احتلال انجلترا لمصر عام1882 م ، وبذلك أصبحت نفوذ الدولتين لاستعماريتين متاخمة لحدود ولاية طرابلس من الغرب والشرق ، وفي أواخر القرن ا لتاسع عشر ظهرت قوة جديدة في اوربا وهي ايطاليا فسعت الدول الأوربية إلي دعمها في غزو البلاد في خريف عام 1911 م نتيجة للتدخل الأجنبي في الشئون الداخلية في طرابلس ، وإشعال نار الفتنة بين الأهالي و الحكومة، و ساعدت على قيام الانتفاضات الشعبية و حركات التمرد والعصيان التي قام بها الأهالي الأثر المباشر في زوال حكم الأسرة القرمانلية ، وكانت الفرص سانحة للباب العالي للاستحواذ على طرابلس من جديد 1835 م ، وجعلها تابعة عمليا للحكم العثماني المباشر الذي قمعا للإرادة الشعبية، وإنهاء الثورات التي شهدنها ولاية طرابلس الغرب خلال النصف القرن التاسع عشر هما ثورتا عبد الجليل غيث سيف النصر والشيخ غومة المحمودي، وعلى الرغم من أنهما كانا يعلنان دائما ارتباطهما بالسلطات العثمانية ، ورفض الخروج عن طاعة السلطان،، غير أنهما كانا يشكوان إليه من ظلم الولاة ، ويطلبان منه العدل والإنصاف

تمتاز هذه الفترة بعدم الاستقرار الإداري، إذ تعاقب على حكمها عددا كبيرا من الولاة حكم أكثر من نصفهم مدة لأتزيد على سنة واحدة، وبذلك لا يستطيع أي منهم أن يضع خطة طويلة لتنظيم البلاد، والنهوض بها.

تمتاز هذه أيضا الفترة بتدخل الدول الأوربية الكبرى قدرا كبيرا من الاهتمام إلي ايالة طرابلس الغرب ، كما يتضح ذلك من تداخلات القنصلين الانجليزي و الفرنسي في ثورتي عبد الجليل غيث سيف النصر ، والشيخ غومة المجمودى ، إلا أن التدخل الأوربي يزداد خلال تلك الفترة ، ويصل إلي قمته بنزول القوات الايطالية على ساحل البلاد عام 1911م ، أصبحت الدولة العثمانية عاجزة عن الدفاع عليها .

الهوامش والمراجع :

1 الطاهر أحمد الزاوي، ليبيا مند الفتح العربي إلي نهاية الحكم التركي، دار الفتح،طرابلس 1968م، ص25.
2 محمود ناجي، تاريخ طرابلس العرب ،تعريب عبد السلام أدهم،منشورات الجامعة الليبية ،كلية الاداب دت ،ص99.
3 المرجع السابق، والصفحة.
4 عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الإسكندرية، دار الجامعات، 1960م، ص 5.
5شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، تونس، دت، ص125
6 بروشين، تاريخ ليبيا الحديث، تعريب عماد غانم، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية،1991م، ص53 .

7 إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي إلى 1911م، تعريب خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، 1991م، ص
8 بروشين، المرجع السابق، ص34 .
9 المرجع السابق، ص77. 10
10محمد خليل بن غلبون، التذكار من ملك طرابلس ومابها من أخبار، تعليق الطاهر أحمد الزاوي،مطبعة الأنوار،1967 ،ص 115 .
11 بروشين، المرجع السابق، ص71
12 بن غلبون، المصدر السابق، ص150 .
13 بروشين، المرجع السابق، ص87 .
14 بن غلبون، المصدر السابق، ص151 .
15 أبوا لقاسم إبراهيم، المهاجرون الليبيون إلى الإيالة التونسية1616م /1818م، مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية،1996م، ص31 .
16 بروشين، المرجع السابق، ص81 .70 .
17 عمر علي إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا1835م إلى 1880م، رسالة دكتورا غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهر،كلية الاداب ،1977م، ص16.
18عمر علي إسماعيل،انهيار الأسرة القرمانلية، المرجع السابق، ص15
19فرنشيسكو كورو،ليبيا في العهد العثماني الثاني،تعريب خليفة التليسي،دار الثقافة بيروت، د.ت ،ص71 .
18 ؛أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،مكتبة الفرجاني،طرابلس، 1972م، ص315 .
20 المصدر السابق، ص108.
21 أبو القاسم إبراهيم، المرجع السابق، ص32 .
22 عمر علي إسماعيل،المرجع السابق، ص ص 108 و 109 .
23 المرجع السابق، ص 111،
24 أحمد النائب، المصدر السابق، ص 343 .
25 سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تعريب عبد السلام أدهم، بيروت لبنان، 1969م، ص 17.
26 بروشين، المرجع السابق، ص 166 .

27 محمد أمحمد الطوير،مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب1835 /1858م،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخي، 1988م، ص81 .
28 الطاهر أحمد الزاوي،المرجع السابق ، ص233 .
29 محمد أحمد الطوير، المرجع السابق،ص 83 .
30 بروشين،المرجع السابق، ص266 .
31 محمد أمحمد الطوير، المرجع السابق، ص83 .
32 عمر علي إسماعيل،المرجع السابق، ص129 .
33 محمد أمحمد الطوير،المرجع السابق، ص85 .
34 محمد بهيج الدين،تاريخ بن غلبون،دار بيان طرابلس غرب جريدة حوادث سنة 1248ه،ص ص 129 -131 .
35 محمد أمحمد الطوير، المجتمع الليبي 1835 -1950م،أعمال الندوة الثامنة، بمركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، 2005 ،ص 510 .
36 حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، رقم 3060 ’بتاريخ 14شعبان 1254.
37 المصدر السابق .
38 عمر علي إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، المرجع السابقً، ص 133
39 بروشين، مرجعسابق، ص281
40 مرجعسابق، ص 282.
41 عمر علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 142 .
42 المرجع السابق، ص 143.
43 المرجع السابق، ص144.
44 محمد الأزهري ،مذكرات يوميه مخطوطه ،د.ت ،ص 9 .
45 أحمد النائب،المصدر السابق، ص392 .
46 عمر علي إسماعيل، المرجع السابق، ص152.

47 محمد امحمد الطوير، ثورة غومة المحمودى، المرجع السابق، ص224.
48 محمد ألأزهري، المصدر السابق،ص 8
49 محمد أمحمد الطوير، المرجع السابق، ص225
50 عمر علي إسماعيل، المرجع السابق، ص154 .
51 المرجع السابق،ص 151
52 محمد أمحمد الطوير،المرجع السابق، ص240 .
53 أحمد النائب، المصدر السابق، ص 362.
54 عمر علي إسماعيل، المرجع السابق، ص161
55 كناش محمد ألأزهري، المصدر السابق، ص 13.
56 محمد أمحمد الطوير، المرجع السابق، ص 295.
57 المرجع السابق، ص198.
58 أتوري أروسي، المرجع السابق، ص275.
59 محمود ناجي، المرجع السابق، ص21.

60 عمر علي إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، المرجع السابق، ص 221.
61 عمر علي إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، المرجع السابق، ص287.
62 أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ المغرب الحديث،دار النهضة العربية، بيروت ،1970 م،ص ص 147 ،
63 المرجع السابق، ص 365.

الكوارث الطبيعية بالمغرب المريني (668 – 869ه / 1269 – 1465م) .

أ . سامية أمحمد محمد قريميدة .
كلية التربية أبوعيسى
جامعة الزاوية

المقدمة :

لا شك أن ظاهرة الكوارث تعد من أبرز المحن التي تواجهها الإنسانية ، لكونها تهدد الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر ، والمجتمع المريني كغيره من المجتمعات خضع لعوامل الطبيعة التي تركت أثاراً وخيمة لا تقل أهمية عن الأزمات البشرية التي سيطرت على المشهد التاريخي ؛ من تدني المستوى المعيشي ، ونزوح السكان ، وسقوط ضحايا ، وخراب العمران ، وعلى محك تلك الإشارات المهمة للموضوع ارتأت الباحثة إلى محاولة نبش تلك الظاهرة للإجابة على عدة تساؤلات منها :

معرفة أنواع الكوارث التي ضربت المنطقة ، والآثار الاقتصادية ، والسياسية ، والعمرانية التي خلفتها ؟ وما هو الدور والجهد السلطوي لتخفيف من معاناتها ؟ ثم تتطرقنا إلى دور الفقهاء ، والصلحاء ، وتأزرهم معنوياً ومادياً مع متضرري الطبيعة ، ودور عامة المجتمع في الاستعداد لتلك المحن ، وتحقيق التكافل ، والتضامن بين أفراده ، ولتسير معرفة ذلك عمدت الباحثة إلى تقسيمه إلى العناصر التالية :

أولاً – تعريف الكوارث لغةً واصطلاحاً :

أ- لغةً : الكارثة : [جمع كوارث] ، وهي النازلة العظيمة الشديدة ، ويقال : كرثته الكوارث ، أقلعته [1] .

ب- اصطلاحاً : هو الدمار الكبير والابتلاء الذي تتحكم في مجرياته ، وأحداثه الطبيعية من تلقاء نفسها ، [2] وهناك تعريفات متعددة للكارثة حددتها بعض المنظمات ، والهيئات الدولية نذكر منها :

- هيئة الأمم المتحدة التي عرفتها بأنها حالة مفجعة يتأثر من جرائها نمط الحياة اليومية فجأة ، ويصبح الناس يعانون من ويلاتها .
- دليل الدفاع المدني الصناعي : يعرفها بأنها حادثة كبيرة تنجم عنها خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات وتكون مرادها الطبيعة .
- المنظمة الأمريكية لمهندسي السلامة : بأنها التحول المفاجئ غير المتوقع في أسلوب الحياة العادية بسبب ظواهر طبيعية تسبب في العديد من الخسائر المادية والبشرية [3] .

ثانياً – أهم أنواع الكوارث التي اجتاحت المنطقة :

أ- الجفاف : لغةً ، مشتق من جف ، ومعناه القحط الذي يصيب الأرض بعد انحباس المطر [4] ، أما بالمعني الاصطلاحي فيدل على عجز في الميزانية المائية العامة في منطقة خلال فترة زمنية معينة ، وهذا العجز ناتج عن شح في التساقطات [5] .

إذاً فالجفاف : مفهوم يدل على سيادة فترة زمنية معينة طويلة ، أو قصيرة من الطقس الجاف ، بحيث تؤدي إلى ظهور حاجة ماسه إلى الماء من قبل الإنسان والحيوان والنبات .

هذا وقد صنف الجغرافيون أنواعاً للجفاف فذكروا المناخي ، والهيدرولوجي والفلاحي [6] .

وفيما يلي جدول يوضح سنوات القحط والجفاف خلال الفترة المدروسة :

نوعها	سنة الوقوع	المنطقة	المصدر
قحط	683ه / 1284م	المغرب	الناصري ، أحمد بن خالد الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تح ، : جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص 89
قحط	684ه / 1288م	المغرب	الناصري ، المصدر نفسه ، ص 89
قحط	695ه / 1292م	المغرب	المصدر السابق ، ص 89
قحط	689ه / 1290م	المغرب	الناصري ، مصدرسابق ، ص 89
جفاف	711ه / 1361م	المغرب	ابن خلدون ، محمد بن عبد الرحمن ، العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413ه – 1992م ، ص 303

ب- السيول : وهي كارثة تحدث نتيجة هطول كميات كبيرة من الأمطار في زمن قصير ، أو هطولها لفترات طويلة ، أو بسبب ذوبان الثلوج ، الأمر الذي يؤدي إلى فيضان الأنهار وارتفاع منسوبها .

ج-العواصف : وهي ظاهرة جوية مرتبطة بحركة سرعة الرياح ، وعادة ما تكون محملة بالمطر أو الثلوج أو الرمل [7]

وفيما يلي عرض للسيول والعواصف التي اجتاحت المنطقة :

النوع	السنة	المنطقة	المصدر
سيول	677ه / 1279	تامسنا	ابن أبي زرع ، علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الأميرية ، الرباط ، 1420ه / 1999م ، ص 431
عواصف وسيول	722ه / 1222م	مكناس ، فاس ، تازه	ابن أبي زرع ، مصدرسابق ، ص 543
عواصف مطرية	723ه / 1223م	صنهاجة	الناصري ، مصدرسابق ، ص 179
سيول	724ه / 1224م	المغرب	الناصري ، مصدرسابق ، ص 179
سيول	725ه / 1225م	فاس	الناصري ، ص 180
أمطار إعصارية	758ه / 1357م	قسطينة	ابن الحاج النميري ، إبراهيم بن عبد الله ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب ، تح : محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص 258 – 259
سيول	775ه / 1394م	المغرب	الناصري ، مصدرسابق ، ص 195

د- الزلازل : تعد الزلازل من أكثر الظواهر الطبيعية المسببة للرعب والهلع عند الناس إذا ما وقعت في منطقة ما ، فكان الاعتقاد عند العامة من الناس أن الأرض التي يعيشون عليها صلبة ومستقرة تماماً ، لذلك كانت حركة الزلازل تثير الخوف والرعب الشديد .

وتعرف الزلازل بأنها عبارة عن اهتزاز أرضي سريع نتج عن حركات تتكون في باطن الأرض ، وتكسر الصخور وإزاحتها بسبب تراكم إجهادات داخلية نتيجة لمؤثرات جيولوجية ، ينجم عنها ترك في الصفائح الأرضية [8] وبالرغم من كل حالات الهلع والفزع التي تحدثها الزلازل ، نجد أن عناية المؤرخين بسيرتها وأثارها قليلة إذا ما قورنت بحالات القحط والجفاف والسيول ، حيث أنها لم ترصد لنا خلال فترة البحث إلا حدوث زلزال واحد حدث في مدينة **العرائش** سنة 672ه / 1274م **وصمت** عن أثاره بالطبيعة وبالبشر ، ولعل ذلك راجعاً بأن منطقة الدراسة قليلة الزلازل والصواعق على حد تعبير العمري [9] .

ه-الأوبئة والطواعين : الوباء لغةً : هو [[**كل مرض عام**]] [يمد ويقصر] **وجمع المقص ود** أوباء ، وجمع المدود أوبئة ، وقد وبيئت الأرض بؤباً فهي موبؤة إذا كثر مرضها [10] .

وفي الاصطلاح العلمي فهو مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه بكتيريا ، أو فيروسات تكون سريعة الانتشار بين المصابين ، والأصحاء عن طريق الماء والهواء [11] .

وقد ميز العلماء بين الطاعون ، والوباء اللذان يصيبان المجتمع ، فيعدون **الطاعون وباءً** ، إلا أنهم يرون الوباء أوسع وأشمل وبذلك يكون الطاعون نوعاً من أنواع الأوبئة ، وقد أشار ابن خلدون أن سبب الوباء بقوله : [الوباء سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة ، وإذا فسد الهواء ؛ وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً فيسري الفساد إلى مزاجه ، فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة ، وهذه هي الطواعين ، وأمراضها مخصوصة بالرئة ، وإذا كان الفساد دون القوى ، والكثير فيكثر العفن ، ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك] [12] .

فإذا كان الوباء سببه هو فساد الهواء ، فأن الطاعون مرض شديد الانتشار تنقله القوارض بواسطة براغيثها إلى الإنسان بأنواعه المختلفة الدبلي ، والرئوي ، والدموي [13] ، **ومجمل** القول بأن الأوبئة كارثة بيولوجية وأكثرها فتكاً بالإنسان على وجه الأرض ، وتعد حالة سوء التغذية من بين المسببات لتلك الكارثة .

و- الآفة الزراعية [الجراد] :

تعد الآفات الزراعية أخطر ما يتعرض لها الزرع وخاصةً آفة الجراد التي تصيب الزرع ، تعد درة أسراب الجراد من الأمور الصعبة في العصور الوسطى ، وكل ما يمكنهم فعله لمكافحتهم يتم بعد أن **توقع الضرر بالزرع** .

وأصل تسمية الجراد من جرد ، وهو أخذ الشيء عن الشيء على سبيل النحت ، والتحقق ، وأرض جرده لا نبات فيها ، وجرد قد لحسها الجراد [14] .

وقد أعطى القزويني [ت 683ه – 1283م] وصفاً عن الجراد ، فصنف إلى صنفين : أحدهما يطير يقال له الفارس ، والآخر له الراجل ، وكلا الصنفين يبحث عن أرض طيبة التربة يبيض بها إلى أن يفقص البيض المدفون ، فتظهر صغار الجراد على وجه الأرض ، فتأكل زرع تلك الأرض [15] .

الجراد أول ما يكون سروه ، فإذا تحرك فهو دبي قبل أن تنبت أجنحة ، ثم يكون غوغاء ، ثم خيفان ، ثم **كفان ثم جراد** [16] غير أن الكثير من الأخبار التي تذكر أسراب الجراد كانت ترد متزامنة مع حالات القحط ، والجفاف ، وعليه فلا يرتبط انتشار الجراد بموسم معين ، فينتشر في أوقات الجدب كما ينتشر في أوقات الخصب والثمار .

وفيما يلي عرض لأهم سنوات الجراد والأوبئة التي أصابت المنطقة :

نوع الكارثة	السنة	المنطقة	المصدر
جراد	677 / 1278م	المغرب	الناصري ، مصدرسابق ، ص 89
جراد	679ه / 1280م	المغرب	ابن أبي زرع ، مصدرسابق ، 535
جراد	683ه / 1284م	المغرب	الكتاني ، محمد بن جعفر ،سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس ممن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، ج 3 ، د .ت ، ص 146
أوبئة	693ه / 1294م	فاس	الناصري ، مصدرسابق ، ص 90
طاعون	749- / 1348م	المغرب	ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون رحلته شرقاً وغرباً ، رحلة ابن خلدون ، تح : محمد بن تاويت ، دار الكتب العلمية ، 1425ه – 2004 ، ص 64 – 65
طاعون	763ه / 1363م	مكناس –فاس – تازة	المصدر نفسه ، ص 64 – 65
أوبئة	819 / 1416م	المغرب	الناصري ، مصدرسابق ، ص 149
أوبئة	846ه / 1441م	المغرب	المصدر نفسه ، ص 149

ثالثاً – أثار الكوارث

أ- الآثار الاقتصادية :

1-القطاع الزراعي

تسببت الكوارث الطبيعية المختلفة التي اجتاحت المغرب المريني في إلحاق أضرار بالغة بالزراعة ، من انجراف للتربة ، واقتلاع أشجارها ، وفقدان محاصيلها التي خسر الفلاحين جنيها بعد ما أنفقوه عليها من جهد ورأس مال .

تلك الأضرار وصفتها لنا بعض المصادر في كارثة السيول التي ضربت مدينة تامسنا سنة 677ه – 1279 م بأنها أهلكت الحرث ، والنسل [17] .

كما كان للقحوط الشديدة التي اجتاحت المنطقة خلال سنوات 683 – 684 – 711ه جعلت سكانه في ضنك العيش فلم يروا الماء ، ولم يحصدوا ما زرعوا [18] .

وفي عام 722ه / 1322م حدثت اضطرابات مناخية من نوع أخر ، حيث هبت رياح شديدة على مدينة مكناس ، وفاس ، ورباط تازه مخلفة خسائر زراعية عثرنا عليها من خلال نص يكشف الدور التدميري لتلك العاصفة يقول فيه : [واقتلعت من زيتون مكناسة شيا كثيراً] [19].

وفي عام 723ه / 1223 م اجتاحت صنهاجة أمطار غزيرة صاحبتها ثلوج ركامية أتلفت المزروعات ، وانعدمت فيها سبل الحياة [20] .

وفي السنة التي تلتها اجتاحت مدينة فاس سنة 724ه / 1224 م سيول عارمة خلفتها أمطار غزيرة أدت إلى فيضان نهرها فجرفت تربتها ، واقتلعت أشجارها ، ومغروستها التي وصفتها بعض المصادر بقولها ((وأهلك جميع ما يزالغ من الكروم ، والزيتون ، والشجر)) [21] .

وتكررت حوادث الطبيعة في سنة 725ه / 1225 م على المدينة نفسها حيث هبت رياح عاتية مصحوبة بأمطار غزيرة أدت إلى سيول وأودية ، فأتلفت محصولها ، واقتلعت أشجارها العظيمة على حد تعبير صاحب القرطاس [22] .

كما هطلت أمطار غزيرة ببلاد عام 775 ه / 1355 م أثرت على التربة ، فجرفتها ، وأصبحت غير صالحة للزراعة على حد قول ابن بصال في كتابة الفلاحة : ((مريضة لا يصلح أن يزرع)) [23] .

كما كان للآفة الزراعية الجراد حظ وافر ومتكرر في تراجع **النشاط الزراعي الذي** شكل عصب الاقتصاد المريني ، من خلال قدرته على حصد مساحات زراعية شاسعة أثناء اكتساحه لها ، وهذا ما أثبته الدينوري بقوله : ((إذا وقع على عود سمه بلعابه فلم ينبت أصله)) [24] .

وقد شهد المغرب المريني موجات من أسراب الجراد وذلك سنة 683 ه / 1284 **م مخلفاً** أضراراً جسيمة بالمزروعات ظلت محفورة في ذاكرة المرنيين حتى عرف بعام الجراد ، [25] وقد وصف ابن أبي زرع ذلك بقوله ((كان الجراد ببلاد المغرب أكل جميع زروعها فلم يترك **مخضراً**)) [26] .

ثم عاد واكتسح بلاد المغرب من جديد سنة 697 ه / 1298 م ، ترتب عليه تدني مستوى المعيشة ، وغلاء مفرط ومجحف بالناس [27] .

وإذا كان انحباس المطر والسيول وآفة الجراد تؤثر بشكل مباشر في الزرع ، وما تجود به الأرض فتؤثر في اقتصاد البلاد ، فإن الأوبئة والطواعين التي تصيب الإنسان تؤثر فيه مباشرة فيموت من جرائها أعداد هائلة ، ويفر هرباً من يقدر على ذلك خوفاً من تلك الأمراض التي تكون فتاكة تجتاح المجتمع بأسره ، فتعطل بذلك الحياة الاقتصادية لفترة قد تطول ، بسبب المرض **وفقدان القوى المنتجة** .

2-الثروة الحيوانية :

توالي غضب الطبيعية على بلاد المغرب مخلفاً أضراراً **بالثروة** الحيوانية سواء بهلاكها **مباشرة**، أو ما يسفر عنها من تضرر الغطاء النباتي وانعدامه، **وظهور** المجاعة ، وفتك الأوبئة بها، والتي تعد رأس مال ثابت للفلاح، إذ يعتمد عليها في جميع أعماله الزراعية، **كالحراثة، ونقل** المحاصيل ودرسها، ومن خلال ما تم عرضه سلفاً **لسنوات القحوط، والجفاف الناتجة عن انحباس المطر**، فإن المصادر لم تذكر حجم الخسائر التي منيت بها الثروة الحيوانية جرآء ذلك [28] .

في حين يطالعنا ابن أبي زرع بالضرر التي لحقت بها جراء العواصف ، والسيول منها سيول مدينة فاس سنتي 723 – 724 ه / 1223 – 1225م بقوله : ((بعد صلاة العصر منه نشأ بخارج مدينة فأس من جهة جوفيها سحاب ، وظلمة شديدة ، ورياح هائلة ، وإعصار عظيم ، أعقب ذلك برد عظيم كبر الجرم ، زنة الحجر منه أربع أواقي ، أو أقل وأكثر ، ونزل منه أمثال الجبال ، وفي خلاله مطر وابل فجاء منه السيول الطاغية ، **فحملت الناس ، والدواب ، والمواشي ، والبقر ، والغنم ، والإبل** ...)) [29] .

وتكررت فواجع السيول على العاصمة المرينية للمرة الثالثة على التوالي ، سنة 725 ه / 1325 م ، حيث أكملت على ما تبقى من مرافق المدينة ، وأهلكت الناس وأرزاقهم [30] .

3- غلاء الأسعار :

يعد غلاء الأسعار نتيجة حتمية أفرزتها الكوارث الطبيعية على نواحي الحياة المختلفة ، فهجرة الفلاحين لأرضيهم ، شلت حركة الأسواق بقلة عرض السلع في وقت يزداد فيه الطلب عليها ، فترتفع الأسعار وتتنامى ظاهرتين تزيد من تفاقم الأزمة الأولى ، لجئوا الناس إلى تخزين احتياجاتهم – **الادخار** – خوفاً من شبح المجاعة الذي يقلقهم [31] ، والثانية ظهور ظاهرة احتكار السلع من قبل بعض التجار الذين يرون في تلك الظروف أفضل المناسبات لاحتكار المواد الضرورية ، والاستهلاكية ، فيقبلون على شراء البضائع ، والسلع أوقات الرخاء ، ويدخرونها **ثم** يعرضونها في الأسواق ، ويبيعونها بأسعار مرتفعة [32] وقت الأزمات ، لتحقيق أرباح مضاعفة متجاوزين بذلك المحاذير الشرعية التي نادي بها الإسلام .

ومن حوادث احتكار السلع في العصر المريني ما قام به أبو الفضل محمد بن الخطيب المزدغي عندما طلب منه السلطان أبي الحسن المريني [732 – 749ه / 1331 – 1348م] تسديد ثلاثين ألف ذهبية فأجاب قائلاً ((كان عندي زرع كبير معولاً على ادخاره إلى سنة يرتفع فيها السعر ، فيوفي ثمنه بالمال وزيادة ، فلما افتقدته وكان غوض كذا ، وقدرته بكذا مما يبلغ هذا العدد ، وجدت أولادي تصرفوا فيه ، وليس في ذمتي إلا ما يفي بربعه)) [33] .

مما يؤكد بأن غلاء الأسعار في بعض الأوقات كانت ورآه الطبيعة ، ما رصدته لنا بعض المصادر بشأن ارتفاع أسعار المواد الأساسية أثناء هجوم أسراب الجراد مخلفاً مجاعة بالبلاد سنة 679ه / 1282 ، حيث وصل سعر القمح إلى عشرة دراهم للصاع ، ووصل سعر الدقيق إلى ست أواقي بدرهم [34] .

كما صاحب ظاهرة انحباس المطر ، وانتشار الجفاف ، والقحط خلال سنوات 683 – 684 – 711 ه ارتفاع الأسعار ، وتدني القدرة الشرائية في تحصيل المواد الضرورية [35] وتكرر استفحال الغلاء في بلاد المغرب ، إثر تأثره بتقلبات مناخية متتابعة من سنة 722ه / 1322م إلى سنة 725ه / 1325 م ، حيث أدت العواصف والسيول التي اجتاحت مكناس ، ورباط تازه وفاس ، إلى ارتفاع أسعار السلع بشكل مطرد ، حيث بيع البياض في العاصمة المرينية سنة 723 ه / 1323 م بدرهمين للرطل [36] ، ويبدوا أن الوضع في سنة 724ه / 1324 م لم يكن أحسن حالاً من سابقتها ، بل تفاقم وهذا ما أكده ما أمكن التقاطه من بعض المصادر في تسعيرة بعض المواد الضرورية بقولها : ((وغلت الأسعار في جميع الأمصار ، فوصلت صفحة القمح تسعين ديناراً ، ومد القمح خمسة عشر درهماً ، والدقيق أربع أواقي بدرهم ، والعسل ، وكذلك السمن أوقية ونصف بدرهم ، وعدمت الخضر بأسرها)) [37] .

4-ظهور المجاعات وتكرارها :

المجاعة في اللغة جمع مجامع [ج م ع] ، [مصدر جائع] : علم المجاعة علم الجدب ، والقحط والجوع ، مجاعة [اسم مصدر جاع وجمعها مجاعات ومجامع] [38] .

أما اصطلاحاً فهي ظاهرة سوء التغذية التي يعاني منها الإنسان نتيجة أسباب كانت وراء حدوثها ، ولعل أبرزها البشرية منها كالحروب والحصارات ، وطبيعية كالقحوط والجراد وغيرها [39] .

وفي تتبعنا لحوادث المجاعات التي شهدها الفضاء المريني نجدها متداخلة مع مسبباتها ، فظاهرة انحباس المطر والقحوط التي ضربت المنطقة خلال سنوات 683 – 684 – 711ه / 1284 – 1285 – 1311م ، خلفت مجاعات أودت بحياة الكثير من الضعفاء والمساكين الذين لم يجدوا ما يقتاتون ، نظراً لقلة الطعام وارتفاع الأسعار [40] .

وتكرر شبح المجاعة سنة 677ه / 1279 م وهي السنة التي اتفق فيها القحط والجراد ، ولم يجد سكان المغرب ما يأكلونه فأحرق الأول الزروع والكروم ، وأجهد الثاني على ما تبقى منه ، وعانى الناس ضنك العيش والحرمان والبؤس [41] .

تكررت آفة الجراد سنة 679ه / 1281 م حيث هاجمت الزرع ولم تترك خضراء يقتاتونها أهل المغرب، لإنقاذ أنفسهم من شبح المجاعة الذي أجبرهم على أغذية غير صحية مسكنة لجوعهم [42] .

كما كان لقحط 775ه / 1347 م الدور في تعبيد الطريق للمجاعة التي عمت بلاد المغرب سنة 776ه / 1348 م ، وهي المجاعة الأكثر ضرراً على سكانه ، لما حصدته من أرواح ظلت عالقة في ذاكرتهم حتى أرخوا لها بعام المجاعة العظمى [43] .

ب-الآثار العمرانية :

عرفت بلاد المغرب في ظل الدولة المرينية نهضة حضارية على الصعيد العمراني ، فقد زخرت بالعمائر الدينية ، والمدنية ، والاقتصادية ، والحربية ، وأصبحت عاصمتها فاس حاضرة المغرب دون منازع [44] .

هذا الصروح العمرانية ، تأثرت كغيرها بالمؤثرات المناخية التي تعرضت لها المنطقة ، وهذا ما أفصحت عنه بعض المصادر في سيول ، وعواصف سنتي 722 – 725ه / 1322 – 1325 م التي ألمت بالمنطقة ، ففي السنة الأولى ذكرت بأن رياح ضربت مكناس ، ورباط تازه ، وفاس استمرت ليومين ، أسفرت عن إلحاق أضرار بدوره [45] أما في السنة الثانية ، فقد قدمت إحصاءات رقمية بحجم الدمار الذي تعرضت له فاس ، بقوله ((في ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادي الأولى من السنة المعروفة بخمس وعشرين وسبعمائة [...] أتى سيل بوادي مدينة فاس أول الليل منها لم تعهد قبله مثله ، فهدم السور ، وحمل الشباك ، وقلع الأشجار العظيمة ، وهدم القناطر ، والديار وضرب جزاء ابن برقوقة ، ودور الرصيف ، وبعض دور برزخ ، وسوق الصياغيين ، وسوق الرصيف ، وهدم القنطرة الكبرى التي عليها سوق باب السلسلة ، وهدم سوق الرميلة [...] ، ومن الديار ألف دار ومائة دار ، ومن المساجد خمسة ، ومن الأرحاء ثمانية بيوت ، ومن الأفران اثنين ، ومن الحوانيت أربعة وتسعين حانوتاً)) [46] .

ج-الآثار السياسية :

في الوقت الذي تمكن فيه ساسة بني مرين من تحقيق الاستقرار على كافة المستويات تطلعت الدولة المرينية إلى منافسة أعدائها خارج مجالها الجغرافي ، فأهبت ترسانتها العسكرية في مدينة تامسنا سنة 677ه / 1278 م ، واستعدت للجواز إلى الأندلس ، وهنا تدخلت الطبيعة بعواصفها المطرية ، وأفشلت خطة السلطان يعقوب بن عبد الحق [657 – 685ه / 1256 – 1286م] ، أجبرته على الرحيل ، وحققت مغنماً لنصارى الأندلس ، الذين استفادوا من تأخر الجيش المريني بسيطرتهم على أهم معقل استراتيجي للمرينيين ، وهو الجزيرة الخضراء [47] .

إلى جانب ذلك استغلت الطبيعة في تحقيق المأرب السياسية لبعض القيادات الطامحة للسلطة ، منها المتمرد مسعود بن كانون السيفاني ببلاد نفيس ، الذي ثار ضد السلطان يعقوب بن عبد الحق [657ه – 685ه / 1259 – 1286م] وقت السيول التي اجتاحت مراكش سنة 677ه والتي أربكت السلطان في القضاء عليه في السنة نفسها ، [48] كما واكبت ثورات طلحة بن علي البطوئي بمراكش ، وعمر بن عثمان الهسكوري بقلعة فندلاوه ضد السلطان يعقوب بن عبد الحق [657 – 685ه / 1259 – 1286م] القحوط التي ضربت المنطقة سنتي [684 – 685ه / 1285 – 1286م] لتضييق الخناق على السلطة [49] .

وفي ظل مواصلة سلاطين الدولة المرينية لبسط نفوذهم ، فقد حال طاعون سنة 749ه / 1348 م دون تحقيق المشروع الوحدوي للسلطان أبي الحسن المريني [732 – 749ه / 1331 – 1348م] اثناء توجهه إلى المغرب الأدنى بهلاك أغلب جيشه ، [50] وأفشلت عاصفة 758ه / 1357 م إخضاع مدينة قسطينه من قبل السلطان أبي عنان المريني [749 – 759ه / 1348 – 1358] ، حيث وقع مالم يكن في الحسبان ، فقد أجبرت جيشه على الإخلاء ، وحسمت الموقف بفك الحصار عن المدينة ، وتصور لنا بعض المصادر الكارثة بقوله : ((أرسل الله المزن مثقلة عشارها متراكمة أمطارها ، متراميا تيارها ، وكادت تترك الجبال دكا وترامب أيدي الرياح بكل عارض غيداق ، كان بأسرع من إنذار السيول الرواعب ، مترافعة على الأباطح ، والأهاضيب ، وكفاه الرجال يتطايرون لحفر الأخاديد ، وعباب الماء يهيج فاخبروا مولانا أنهم غلبوا عن الدفاع فأمر بأن تجمع الأموال ، والمتاع للرحيل)) [51] .

ومما سبق يمكن القول بأن الطبيعة لعبت دور في حسم العمليات العسكرية ، وقلب الموازين لصالح العدو.

د-الآثار الديمغرافية :

أ- عملية النزوح والهجرة : في الحقيقة لم تفصح المصادر طيلة العهد المريني عن هجرات جماعية ، أحدثت تغيرات بالتوزيع السكاني بالمنطقة ، بالرغم من تعرضها كوارث طبيعية مختلفة .

ب- الوفيات : لعبت الطبيعة دوراً في إحداث تغييرات على النمو السكاني بالمنطقة التي حلت بها الكارثة ، فالسيول ، والقحوط ، والجفاف ، وما أسفر عنه من مجاعات خلال الفترة المدروسة

أدى إلى سقوط ضحايا لم تذكرهم لنا المصادر بلغة الأرقام ، وإنما تم وصف تلك المآسي بعبارات ((وهلك الناس ، وحصد أرواح المستضعفين من سواد المجتمع وأكل الناس بعضهم بعضاً [52] ، فتك بكثير من الناس)) [53]] ويبدوا أن خسائر بعضها كانت كبيرة فأرخت بها مثل عام المجاعة الكبرى [54] .

ويقدم لنا ابن أبي زرع تفاصيل أوسع عن ما مآسي قحوط سنوات 693 – و 819 و 846 ، والتي خلفت مجاعات فرضت على الناس أغذية غير صحية ، فانتشرت الأوبئة ، وكثرت الموتى بقوله : ((أنه كان يحمل على نعش واحد ثلاث ، أو أربع من الموتى)) [55] .

أما ما يتعلق بالطواعين التي أصابت المنطقة خلال سنوات 749ه – 763ه / 1348 – 1361م] فقد وصفت أضرار بعضها بالخراب على المغرب ، وأكدت على أن طاعون 749ه / 1348م المعروف بالطاعون الأسود [lapele noiro] الأكثر فتكاً بالناس عامتهم ، وخاصتهم على حد تعبير ابن خلدون بقوله : ((طوي البساط بما فيه وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة)) [56] وكان ممن هلك به من العلماء نذكر منهم :

1- أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله الإمام ، من أفاضل المغرب أعز الفقهاء إلى السلطان أبي الحسن المريني الذي أكرم مثواه ، وجعله من مجالسيه [57] .

2- علم الأعلام أبو محمد عبد المهيمن ابن الإمام القاضي أبي عبد الله الحضرمي المعروف في زمانه بلغة ، والأدب ، ومعرفته بعلم الحديث ، وكان من المشهود له بالحفظ والإتقان ، والضبط ، من علماء الحضرة وأهل الشورى [58] .

3- النحوي والمفتي أبو عبد الله الرندي ، من أهل السلف وحفاظي المذهب ، لازم السلطان أبي الحسن المريني بتلمسان [59] .

4-الفقيه الوالي سيدي محمد بن يحي ابن النجار التلمساني ، من أهل تلمسان أخذ التعاليم عن الشيخ محمد الأبلي وارتحل إلى مدينة فاس حيث لقى حتفه بها [60] .

كما كان لبعض السيول ، والعواصف التي ضربت المنطقة أثاراً على الصعيد الديمغرافي وترجم ذلك سيل سنة 724ه / 1224 م ، الذي اجتاح فاس وبلغ حصيلة الموتى حوالي سبعمائة وثلاثين نفيساً جراء ذلك [61] .

وخلفت عاصفة 750ه / 1349 م التي ضربت أسطول السلطان ، أبي الحسن المريني [732 – 749ه / 1331 – 1348م] في عرض البحر بتونس وفاة 400 عالم بمخطوطاتهم ودوونيهم ونجاة السلطان ، وقذفيه بساحل زواره . [62] .

ه-الآثار الاجتماعية :

1- تنامي ظاهرة اللصوص وقطع الطرق :

أسهمت الكوارث الطبيعية في بلاد المغرب المريني ، في رسم سلوكيات عدوانية بمحاور الطرق والمسالك التجارية ، وتفاقم ضرر عصابات اللصوص وقطاع الطرق التي فرضت عليهم الطبيعة نمطاً حياتياً جديداً ، تمثل في قلة حظوظ الفئة المذكورة في الحصول على الرزق ، نظراً لقلة الواردين للتجارة سنوات المحن ، إضافة إلى قيام الناس بإدخار مؤنهم بسرية تامة كاحتياط أمني حتى لا تتعرض لأعمال السلب والنهب [63] .

ومما يدل على استفحال عمليات السطو والتعدي وتزامنها مع كوارث الطبيعة ، ما قام به عرب الخلط واجتياحهم لأرض تامسنا سنوات 708 – 709ه / 1308 – 1309 م ، وهي السنوات التي اجتاح فيها الجراد بلاد المغرب فقلت الأقوات ، وغلت الأسعار ، وعاش المجتمع تحت ضغط الحاجة [64] .

وفي إشارة أخرى لإستفحال أمر اللصوص وانتشارهم في المحاور الرئيسية للمسافرين والتجار ، وخطورة الوضع الأمني الذي فرض على المسافرين والتجار وضع خطة تكفل لهم السلامة بأنفسهم وأموالهم ، بحيث أنهم لا يخرجون حتى يصلون إلى نصاب يسمح لهم بتأجير حراس لحمايتهم ، وهذه الخطة خضع لها ابن قنفذ لتيسير انتقاله من تلمسان إلى فاس سنة 776ه / 1374 م ، ويورد فيها تعجب الناس من وصوله سالماً بقوله :

((أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين)) [65] .

ومما يدل أيضاً على تفشي ظاهرة السلب والنهب أوقات المحن ، هو خوف أهل قسطينة على مدخراتهم والإسراع في تفقدها أثناء السيول التي اجتاحتهم سنة 857ه / 1307م ، **والتي** تزامنت مع حصار السلطان أبي عنان المريني [749 – 759ه / 1348 – 1358م] لمدينتهم [66] .

2- انتشار فئة المتسولة :

أسهمت ظاهرة الكوارث الطبيعية في انتشار فئة المتسولة وهي الفئة الأكثر فقراً في المجتمع ، والتي شكلت عبئاً كبيراً على الدولة باعتبارها فئة غير منتجة ، والأكثر ضرراً وقت المحن ، نظراً لأنها لا تملك مدخراً بل تعتمد في حياتها على فرص الحصول على القوت اليومي ، لذلك يلجؤون وقت المحن إلى أبواب المساجد ويدعون للناس لرفع البلاء عنهم ، فيجدون ما يريدونه من ميسوري الحال لاعتقادهم بمساهمتهم **في انجلاء تلك** المحن من قحوط وسيول وغيرها [67].

كما كانت قبور الأولياء والصلحاء مصدر رزقهم الأخر ، فيجلسون بجانبها لأنها كانت تكض بالناس لاعتقادهم الروحي بمدى قدرتهم على جلاء الكرب ، فيمارسون طقوسهم المتمثلة في الدعاء ، والصلاة ، والتصدق على هؤلاء المتسولة إكراماً للأولياء والصلحاء ، وهذا ما أشاد به ابن قنفد أثناء زيارته لقبر الوالي القطب أبو مدين شعيب [ت 594ه / 1197م] ، **والتي** صادفت وقوع المجاعة العظيمة سنة 776ه – 1374 م بقوله((إن تيسرت لك صدقة للضعفاء والمساكين الملازمين على الباب فادفعها)) [68] .

رابعاً – دور السلطة والمجتمع في مواجهة الكوارث

أ- دور السلاطين :

اهتم أمراء الدولة المرينية في التخفيف من حدة الكوارث الطبيعية ، التي اجتاحت المنطقة وقاموا بالاستعدادات الآتية :

1- تشييد المخازن الرسمية ، وتزويدها بالمؤن تحسباً للأزمات السياسية ، والكوارث الطبيعية ، [69] مراعين في ذلك جغرافية المكان ، ومدى ورطوبته ، وجفافه فوقع اختيارهم على الأماكن المتميزة بهوائها النقي ، مثل مدينة مكناس ، والتي أشاد ابن الخطيب بملائمتها للتخزين بقوله : (حفظ أقواتها الاختزان ، ولا غرو فأنها جمعت بين جودة التربة ، وعذوبة الماء ، وطيب الهواء) [70] .

كما راعوا في تصميمها شروط التهوية الصحية ، ووضعوا لها خطة إدارية بإشراف السلطان ، ووكل لها رجال نالوا ثقته عرفوا [**بصاحب الطعام**] ، [71] ولم يتوانوا في فرض عقوبات صارمة ضد المتقاعسين في توزيع المخزون الغذائي وقت المحن ، وهذا ما وقع فيه محمد بن عامر الهنتاني عهد السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز [867– 774ه / 1365 – 1372م] فلقى جزأه جراء تخاذله بمستودعات الدولة [72] .

هذا وقد تنوعت مخازن المرنيين من حصون ، وقلاع ، ومستودعات ، **ومطامير**واهراءات ، وفنادق تجاوزت ثلاثة وستون فندقاً ، وتميز هذا التنوع بدخول وخروج وسائل النقل بكل يسر ، إلى جانب إسناد مهمة أمنها إلى ولاة الأقاليم أثناء تعرضها للخطر [73] أمام هذه التدابير التي أنشأتها الدولة من بنية تحتية ، وخطط إدارية ، وأمنية ، والتي أتت أكلها **وقت الكوارث التي** اجتاحت المنطقة ، بقيام سلاطين بني مرين بفتح تلك المخازن لمساندة الرعية ، وهذا ما قام به السلطان المريني أبي سعيد عثمان [710 – 732ه / 1310 – 1331م] حيث فتح أهراء الزرع وباعه بأربعة دراهم للزرع ، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهماً [74] .

2- قيام السلاطين بحملات احسانية لغرض تحقيق التوازن الاجتماعي والنفسي ، الذي نوهت إليها بعض المصادر أيام المجاعات ، بقيام السلطان يعقوب ابن عبد الحق [657 – 685ه / 1259 – 1286م] بتحبيس عقارات وممتلكات على متضرري الكوارث وعابري السبيل ، **وزود تلك المراكز** التكافلية بموارد ، ونفقات دائمة [75] .

كما برز دور السلطان أبي سعيد عثمان [710 – 732ه / 1310 – 1331م] من خلال ما قام به من جهود لصالح المتضررين من الكوارث ، فوزع الصدقات على حارات المرينيين طيلة سنوات المسبغة [76] .

وفي صورة أخرى تكافلية ، وتضامنية مع الرعية ، أمر السلطان أبي الحسن [731 – 749 ه / 1340 – 1348م] بتوزيع الصدقات على المستضعفين ، والإنفاق عليهم بشهادة ابن مرزوق بقوله : ((أعطي الضعفاء أهل تلمسان اثنا عشر ألف دينار ، واثنا عشر ألف كساء ، ومن الطعام مطامير لا تحصي كثرة عند دخوله إليها)) [77] .

وفي سابقة من نوعها في العمل الخيري ، قام السلطان أبي عنان [749 – 759ه / 1348 – 1358م] بتسديد ديوان كل من لقوا حتفهم في الكوارث ، وكان يطعم بين يديه ، ويتولى القيام منهم بنفسه ، ويلزم قواد البلاد بذلك طول الجدب [78] ، إضافة إلى ذلك عمد سلاطين الدولة إلى إنشاء مؤسسات ، لعبت دوراً خيرياً في اوائها لمنكوبي الكوارث ، من الأحياء وأجزاء الإنفاق عليهم ، بإطعامهم ، وألبسهم [79] ، أما الأموات فقد عمدت السلطة إلى التكفل بتغسيلهم ، ودفنهم حتى لا يؤدي تحلل جثثهم إلى الضرر بالبيئة [80].

3- قيام تعزيزات أمنية مشددة من قبل سلاطين بني مرين نتج عن حلول الكوارث الطبيعية بمجال المغرب المريني سلوكيات سيئة نتيجة ضغط الحاجة ، فكثرت وانتشرت السرقة والتعدي على البيوت ، وتمادى قطع الطرق على سبل المسافرين ، والتجار وهددوا الأمن ، والاستقرار لذلك عمدت السلطة المرينية الضرب من حديد على كل من يستغل تلك المحن ، فبادرت بتنفيذ سياستها الأمنية على أرض الواقع ، بقيامها بانتشار عناصرها داخل المدن الكبرى ، لحراسة الأسواق ، والأسواق ، والمخازن والمتاجر والأحياء [81] .

أما في الأرياف والبوادي فدعت إلى تحقيق التكافل الأمني بين القبائل ، فجلست إلى مشايخها الذين تضررا من حالات التعدي ، وعملت كل قبيلة على دفع مبلغ نقدي ، أو عيني للحراس الذين يأمنون الطرق ، ويحفظون لهم الأمن ، والاستقرار [82] ومن الصور التي تجلت في تنفيذ العقوبات الصارمة على قاطعي الطرق ، ما فعله السلطان أبو ثابت عامر المريني [707 – 708ه / 1307 – 1308م] بعصابات من عرب الخلط أثناء استغلالهم للسيول التي حلت بتامسنا سنة 707ه – 1307 م ، ومهاجمتها وعاثوا في أرضها فساداً ، فجاء الرد السلطوي رادع بإلقائه القبض على تلك العصابات ، وتنفيذ عقوبة الإعدام ، وجعلهم عبرة لغيرهم وتعليقهم على أسوار افا [83] .

4-التخفيف من حدة التكرار الدوري للجفاف والقحط أولت الدولة اهتماماً كبيراً للتخفيف من أثار الجفاف ، من خلال محاولة توفير الماء ، وتوسيع دائرة المساحات المروية ، فجلبت المهندسين وشيدت النواعير في حواضره ، فلس وسلجماسه ، واستخدمت أنظمة زراعية متمثلة في السواقي ، والدواليب [84] .

5-إزاء تنامي ظاهرة غلاء الأسعار وقت الكوارث الطبيعية ، وخاصةً أسعار المواد التي هي غذاء السواد الأعظم من السكان في الأسواق ، فعمد سلاطين الدولة إلى اتخاذ سياسات اقتصادية جادة ، تمثلت في توحيد المكاييل ، والموازين في بعض سنوات الكوارث [85] .

كما عملت على الحد من ظاهرة الاحتكار بعدة طرق منها :

أ- تفعيل الأجهزة الرقابية في الأسواق ، بقيام المحتسب بترصد تحركات المحتكرين ، وإجبارهم على بيع بضاعتهم بالسعر المتداول في الأسواق ، [86] وإنزال أقصى العقوبات إلى وجدت مخالفة منه ببيع بضاعته ، وتسليم له رأس ماله ، وتوزيع الباقي على الناس [87] .

ب- قيام الدولة المرينية بالسماح لأهل البوادي بعرض بضائعهم في الأسواق ، ومنع التجار من التعرض لهم ، وشراء بضائعهم قبل عرضها في الأسواق [88] .

ج- قيام الدولة بسياسات ضرب الأسواق من خلال إغراقها بالبضائع ، بتسعيره تقل عن السعر المعروض ، وهذا ما فعله السلطان المريني أبا سعيد عثمان [710 – 732ه / 1310 – 1331

م] أثناء المجاعة سنة 724ه – 725 / 1224 – 1225 م ، حيث فتح المخازن ، وبيع الزرع بأربعة دراهم للمد ، في الوقت الذي بلغ فيه خمسة عشر درهم [89] .

د- قيام بعض السلاطين بسياسة خففت من حالات المضاربة ، والاحتكار عن طريق الرفع على كاهل الرعية في الأوقات العصيبة فوائد المرؤوس ، والمغارم ، والإنزال ، والخطيئة ، ووظائف استغرق السلع ، الأمر الذي شجع التجار على إخراج بضائعهم المخزنة ، وعرضها في الأسواق بأسعار معقولة [90] .

6- الاهتمام بالجانب الصحي :

ولع ساسة بني مرين بالبناء ، والتشييد بصفة عامة ، وتشييد المرافق الصحية بصفة خاصة فانتشرت البيمارستان في مدنهم ، وحواضرهم ، وزودوها بطواقم طبية مهره ، وخصصوا لها أوقافاً لتغطية مؤن نزلائها [91] وفي سابقة من نوعها في بلاد المغرب ، عمل ساسة بني مرين على إنشاء أماكن إيوائية للأمراض الجلدية كمرض الجذام عرفت بحارات الجذامي ، [92] ويبدوا أن هذه الأمراض تنشط جرثومتها في الأجواء الرطوبة ، وتقل في الأجواء الحارة ، ولذلك عمد السلطان يعقوب المريني [657 – 685ه / 1256 – 1286م] في إطار علاجي على تزويد حمامات فاس بمياه ساخنة كبريتية لهؤلاء المرضى ، إلا أن الأهالي اشتكوا من ذلك فعمد إلى نقلهم من باب الخوجه إلى كهوف خارجية لإبعاد ضرر الماء المستعمل ، وأصبحت مراكز إيوائية لهم تجري عليهم النفقات الدائمة [93] ، إلى جانب ذلك الدور الصحي للبيمارستانات ، فقد لعبت دوراً تضامنياً بتحولها إلى ملاجئ خيرية لمتضرري الكوارث من الفقراء ، والمساكين ، وعابري السبيل ، وتوزيع الصدقات عليهم على أكمل وجه [94] .

7- جهود الدولة في مكافحة الجراد :

اجتاحت بلاد المغرب المريني آفة زراعية ، أحدثت دماراً ونقصاً حاداً في قطاعه الزراعي ، الذي انعكس سلباً على طاقته البشرية ، وثرواته الحيوانية ، الأمر الذي حد بالدولة إلى اتخاذ تدابير وإجراءات في محاولة للقضاء على تلك الآفة ، فبادرت بحملات منظمة كالجمع ، والحرق [95] إلا أن تلك الوسيلة البدائية لم تحقق نتائج صارمة في القضاء عليه ، وفي الوقت نفسه لم تسعى الدولة إلى استخدام وسائل أكثر تطوراً ونجاحاً ، مثل جلب نوع من الطيور مثل طائر السمرمر [96] الذي نجحت الدول التي عاصرتها ، في استخدامه للقضاء على تلك الآفة .

8- خلق التضامن الروحي وقت الكوارث :

وجهت الدولة الناس إلى إعلان التوبة ، ودعوة أئمة المساجد بالقنوات في الصلوات ، والتضرع بالدعاء ، لرفع البلاء وخروج سلاطين بني مرين [97] لأداء صلوات الاستسقاء وقت الجفاف ، والقحوط ، وهذا ما نوهت عنه بعض المصادر بقولها : ((وفي قحط سنة 711ه خرج أمير المسلمين عثمان إلى إقامة صلاة الاستسقاء)) [98] .

ب- دور الفقهاء والصلحاء :

أدت مخالطة الفقهاء والصلحاء لأفراد مجتمعهم، إلى إطلاعهم على أحوالهم، وضنك معيشتهم وقت المحن، والشدائد ومحاولة التخفيف عليهم ومؤازرتهم بطرق عدة تمثلت في الأتي:

1- القيام بحملات تذكرية بالمحاذير الشرعية التي نادى بها الإسلام في عملية البيع ، والشراء للتخفيف من ظاهرة غلاء الأسعار ، واحتكار السلع ، وتنادوا بأن لا يزاحموا الناس [99] .

2- قيام بعض الفقهاء بإصدار فتاوى شرعية تحت السلطات القائمة على قطع دابر السراق ، وتشدد على تطبيق حدود الحرابة عليهم .

3- قيامهم بدور تكافلي وقت الكوارث ، تجسد في الإنفاق والتصدق الذي زخرت به كتب المناقب ، [100] وهو أساس فكرهم الديني في رفع الضرر ، وأصبح ثقافة عامة عبروا عنها وقت المحن ، وهذا ما ترجمه الشيخ أبو محمد عبد العزيز الصنهاجي وقت المجاعة التي عصفت بسلا

، وعبدت الطريق للطاعون الأسود الذي اجتاحها سنة 749ه –فقد اشتد الجوع ، وانتشر السول ، فقدم ما ادخره من أجرة تعليمه للصبية القرآن في المساجد إلى إمرأة لتسد جوعها [101] .

وفي السياق ذاته اثر الشيخ محمد بن موسى الحلفاوي الاشبيلي [ت 758ه / 1357] على نفسه المحتاجين ، أثناء عصف الطاعون الأسود بالبلاد ، وكفلهم بتوزيع المؤن عليهم [102] .

وحذا حذوه الفقيه أبو العباس أحمد بن مرزوق [ت 741ه / 1340م] تعلم مبادئ العلوم والقرآن عن الإمام إبراهيم الابلي ، وأسس مسجد للعباد وكان محبباً لدى السلطان أبي سالم المريني عرف هو وعائلته بإعانته للفقراء ، ويخرج لهم مقدراً من المال ، والقمح صدقة كل جمعة [103] .

4- القيام بحملات دعوية تحث الناس على التوبة إلى الله ، والإقلاع عن المعاصي والإكثار من الاستغفار ، وتصدق الأغنياء على الفقراء ، لرفع البلايا والأمراض انطلاقاً من فكرة أن المحن هي عقاب من الله لخلقه ، لترفهم في الدنيا ، ونسيانهم للآخرة ، هذه الحملات كان لها الصدى الإيجابي لدى الميسورين ، فبادروا بالتصدق [104] .

5-ظهور الطب الكرامي :- في الوقت الذي عجز فيه قطاع الصحة عن علاج بعض الحالات المرضية الناتجة عن الكوارث ، برز دور الكرامي للأولياء بممارستهم الطقوس الاستشفائية متبعين أساليب علاجية منطلقة ، بأن الله هو الشافي ما هم ألا سبباً لذلك العلاج ، هذا وقد زخرت كتب المناقب بطرق علاجهم والمتمثلة في الرقية ، والتفل واللمس والدعاء فذكرت كرامات بعض منهم ، منها أن الشيخ أبي عثمان سيدي سعيد اليحياوي ، يتفل على موقع العلة ويدلكه بيده فتقف في موضعها [105] ، وفي سلا اشتهر الولي أبو محمد حسن الأبله [ت 765ه – 1364] ، وظهرت كرامته في علاج العاهات باللمس [106] .

6-تنسيق السلطة الحاكمة مع الصلحاء ، والفقهاء للخروج لصلاة الاستسقاء ، وطلب الغيث ، للتخفيف من حدة القحوط ، والجفاف [107] .

ج-دور علمة الناس وقت المحن :

كان للكوارث الطبيعية ونتائجها الوخيمة أثر واضحاً على إنسان المغرب ، الذي لجأ إلى اتخاذ تدابير ، لتكيف مع الواقع الكارثي تمثلت في الأتي :

1- البحث عن بدائل غذائية ، لسد ألم الجوع عن طريق عودته للطبيعة ، باستغلال غذاء الحيوانات من نباتات ، وحشائش برية ، والقيام بإعدادها وتقديمها مائدة له مثل جمعه لثمرة النبق ، والبلوط ، وطحنها ، وعجنها وجعلها خبزاً [108] .

2- حاول إنسان المغرب المريني إلى قدر المستطاع ، عدم تجاوزه المحاذير الشرعية في سد رمقه ، فأكل الجراد وأصبح عماد مائدته الأساسية وقت المحن ، فعمل على التفنن في تحضيره لتقليل من سوء قذارته ، فتناوله مطبوخاً ، ومقلياً ، ومجففاً ، ودمجه أحياناً مع أطعمة أخرى ، لتغيير مذاقه [109] ، وهذا ما أكده الرحالة ابن بطوطة سنة 754 ه عند زيارته أحد مناطق النفوذ المريني ، بقوله : ((يأكلون التمر والجراد ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فإنه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد)) [110] .

3- أصبحت آفة الجراد في بعض السنوات سلعة رائجة في الأسواق ، ومصدر رزق لبعض الناس ، فقد أشاد في هذا بعض المصادر بقولها : ((يباع في مراكش يومياً ما يقرب منه ثلاثين حملاً)) [111] .

4- لجؤا الناس في وقت المحن إلى بعض الأولياء ، والصالحين لاعتقادهم بهم في قدرتهم على التخفيف من وطأتها ، وهذا ما فعله أهالي أغمات عندما اجتاحهم الجراد فطلبوا من الشيخ عبد الغفور الايلاني أن يصرفه عنهم [112] .

5- ممارسة الناس فكرة الادخار تحسباً لوقوع الكوارث ، فقننوا في إنشاء مخازن مختلفة ، كل حسب بيئته ، وقدرته ، فميسوري الحال انشؤوا مستودعات لادخار موادهم الضرورية ، والترفيه [113] أما متوسطي الحال ، فقد لجؤا إلى تخزين مدخراتهم في مطامير وسط بيوتهم ، وفي

الدهاليز ، أما المعدمون فقد دفعهم الحال إلى اتخاذ خوابي وأفنية المساجد لتخزين ما يتحصلون عليه [114] .

6- تأزر وتكافل الناس مع بعضها في إنشاء مخازن جماعية ، مثل قصبة قصر كرسيف، التي أصبحت في العهد المريني مخزناً لحبوب القبائل المرينية [115] وقد خصص لها أصحاب المواد المدخرة ، حراساً يتقاضون أجورهم نقداً أو عيناً حسب الاتفاق المبرم ، وغالباً ما كانت عينية قدرت بمد واحد عن كل مائة مد [116] .

7- دأب سكان المغرب المريني على مواجهة مواسم الجفاف ، وانحباس المطر بإنشاء صهاريج لخزن مياه الأمطار ، والأنهار الجارية وقت السيول لاستخدامها في الشرب ، وري المساحات الصغيرة من المزروعات ، والنظافة العامة [117] .

8- انتشار ظاهرة الإحسان والإنفاق في الطبقة الميسورة على الفئات المتضررة من المجتمع المريني جراء الكوارث ، وذلك بتحبيس عقاراتهم لتوفير متطلبات هؤلاء الضحايا ، مثل ما فعل **أبو القاسم عبد الرحمن ابن العجوز** [756 ت ه / 1355 م] الذي حبس فدانه المزروع ، وتصدق به عليهم [118] .

وفي هذا السياق التكافلي ، قام بعض مرضى الجذام الميسورين ، ببيصاء أملاكه وأموالهم وصرفها على مرضى الطاعون ، وذوي العاهات [119] .

9- لجوء الناس إلى الله وقت الكوارث ، بالتضرع بالدعاء ، والتصدق ، والتنسيق مع السلطة **والصلحاء لأداء صلوات الاستسقاء ، لرفع المحن** [120] .

10- **دور** الصلحاء في مساعدة المحتاجين حتى بعد مماتهم ، وذلك بأن أصبحت قبور بعض الصلحاء مزور الشريحة الفقيرة من المجتمع ، ممن يحملون إليه من الصدقات التي تفرق على الفقراء ، والمساكين ، وهذا ما أشاد به ابن قنفد أثناء رحلته إلى فاس ، والتي صادفت مجاعة سنة 776ه / 1374 م ، وتجري عليهم الصدقات [121] .

الخاتمة :

أحاول في هذه الخاتمة أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال تناولي لجانب مهماً من أزمات العهد المريني ، متمثلة في الكوارث الطبيعية التي عصفت به ، وما خلفته من أثاراً على نواحي الحياة المختلفة ، ودور السلطة والمجتمع في التخفيف من تلك الآثار ، وهي كالتالي :

- شكل الجفاف وانحباس المطر العامل الأكثر تأثيراً في سكان المغرب المريني ، نظراً لاعتماد الزراعة بشكل رئيسي على الأمطار ، ومن ثم ارتباط الحالة المعيشية بالزراعة بوصفها الحرفة الأولى لغالبية السكان والمصدر الأساسي لتأمين قوتهم ، لذا كان ما خلفته سنوات الجفاف على الحالة المعيشية ضرراً كبيراً خاصةً إذا ما تعاقبت تلك السنوات .

- ألحقت السيول أضرار كبيرة بالاقتصاد والعمران من خلال ما أحدثته من خسائر في الأرواح ، وتخريب الممتلكات العامة والخاصة من قناطر ومساجد ومتاجر ودور وغير ذلك .

- تسببت الأمراض التي اجتاحت المجتمع لا سيما الطاعون فقدان القوى البشرية العاملة والمنتجة وأذهبت بأعداد كبيرة عجزت في بعض منها إحصاء الضحايا وخاصةً المتزامنة مع القحوط **والمجاعات** .

- تسببت الآفة الزراعية الجراد في عوز أهل المغرب المريني لما ألحقته من أضرار بالاقتصاد **الزراعي والرعوي** .

- خلفت الكوارث أثاراً واضحة المعالم أبرزها ظهور المجاعات وانتشار ظاهرة الفقر بين الناس وموت أعداد من السكان ، لم تذكرهم المصادر بلغة الأرقام ، بل وصفتهم بعبارات دلت على **حجم المأساة** ...

- **إزاء ذلك قامت** الدولة بإجراءات لتخفيف من وطأة الكوارث بتجهيزها المخازن لحفظ المؤن وتكليف أجهزة إدارية وأمنية تتوالى مهمة الإشراف عليها وحراستها لتوزيعها وقت الكارثة ،

والضرب من حديد على كل من يتهاون في ذلك ، إضافة إلى قيامها بإنشاء صهاريج لخزن مياه الأمطار وإفادة الرعية منها وقت القحوط والجفاف.
- قيام الدولة بالتخفيف على الرعية ظاهرة غلاء الأسعار واحتكار السلع وقت المحن ، عن طريق ضبط تسعيرة المواد الضرورية وإجبار التجار على عدم تجاوزها ، ومنعهم من التعرض لمنتجات الفلاحين وجلبها للأسواق .
- إيواء الفئة الفقيرة الأكثر تضرراً في ملاجئ وإجراء الإنفاق عليهم ورعايتهم .
- لعب الفقهاء والصلحاء دوراً جلياً في التخفيف من وطأة الكوارث عن طريق تذكير الناس بالمحاذير الشرعية في عملية البيع والشراء ، وحث الطبقة الميسورة على التصدق والإنفاق على منكوبي الكوارث ، والتنسيق مع السلطة للخروج جماعات للصلاة طلباً للغيث ورفع البلاء .
-قيام الفقهاء والصلحاء بالتصدق على المعوزين ليكونوا منهاجاً يقتدوا به الناس .
- محاولة الناس التكيف مع تلك المحن باختراع أغذية غير مألوفة للقضاء على أزمة الجوع بغض النظر عن ما تسببه من أمراض .
- اتخاذ الناس تدابير احتياطية لمواجهة أثار الكوارث عن طريق ادخار الأقوات كل حسب قدرته ، والحرص على سلامتها عن طريق حراستها وقطع الطريق على اللصوص وقاطعي الطرق .

هوامش البحث ومصادره :

(1)-مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ، إشراف شعبان عبدالعاطي عطيه ،شوقي ضيف،احمد حامد،جمال مراد فهمي، مكتبة الشروق الدولية، ط 4 ، 1425-2004ص782
(2)-محسوب وأرباب،محمد صبري،محمد إبراهيم،الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة،دار الفكر العربي،القاهرة،1419ه-1998م،ص36
(3)انظر:الموقع الالكتروني للموسوعة الحرة ،مقالة (كارثةطبيعية)http:armwikipediaorglwiki
(4)- ابن منظور،محمد بن مكرم ،لسان العرب،دارصادر،بيروت،1388ه_1964م،ص374_386
(5)- محمد صباحي ،الموقع الالكتروني لمنتدي الجغرافيون العرب،((موقع الجفاف في مناخ المغرب))منتدي الجغرافيون العرب ،كلية الأداب والعلوم الإنسانية،شعبة الجغرافيا ،ص10
(6)-محسوب وأرباب ،مرجعسابق،ص 111
(7)- المرجع نفسه،ص101
(8)-نفس المرجع،ص 51
(9)-العمري، شهاب الدين بن فضل ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،تح:مصطفى أبوضيف أحمد،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1980،ص107
(10)-الجوهري، الصحاح، أبوالنصر أسماعيل بن حماد ،تح: أحمد عبد الغفور عطا، ج1، ط3، دار العلم للملايين، بيروت،1984م، ص79
(11)-حول تعريف الطاعون أنظر الموقع الالكتروني للموسوعة الحرة((مادة الطاعون)) www.ar.wikipedia.org
(12)ابن خلدون،عبدالرحمن بن محمد،مقدمة ابن خلدون،ج1،تح:عبدالله درويش،داريعرب،دمشق، 1425-2004م،ص499-500
(13)-أبوالحب،خليل،الحشرات الناقلة للامراض،سلسلة كتب اصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،عالم المعرفة،الكويت،1982،ص62-63
(14)-ابن منظور،مصدرسابق ،ج 3، مادة جرد،ص117
(15)-زكريا بن محمد،عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،تح:فاروق سعد ،دار الافاف الجديدة،بيروت، 1981م،ص470-471
(16)-ابن منظور،مصدرسابق،ص 117
(17)-الناصري، مصدرسابق،ص50
(18)-ابن ابي زرع، مصدرسابق،ص445
(19)-ابن ابي زرع، مصدرسابق ،ص543
(20)-الناصري،مصدرسابق،ص179
(21)-ابن ابي زرع،مصدرسابق،ص 544 ،الناصري،المصدرنفسه،ص179

(22)-المصدرنفسه،ص5444،المصدرنفسه،ص179
(23)-كتاب الفلاحه،تعليق خوسيه ماريه بيكروسا،ومحمدعزيمان،تطوان،1955،ص58
(24)-الدينوري،أحمد بن داوود،النبات،تح: برنهارت ودلفين، دار النشر فرانزستانيز، ج1394،3ه-1974ص65
(25)-الكتاني،محمد بن جعفر،سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبرمن العلماء والصلحاء بفاس،ج3، دت،ص146
(26)- ابن ابي زرع ،مصدرسابق،ص535
(27)_المصدرنفسه،ص535
(28)-ابن ابي زرع،مصدرسابق،ص 445 الناصري،مصدرسابق،ص89
(29)- مصدرسابق،ص56
(30)-الناصري، مصدرسابق، ص 180
(31)-بخته خليلي ،((دوربعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقربالمغرب الأوسط))الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية،ع2006،15،ص26
(32)ابن خلدون،مصدرسابق،ص499
(33)-ابن مرزوق التلمساني، أبي عبدالله محمد،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،ت: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم : محمود عياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1401ه-1981م،ص232،230
(34)-الناصري،مصدرسابق،ص90
(35)بخته خليلي،مرجع سابق،ص24
(36)-ابن أبي زرع،مصدرسابق،ص543،الناصري،مصدرسابق،ص179
(37)- ابن أبي زرع،الذخيرة السنية في الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1977م،ص89-ابن ابي زرع الانيس المطرب،ص530-الناصري، مصدرسابق،ص179
(38)الفيروزبادي، مجدالدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،ج3، دار العلم للملايين ،بيروت ،دت،ص15
(39)-حول التعريف أنظر الموقع الالكتروني للموسوعة الحرة ،مادة مجاعات ،www.ar.wikipeoia.org
(40)_ابن ابي زرع،الأنيس المطرب،ص445
(41)_الناصري،مصدرسابق،ص90
(42)_ابن ابي زرع،الأنيس المطرب ،ص535
(43)_ابن قنفد،مصدرسابق،ص149
(44)-حركات ،ابراهيم: المغرب عبر التاريخ،ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1398ه-1978م،ص152-160-161
(45)-الناصري،مصدرسابق،ص179
(46)-ابن ابي زرع،الأنيس المطرب،ص545
(47)سوادي ،عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثاني الهجري حتي القرن العاشر الهجري،1979،ص289
(48)-ابن ابي زرع،الأنيس المطرب،ص330
(49)-إسماعيل، محمد محمد أحمد، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين،(615-891ه/1213-1465م)مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1423ه-2008،ص127_
(50)-ابن مرزوق ،مصدرسابق،ص261_267
(51)-ابن الحاج النميري، إبراهيم بن عبدالله الغرناطي، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب ،تح :محمد بن شقرون،ط1، دارالغرب الاسلامي،1990،ص259،258
(52)-ابن ثغري بردي،جمال الدين ابي المحاسن يوسف،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(813-874ه)ج10،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر،1383ه-1963م، ص233
(53)-ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج7،دارالكتاب اللبناني،1983بيروت ،ص189
(54)-ابن قنفد، أبوالعباس أحمد بن الحسين، أنس الفقير وعزالحقير، تح:ابي سهل نجاح وعوض صيام، تقديم:علي جمعة، دارالمقطم، القاهره،1422ه-2002م،ص 149
(55)-ابن ابي زرع،الأنيس المطرب،ص539-541-
(56)ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تاويت، دار الكتب العلمية،1425،2004،ص64-65)
(57)-ابن مرزوق،مصدرسابق،ص265،الديباج،م1،ص429
(58)-ابن مرزوق، مصدرسابق ص429،265

(59)-المصدرنفسه ،ص261
(60)_المكناسي،أحمدبن القاضي،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس،ج1،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباص973م،ص302
(61)-نجيب زينب،الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،ج3،دارالأمير للثقافة،بيروت،1955،ص 97
(62)-ابن خلدون، العبر ،1391ه-1971،ص283-285
(63)_الانصاري،مصدرسابق،ص61
(64)-ابن ابي زرع،الأنيس المطرب،ص378
(65)-ابن قنفد،مصدرسابق،ص149-150
(66)-النميري،مصدرسابق،ص258-259
(67)-الونشريسي،مصدرسابق،ج1،ص147
(68)-ابن قنفد،مصدرسابق،ص150
(69)-ابن مرزوق ،مصدرسابق ،ص391،395
(70)- ابن الخطيب،لسان الدين ،معيار الاختبار في ذكرالمعاهد والديار،تح:محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية،1423هـ -2002م،ص165
(71)-المراكشي،البيان المغرب،ب في أخبارالاندلس والمغرب ،ق1،موحدين،تح:الكتاني محمد ابراهيم وابن تاويت ومحمد وزنير محمد وزمامة عبدالقادر، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1406ه-1985م ،ص137
(72)-الناصري،مصدرسابق،ص53
(73)-المصدر نفسه ،ص38،39،المنوني، محمد ،ورقات عن الحضارة المغربية، منشورات كلية الاداب والعلوم الأنسانية، مطابع أمالي،1979،ص146
(74)ابن ابي زرع،الانيس المطرب ،ص401
(75)-ابن ابي زرع،الذخيرة السنية،ص91
(76)-ابن ابي زرع،الانيس،ص401،ص530
(77) مصدرسابق ،ص192،193
(78)-ابن ابي زرع،الانيس المطرب،ص529،الناصري، مصدرسابق،ص179
(79)-ابن مرزوق ،مصدرسابق ،ص191
(80)-يخته خليلي، مرجعسابق،ص259-260
(81)-ابن مرزوق، مصدرسابق، ص429
(82)-ابن ابي زرع،الذخيرة السنية،ص36،37
(83)-ابن ابي زرع،الانيس المطرب،ص378
(84)-ابن الخطيب ،مصدرسابق،ص179،.حركات ابراهيم،مرجع سابق،ص162
(85)-المنوني،محمد،مرجعسابق،ص104
(86)-مؤيد نضال، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني(685-706ه/1286_1306م) جامعة الموصل،1425ه_1981م،ص108
(87)-الونشريسي، ابي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب،ج6، أخرجه جماعة من الفقهاء بأشراف محمد حجي، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،المملكة المغربية،1401ه-1981م ،ص425
(88)-الجليدي،أحمد سعيد، كتاب التسيير في أحكام التسعير، تقديم وتح : القبل موسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص51،52
(89)-ابن ابي زرع،الانيس المطرب،ص401
(90)-ابن مرزوق، مصدرسابق، ص283،284
(91)-ابن عبد الله، عبدالعزيز، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الجديد، مكتبة السلام، الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، ص154
(92)-ابن ابي زرع ،الانيس المطرب،ص49 ابن الزيات ،ابي يعقوب يوسف بن يحي ،التشوف الي رجال التصوف، واخبار ابي العباس السبتي،ت: احمد التوفيق، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب،1997،ص107
(93)-بولقطيب، حسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن ،مطبعة النجاح ، الدارالبيضاء، 2002،ص56،حركات، ابراهيم، مرجعسابق،ص160-161
(94)-الوازن الفلسي،مصدرسابق ،ص180-او ص227-228
(95)-موسي،عزالدين أحمد، النشاط الأقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ،دارللشروق،1403-1983م،ص185

(96)-ابن الوردي، سراج الدين، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية،1428ه-2008م،ص264
(97)-ابن الزيات ،مصدرسابق ص467
(98)-ابن ابي زرع،الانيس المطرب ،ص529
(99)-ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون ،ج2،ص87
(100)-ابن مرزوق،مصدرسابق،ص413،411-ابن قنفد،مصدرسابق،ص149-151
(101)-الحضرمي،حمد بن ابي بكر، السلسل العذب والمنهل الاحلى، مج10،ج1، تح : محمد الفاسي، مجلة المخطوطات العربية ،1384-1964،ص51
(102)-المكناسي ، مصدرسابق، ج1،ص305
(103)-التلمساني،ابي عبد الله محمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوي الزاهري ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء،1429-2008م،ص191
(104)ابن الزيات ،مصدرسابق،ص463-464-456
(105)-أحمد التادلي الصومعي،كتاب المعزي فى مناقب الشيخ ابي يعزي،تح:علي الحاوي،منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1996،ص121
(106)-الحضرمي،مصدرسابق،ص49-71-72
(107)-الصومعي،مصدرسابق،ص35
(108)-ابن عذاري،مصدرسابق ،ص325
(109)-الإدريسي، أبوعبدالله محمد بن عبدالله ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 1422ه ـ2002م،ص228
(110)-ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار،ج2،تح :محمد عبدالمنعم ،راجعه مصطفى القفاص ،دار احياء العلوم ، بيروت ،1407ه-1987م ص713
(111)الإدريسي،مصدرسابق ،ص235
(112)-ابن الزيات،مصدرسابق،ص180-181
(113)-الونشريسي،مصدرسابق ج5،ص89،ج6ص230،ج8ص268
(114)-الأنصاري،مصدرسابق،ص42
(115)المصدرنفسه،ص224-248
(116)-العبدري،رحلة العبدري أو الرحلة المغربية ،تح: محمد الفاسي، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ،الرباط،1968ص 235
(117)الوازن الفاسي،مصدرسابق،ص223-247
(118)-المكناسي،مصدرسابق،ص391_392
(119)-الوازن الفاسي،مصدرسابق،ص224-225
(120)-الناصري،مصدرسابق،ص178
(121)ابن قنفد ،مصدرسابق،ص149-150-151

المدخل السسيولوجي لدراسة اقتصاديات التنمية في الوطن العربي

الباحث : محمد سعيد أبوغرارة التعبان

كلية التربية أبوعيسى

جامعة الزاوية

المستخلص :

لقد أصبح من المسلم به أن قضية التنمية قضية علم، وقضية سياسة في نفس الوقت، ولم يعد من المقبول أن يتخلف العلم انتظاراً لنتائج التجارب، وكذلك لم يعد من المقبول أن تجرب السياسة أو تخطط في غياب العلم هذا فضلاً عن أن التجريب في التنمية والبحث العلمي لها لا ينبغي أن يسير في خطين متوازيين بل أنه لما هو متراكم من حصيلة التجريب على المستوى المحلي والعالمي فإنهما يجب أن تتفاعلا على مستويات متعددة حتى ينمو التجريب في إطار من التقييم المستمر.

كما تستهدف هذه الدراسة البحث والكشف عن جذور اقتصاديات التنمية، ونشأة فكرة التقدم والتأخر، التي ارتبطت تاريخياً بمراحل تعاقب التاريخ الاستعماري لدول العالم الثالث والدول العربية، وذلك في محاولة لتبني فرضية أن اقتصاديات التنمية تعتبر بمثابة الفخ التنموي الذي وقعت فيه هذه الدول.

وذلك بتقدمها فكرة النماء والتنمية، ومحاكاتها نماذج النمو الغربية، وعدم البحث عن نموذجها التنموي الخاص للبناء عليه وصولاً إلى تنميتها الذاتية، ويستطيع الاقتصاد السياسي للتخلف أن يقدم هنا الإمكانية الموضوعية اللازمة للكشف عن تعاقب سياسات ونظريات التنمية، من الاقتصادية إلى المستدامة والبشرية وصولاً إلى الإنسانية العربية، وذلك باستخدام منهج التحليل التاريخي الوصفي والنقدي المقارن، لإثبات فرضية أخرى، أنه برغم تعدد مناهج وسياسات التنمية العربية التي لم تستطع تحقيق تنمية وطنية مستقلة قطرية أو قومية، فإن منهج اقتصاد السوق الاجتماعي ونظامه الاقتصادي، يمثل الخيار والبديل التنموي المناسب والملائم لواقع الاقتصاد والمجتمع العربي، ويتلازم مع طبيعة الدول العربية، التي يفترض أنها دولة اجتماعية وتداخلية، وسنحاول في هذه الورقة تسليط الضوء علة تاريخ التقدم والتنمية، ومن ثم التطرق على تنمية التخلف، وكذلك غياب استراتيجيات التنمية العربية، وأخيراً سنكرر الحديث على العجز التنموي العربي.

المقدمة :

على الرغم من كثرة وتعدد الدراسات البحثية التي قاربت الواقع التنموي العربي، وسياسات التنمية ونماذجها التي لم تستطع النهوض بالواقع المختلف، والمتخلف اقتصادياً واجتماعياً، وذلك لعدم ملائمة هذه النماذج والنظريات التنموية للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي، تراكمه المعرفي والحضاري، فإن الكشف عن جذور اقتصاديات التنمية مروراً بنشأة فكرة التأخر والتقدم يمثل ضرورة معرفية أساسية في التأسيس لبدائل تنموية عربية، تتناسب مع طبيعة الاقتصاد والمجتمع العربي، ذلك لأن هذا الكشف وفضح دلالاته والتخلص من العبء الثقيل للتاريخ التنموي المأزوم بمصداقيته، يشكل نقطة الانطلاق للبناء على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي تنموياً، وباستخدام منهج التحليل التاريخي الوصفي والتحليل المقارن سيتم ملاحظة أن

السياسات التنموية العربية، في العقود الخمسة الأخيرة كانت أقرب إلى كونها تنمية إلى التخلف، أكثر منها تنمية وطنية مستقلة، حيث ارتبطت هذه النماذج والسياسات بمحاكاة نماذج النمو الغربية، وافتقرت إلى روح الاستيراتيجية التنموية العربية، مما شكل العجز التنموي العربي عن استنهاض إمكانيات وطاقات المجتمع، واستغلال موارده بعقلانية وكفاءة، ومروراً بكل نظريات التنمية الاقتصادية وأشكالها، من التصنيع والتخطيط المركزي إلى الاعتماد على الذات والإصلاح الليبرالي واقتصاد السوق الحر والمفتوح، فإن التنمية العربية وبحكم واقعها أنها تنمية رأسمالية بالضرورة، فهي ليست قادرة أن تكون التنمية العربية البديلة التي تقطع من التبعية واستغلال مراكز النظام الاقتصادي العالمي، ولذلك فإن خيار التنمية البديل والاستراتيجي، الأكثر انسجاماً مع واقع الاقتصاد والمجتمع العربي، يكمن في منهج اقتصاد السوق الاجتماعي باعتباره يشكل خياراً شعبياً واجتماعياً، ويعزز من قدرة الدولة الاجتماعية، والذي ستشكل دراسته (نظرياً وعلمياً) في دولة عربية هي سورية، نموذجاً للتحليل الاقتصادي هنا.

مشكلة الدراسة :

لا شك أن قضية التنمية تمثل أحد القضايا الرئيسية التي تحتل مكانة خاصة على المستويين العالمي والقومي، وأحد علامات ذلك تلك الدراسات والبحوث والمقالات التي تنشر في مختلف أنحاء العالم بهدف فهم مشكلة تخلف العالم الثالث ومواجهتها مواجهة علمية حقيقية، ومن الطبيعية أن تتعدد وتتصارع الاتجاهات النظرية المختلفة التي تحاول التصدي لهذه المشكلة وأن تتباين الحلول المقترحة لمواجهتها.

وكنتيجة لذلك بدأ العلماء الاجتماعيون المعاصرون تحليل ظاهرة التفاوت الدولي والوقوف على أسباب تخلف دول الوطن العربي ورسم الاستراتيجيات الملائمة، فعلماء الاقتصاد اهتموا بدراسة التنمية الاقتصادية وأساليبها لكي يتعرفوا على إمكانية تنمية هذه الدول تنمية ذاتية، وعلماء الاجتماع سعوا إلى التعرف على الشخصية الجديدة التي بدأت هذه الدول في اكتسابها، تلك الشخصية التي يجب أن تتجاوز روابط القرابة والطائفة والجماعة العنصرية، ثم تحليل البناء الاجتماعي لهذه الدول ومدى ملاءمته لتحقيق تنمية شاملة.

أهداف الدراسة :

إن هذه الدراسة معينة بتحقيق الأهداف التالية :

1. التعرف على واقع ونشأة التخلف واقتصاديات التنمية.
2. ظهور نماذج وسياسات النمو والتنمية الاقتصادية، وارتباطها تاريخياً بمصالح أيديولوجية لمدارس الفكر البرجوازي الغربي، والقوة الاستعمارية.
3. إثبات عجز هذه السياسات والنظريات عن تحقيق تنمية وطنية للدول العربية، بل الدور السلبي الذي لعبته في تكريس واقع التخلف، واستمرار العجز والإخفاق التنموي العربي.
4. طرح وتبني بدائل تنموية تستطيع تحقيق تنمية عربية وطنية ومستقلة.

تساؤلات الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية :

1- لماذا يستمر التخلف، برغم تعدد واختلاف نظريات وسياسات التنمية؟.
2- لماذا لم تستطع الدول العربية تحقيق تنميتها الذاتية؟.

3- ماهي المناهج والبدائل التنموية الأكثر تحقيقاً للأهداف المجتمعة، والأكثر انسجاماً مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي العربي؟.

وبذلك فإن هذه الدراسة تقوم على فرضيتين اثنتين: **الأولى إن الواقع التنموي العربي وعلى** امتداد أكثر من ثلاثة عقود هو رهينة سياسات وبرامج تنموية، تعمل على تكريس التخلف، أكثر منه تحقيق تنمية وطنية مستقلة وغير تابعة، أما الفرضية الثانية: فإن تعدد نماذج وبدائل التنمية العربية واختلافها لم يشكل الخيار التاريخي المناسب، ولم يفض إلى تجاوز التخلف، وهنا يمكن اعتباراً منهج واقتصاد السوق الاجتماعي، هو البديل التاريخي، الأكثر قدرة على تحقيق تنمية وطنية مستقلة، والقطع مع سياسات وبرامج التنمية التابعة، حيث يشكل مقارنة تاريخية، يبدو معها الأقرب إلى طبيعة الدولة العربية، واعتبارها دولة تنموية اجتماعية وتداخلية بالضرورة.

أولاً: لمحة تاريخية عن برامج التقدم والتنمية :

ينشغل الحقل التاريخي والمعرفي للتخلف ومتعدد من المفاهيم والمصطلحات التي تقارب لغة أهل الاختلاف والتخلف، فيصبح التأريخ لها والكشف عن التباسها انتصاراً للمعنى ودلالاته، فلا **تعود للشعوب الت**ي يحاكيها رهينة تقديس هذه المفاهيم وضحية حقولها المزروعة تضليلاً، حيث يغدو الخروج منها وعليها من الأهمية، كما الخروج من التأخر ذاته، وتعود المقاربات اللغوية **لاصطلاحات تقدم**:تأخر، تنمية: تخلف، ومفاهيم التطور، النمو، الحداثة، إلى مقايسات أخرى ثنائية، متحضر: متوحش، مسيطر: مسيطر عليه، حضارة غربية متقدمة: وحضارة شرقية متخلفة، كل ذلك وليد عصر النهضة الغربي، ولغة استعمار الخطاب الذي يستعد لإطلاق رسالته التحضيرية للشعوب المتأخرة، ولأنها كذلك لغة المستبد، والقوي فهي تحمل شحن الإيديولوجيا، وتبرير احتكار المعنى، في ولادته وانتمائه لحضارة المسيطر، بحجبه عن حياة وحضارة الشعوب الأخرى المتأخرة عنه، وبذلك فهي تبدو ليست مجرد لغة خطاب معرفي، بقدر ما هي مقابلات تاريخية وتصنيف لسعداء العالم وبائسيه، فيقدم التطور والنمو متلبساً عبر رسائل التبشير الحضاري والبعثات الدينية (**القرن الخامس والسادس عشر**) ثم الحملات التجارية (**السابع والثامن عشر**) وصولاً إلى العسكرية (**التاسع عشر**) ثم التكنولوجيا (**العشرون**) وبذلك يكون تأخر العالم اللامتحضر، بؤسه وشقاؤه من صنع الغرب نفسه، قبل أن يوجد فعلياً في ذهن هذه الشعوب، وتاريخياً في حياتها المتأخرة[1].

فالتطور هنا كما النشوء والارتقاء، للأقوى والأبقى، كما لو أنه فعلاً ناجزاً ومكتملاً، ينبغي الاستسلام له، والانقياد لمسارته الخطية الأحادية، واللحاق به، فالوصول المرتجي إلى نهاياته السعيدة يعادل السير على لغة أهل الخطاب الاستعماري، وصولاً إلى مراحل التقدم **والحداثة** المتتالية.

وكانت المدارس الفكرية والتاريخية الألمانية، هي الأسبق في تنبي مفاهيم النمو والتطور، حيث صاغ المفكر الألماني "broun von hildbrand" قوانين وسياسات التنمية الاقتصادية **والاقتصاد القومي**[2]، هذه التي سيكون لها موقعاً مركزياً لدى الاقتصاد الأمريكي (w.rostow) **في** صياغته لمراحل النمو الاقتصادي، وتقدمها كبرنامج عمل تنفيذي للدول المتخلفة، ينبغي تبيه وصولاً إلى التنمية الاقتصادية، ومع ذلك فإن اقتصاديات النمو والتنمية التي تكشف عن الجذور الأولية لمفاهيم التأخر والتقدم، لم تظهر إلا في منصف القرن الماضي، مصحوبة بكل التهليل الأيدولوجي الغربي لها لتصل درجة عالية، ولم تحظ المجتمعات المتأخرة طيلة الحقبة الاستعمارية التقليدية بالاهتمام بتنميتها، إذ ظللت هنا ضحية الفكر البورجوازي الغربي الخبوي واختباراته لعنصرية انثربولوجية (لامارك، داروين) **وأخرى** داروينية اجتماعية (سبيتر) بأحقية أن يستعمر كل من هو متحضر كل المجتمعات الخارجة عن الحضارة (هنا الشرق وأفريقي)

وفي مقابل عبء الإنسان الأوروبي الأبيض، لا تحتاج الشعوب المتأخرة والمستعمرة للتنمية، إذ لا تتناسب جملة الخصائص الحياتية والاجتماعية والذاتية لها (فردياً أو اجتماعياً) مع التنمية، بحكم تخلف ثقافتها وسلوكها الحضاري، فتصبح تنميتها بذلك رهن بعد تجاوز الوظائف التي تكرس على أشكال الغزو والنهب لثرواتها ومواردها، تنمية تحت الطلب، وحتى الخمسينيات من القرن العشرين ونهاية الحرب العالمية الثانية ظلت هذه الدول تصنف (بكثير من مراعاة الشعور لاستقلالها السياسي) بالدول النامية، أو دول العالم الثالث، فظلت لغة المنتصر أو المستبد، تعقد تراتبيات تنموية لعالم أول، وآخر ثاني وما تبقى منه ثالثاً، فتظل عقدة الذنب التنموية تطارد التاريخ المستقبلي لهذه الشعوب في مهمة لحاق مستحيلة، ولأن الدول الصناعية المتقدمة محتكرة للتكنولوجيا والعصر الاستهلاكي والمادي، جاءت نظرية مراحل النمو الاقتصادي لامتحان قدرة هذه الشعوب على محاكاة صور المجتمع الغربي، فيما لو سارت من المجتمع التقليدي لديها، إلى انطلاقها وصولاً إلى المجتمع الاستهلاكي الوفير، لتقع هذه الدول وشعوبها في "الفخ التنموي" الذي نصب لها من المستعمر ذاته، حيث يختزل تاريخها وواقعها الحضاري في مهمة النمو المادي السريع، والانقلاب على كل مقومات وجودها التاريخي والإنساني، كأن تجاوز تأخرها لا يعدو كونه أكثر من رفع متوسط الدخل، حقيقاً لنمو الاقتصادي الذي تبنته نظريات واستراتيجيات نمو ومدارس الفكر البرجوازي ذاته.

وبرغم تأخر هذه الدول في اكتشاف العجز المفاهيمي، والتضليل الإيديولوجي، في تقديس أسطورة النماء والتنمية، تعميه عن التخلف وإثارة الطابع الاستعماري ومسؤوليته التاريخية في التأخر والتخلف، فإن كتاباً ومفكرين في الغرب كانوا قد تصدوا للعديد من الأبحاث والدراسات، التي بدأت تزلزل قدسية هذه المفاهيم، وتخرج من استبدادية معناها وعنف دلالاتها، وذلك مثل "فضيحة التنمية لاستروي"[3]، و "نشأة اقتصاد التنمية حياته ووفاته"[4]، وكانت تيارات فكرية أخرى في علم الاجتماع والنتربولوجيا قد ساهمت بتهيئة المناخ الفكري لإدانة أيديولوجيا التنمية، حيث اعتبر "lvan llich" أن التنمية ليست بالنسبة لفقراء هذا العالم سوى عصرنة الفقر أو تخطيطه"[5].

كذلك انسحب الأمر ليصل إلى مفكرين من دول العالم الثالث، وتحديداً من رواد "مدرسة التبعية" في التأكيد على استحالة التنمية مع التبعية (اندريه فرانك_ راؤول بريبش) وفي الدول العربية (سمير أمين) وتوصيف هذه التنمية "بالمفقودة" (لدى جورج قرم) أو "بالتنمية العصبية" (لدى يوسف صانع) والتنمية التي تغطيها الأقنعة (لدى جلال أمين).

وكانت "الكينزيه" كمدرسة اقتصادية فكرية قد ازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية، كنظرية في تشجيع الطلب الفعال مستخدمة الاتفاق العام والضرائب لتحقيق التشغيل واستقرار الأسواق، جرى ذلك في الغرب الأوروبي، كما في دول العالم الثالث والدول العربية، وإذا ما أضيفت إليها مقاربة التجربة السوفيتية في التصنيع والتخطيط المركزي وقيادة القطاع العام، يمكن القول إن الدول العربية تأثرت هي الأخرى بمزيج من "سياسات إحلال الواردات" والتنمية بالصناعات المشجعة للتصدير، والتنمية الوطنية، والاعتماد على الذات.

ومع فشل النمو الاقتصادي لوحده في تحقيق تنمية اقتصادية شاملة، تغيرت لغة الخطاب الاقتصادي، حيث ظهرت في السبعينيات من القرن الماضي في معظم الدول العربية، سياسات الانفتاح الاقتصادي وصولاً إلى مرحلة الثمانينيات والحد من دور الدولة التداخلي، وإطلاق السياسات الاقتصادية الجديدة التي تبناها اقتصاديو العرض وتيار الليبرالية الجديدة مع زوال نشوة الحرص على التنمية لوحدها، سوء الظن بالمزيد من دور الدولة في النشاط الاقتصادي، وشهدت مرحلة التسعينيات من القرن العشرين ظهور مصطلح "التنمية البشرية" " human Development" حيث أضاف برنامج الأمم المتحدة على مصطلح التنمية الاقتصادية معايير جديدة لتحقيق التنمية، وفقاً لتصنيف جديد للتأخر والتقدم (مثل متوسط الدخل الفردي، والعمر المتوقع

للحياة، وحالة التعليم) ومع أن الدول العربية كما دول العالم الثالث تقيدت في خطابها الاقتصادي الرسمي بهذه المعايير والتوصيفات، كما مع برامج "التثبيت الاقتصادي" و"التكييف الهيكلي" التي أطلقها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، انتصاراً لمبادئ توافق واشنطن ومدرسة شيكاغو، إلا أن لغة المنتصر _بعد نهاية الحرب الباردة وتفكيك الاتحاد السوفييتي وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بإدارة النظام الرأسمالي العالمي _ظلت هي الأخرى اللغة التي تعكس دلالات القوة والإيدولوجيا، قوة الردع أو الاحتواء للقوة الاقتصادية، أو العسكرية، وصولاً إلى القوة الناعمة (المصطلح الذي استبدل إدارة أوباما بإدارة بوش) لكن الأمم المتحدة وفي تبنيها لذلك الخطاب، انتقلت بمفهوم التنمية العربية في العشر سنوات الأخيرة لتصبح التنمية الإنسانية العربية، وهنا لم يعد الدخل الفردي ولا المعايير البشرية مؤشرات للتنمية، بل ثمة معايير جديدة في الحرية والديمقراطية والمعرفة وتمكين المرأة، مفردات واصطلاحات في الاقتصاد كما في السياسة، مرة تصل عبر تقارير الأمم المتحدة، ومرة أخرى تصل عبر الدبابات العسكرية (في إشارة لحروب الخليج والاحتلال الأمريكي للعراق) وفي المفارقات التاريخية والتقدم، تحمل لغة التفوق في المفاهيم والاقتصاد، كما في العسكرة، تغيرت الأساليب والأدوات، وظلت الأهداف هي نفسها: في نهب الموارد والثروات، من النمو الاقتصادي إلى التنمية الاقتصادية، والشاملة والمستدامة والبشرية والإنسانية، هي قصة استبداد حضاري.

وكما في الواقع التنموي العربي والتسليم بقدره وعجزه يقدم علم الاقتصاد وفقاً لمدارس الفكر الغربية وهو يملك التصورات الكاملة للحياة، في سلوك الأفراد وقراراتهم الفاعلة والرشيدة في السوق، كما في الحياة في تجاوز ونفي لعلوم الحياة التاريخية الأخرى، ودورها في صناعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية مثل (العلوم الانتربولوجية والسوسيولوجية) مما دفع باقتصادي كبير مثل "جوزيف ستغليتز" ليطلق على هذا التفرد بدور "علم الاقتصاد لوحده بإمبريالية الاقتصاد"[6]، هذا القدسية التي أحيطت بعلم الاقتصاد كما لو أنه نظام علمي صارم كما الفيزياء والكيمياء والطب، الذي يملك القدرة على تفسير وإدارة الأسواق والتنمية ووقائع الحياة، فيطلب الانصياع له وعلومه في التنمية جعلت مفكراً عربياً آخر هو "جلال أمين" يقول: "يبدو أن اقتصاديات التنمية بأسرها كما لو أنها كانت منذ البداية غلطة كبيرة"[7].

من هنا جاء استخدام مصطلح "تكنوقراط" وتوظيفه لدى مدرسة شيكاغو في تكريس واقع سياسي واقتصادي كما لو أن معالجة الوضع الاقتصادي هي مسألة عملية وحيادية، ليس للخيارات الإنسانية فيها من دور، حيث يترك للتكنوقراط استخدام المعايير اللازمة للتخطيط والتنمية، هذا التقدم الليبرالي المستهدف هو الذي أفقد الاقتصاد لوحده (حين يدعي القدرة على خلق اقتصادي التنمية) أخلاقيات الحياة، حيث يفتقد الأخلاقيات السياسية، كما يراها "اميتاي ايتزبوني" والاجتماعية كما يراها "عونار ميردال وفرانسوا بيرو وأمارتياس" ويحتاج إلى أن يكون اقتصادياً سياسياً كما يرى سمير أمين، وإذا ما صحت أحكام "جلال أمين" "في خرافة التقدم والتأخر" فإن "هربرت مركيوز" و"الدوس هكسيلي" قد سخرا هما الآخرون من سطوة التقدم المادي والتكنولوجي لوحده على الحياة والحضارة الغربية، حيث يأخذ هذا الاستلاب الاقتصادي للفرد أبعاده الأخرى، فيتركه ضحية البعد الواحد المتجزأ، وتحت استبداد البعد المادي والاستهلاكي[8].

وكما هو الخيال التنموي فإن الوعي التنموي العربي المسكون باعتلال الفكر التنموي ذاته، لا تبارحه إعادة رسم وصياغة التشكيلات والنماذج التنموية، التي لا يفرغ من الإمساك بإحداها، حتى يعاجل بأخرى مختلفة ومغايرة، من الاشتراكية ونماذجها إلى العناصر الفاعلة واليد الخفية والليبرالية، من الاقتصاد الوطني والقومي إلى الدولة الراعية والمتداخلة، إلى الارتماء في أحضان المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية حتى ليبدو أن الضرر الذي يصيب العالم الثالث

من جراء التنمية أصبح جذرياً، بحيث أن الذين يعانون منها لا يجدون حتى الكلمات التي تعبر عن معاناتهم هذه[9].

ثانياً : تفسير التخلف وعقبات التنمية:

حظيت ظاهرة التخلف بعد الحصول على الاستقلال السياسي للعديد من الدول الواقعة في آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية، على اهتمام الفكر الغربي التنموي والعربي، وكما قدمت اقتصاديات التنمية قبل ذلك تفسير التخلف ورصد إمكانية تجاوزه ومختزلة إلى بعدها الواحد في أحادية النمو، ولحاقاً بالمجتمع الغربي، كذلك جاء تفسير التخلف أولاً وليد اختلافات حضارية وسلوكية في الدول المتخلفة (النامية) عنها في تلك المتقدمة، إذ يرى "boeke" **رائد فكرة** "الثنائية" أن التخلف يعود لوجود وتصادم نظامين مختلفين "اقتصادياً واجتماعياً" **الأول محلي** وتقليدي، والثاني حديث ومتطور، مما يحدث الانقسام وعدم الانسجام في البني والهياكل الاقتصادية والاجتماعية، حيث تتصف المجتمعات والبنى المتخلفة بسلوكيات اجتماعية لا تحث على السعي والمبادرة والعمل وتفتقد إلى مؤهلات المنظمون ورجال الأعمال (يستند التحليل هنا لآراء العديد من هؤلاء المفكرين مثل: هوسلتنر، مكليلاند، بالدوين، لايبنشتاين) **كذلك جاءت** المدارس المؤسسية السوسولوجية (تشارلز فابلن، هاملتومن، كامارك) والسيكولوجية (فيبر، شومبيتر) لتؤكد أن الصفات الفردية والمجتمعية، لا تتناسب مع طبيعة النمو والحداثة، فما أن يتم استبدالها بدوافع القيادة والمبادرة والمغامرة والتنظيم، حتى يمكن تجاوز التخلف (مكليلان) **ولا** يختلف الأمر أيضاً لدى تحليل بنية التخلف، من حيث الخصائص والمؤشرات فهي كما في أسبابه، تكمن في بنية التخلف ذاته، وانخفاض الادخار والدخل والحلقة المفرغة **للفقر**(نوركسه) وحتى نظريات التحديث التي ظهرت في الخمسينيات والستينيات لم تستطع تجاوز اختزال الحداثة والتطور إلى بعدها المادي، الذي يمكن نقله تكنولوجياً مع عناصر تنظيمية وديمقراطية (أيزنشتاد، تنالكوتبارسونز)[10]لكن سنتش يرى "أن التخلف يكمن في البنى التي تشكلت **بفعل** آليات التبعية، والتي ترسم الميول العفوية لإعادة إنتاج التخلف"[11]، هذه البنى التي كرست حالة نوعية معقدة ومركبة، لا يمكن حلها إلا بكسر حلقاتها الدائرية (نوركسية) أو استلهام عناصر التحديث الغربي، غير أن منهج التحليل التاريخي ينبئ صراحة أن التخلف ليس **مجرد حالة** طبيعية عابرة ومؤقتة قابلة للتجاوز باستخدام عناصر مستوردة من خارج الحالة ذاتها، التخلف هنا هو ظاهرة أو صيرورة تاريخية، تشكلت تاريخياً عبر أكثر من أربعة قرون، تجسدها بنية تابعة بفعل التاريخ الاستعماري، حملت خصائص التقسيم الدولي للعمل، وتأثرت بجملة التطورات المستمرة على ذلك التقسيم الدولي، وهي بقدر ما يبدو "بنية تخلف داخلية" **تحمل** عناصر تفاعلها واضطرابها الداخلي (اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً) فهي تتأثر بتلك التعقيدات الخارجية والمتلاحقة لطبيعة التخصص والتقسيم الاجتماعي للعمل، وكل ذلك يزيد من الاندماج السلبي لهذه البنية وبشكل غير متكافئ مع المراكز الرأسمالية والاقتصادية العالمية، وإذ يرى فرانك بأن التخلف هو بنية متولدة بفعل العلاقة الاستعمارية التي تميل إلى تنمية المراكز الرئيسية **وتخلف التابع**[12]، فإن هذه العلاقة مع المراكز العالمية توتر استحواذاً على **الفائض الاقتصادي** وانكشافاً تجارياً لضعف البنى والهياكل الاقتصادية والاجتماعية للدول المتخلفة، فيبدو التخلف هنا لعملية إعادة الإنتاج في البلد التابع، ووضعها في خدمة أهداف السيطرة وآليات التبعية للمراكز الرأسمالية العالمية، وتصديرها لمنطق الأزمة على المستوى **العالمي، وتشكل الحروب** الاقتصادية على المنطقة العربية، بحكم مواردها وثرواتها النفطية، نموذجاً لاستمرار النظام الرأسمالي العالمي بإعادة إنتاج البنية التابعة لأطراف هذه النظام، لتستمر آليات النهب ومصادرة الفرص التاريخية لشعوب هذه الدول، بتحقيق تنميتها الذاتية.

وإذا كان فهم التخلف يعد شرطاً أولياً لإعادة إنتاج التنمية، فإن التسليم بقدرة النماذج التنموية والاقتصاد التنموي واقتصاد السوق على صناعة تلك التنمية الوطنية، لم يخدم مشروع الخروج

من التخلف ذاته، إذ ظلت فكرة الإيمان بالنظرة الكلاسيكية إلى السوق واقتصادها، مع تجدد الليبيرالية الاقتصادية واجتهادها لإعادة إحياء التراث الكلاسيكي، عبر الليبرالي الجديد المحدث والمعلوم اقتصادياً، ظلت هذه الفكرة هي التي تحدد مسار التنمية، وبالتالي الإبقاء على التخلف ومفرداته، حيث تقدم اقتصاديات السوق هنا، وهي تتمتع بآليات ضبط وتوازن داخلية، حيث يرتقي الأفراد فيها إلى الطبيعة الراقية اجتماعياً وديمقراطياً، كما لو أن عقلانية السوق المفترضة تنتج آلياً عقلانية الحياة الكاملة، وبالقدر الذي اشتغل فيه الفكر الماركسي في ماديته التاريخية على بناء صورة المجتمع الاشتراكي حيث يتحرر الفرد من الاستلاب المادي السلعي، وضغط الحاجة تفلح السوق اليوم في مصادرة كل التراث الإنساني ما عداها، كما لو أن الحياة تكمن في التبادل السلعي فقط، حيث يأتي الحكم والقانون والعلاقات الاجتماعية، تعبيراً عن تطورات السوق واقتصادها، وحيث تأخذك فلسفة النموذج التنموي العربي بمصادفة الخبراء والمستشارون والتكنوقراط والحكومات المتعاقبة، إلى التسليم بقدرة السوق اقتصادياً على توزيع الثروة والدخل وتحقيق التنمية، وحين يأتي الحديث عن العدالة الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية، يحضر التدليل على فشل التخطيط المركزي والقطاع العام، وقبل أن تتضح المسألة الاجتماعية برمتها وقدرتها على تهديد أي نموذج تنموي، والحكم على فشله أو نجاحه، تتدخل الحكومات والسياسات في ممارسة الضبط وآليات الاحتواء، والمساومات التنموية ومصاهرات الرأسمال والنخب الاجتماعية، في إدارة النموذج التنموي، الذي يشتغل دائماً بمزيد من تساقط الأفراد إلى الأسفل، في أغلبهم، والصعود النخبوي المتمايز للأقلية المحظوظة، وهنا باسم التقدم والتنمية، ينمو التخلف وترتكب الخيانات التنموية[13]، بحق المجتمعات وثقافاتها وتاريخها الطويل وكل ذلك مراعاة للخروج من التخلف ولحاقاً بالحداثة والتطوير.

ولأن تجاوز التخلف يحتاج إلى أكثر من التنمية الاقتصادية فالتجارب التاريخية للبلدان المتقدمة، تظهر أن التقدم جاء فعلاً تراكمياً وتاريخياً، فعل عقلنة للحياة والسيطرة على المحيط الاجتماعي والبيئي، إذ يأخذ الواقع هنا أبعاداً ثلاث: في التنمية الاقتصادية التي تجيء ثمرة تطور العلوم والتقانة، وفي عقلنة السياسة وحقوق الإنسان والديمقراطية، كما في تطور الثقافة والعلوم والأخلاق[14]، هنا تأتي التنمية لتجاوز التخلف كنتاج إرادي لفعل الحداثة والتنوير، وبدلاً من أن ينتج الواقع العربي وتراكم معارفه وعلومه، تطوراً في القوى المنتجة والعلوم وتقسيم العمل، لتحقيق التقدم والحداثة، جاءت التنمية من خارج المشروع العربي للتغيير والتطوير، واستوردت نماذجها من الخارج لتجاوز التخلف، فصارت نمواً اقتصادياً مادياً وتكنولوجياً، نظريات ونماذج وقروض وخبراء، فأنتج للتنمية مؤسساتها وهياكلها،وكل الثقافة اللازمة للدفاع عن استيرادها، وغربتها عن واقعها التنموي، الذي يتخلف حينئذ أكثر، وسواءً تغير المزاج التنموي العربي يتغير إرادة الخطاب التنموي من القومي والعلماني والاشتراكي إلى الإسلامي والليبرالي والحداثي والتقدمي، ظل خطاب التقدم والتنمية هو ذاته، خاب سيطرة الإيدولوجيا التنموية المكرسة لكل المناسبات: الوطنية والقومية والحزبية والنقابية والأهلية، حصان طروادة، الذي يحمل بداخله كل أسباب التأخر والتخلف، عاد التنمية ذاتها، ومن هنا تكمن الحاجة "للاقتصاد السياسي للتخلف" الذي يملك القدرة في الخروج على النماذج التنموية المبتذلة، والتي كرست المزيد من تنمية التخلف، وفقاً لكل اتجاهاتها ومدارسها الفكرية، ذلك لأن مفهوم "التنمية"يتعارض مع الرأسمالية، هو مفهوم نقدي للرأسمالية استناداً لسمير أمين[15]، فلا يمكن عزل النمو الاقتصادي عن السباق التاريخي الذي ينتجه، وعن القوى الاجتماعية التي تحققه، والتي يفترض أنها الحامل الحقيقي لمشروع التنمية ذاتها، ولكن ونظراً لطبيعة التنمية التي تجري في السياق المعاصر والأكيد للرأسمالية، فإن مشروع التنمية هنا يصادره اقتصاد السوق لوحده، إلى نتائج نمو في الربح ورأس المال، لأنه اقتصاد سوق رأسمالي، والذي يستطيع أن يبعد القوى الاجتماعية عن المشاركة الفاعلة، لصالح تقدم مصالح رأس المال، فلا يعدو النمو المتحقق حينها في الاقتصاديات العربية، أكثر من تعبير عن تحالف الرأسمال مع النخبة القليلة لإدراة السوق، ووفقاً لطبيعة الاستقطاب الاجتماعي الحاصل في أية تنمية رأسمالية وهنا تحديداً يكمن الجواب،

في أن التنمية في ظل اقتصاد السوق الحر، لا تستطيع أن تكون غير تنمية التخلف، يحكم طبيعتها الرأسمالية، فتصبح مفاهيم العدالة الاجتماعية والديمقراطية، وحق المجتمع في النفاذ إلى الموارد والدخل العادل، مؤجلة تاريخياً بحكم طبيعة التنمية الرأسمالية، هذا الذي يميز قضية "التنمية" التي تجري معاصرة وهي تحتل موقعاً مركزياً، لكنها لم تجد حلاً لها بعد، ولا يمكن لهذا الحل أن يتاح في إطار الرأسمالية[16].

ثالثاً : غياب استراتيجيات التنمية العربية :

هل هناك استراتيجية عربية للتنمية، على المستوى القومي أو على المستوى الوطني؟ وهل يمكن تلمس غير زيف الادعاء بحيادية نظريات وسياسات ونماذج التنمية التي تبنيها الدول العربية؟ وهل عبرت هذه النماذج والسياسات عن مصالح القوى الفاعلة على الصعيد العالمي وتحالفاتها، أم أنها جاءت معبرة عن طموحات الجماهير والمجتمع العربي؟ إن الجواب على أسئلة كهذه لا يجب أن يضيع في متاهات التحليل الرقمي لنتائج التنمية_ والتي تحقق الكثير منها على صعيد المؤشرات المادية_ وذلك بغض النظر عن التضليل الإحصائي والتدخل القصدي لتصويبه أو توجيهه محلياً، بما يعطي الانطباع المخالف للواقع التنموي، الأمر الذي يقتضي البحث عن سير التاريخ المماثل على مستوى التجربة، واستخلاص المعرفة النظرية المجردة وصياغتها في خلاصات فكرية محددة، ثم مقارنتها لواقع التنمية العربية، فالاقتصادي الألماني "فردريك ليست" وقبل أكثر من نصف قرن لم يأخذ كثيراً بمصطلحات التقدم والتأخر والمنافسة وحرية التجارة، لا اعتبر أن المصلحة القومية الألمانية حينها تفترض سياسة حمائية تضمن للدولة تحقيق تنمية متوازنة وتشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادي لفترة انتقالية وضرورية[17]، إن الاستراتيجية التنموية الألمانية حينها لم تأخذ بالعصر التجاري، ومطالبة بريطانيا الأقوى اقتصادياً بحرية التجارة وفقاً لمصالحها الذاتية، رغم أن "أدم سميث" حينها في بحثه عن الثروة وحرية التجارة، كأن يعكس هذا الميل للتفوق البريطاني للمطالبة بالمنافسة وحرية التجارة، وحين جاءت نظريات الدفعة القوة والنمو المتوازن وغير المتوازن (روزشتاين رودان، اثرلويس، هيرشمان، نوركسه) بع دقرن على ذلك، كانت هي الأخرى تعبيراً عن المصالح القومية للدولة الأمريكية والأوروبية، في ضمان الاستثمارات والقروض وتصدير الرأسمالية والبضائع للدول النامية والعربية منها.

ثم جاءت الكينزية بعد مرحلة الركود الاقتصادي والتضخم والبطالة والانهيار النقدي، وحربين عالميتين، وإعلان قيام المؤسسات الاقتصادية الدولية (الجات، البنك الدولي، صندوق النقد الدولي) تعبيراً عن الحاجة لوقف التدهور في النظام الاقتصادي والمالي العالمي، وكانت الدولة السوفيتية تصنع تاريخها على طريقتها في التصنيع والتخطيط المركزي، وتبني تجربة تنموية خاصة، ما لبثت العديد من الدول العربية (مصر، الجزائر، سوريا، العراق) أن استلهمتها في النموذج الاشتراكي للتنمية وبناء الدولة والمؤسسات والقطاع العام، ولم يرتق الاجتهاد هنا، في البحث عن وجه تنموي عربي خالص، أكثر منه الالتفاف على المصطلح، فتصبح "اشتراكية عربية" وتطور رأسمالي، في الوقت الذي اختارت فيه دول الخليج العربي، محاكاة أسلوب الحداثة والتطور الغربي، بحكم استمرار هيمنة الفكر والإدارة الأجنبية لمؤسسات كثير فيها، وتحديداً النفط، فكانت الدولة النفطية الريعية والاستهلاكية، وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من عمر التنمية العربية، لم تستطيع فيه الدولة العربية صياغة نموذجها الخاص، بل على العكس من ذلك جرى الانقلاب على الواقع التاريخي السابق، الغني والمتنوع بالمعرف والعلوم والانجازات الحضارية، وحين اشتد عود الدولة القطرية، في بناء السيادة والأسواق والمؤسسات جاء التصنيع بسياسات إحلال الواردات، والصناعات المشجعة للتصدير، ورغم تعديل المسميات "التنمية بالاعتماد على الذات" وارتفاع الدخل القومي في حقبة (الفوره النفطية) فإن ذلك لم ينعكس مزيداً في التخصص وتقسيم العمل اجتماعياً وإقليمياً، واستغلال الموارد، والتوزيع العادل للدخل،

وتمكين الأفراد اجتماعياً وسياسياً من بناء المجتمع، ومع عودة التضخم وارتفاع الأسعار والركود الاقتصادي في الثمانينيات، لم تستطع كل نماذج التنمية العربية إعادة إنتاج بنى وهياكل تنموية مستقلة، بدون الارتباط والتبعية لمراكز الاقتصاد العالمي، وسواءً جرى المزج التنموي بين الحضور الاقتصادي (أسميث وكنيز) بين الحمائية والتخطيط وضرورات التكامل الاقتصادي العربي، والاعتماد على الذات، بين حرية التجارة والمفتاح باليد والمشاركة الفاعلة للقطاع الخاص، والانفتاح، فإن نزوع الدولة القطرية العربية، كانت أقوى من صيغ التكامل الاقتصادي العربي، وصولاً إلى التسليم الأخير باقتصاديات السوق والخصخصة وحرية التجارة والحداثة المستوردة، والليبيرالية الجديدة، والعولمة الاقتصادية، والدور الفاعل للمؤسسات الاقتصادية الدولية (منظمة التجارة العالمية_ البنك والصندوق الدوليين) برعاية برامج الإصلاح الاقتصادي، وتمويلها وإدارتها، وبذلك تكون الدول العربية قد تبنت التنمية الرأسمالية، واقتصاديات السوق الحرة، وقايضت فرصتها التاريخية_ كما أية دولة في العالم_ في صنع تاريخها التنموي الخاص بها وتراكم معرفتها الذاتية به، مقابل جاهزية البرامج والتمويل والتبعية، وصورتها في تقارير التنمية البشرية والإنسانية، ونظراً لأهمية هذا العصر التنموي في ربع القرن الأخير، في التاريخ التنموي العربي، ينبغي الوقوف عليه، فكرياً ومؤسسياً، لما سيكون له الدور الحاسم في صياغة وتحديد مستقبل التنمية وشعوبها لعشرات السنين القادمة.

وكان "جورج جيلدر" قد دشن في مطلع الثمانيات الهجوم على السياسات الاجتماعية، وانطلاق العولمة والليبرالي في بريطانيا وأمريكيا، الدولة التي تعتبر بالنسبة إليه العقبة الرئيسية في وجه النمو الاقتصادي كما بالنسبة لبقاء الحضارة[18]، ويشكل ذلك ولادة عصر الفتوحات الايديولوجيا والليبرالية لاقتصاد العرض، مقابل الدولة التداخلية والانفاق العام واقتصاد الطلب الكينزي، حيث كان (فريدمان) قد أصدر في العام 1977 كتابه (من غالبرايت إلى الحرية الاقتصادية) وضمنه علاجاً اقتصادياً بالصدمات، وضرورة إجراء تخفيض ضريبي كبير على الأغنياء ما دام هم المدخرون، وهم المستثمرون، حيث ترافق ذلك مع إطلاق (تفاهم واشنطن Washington consensus)[19]، الذي كشف عنه (جوان وليامسون) معلناً بداية استعمار جديد لمدرسة شيكاغو، بإطلاق برامج الخصخصة، وإلغاء الحواجز أمام الشركات العملاقة، حيث قال الاقتصادي الأمريكي (ستغلتر حينها: إن كينز لسوف ينقلب في قبره، إن علم بما حل بطفله)[20]، هذا الانقلاب بالثورة المضادة على الكينزية، الذي قادته (مدرسة شيكاغو) توج في العالم في بريطانيا وأمريكيا ودول العالم الثالث، بتراجع دولة الرفاه في أوروبا، والهجوم على إنجازات الدولة العربية، في التخطيط المركزي وبناء القطاع العام ورعاية الخدمات الاجتماعية، واكن قد استهل هذا الهجوم الليبرالي في السبعينيات بالانقلاب على حكومة (الليندي) الاشتراكية في التشيلي، واستغلال ديكتاتوريات الديوان في أمريكيا اللاتينية، لإطلاق فجر التكييف الهيكلي والخصخصة في هذه القارة، وكان (فريدمان) معتمداً على أفكار أستاذه (فريدريك هايك) وبمساعدة البنك والصندوق الدوليين، قد أطلق استراتيجية المعالجة بالصدمة[21]، تمهيداً لسهولة وضرورة الإصلاحات، مشدداً في الاعتماد على صنع الأزمة واستغلالها، الأمر الذي سيوفر الجو المناسب لإدارة الأزمة (أياً كانت: أزمة سياسية، ركود اقتصادي، عجز مالي، أو أزمة ديون) وكانت دول عربية كثيرة قد بدأت في الثمانينيات بتبني هذه البرامج، مع عدم القدرة على تجنب آثار الأزمة الاجتماعية ولاقتصادية لاحقاً (الأردن، مصر) وتقوم فلسفة الدولة غير التداخلية هنا وفقاً لفريدمان بأن مهمة الدولة تنحصر في حمايتنا من الأعداء المتربصين على بواباتنا، وفي أخواننا المواطنين، أي صوت القانون والنظام وتعزيز العقود الخاصة، ودعم الأسواق التنافسية[22]، هذا التأكيد سيشكل لاحقاً مدخلاً عاماً للدولة التنموية العربية، في تبني عملية الإصلاح الاقتصادي، بعد تكييف الواقع لينسجم مع تداعيات هذا الإصلاح، وليس رسم السياسات والبرامج القادرة على إعادة إنتاج الواقع تنموياً، حيث سيقود تلاميذه فريدمان بدءً من نهاية الثمانينيات، برامج الإصلاح الاقتصادي، وفقاً للعلاج بالصدمة، حيث أشرف (جيفري ساكس ودانيل بل) على برامج الإصلاح الاقتصادي في بوليفيا والارجنتين والبيرو والبرازيل

والأكوادر وفينزويلا، وصولاً إلى روسيا في عام 1991، وبولندا والصين واندونيسيا، هذا الامتداد والنفوذ الاقتصادي لهذ المدرسة الفكرية، ترجم عملياً في التسعينيات بفتح الإدارة الأمريكية لحشد السياسيين والاقتصاديين والعسكريين، بما عرف لاحقاً بالمحافظين الجدد، لتكريس عقيدة الليبرالية الجديدة على مستوى العام[23]، ومع أن حضور تلاميذ "مدرسة شيكاغو" لم يظهر وجلياً، على مستوى إدارة برامج الإصلاح الاقتصادي مباشرة في الدول العربية، لكن اعتباراً من بداية أحداث الحادي العشر من أيلول لعام (2001) والاحتلال الأمريكي للعراق لاحقاً (2003) سيظهر أن أشد تطبيقات هذه المدرسة لبرامج الصدمة، ستتم في المنظمة العربية، حيث مثلت الحرب العسكرية على دولة عربية، نموذجاً للصدمة بصنع الكارثة الاستباقية، فجاءت الصدمة عسكرياً أولاً، ثم اقتصادياً لبرامج الإعمار والخصخصة، ثم أمنية لإدارة حياة الناس وتفخيخها بكل أنواع التوترات والاضطرابات، حيث كانت شركات النفط وإدارته، وخصخصة المؤسسات، إدارة العمليات اليومية، إطعام الجنود المرتزقة، وحماية أمن الاحتلال، من مهام الشركات ذاتها التي يديرها ويشارك في أسهمها معظم هؤلاء من المحافظين الجدد (مثل: رامسفيلد وديك تشيني).

رابعاً: العجز التنموي العربي :

لماذا يبدو الواقع العربي مصادراً ومأزوم تنموياً وعملياً؟ الإجابة تكمن في طبيعة فعل المصادرة ذاته، لجهة التبعية والعلاقة غير المتكافئة مع مراكز وأسواق الاقتصاد العالمي، كما في الواقع المتأزم، بفعل عوامل تناقضه الداخلية، والتمعين في فلسفة ذلك، يدفعنا للجوء إلى منهج الاقتصاد السياسي التحليلي التاريخي، باعتبار أن الواقع التنموي العربي، محكوم بتداعيات السياسة، أكثر منها تداعيات الاقتصاد، فارتباط أحدهما بالأخر، تأثرا وتفاعلاً، كل ذلك وفقاً للاستنتاج أن المنطقة العربية تعد من أكثر مناطق العالم اضطراباً على مستوى الجغرافيا السياسة، فيأتي ذلك مرة لطبيعة الأنظمة السياسية ورخاوتها تجاه المتغيرات الاقتصادية والسياسية العالمية، ومرة أخرى بحكم الجغرافيا الاقتصادية التي تكتنفها، المثقلة بالغاز، والتي تختصرها إلى براميل للنفط ومراكز جغرافيا تجارية وتبادلية كبيرة، وأسواق استهلاكية واسعة، كما هو الوصول لاحقاً إلى الاستنتاج بالعجز التنموي العربي، الذي لا ينفصل عن طبيعة كل هذا، والمنتج لإخفاق الاقتصاد كما هو إخفاق السياسة.

يصف (مجدي حماد) الواقع السياسي والاقتصادي العربي بالانحطاط العربي المفتوح[24]، الواقع الذي يتسم بكل مفردات التفكيك، والاختراق، والتهديد، والعجز الاقتصادي والسياسي، إذ يغرق النظام العربي في مختلف أطرافه: بواقع احتلال قسم من أراضيه (العراق، لبنان، سورية، وفلسطين) وتعطل مشروعه التنموي القطري، الاقتصادي والاجتماعي، على خلفية صناعة الأزمات والنزاعات والتوترات والاضرابات الأهلية والمذهبية والطائفية (العراق، اليمن، السودان، الصومال، لبنان)أو النهب المباشر لثرواته وموارده النفطية والمالية (العراق، ودول الخليج العربي..) أو عجزه عن تلبية احتياجاته المجتمعة والشعبية ونقص موارده الغذائية والزراعية والمائية، وحاجته إلى الموارد المالية والخارجية المشروطة (السودان، الأردن، مصر) فيبدو النظام العربي، في حالة عجز تنموي شاملة، تمتد إلى أمنة القومي والوطني (يأتي ذلك كمحصلة للإيديولوجيات المبتذلة للتنمية)[25]، حيث ظل الواقع الاقتصادي والاجتماعي العربي، في غربة عن السياسات الاقتصادية والنماذج التنموية التي استهفته، والتي لم تستطع اختراقه والنفاذ إليه لجهة تغييره وتطويره، بل حاولت هذه السياسات أخذ هذا الواقع إلى "معركة اللحاق" بنماذج النمو والتصنيع الغربي، الأمر الذي قاد إلى الفشل في التصنيع المتأخر والزراعة التقليدية والتقنية المستوردة، والبطالة والفقر والتضخم وتشوه الأسواق واختلال النسيج الاجتماعي، حيث ظلت التنمية هنا "تنمية من فوق" فعل سياسة وتكنوقراط، أكثر منها فعل جماهيري وشعبي ثقافي، يستنهض حراكاً اجتماعياً لصنع التنمية والمشاركة في قطف ثمارها التنموية على أن أهم أسباب العجز التنموي العربي، تأتي بالأساس من أخذ المشروع التنموي العربي إلى ذلك السقف المنخفض الطموح، والمحدد في قطريته، حيث راح يتعثر بفعل محدودية

عوامل النمو والتراكم الداخلية، بالإضافة تعجز عن حشد وملامسة الفضاء المجتمعي العربي القادر على تعبئة الموارد واستنهاض أسباب النجاح التنموي، حيث جاءت المبادرات العربية الاقتصادية في سياق الجامعة العربية، التي استهدفت التكامل الاقتصادي العربي مبكرة جداً (منذ الستينيات) ولكنها رضيت لاحقاً بالنزول إلى صيغ التعاون الاقتصادي والاتفاقيات الثنائية لتحرير التجارة وحتى منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، التي بدأ العمل فيها فعلياً اعتباراً من 2005، لم تصل بحجم التبادل السلعي التجاري إلى أكثر من 10% رغم قيامها على التحرير الكامل للسلع (ثم يأتي تحرير الخدمات والرساميل والعمل لاحقاً جداً) في حين أن تحرير التجارة مع تركيا مثلاً (اتفاق تحرير التجارة بين سورة وتركيا منذ 2008) أو الغزو الصيني السلعي للأسواق العربية، ليحقق عملياً شبه إغراق سلعي بدون الحاجة إلى كل ذلك الوقت، وكل تلك السياسات.

ويمتد العجز التنموي إلى مستوى العجز المالي والعجز الغذائي، ذلك أن العجز عن إعادة إنتاج النظام المجتمعي بقواه الذاتية، يشكل تحدياً أمنياً على المستوى القومي كما الوطني، وتلك هي أهم سمات التنمية الوطنية في قدرتها على إنتاج الأمن المجتمعي بالدرجة الأولى، لكن اختراق الأمن الاقتصادي العربي يتمثل في صيغ عديدة أهمها: الأمن المائي، حيث تعاني معظم الدول العربية من تهديد حقيقي لمعظم مصادرها المائية التي تقع خارج أراضيها، حيث تتحكم فيها وتشاركها دول عديدة أخرى (النيل الذي تتقاسمه: أوغندا، اثيوبيا، السودان، مصر) (ودجلة الذي يشكل موضوع تجاذب واقتسام تركيا وسوريا والعراق) الأمر الذي جعل قضية المياه في المنطقة العربية قضية اقتصادية وسياسية وأمنية، مهددة بالانفتاح على احتمالات نزاع وحروب مستقبلية، وخاصة حين تستمر إسرائيل في تهديد الأمن المائي لدول عربية عديدة (بحيرة طبرية والجولان السوري مع سوريا، نهر الليطاني مع لبنان، وحوض نهر الأردن) كذلك يستمر العجز الغذائي العربي، ليشكل تهديداً لمستقبل الاقتصاديات العربية، حيث وصلت الفجوة الغذائية في عام 2006 إلى 20مليار دولار، واستمر على هذه المعدل في العام 2008، في الوقت الذي تستغل فيه فقط 35% من الأراضي العربية الصالحة للزراعة والبالغة 157 مليون هكتار، في ظل معدل نمو سكاني يصل إلى 2.4%، وتقديرات بوصول هذه الفجوة الغذائية إلى 70 مليار دولار في العام 2030، كما يستورد العرب نصف احتياجاتهم من القمح[26]، وبالقدر الذي يترتب على هذا الواقع، المزيد من التبعية والارتهان للأسواق العالمي والمساعدات والقروض الخارجية، فإن تهديداً آخراً انتجته الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 2008، حيث دفعت دول عربية (دول الخليج العربي تحديداً) ثمن فائض السيولة المالية المترتبة على ارتفاع أسعار النفط الأخيرة، بتوقف مشاريعها التنموية (دبي نموذجاً لمشاريع الخدمات والعقارات والسياحة والتنمية المكيفة لاحتياجات الرأسمال العالمي) وإفراغ القسم الأكبر من المحافظ السيادية العربية دعماً لنقص السيولة في المراكز العالمية (أمريكيا وبريطانيا تحديداً) ومن المفارقات التاريخية الغريبة، كيف تسابقت الدول العربية منفردة للانفتاح على برامج الصندوق والبنك الدوليين، وسياسات تحرير التجارة العالمية، والشراكة الأوروبية واتفاق تحرير التجارة مع أمريكيا، والاتحاد من أجل المتوسط وحين يأتي الالتزام بصيغ التكامل الاقتصادي العربي، والسوق العربية المشتركة، توضع العراقيل أمام تحرير التجارة والالتزام بالتنفيذ والخطوات الجدية، ويترك للجامعة العربية_ حيث تتعثر الإرادات السياسية_ مراقبة تقيد الدول العربية بنتائج القمم الاقتصادية (التزام طوعي) يأتي ذلك كنتيجة منطقية لسياسات التنمية ذاتها، المرتبطة تبعياً بالنظام الاقتصادي العالمي، أكثر منها التزاماً بمشروعها القومي والاقتصادي، فالتنمية هنا تنمية تابعة وغير مستقلة، أو متمحورة حول الذات، كما يراها الاقتصادي العربي سمير أمين[27]، فهي بالأساس خاضعة ومكيفة لاحتياجات التوسع الرأسمالي باعتبارها تنمية فاقدة السيطرة على دينامية تطورها الداخلية، حيث يتمثل الاخفاق هنا في غياب التأكيد عل الطبيعة المتمركزة على الذات للمشروعات المجتمعة للتنمية الاقتصادية.

وفي أخر تقرير لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي[28] عن التنمية الانسانية العربية يتسأل التقرير لماذا كانت العقبات التي تعترض سبيل التنمية في المنطقة العربية "عصية" على الحل، ويجيب هو، ذلك لهشاشة البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية في المنطقة وافتقارها إلى السياسات التنموية التي تتمحور حول الناس، وفي ضعفها حيال التدخل الخارجي[29]، وبغض النظر عن مرامي هذه التنمية العربية، لم تستطع هنا بحكم هذه العوامل السابقة، بتوسع خيارات الناس، وتعزيز فرص المشاركة أمامهم والتمكن من تنميتهم وتحقيق أمنهم وتجنب المخاطر التي تحيط بهم وتهدد مستقبلهم، وذلك كنتيجة للاعتماد المتزايد على عائدات النفط، الذي أضعف الهياكل الاقتصادية العربية، وتركها عرضة لتقلبات الأسواق الالمية، حيث اتخذ النمو الاقتصادي مساراً متعرجاً، خلال العقود الثلاثة الماضية وتدني مستوى الأداء في القطاعات الإنتاجية (وبخاصة التصنيع) حتى إذا أقل مما كان عليه قبل أربعة عقود[30].

وفي واحدة من أهم الإخفاقات التنموية والصدمات المترتبة على نموذج الرأسمالية العالمية، وتوسعها الاقتصادي والعسكري، جاءت صدمة "الحادي عشر من سبتمبر" لتشكل نقطة انعطاف تاريخي في المنطقة العربية، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي نهاية الثمانينيات وقطع مسار التجربة الاشتراكية علمياً، حيث سيترتب على المنطقة العربية جراء هذه الصدمة، المزيد من الصدمات العسكرية والسياسية، التي أعادت إنتاج مفاهيم جديدة للخطاب الليبرالي المعاصر، الذي وقعت هذه الدول ضحية الارتماء في أحضانه، وغبن مصداقيته، منذ نهاية السبعينيات، هذا الخطاب الذي يبدع في إعادة تجديد مفرداته الخاصة للتعامل مع هذه المنطقة مثل: (عقيدة الشر، محور الشر، الإرهاب الإسلامي، صراع الحضارات، الأصولية الإسلامية) يأتي كل هذا الاستخدام الموجه للاحتواء المزدوج لتاريخها إسلامياً ونفطياً، النفط الذي يشكل وقود الصناعة الغربية، ومصدر الثروات الهائلة للشركات العالمية العملاقة التي تحتاج إلى الحروب الاستباقية والحروب المخصخصة لخدمة هذه الشركات (وأياً كانت صناعة الأسباب لاحقاً، عراق الأسلحة الجرثومية، وافغانستان القاعدة والإرهاب) فالحرب على الإرهاب يتساوى في هذه المنطقة، مع الحرب على أية نهضة تنمية مضادة للنموذج الليبرالي المقترح لهذه المنطقة، وتحت عناوين كثيرة "نموذج ديمقراطي لشرق أوسط جديد" يقوم على الحداثة الديمقراطية، و كما كانت بوليفيا في أمريكيا اللاتينية وبولندا في شرق أوروبا وروسيا، ستكون العراق، ذلك النموذج العملي إعلان "عصر الفتوحات المؤسساتي" الذي تقوده كبرى الشركات العملاقة في العالم (هاليبرتون وكارلايل) طليعة اقتصاد السوق والإصلاح الاقتصادي، وهنا في الطرق لاقتلاع جذور الإرهاب، وبناء دولة النموذج الديمقراطي التنموي، يتم التحول والإصلاح الاقتصادي، المدمرون والمحتلون، هم أنفسهم بناؤوا هذا النموذج في المنطقة، فتقوم الفوضى البناءة بوظيفة التدمير الرأسمالي الخلاق، هو "اقتصاد الكوارث" الذي جاء كما "تسونامي" ليقتلع القطاع العام ويخصص المؤسسات، ويعطي الشركات الخاصة العملاقة وظيفة بناء الهياكل والمؤسسات من جديد (في العراق) وكما لم يحدث في أي مكان في العالم، استطاعت برامج الإعمار والخصخصة للإصلاح الاقتصادي، أن تنسف التاريخ الوطني بكل ثروته وغناه الاقتصادي والعلمي، وتقيم بدلاً عنه الحواجز الأمنية والمناطق الخضراء، الآمنون المستقرون وما فيا الإصلاح يقطنون داخل أسوار الحمايات الأمنية الخضراء، والشعب العراقي يتيه بين عشائره وطوائفه وأحزابه وانتماءاته السياسية في المنطقة وخارجها، كما قبل عقود خلت، لكن صدمة الإصلاح التي بدأت هنا عسكرياً، ما لبثت أن تحولت أمنياً في عملية تكيف وإخضاع، لم تمارس منذ أيام الإدارات الاستعمارية في أفريقيا قبل خمسة قرون، هي عقيدة الليبرالية الجديدة وتلامذة مدرسة شيكاغو (رامسفيلد وتشيني وولفوفيتير) في الخصخصة ونهب ثروات العراق وموارده ونفطه وأمواله، حيث العودة إلى الرأسمالية النقية، فعندما يخرب الاقتصاد على نحو كبير تختصر الطريقة الوحيدة لبلوغ حالة ما قبل الانحطاط تلك بفرض صدمات موجع ومتعمدة [31]

وفي نموذج إصلاحي ديمقراطي كهذا تحضر الرأسمالية المنفلتة من كل القيود "رأسمالية الكوارث" حيث يقوم القطاع الخاص (الأجنبي تحديداً ونادراً المحلي) بالتعاقد مع الحكومة "أياً كان شكلها: حكومة احتلال، حكومة طوارئ، حكومة مؤقتة) لحمايتها، وتخصيص المؤسسات الوطنية فيقيم الفصل بين الناس، إلى دعاة الحداثة والديمقراطية وفرسان التحرير، وانتحاريين وإسلاميين وفقراء ومهمشين ومهجرين، اقتصاد التنمية الكارثية هنا، يطلق نهم الشركات العملاقة والخاصة لبناء النموذج التنموي الجديد، بالاعتماد على تجارة النفط والإعمار والسلاح وإعادة البناء (العراق وافغلستان ولبنان: النموذج الذي كان مرشحاً للمنطقة بمجملها) حيث يتحول القسم الأعظم من السكان إلى فائض بشري لا لزوم له (العراق، فلسطين، السودان، الصومال، اليمن) وكل ما يستطيع النموذج الجديد أن يفعله، هو قطع مسار التطور التاريخي للبلد العربي ونهب ثروته وموارده، وزرعه كمثال حي على التخوم والحدود والجيران لباقي الدول العربية، في جدوى وجدية الإصلاح الليبرالي، فكثيرة هي الدول العربية (سورية، لبنان، مصر، الأردن، فلسطين) التي تأثرت عملياً في سياق تاريخي كهذا، في تنميتها ومشاريعها المستقبلية تحت ضغط التهديدات وعبء الانقسامات والتحالفات لما يحدث في دولة عربية أخرى، وبالقدر الذي صودر من التاريخ العراقي انجاز أكثر من خمسة عقود من البناء والتطور الاقتصادي والاجتماعي المعرفي ، وأعيد إلى حالة البناء من الصفر، وفق تداعيات وآثارها المرتدة على الاقتصاد والمجتمع، يأتي كل هذا ليضيف بالأساس، على الغياب العملي لإستراتيجية تنموية عربية، قومية، أو قطرية، المزيد من التعثر والعجز التنموي، وكما لم تتفق الدول العربية سابقاً في موقف عربي موحد، تجاه الاقتصاد السياسي لإدارة الأزمة في المنطقة (الوجود العسكري الأمريكي والاحتلال المكثف سياسياً عسكرياً) فهي لم تخرج أيضاً وحتى اليوم، بموقف اقتصادي، قومي أو قطري لاستنهاض تنموي جديد أقله للخروج من تداعيات الأزمة سياسياً واقتصادياً.

الخاتمة :

الدول العربية لا تختلف كثيراً في بناها وهياكلها التنموية، حين الانتقال من العام المجرد إلى الخاص المحدد، إلا أن طبيعة التحليل تقتضي هنا استخدام نموذج الدولة، باستخدام الدلالات العلمية والرقمية للعجز التنموي، كما لو أنه تم تناول دولة أخرى، وبالتطرق لعجز التنمية وإخفاقها يمكن مقاربة الاقتصاد والواقع التنموي العربي، من خلال العديد من المؤشرات المادية والتنموية التي أتاحها تقرير مراجعة منتصف المدة للخطة الخمسية العاشرة (2005_1010)[32]، حيث بشير التقرير إلى أن الاختلالات التنموية لازالت مستمرة وبعمق، فأولوية الخطة في التطوير المؤسساتي تسير ببطء[33]، ومع أن الخطة العاشرة تبنت مفهوم "التنمية بمعناه الواسع" وتجاوز المفهوم الاقتصادي لوحده، أي في محاولة لتوسيع خيارات وفرص الناس في كافة مجالات الحياة، إلا أن هذه الاختلالات التنموية برزت في تراجع نمو القطاع الزراعي وتراجع الاستثمار العام والخاص بنسبة 2%، وتراجع نسبة الادخار المحلي إلى الناتج المحلي إلى 18% ومع أن القطاع الخاص يساهم بنسبة 66% في حجم الناتج المحلي الإجمالي فقد انخفضت استثماراته، وتوجهت الاستثمارات الخارجية إلى قطاعات غير إنتاجية مثل العقارات والسياحة والمصارف والتأمين، وعلى مستوى أداء الاقتصاد الكلي فقد تراجعت سورية في تقرير التنافسية العالمي إلى المرتبة 78 من أصل 134 دولة، وتراجع ترتيبها في دليل التنمية البشرية من 106 لعام 2005 إلى المرتبة 108 لعام 2008، وذلك لتراجع نصيب الفرد من التنمية البشرية[34]، وكذلك يلاحظ برغم معدلات النمو المرتفعة (5.2 لعام 2006، و6.3 لعام 2007) إلا أن مسألة استدامة النمو الاقتصادي يشوبها عد اليقين فلا تزال مشكلة البطالة المستمرة، ويضاف إلى ذلك مشكلة العادلة في توزيع الدخل بين الأفراد والمناطق، يأتي ذلك في الوقت الذي تمضي فيه الحكومة منذ بداية التسعينيات (وتحديداً منذ العام 2000) بتنفيذ برنامج

الإصلاح الاقتصادي غير المزيد من مؤسسات القطاع العام الصناعي، حيث ارتفعت تكاليف المعيشة وفقاً لتلك السياسات وانخفضت مدفوعات الرواتب والأجور، كنسبة من الناتج المستمر للأسعر من 9.0% لعام 2005 إلى 3.2% لعام 2007، وتراجع الاستهلاك الخاص بين أعوام 2004_2007 بمعدل 3.6%، وكمؤشر عام على تدهور الأجور الحقيقة هنا، يمكن ملاحظة كيف عجزت الخطة عن تحقيق أهدافها في توزيع النمو الاقتصادي، واستهداف عدالة التوزيع وتمكين الناس اقتصادياً واجتماعياً، وعلى الرغم من أن الخطة تبني مفهوم اقتصاد السوق الاجتماعي منذ عام 2005 رسمياً واستمرار الدور الفعال للدولة في الجانب الاجتماعي، إلا أن البرامج المخصصة لتخفيف آثار الصدمات الاقتصادية التي تجملها الخطة لم يتم البدء بمعظمها حتى الآن، رغم مضي أكثر من نصف مدة الخطة، ومع أن الخطة تبنت مفهوم العدالة الاجتماعية وتوزيع الدخل، إلا أنها تعترف صراحة في "عدم النجاح في تحقيق نمو كحاب للفقراء"، يأتي ذلك مع ارتفاع نسبة السكان الذين يعيشون الفقر المدقع من 2.2% إلى 1.2%، وزادت نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر العام من 30% إلى 34.5%[35]، أما واقع تنموي كهذا لا يمكن الجزم إلا بإخفاق تنموي شديد كرسه عجز التنمية في التقليل من التفاوتات التنموية الاقتصادية والاجتماعية وغياب الإدارة الكفؤة لعملية التنمية، كل تلك المؤشرات الاجتماعية لا تعطي الانطباع بأنها تنسجم أو ناتجة عن آليات وسياسات الاستشراقي لسورية 2025، بأن ثمة تحديات نصيرية وتنموية تنتظر الاقتصاد والمجتمع السوري كتحدي الأمن الطاقوي، ونهاية الحقبة النفطية واستمرار النمو المرتفع في ظل الارتفاع المستمر للسكان والتدهور البيئي وشح المياه واستنفاذ الموارد للأراضي الزراعية والأمن الغذائي[36]، وفي مقاربة أخرى لتعثر التنمية في سورية واختزالها إلى البعد النمو الاقتصادي لوحده والبحث عن استمرارية النهج الاقتصادي في باللجوء إلى المزيد من الاستثمارات الأجنبية وتمكين القطاع الخاص والنخفيف من دور الدولة في البنى التحتية والخدمية، أطلق مؤخراً مؤتمر الشركة بين القطاع العام والخاص حيث جرى التأكيد على أن أسلوب الشراكة بين العام والخاص يمثل خياراً استراتيجياً لتمويل وإقامة العديد من المشاريع الكبيرة[37]، حيث المراهنة هنا على قدرة القطاع الخاص على تحفيز النمو وإقامة البنية الهيكلية الازمة لهذه النمو، وتعد هذه المرة الأولى التي تتم فيها "استراتيجية التنمية" وفقاً للتشاركية حيث يشارك القطاع الخاص في البنى التحتية (ماء كهرباء طرق مواصلات اتصالات) الأمر الذي اعتبر طيلة السنوات الأربعين الماضية من إنجاز الدولة التداخلية، لضمان وصول هذه الخدمات إلى كافة أفراد المجتمع وفقاً للسياسات الاجتماعية التي ارتكزت على الوجود الحكومي في الصحة والتعليم والخدمات العامة الأخرى.

الهوامش :

1. إبراهيم العيسوي: الحلقة النقاشية لإدارة ندوة البدائل التنموية العربية، مصدر سابق، ص 276، انطوني جيدنز: الطريق الثالث، تجديد الديمقراطية الاجتماعية، ترجمة أحمد زايد ومحمد محي الدين، جامعة القاهرة، 1999، ص59.
2. اقتصاد السوق الاجتماعي واتجاهات تطوره المستقبلية، ترجمة عن الألمانية، دز عدنان سليمان، دار الرضا دمشق 2005، ص24.
3. اقتصاد السوق الاجتماعي، مصدرسابق، ص34، وللمزيد يمكن مراجعة ندوة اقتصاد السوق الاجتماعي بين المفهوم والتطبيق، التي عقدتها الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية في تموز من العام 2009، في دمشق، والتي صدرت في كتاب يحمل نفس الاسم.
4. اندريه غوندار فرانك، ورد في خوري وسليمان، التنمية الاقتصادية، ص116.
5. انطوني جيدنز: مصدرسابق، ص139.
6. ايفان ايلليخ، ورد في جورج قرم، دراسة في الأزمة الحضارية والتنموية العربية، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص118.
7. تقرير التنمية الإنسانية العربية الصدر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة للعام 2009، والذي جاء بعنوان تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، والذي يفرد فيه معالجة لحال العرب من التنمية البشرية والفقر إلى

التنمية المستدامة، وذلك وفقاً لاحتياجات المراكز الرأسمالية العالمية، واستخدام هذه المعلومات وسيلة ضغط اقتصادية وسياسية وابتزاز تنموي.

8. التقرير الوطني الاستشرافي الأساسي الأول لمشروع (سورية 2025) الصادر عن هيئة تخطيط الدولة بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الأنمائي لعام 2009، والمعطيات الواردة هنا نشرت رسمياً من خلال ندوة أطلقها مدير التقرير ومعدوه، كما في محاضرة لنائب الوزراء في جمعية العلوم الاقتصادية، صيف 2009.
9. تقرير رسمي حكومي تصدره هيئة تخطيط الدولة لمراجعة وتتبع تنفيذ الخطط التنموية، تناقشه الحكومة لمراقبة تنفيذ الخطة، ووضع الخطة المقبلة الحادية عشر (2010_2015) والذي صدر مؤخراً عن الهيئة في العام 2009 وهو يقيم نصف المدة الزمنية (2005_2008).
10. جلال أمين، خرافة التقدم والتخلف، العرب والحضارة الغربية في مستهل القرن الواحد والعشرون، دار الشروق، القاهرة، 2009، ص34.
11. جلال أمين، كشف الأقنعة عن نظريات التنمية الاقتصادية، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص34.
12. جورج قرم: مدخل إلى الاقتصاد الريعي في الوطن العربي: بدائل تنموية عربية، مصدر سابق، ص 51.
13. سرج لاتوش: التنمية تجاري وإشكاليات، ص53.
14. سمير أمين، اشتراكية القرن، تأملات حول اشتراكية القرن 21، دار الثقافة الجديدة للنشر، القاهرة 2008،ص 94.
15. سمير أمين، اشتراكية القرن، مصدر سابق، ص14.
16. سمير أمين، الاقتصاد الساسي للتنمية في القرنين العشرين والحادي والعشرين، ترجمة فهمية شرف الدين، دار الفارابي، بيروت، 2002، ص30.
17. عدنان سليمان: الفكر التنموي، نقد فلسفته ووعي تداعياته، الفكر العربي، بيروت، العدد 188، 1997، ص109.
18. عصام خوري، عدنان سليمان، التنمية الاقتصادية، مصدر سابق، ص203.
19. فتحية ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1992، ص42.
20. القمة العربية الاقتصادية والتنموية والاجتماعية التي عقدت في الكويت خلال شهر كانون الثاني لعام 2009.
21. كما يسميها الاقتصادي اللبناني جورج قرم.
22. للمزيد حول الأمن الغذائي العربي يمكن مراجعة الآثار السياسية ومخاطر التبعية الغذائية، د. محمد الهزايمة، د. عبد المجيد عزام، مجلة النهضة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، العدد الثالث 2009، والتقرير الاقتصادي العربي الموحد عن صندوق النقد العربي لعام 2008 الصفحات 3_15.
23. للمزيد حول تفسير التخلف يمكن مراجعة التنمية الاقتصادية، عصام خوري، عدنان سليمان، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق،1965.
24. مجدي حمادة، المشروع النهوضي العربي، النظام العربي وآفاق المستقبل، مراجعة وتقديم طاهر كنعان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص31.
25. محمد محمود الإمام، التنمية العربية، نحو تنمية تكاملية مستقلة، بدائل تنموية عربية، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية بالقاهرة، ومركز البحوث العربية والأفريقيةبالقاهرة، ندوة بحثية تحرير مدحت أيوب، القاهرة، 2009، ص266.
26. المرجع السابق، ص30.
27. المرجع السابق، ص31.
28. المرجع نفسه، ص15.
29. المرجع نفسه، ص17.
30. المرجع نفسه، ص222.
31. المرجع نفسه، ص3.
32. المرجع نفسه، ص9.
33. المصدر نفسه، ص204.
34. نائب رئيس مجلس الوزراء عبد الله الدردري أمام المؤتمر الذي عقد في تشرين الثاني لعام 2009، في دمشق، بعنوان: تمويل البنية التحتية لسورية.
35. نبيل السمالوطي، علم اتباع التنمية_ دراسة في اجتماعيات العالم الثالث، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص219.
36. نعومي كلاين، عقيدة الصدمة وصعوبة الرأسمالية الكارثية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009، ص28.
37. نعومي كلاين، عقيدة الصدمة، مصدر سابق، ص87.

أنشاء خريطة لملوحة التربة بمنطقة كروم الخيل ـ غرب مدينة طبرق ليبيا – (دراسة استكشافية)

1. محمدفرج عوض عبلس
محاضر مساعد بكلية الموارد الطبيعية وعلوم البيئة – جامعةطبرق
2. ابوبكر بخيت ابوبكر
أستاذ مساعد بكلية الموارد الطبيعية وعلوم البيئة ـ جامعةطبرق.

الملخص :
تقع منطقة الدراسة في الجزء الغربي من مدينة طبرق عند الطريق المارة من مدينة طـــبرق شرقاً إلي منطقة عكرمة غرباً وتنحصر منطقة الدراسة بين خطي طول "23°50'5.70 و "23°49'35.14 شرقاً وبين خطي عرض"32° 05'55.77 و"32°05'24.97 شمالاً، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 80 هكتار وارتفاعها فوق سطح البحر يبلغ بمتوسط حوالي 83 متر.

تتميز منطقة كروم الخيل بأن مناخها شبه الصحراوي وهو في الأصل مناخ صحراوي ولكن تتأثر بمؤثرات البحر الأبيض المتوسط المجاور الذي اثر في درجة الحرارة وبالتالي في جميع عناصر المناخ الأخرى، ويتمثل مصدرها المائي والأساسي في مياه الأمطار حيث تتراوح قيمتها 100- 170 ملم، في السنة، وكذلك المياه الجوفية الموجودة في منطقة الدراسة تعتبر مالحة جداً ولا يمكن الاستفادة منها في الشرب والزراعة إلا بعد معالجتها.

ولقد تم أخذ عينات شاملة (مركبة) ممثلة لترب المربعات المختارة في منطقة الدرلسة بأتباع أسلوب العينات العشوائية خلال شهر مايو 2015، والتي يبلغ عددها 20 عينة متساوية الحجم وعلي عمق من 0-30سم، وتوقيعها على خريطة الأساس ببرنامج (Google Earth) وأجرى عليها بعض التحاليل الكيميائية والفيزيائية (المحتوي الرطوبي، قوام التربة، السعة التبادبية الكاتيونية CEC، النسبة المئوية للصوديوم المتبادلESP التوصيل الكهربائي EC_e لتقدير كمية الأملاح الذائبة في التربة Tss، درجة تفاعل التربة PH) حيث تمت معالجة البيانات الناتجة إحصائيا باستخدام البرنامج الإحصائي (IBM SPSS, Version 21)، كما تم رسم خرائط توزيع المتغيرات المقاسة بواسطة برنامج (Microsoft Office Excel)، وذلك لتقييم ملوحة التربة

تعد تربة المنطقة علي ضوء النتائج المتحصل عليها من تحليل العينات بأنها من الترب المالحة بدرجة متوسطة وتبعاً لدرجة تحمل محاصيل الحقل والخضر والفاكهة للملحية حسب تصنيف منظمة الأغذية والزراعة "FAO" (1977)،لمجموعة المحاصيل التي يتم زراعتها في درجة ملوحة متباينة واعتمادا على هذا التصنيف يمكن زراعة هذه المجموعات من الخضر والفاكهة (النخيل، الرمان، التين، الزيتون، العنب)، الخضر (الطماطم، الفلفل، البصل، القرع، الكرنب)، حاصلات الحقل (الشعير، القطن، القمح، الذرة، عباد الشمس). نوصي بإجراء دراسات لتحديد استجابة التربة لعملية غسل الأملاح باستخدام تقنية المياه الممغنطة وخصوصاً مغنطة المياه الجوفية لمنطقة الدراسة.

Abstract

The study was conducted in west side of Tobruk city in area extend from east of Tobruk to Eikramawest ,longitude23°49'35.14"and 23°50'5.70"east ,latitude between 32° 05' 55.77 and 32°05'24.97"north. The total area about 80 hectors, 83m above the sea.

Kroum-elkhial specialized with semi desert climate, change from desert climate by the effects of Mediterranean sea climate in temperature and other climate factors , the rain considered the main source of water (100-170mm /year), in these area depend on rain water because the high salinity of underground water and not suite of drinking and agriculture activities.
The composite samples was collected from the study area as representative samples ,randomize Zigzag method was used in sampling in may 2015, total number of samples was 20 with same size and weight, the depth of sampling ranged 0-30cm.Basic soil map was formed to determinate ,PH,EC,Tss ESP,Na^{+2},Soil Texture in soil sample, IBM SPSS, Version 21 statistic program was use, and Microsoft Office Excel using to draw distribution the values, to assess the salinity of soil in study area.
The results analysis show a medium level of saline ,according to classification of (FAO).(1977) ,the soil in study area suite for (Palm, pomegranate tree, Figs, Olive, Grapes,)as fruits crops ,also (Tomatoes, Pepper, Onions, Pumpkin, Cabbage) as a vegetables crops, and(Barley, Wheat, Corn, Sunflower, cotton) as a seeds crops. With attention and government supply, we can increasing and export the production of these crops.

المقدمة :

من أكثر المشاكل التي تعاني منها العديد من أراضي العالم هي تملح التربة، حيث تبدأ عملية تملح التربة بالشروع حالما تسوء أحوال الصرف المائي الطبيعية وتتجمع مياه الري المحملة بالأملاح الذائبة ولا تجد لها مخرجاً من أجسام الترب وربما تتركز نتيجة عمليتين التبخر والنتح ثم يزداد تجمعها في أعالي أجسام هذه الترب أو علي سطوحها انتقالاً بالخاصية الشعرية المتأثرة بمستوى الماء الأرضي المتذبذب موسمياً. وحتى يبلغ مقدار التوصيل الكهربائي لمحلولها أكثر من 4 مليموز/سم . وتتضح هذه الكيفية في الكثير من مناطق العالم المحدودة الأمطار والمتعاظمة التبخر لأرتفاع درجة الحرارة. (العكيدي، 1990). وتتميز الأراضي المالحة حسب التصنيف الامريكي بأن درجة التوصيل الكهربائي للمستخلص المائي لعينة التربة عند درجة التشبع أكثر من 4 ملليموز/سم عند 25° م وتكون النسبة المئوية للصوديوم المتبادل أقل من 15 % ، والرقم الهيدروجيني بها أقل من 8.5. (الخطيب،2006)، (الدومي ،2000).

نجد أن منطقة البطنان بصفة عامة تشغل مساحة كبيرة والتي بلغت 83860 كم^2 إلا إن معظمها أراضي صحراوية غير صالحة للزراعة فلم تستغل منها سوى 2% فقط من تلك المساحة وأن مساحة الأرضي المستصلحة لا تتجاوز % 50 من الأراضي الزراعية في المنطقة، وذلك على الأثر الكبير للظروف المناخية التي تقع ضمن نطاق المناخ الجاف وبالأخص لقلة وتذبذب سقوط الأمطار الذي لم يتعدى 170 مليمتر/ للسنة، من سنة 1990 – 2009م، والتي لا تكاد تكفي لزراعة العديد من المحاصيل الحقلية، مما أدى إلى عدم استغلال تلك المساحات الواسعة، وتبين كذلك إن مساحة الأراضي الزراعية المروية أخذت في الزيادة وذلك لاستغلال الموارد المائية المتاحة كالمياه الجوفية ومياه الأمطار المختزنة. (المغبي،2009).

وبما أن منطقة كروم الخيل جزء من مدينة طبرق (هضبة البطنان) لذلك فأن التكوينات الجيولوجية بشكل عام هي تكوينات الزمن الثالث والرابع. أما تربة مدينة طبرق فتصنف تحت التربة الجافة، حيث تكونت من المواد التي جلبتها الإنحرافات المائية، وهي تظهر على أصناف متعددة ولكن تتشابه في خواصها الفيزيائية و الكيميائية الأساسية، وعامة تكون خفيفة رملية طينية ضعيفة وتصنف على أنها قلوية مالحة إلي شديدة الملوحة، طفليه التركيب، ضعيفة في احتوائها على المواد العضوية، ترتفع فيها نسبة كربونات الكالسيوم قليلة الخصوبة، ويرجع ذلك إلى طبيعة التركيب الكيميائي للتربة وإلى عامل الجفاف وإلى قلة الغطاء النباتي، أما اللون السائد فهو يتدرج بين البني والأصفر(صالح،2013).

أما مناخياً فتتميز منطقة كروم الخيل ـ طبرق بأن مناخها شبه الصحراوي وهو في الأصل مناخ صحراوي ولكن تتأثر بمؤثرات البحر المتوسط المجاور الذي أثر في درجة الحرارة وبالتالي في جميع عناصر المناخ الأخرى.الأمطار بمنطقة البطنان من النوع الإعصاري الذي يسقط على شكل وابل في فترات زمنية متقطعة وتختلف معدلات تساقط الأمطار في كميتها من سنة إلى أخرى وكذلك في توزيعها الشهري وبصفة عامة تعتبر الأمطار متذبذبة ، ويلاحظ سقوط للأمطار في فصلى الخريف والربيع إلا أنها قليلة عند مقارنتها بفصل الشتاء. ونظرا لان المنطقة لا يزيد ارتفاعها عن 200م فوق مستوي سطح البحر لهذا ليس هناك تأثير يذكر لمظاهر السطح في هضبة طبرق علي درجة الحرارة. أما الغطاء النباتي فهو عبارة عن نباتات حولية سريعة الزوال وتوجد في تجمعات متفرقة مع وجود بعض الشجيرات في كثير من المواقع وهى دائمة الخضرة متكيفة مع المناخ شبه الجاف مما جعلها تمتاز بنموها المتباعد مثل (المثنان – القطف – الرمث – الحلبلب – الحلاب – الطرفة) كما تنمو في المنطقة أنواع من الحشائش والأعشاب وتستخدم كمرعى.(الشاعري ،2000).

كذلك أكد موسى وآخرون(2013) أن قيم الأملاح الكلية الذائبة في المياه الجوفية بمنطقة كروم الخيل عالية حيث تراوحت من (2810 – 4450Ppm)، وهذه القيم تعتبر في جميع آبار المنطقة تقع ضمن الحدود الغير مسموح بها، للاستخدام كمياه للشرب والزراعةطبقا للمواصفات القياسية الليبية وكذلك المواصفات القياسية لمنظمة الصحة العالمية (WHO).

وبسبب تدهور التربة وتقلص مساحة الأراضي المزروعة من جراء العوامل الطبيعية والبشرية كما هو الحال في منطقة الدراسة الأمر الذي انطلق منه هذا البحث لتقدير النسبة المئوية للأملاح الكلية الذائبة في منطقة الدراسة حتى يمكننا وصف ولو بطريقة مصغرة عن حالة التربة برسم خريطة الملوحة وتنسيب بعض المحاصيل التي يمكن أن تتعايش مع درجة الأملاح الموجودة في تربة منطقة الدراسة.

المواد وطرق البحث :

تقع منطقة الدراسة في الجزء الغربي من مدينة طبرق عند الطريق المارة من مدينة طبرق شرقا إلي منطقة عكرمة غربا كما هو موضح في الشكل (3)، وتنحصر منطقة الدراسة بين خطي طول "5.70 ’50 °23 و"35.14 ’49 °23شرقا، وبين خطي عرض"55.77 ’05 °32 و"24.97 ’05 °32شمالاً، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 80 هكتار وارتفاعها فوق سطح البحر يبلغ بمتوسط حوالي 83 متر.شكل (3)

أولاً : آلية العمل في الحقل : اخذ عينات التربة من أرض تابعة لأحد المواطنين بمنطقة الدراسة خلال شهر مايو 2015، علما بأن هذه الأرض تستخدم حالياً لزراعة الشعير، ولقد تم توزيع مواقع أخذ عينات علي خريطة الأساس داخل المساحة المرشحة، بحيث قسمت منطقة الدراسة إلي 20 مربع، وكل مربع مساحته حوالي 2×2 هكتار، أخذت منه 20 عينة متساوية الحجم عند عمق (30سم)، بإتباع طريقة (Zigzag) لأخذ العينة الشاملة الممثلة للحقل.(شكل 1)،(محمد ،2009).(Abubaker, 2008)

تم جمع العينات للمربع الواحد مع بعضها في كيس واحد، وتخلط العينات ومزجت مع بعضها جيدا في صواني بلاستيكية كبيرة الحجم وأخذ جزء منها ممثل لها ووزنهُ 1-2 كجم، حيث وضعت في أكياس بلاستيكية ومن ثم وضعت في أظرف ورقية يرفق معها كل البيانات الخاصة بالعينة بدقة كبيرة في بطاقة خاصة مرقمة داخل الكيس وكتب الرقم علي الكيس من الخارج، وتم

نقل العينات في صناديق خاصة إلي المختبر دون تعرضها للجفاف.(بن محمود والجندل،1984).(Jackson,1958).

وكذلك تم تسجيل الإحداثيات الجغرافية والارتفاعات عن مستوى سطح البحر للمربعات العشرين المدروسة بواسطة جهاز تحديد الموقع العالمي (GPS, Model) وتوقيعها على خريطة الأساس ببرنامج (Google Earth).

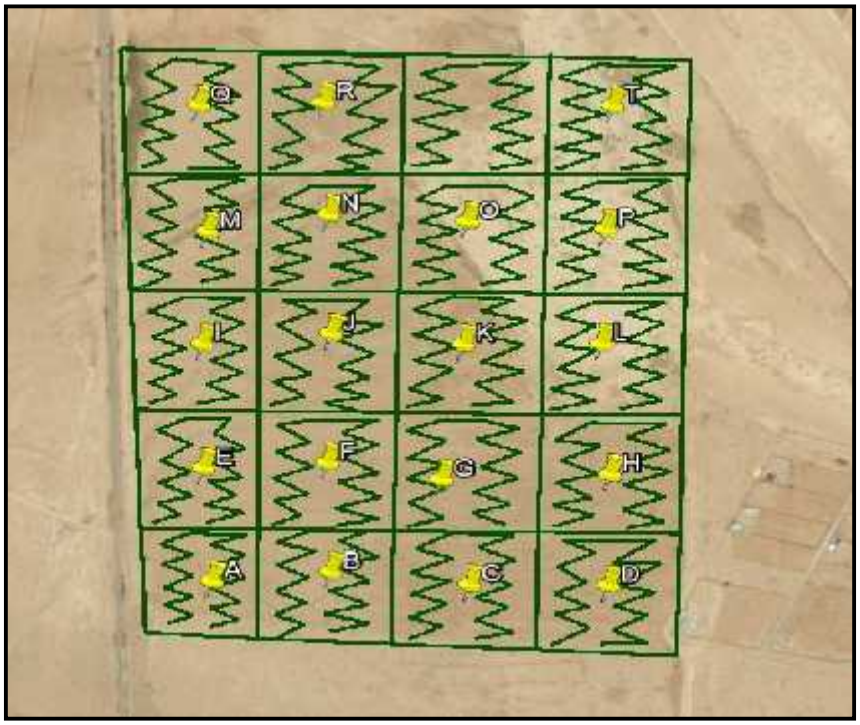

شكل (1) طريقة الزجزاج المتبعة والمربعات المختارة في منطقة الدراسة

ثانيا : طرق التحاليل الكيميائية المستخدمة لفحص عينات التربة المختارة في منطقة الدراسة.

1- النسبة المئوية للتشبع المائي للتربة.Soil moisture content

تم تقدير السعة التشبعية (الحقلية) المائية للتربة بالطريقة الوزنية، حيث تم تشبيع وزن معلوم من التربة الجافة هوائيا وأضيف إليها الماء المقطر تدريجيا حتى تم الوصول إلي علامات التشبع المائي، ثم وزنت العينة المشبعة بالماء وجففت علي درجة حرارة 105-110م وتم وزنها بعد تجفيفها، والفرق في الوزن يمثل وزن الماء الذي يلزم لتشبع التربة ومن ثم تم حساب النسبة المئوية للتشبع المائي علي أساس الوزن الجاف تماما. (محمد، 2009).(Rump,1988).

2- التوصيل الكهربائي (EC):

تم تقدير الموصلية الكهربي (Electrical Conductivity) لعينات الترب وذلك في المستخلص المائي لعجينة التربة (1:1) باستخدام جهاز قياس التوصيل الكهربي (Conductivity meter) ويعبر عنه mmoh/cmعند 25° م.كما ذكر في (الزغبي وآخرون،2013).(Soil Survey Staff,1972).

3- الأس الهيدروجيني (pH):

تم قياس pH باستخدام جهاز قياس الرقم الهيدروجيني pH meter 3305 نوع JENWAY . وهو عبـارة عن اللوغاريتم العشري السالب لتركيز أيون الهيدروجين في مستخلص التربة كما هو موضح في (الدومي وآخرون،1996).(Jackson,1963).

4- قوام التربة :

تم تقدير التحليل الميكانيكي بطريقة الهيدروميتر ومن ثم استخدام مثلث قوام التربة لتحديد نوع القوام كما ورد في (محمد، 2009).

5- نسبة الصوديوم المتبادل :

وهو الفارق بين تركيز الصوديوم القابل للاستخلاص وتركيز الصوديوم الذائب في الماء باستخدام جهاز التحليل الطيفي باللهب كما جاء في (الزغبي واخرون، 2013).

6- السعة التبادلية الكاتيونية CEC :

قدرت السعة التبادلية الكاتيونية باستخدام طريقة Bower واخرون سنة 1952 باستعمل خلات الصوديوم (محمد، 2009).

7- تمت معالجة البيانات الناتجة إحصائيا بإستخدم البرنامج الإحصائي (IBM SPSS, Version 21)،كما تم رسم خرائط توزيع المتغيرات المقاسة بواسطة برنامج (Microsoft Office Excel). ورسم خريطة الملوحة بواسطة برنامج (Arc Map 10.2).

شكل (3) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة

النتائج والمناقشة :

بالنظر إلى الجدول رقم (2) وشكل رقم (4) نجد اختلاف متوسطات قيم التوصيل الكهربائي بين عينات المربعات المدروسة حيث يتراوح بين 14.6ملموز/سم في المربع رقم (B) كأعلى قيمة و4.4 ملموز/سم في المربع رقم (P) كأدنى قيمة في المربعات ، حيث يبلغ متوسط التوصيل الكهربائي في منطقة الدراسة 8.5 ملموز/سم، وعليه تعتبر التربة مالحة بدرجة متوسطة، ويبين جدول(2) لمصفوفة معاملات الارتباط أن التوصيل الكهربي له علاقة موجبة (طردية) مع المحتوي الرطوبي (r =0.584**) و النسبة المئوية الكلية للأملاح الذائبة في التربة (r = 0.898**) وذلك كلما زادت نسبة الأملاح في التربة مع زيادة المحتوى الرطوبي تزيد درجة التوصيل الكهربائي وهي علاقة طبيعية، إلا أن علاقة التوصيل الكهربائي سالبة (عكسية) بدرجة متوسطة مع الأس الهيدروجيني (r = -0.316).حيث أن الأس الهيدروجيني يؤثر علي درجة التوصيل الكهربائي وذلك عندما يقترب الأس الهيدروجيني إلي درجة الحموضة يسبب زيادة قابلية الأملاح المركبة الغير قابلة للذوبان في الماء علي الانحلال وبالتالي زيادة درجة التوصيل الكهربي، والعكس عند اقتراب الأس الهيدروجيني إلي درجة القاعدية (شكل5).

الجدول (2) متوسط قياسات بعض الصفات الكيميائية والفيزيائية لتربة المربعات المدروسة في منطقة الدراسة

رقم العينة	PH	التوصيل الكهربائي (1:1) EC ملليموز/سم/25م°	النسبة المئوية الكلية للأملاح الذائبة في التربة (Tss)	المحتوي الرطوبي للعينة الجافة هوائياً (%)	التحليل الميكانيكي (%)		
					الرمل	السلت	الطين
.A	7.4	7.2	0.20	2.45	53	18	29
.B	7	14.6	0.38	3.30	51	18	31
.C	7.3	8	0.24	2.88	57	16	27
.D	7.1	11.6	0.40	2.66	54	16	30
.E	7.2	8.2	0.27	2.45	59	14	27
.F	7	9.6	0.26	3.30	49	20	31
.G	7.4	7.2	0.20	3.09	38	35	27
.H	7.4	5.4	0.15	2.66	45	45	10
.I	7.3	11	0.35	3.30	40	29	31
.J	7.4	8.8	0.26	3.09	38	29	33
.K	7.1	10	0.30	3.30	38	27	35
.L	7.7	5.8	0.15	1.41	49	43	8
.M	7.1	6.2	0.18	2.66	46	27	27
.N	7	7.2	0.20	2.88	38	31	31
.O	7.5	11	0.34	3.30	30	27	43
.P	8	4.4	0.14	2.04	32	27	41
.Q	7.6	11.2	0.33	3.30	22	33	45
.R	7.2	5.4	0.16	2.88	35	27	38

14	66	20	2.66	0.27	5.8	7	.S
19	45	36	2.45	0.25	11	7.3	.T

قوام التربة	السعة التبادلية الكاتيونية (CEC) Meg/100g Soil	نسبة الصوديوم المتبادل (ESP) %100	Na^{+2} (PPm)
Clay loam	30	5.8	88.9

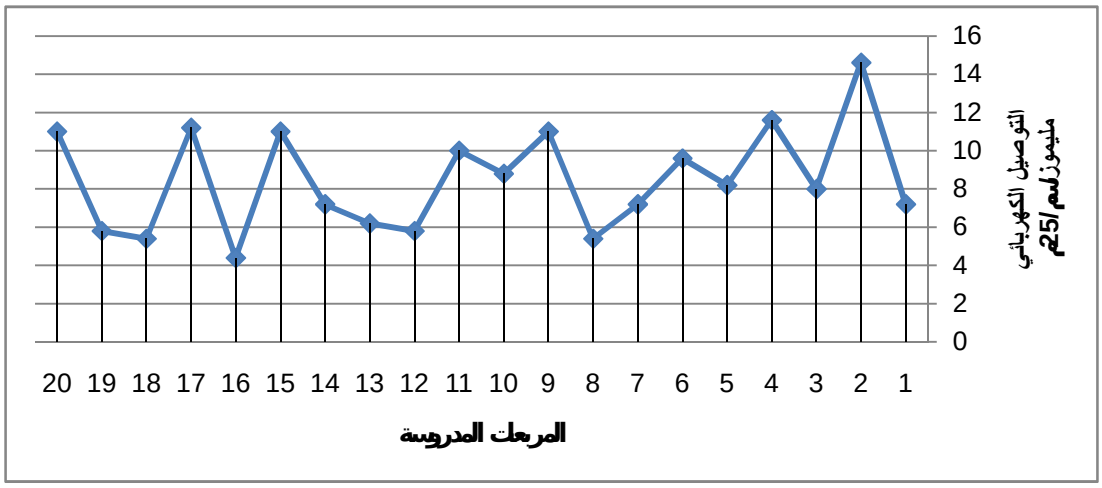

شكل (4) متوسطات قيم التوصيل الكهربائي في المربعات المدروسة

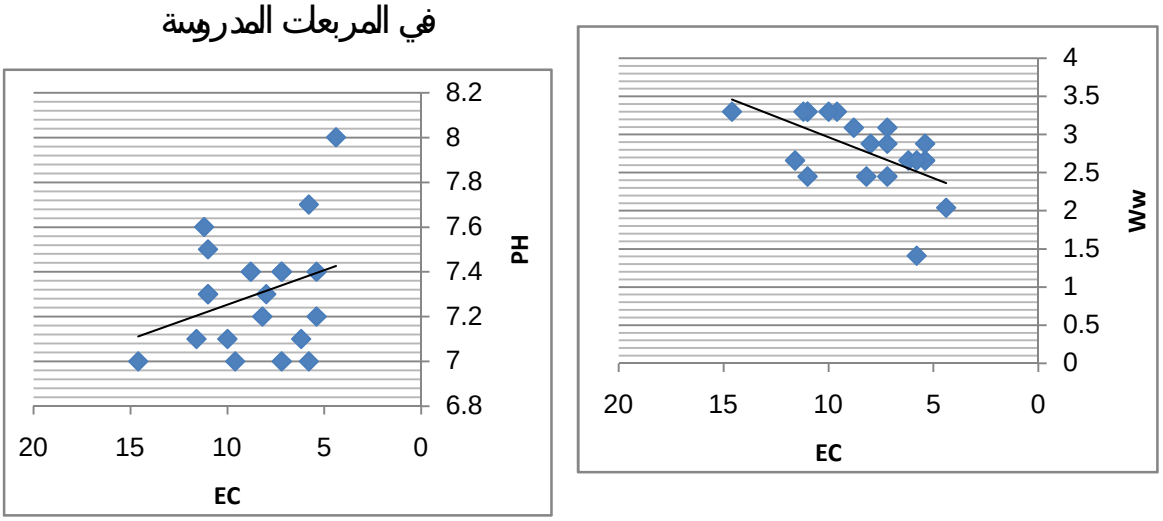

شكل (5) علاقة طردية بين التوصيل الكهربائي والمحتوي الرطوبي وعكسية مع الأس الهيدروجيني

جدول (3): مصفوفة معاملات الارتباط بين متغيرات الخصائص الطبيعية والكيميائية المدروسة في منطقة الدراسة (كروم الخيل –طبرق).

	PH	التوصيل الكهربائي	الأملاح الكلية الذائبة	المحتوي الرطوبي
الأس الهيدروجيني	1	-.316-	-.367-	-.456-*
التوصيل الكهربائي	-.316-	1	.898**	.584**
الأملاح الكلية الذائبة	-.367-	.898**	1	.589**
المحتوي الرطوبي	-.456-*	.584**	.589**	1

يتراوح متوسط الأس الهيدروجيني المقاسة في القطاعات المدروسة بين 7 في المربعات رقم (B,F,N,S) و 8 في المربع رقم (P) مع قيمة متوسطة مقدارها 7.3،وهذا يعكس حالة التربة بحيث تتراوح من متعادلة إلي ضئيلة القلوية (بن محمود والجندل، 1984) ويبين الشكل رقم (6) متوسطات قيم الأس الهيدروجيني في المربعات المدروسة، كذلك لا تشير مصفوفة معاملات الارتباط (جدول 3) التي تم تعيينها بين المتغيرات المدروسة إحصائيا إلى وجود علاقة طردية بين الأس الهيدروجيني لتربة المربعات المدروسة والمتغيرات الأخرى.

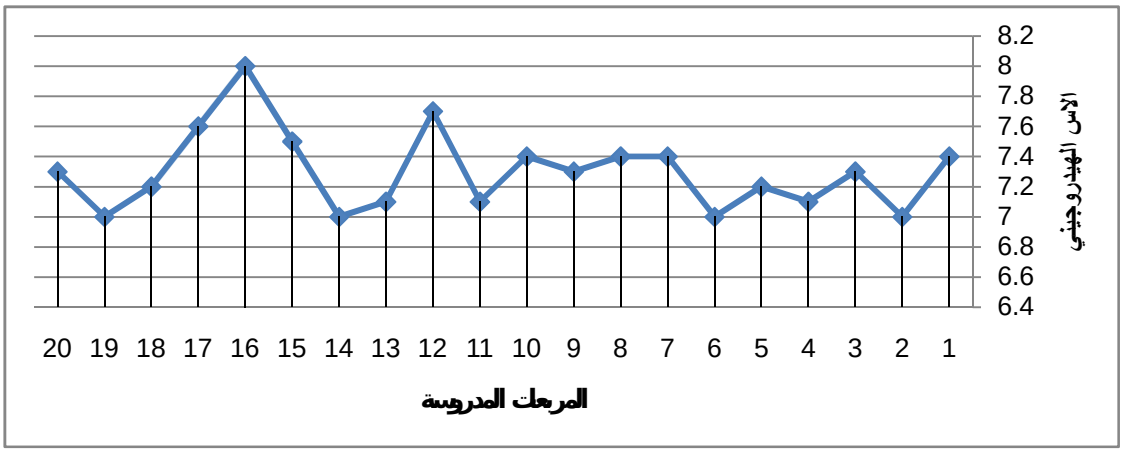

شكل (6) متوسطات قيم الأس الهيدروجيني في المربعات المدروسة

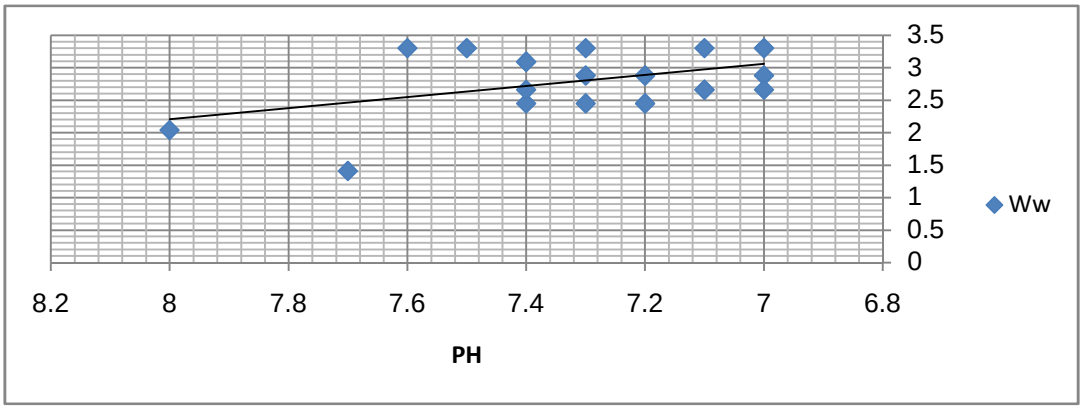

شكل (7) علاقة عكسية بين الأس الهيدروجيني والمحتوى الرطوبي لتربة المربعات المدروسة

بالنسبة للمحتوي الرطوبي (Ww) فى العينات من خلال النتائج الواردة في الجدول رقم (2) نجد أن قيم متوسطات النسبة المئوية للمحتوي الرطوبي علي أساس الوزن الجاف في المربعات المدروسة تتراوح بين 1.41% **في المربع رقم** (L) و3.30% **في المربعات رقم** (B,F,I,K,O,Q) مع قيمة متوسطة 2.8%. وهذه القيم تعكس طبيعة المناخ الجاف السائد في **منطقة الدراسة** (صالح،2013) **والشكل رقم** (7) يوضح العلاقة العكسية بين المحتوى الرطوبى والأس الهيدروجينى، كما يوضح شكل (8) متوسطات قيم المحتوى الرطوبى فى المربعات المدروسة لمنطقه الدراسة.

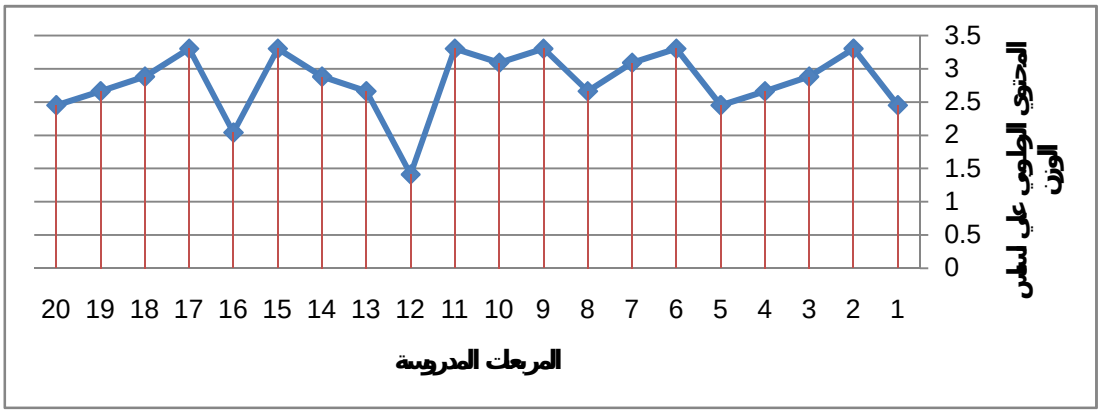

شكل (8) **متوسطات** قيم المحتوي الرطوبي في المربعات المدروسة

فيما يختص بالتحليل الميكانيكي وحجم حبيبات التربة كما في الجدول رقم (2)، يتضح أن معظم العينات المتحصل عليها من منطقة الدراسة والتي أسقطت علي مثلث قوام التربة. **تقع** ضمن نطاق القوام الطفل والطفل الطينى والطفل الطينى **الرملى، كما في الشكل رقم** (9). وهذا ما يتوافق مع الظروف المناخية الصحراوية أو شبه الصحراوية للمنطقة.

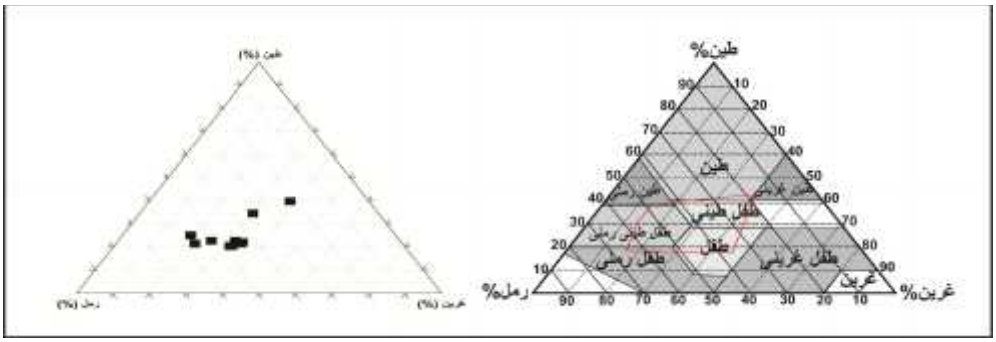

شكل (9) أنواع قوام التربة بمنطقة الدراسة

وتبعاً لنتائج متوسطات كل من PH,EC_e,ESP,Soil Texture لعينات التربة فى منطقة الدراسة، **وعلي أساس وحدات** التعبير عن درجة تركيز أملاح التربة كما في الجدول (4) **نجد أن اغلب** تربة منطقة الدراسة تقع في نطاق الترب ذات ملحية ضعيفة إلي ملحية متوسطة حيث كانت قيمة متوسط العينات لتوصيل الكهربائي 8.5 ملليموز/**سم** /25م، **والمحتوى الرطوبي عند التشبع بمتوسط** 46% **وبالتالي كانت** كمية الأملاح الكلية الذائبة في التربة هي 0.25%.

جدول (4) وحدات التعبير عن درجة تركيز أملاح التربة

نوع التربة	النسبة المئوية الكلية للأملاح الذائبة	درجة التوصيل الكهربائي (مليموز/سم/25م)
غير ملحية	صفر – 0.25	صفر – 4
ملحية ضعيفة	0.25 – 0.50	4 – 8
ملحية متوسطة	0.50 – 1	8 – 16
ملحية عالية	أكثر من 1	أكثر من 16

المصدر (بن محمود والجندل، 1984 ص،146)

تنسيب المحاصيل الملائمة لترب منطقة الدراسة (كروم الخيل -طبرق):

بما أن تربة منطقة الدراسة تعتبر تربة ذات ملحية ضعيفة إلي متوسطة الملوحة لذلك نستطيع تحديد بعض النباتات التي يمكن استزراعها في منطقة الدراسة علي أساس تقسيم مختبر الملحية والقلوية الأمريكية للنباتات من حيث درجة تحملها للملحية (1954)، وكذلك حسب درجة تحمل محاصيل الحقل والخضر والفاكهة للملحية حسب تقسيم منظمة الأغذية والزراعة "FAO" (1977). (محمد، 2009). (عبدالهادي،2005) وهي التي تقع ضمن النباتات متوسطة إلي مقاومة الملوحة وترتب حسب أكثرها تحمل للملوحة فالأقل كما في الجدول رقم (5). مع ملاحظة أن هذا التقييم لنوع النباتات حسب ملوحة التربة لمنطقة الدراسة لا يعتبر أمر جازم ويعتاد به في إدارة التربة بصورة قاطعة وذلك لوجود بعض الصفات الهامة للتربة والتي لم تدرس مثل عمق التربة، نفاذية التربة وبنائها وقوامها كذلك كمية العناصر المغذية المتوفرة وغيرها من الصفات الكيميائية والفيزيائية التي تشكل علاقة يمكن من خلالها تقييم نوع النباتات الاقتصادية التي يمكن استزراعها بصورة اقرب للواقع وكذلك التنبؤ بأسلوب إدارة التربة التي يمكن أتباعه لتحسين خواص وصفات التربة والمحافظة عليها من التدهور.

جدول (5) توزيع النباتات التي يمكن زراعتها في تربة منطقة الدراسة

رت	الفاكهة	حاصلات الحقل	الخضر
.1	النخيل البلح	البرسيم الحجازي	كرنب السلطة
.2	الرمان	الشعير	السبانخ
.3	التين	البنجر السكري	الطماطم
.4	الزيتون	القطن	الفلفل
.5	العنب	القمح	الفجل
.6	الكنتالوب	الذرة	البطاطس
.7	--	عباد الشمس	البصل
.8	--	--	القرع
.9	--	--	الخيار

(محمد، 2009). (عبدالهادي،2005)

خريطة ملوحة التربة لمنطقة الدراسة (كروم الخيل -طبرق).

عند توزيع قيم التوصيل الكهربائي لترب المربعات المدروسة في منطقة الدراسة وتوقيعها علي خريطة الأساس باستخدام برنامج (ArcMap 10.2) أعطت شكل توضيحي للمربعات المتشابهة والمتقاربة في قيم التوصيل الكهربائي حيث كانت المربعات (A,C,E,G,H,L, M,N,P,R,S) تقع ضمن نطاق 4 – 8 ملليموز /سم /25م، أما المربعات الأخرى فأنها تقع ضمن نطاق من 8 – 16 ملليموز /سم /25م،(شكل 9).

وفي الختام نوصي بإجراء دراسات لتحديد استجابة التربة لعملية غسل الأملاح باستخدام تقنية المياه الممغنطة وخصوصا مغنطة المياه الجوفية لمنطقة الدراسة، **كذلك** الاهتمام من قبل وزارة الزراعة وتكثيف الإرشاد الزراعي لمساعدة أهل المنطقة فيما يخص استخدامها لتجنب بعض العمليات في خدمة التربة والتي تزيد من مشاكل **الملوحة في المنطقة وكمثل على ذلك عدم**

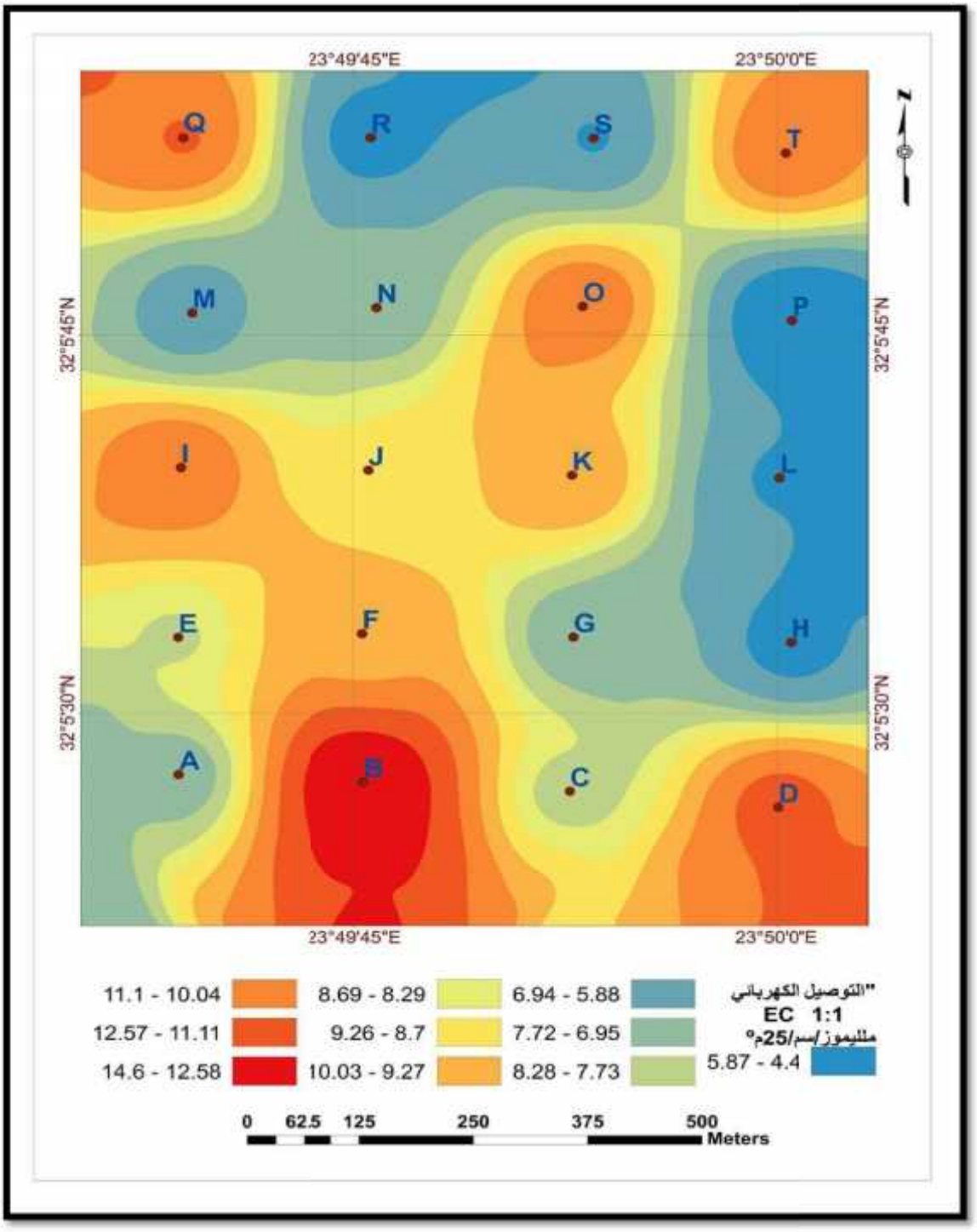

استخدام المياه الجوفية في الري إلا بعد معالجتها.

شكل (10) خريطة ملوحة التربة لمنطقة الدراسة (كروم الخيل -طبرق)

المراجع العربية :

1. **الخطيب،** السيد احمد .**2006**. اساسيات علم الاراضي. جامعة الاسكندرية. مصر.
2. **العكيدي،** وليد خالد.**1990**. إدارة التربة واستعمالات الاراضي. دار الحكمة للطباعة والنشر. الموصل. العراق.
3. **الدومي،** فوزي محمد **و الماحي،** يوسف العرشي **و عبد ، جاد الله.1996**. طرق تحليل التربة والنباتات والمياه، منشورات جامعة عمر المختار البيضاء.
4. **الدومي،** فوزي محمد.**2000**. علم التربة اساسيات وتطبيقات. منشورات جامعة عمر المختار. البيضاء.
5. **الشاعري،** مدينة سالم. **2002**. الغطاء النباتي الطبيعي في الساحل الشمالي الشرقي (هضبة البطنان). اللجنة الشعبية لشعبية البطنان.
6. **الزغبي،** محمد منهل **و الحصني،** انس المصطفى **و درغام،** حسان. **2013**.طرائق تحليل التربة والنبات والمياه والأسمدة. وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي. سوريا.
7. **المغربي،**محمود محمد محمود سليمان. **2009**. أثر المناخ علي الزراعة في اقليم البطنان بليبيا. رسالة ماجستير.جامعة الدول العربية. القاهرة.
8. **بن محمود،** خالد رمضان **و الجنديل،** عدنان رشيد. **1984**. دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح طرابلس.
9. **صالح،**محمود علي المبروك. **2013**. هضبة الدفنة في شمال شرق ليبيا دراسة جيومورفولوجية. اطروحة دكتوراة. كلية الادراب. جامعة عين شمس. القاهرة.
10. **عبدالهادي،** يوسف محمد. **2005**. اسس علوم الاراضي والمياه (التجارب المعملية). الطبعة الأولي. دار وائل للنشر والتوزيع. الاردن.
11. **محمد،**محمود عبدالجواد.**2009**. طرق وتقنيات تحليلات التربة والنبات والأسمدة. مكتبة أوزوريس .القاهرة.
12. **موسى،**أكرم بشير**و عبد المولى،** محمد**و محمود،** محمود قاسم.**2013**. تقييم جودة المياه الجوفية لمنطقة كروم الخيل غرب مدينة طبرق. بحث تخرج. جامعة عمر المختار.طبرق.
13. **مسعود،المبروكو علي،** عبد السيد **و حسن،**طارق و ابراهيم، الهاشمي **وعمران،** محمد**2016**. تقدير قوام التربة لمنطقة كروم الخيل غرب مدينة طبرق. بحث تخرج. جامعةطبرق.ليبيا

المراجع الاجنبية

14. **Abubaker,AbubakerBakheet.**(**2008**). Chemical characterization of catchment area and water of Arbaat region, P.HD.thesis, Red Sea University, Sudan.
15. **Jacksan, M.L**. (**1958**). Soil chemical analysis.Printice., hall Englewood Cliffs.NJ.
16. **Jacksan, M.L.** (**1963**). Soil chemical analysis.Printice., hall Englewood Cliffs.NJ.
17. **Rum.H.H.,and Krist,H**. (**1988**). Laboratory manual for the examination of water, waste water and soil, VCE, Weingheim, Germany.
18. **Soil Survey Staff**, (**1972**).Soil Survey Laboratory methods and procedures for collecting soil sample.Soil Survey in investigations Report NO : I.U.S.D.A., U.S.Govern. printing office : Washington, D.C.

التدريس المصغر، دراسة تحليلية حول (مفهومه، أسسه، تطبيقاته)

د. عبد الحكيم أمحمد عمر
جامعة الزاوية
كلية التربية أبو عيسى

مقدمة :

يعد التدريس المصغر من الأساليب المتبعة في التدريب، يعمل على إكساب الطلاب المعلمين مهارات جديدة، حيث يقوم بالتدريس لمهارة محددة في موقف صفي حقيقي أمصطنع لعدد قليل من الطلبة ولمدة زمنية قليلة. ويخضع أداء المتدرب لعملية تقويمية من قبل المشرف باستخدام أدوات تقويمية معينة، ثم يكرر الأداء مرة أخرى مع التقويم إلى أن يبلغ المتدرب المستوى المقبول لأداء المهارة.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يشكل التدريس المصغر محور اهتمام التربويين؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يكمن في معرفة أهمية التدريس المصغر في مجال التدريس باعتباره نوع من **أنواع التعلم الذاتي**، والاهتمام المتزايد من قبل المؤسسات التعليمية لتحسين جودة النظام التعليمي، **وبخاصة** في مجال إعداد المعلم وتدريبيه ورفع كفأته المهنية لتلبية متطلبات التنمية **الشاملة**، وتقديم المعرفة المتطورة لمواجهة تحديات العصر والمتغيرات المتسارعة في مجالات الحياة المختلفة.

فالتدريس المصغر كغيره من الاستراتيجيات التعليمية المختلفة مجرد أسلوب من أساليب التدريب، يتوقف نجاحه أو إخفاقه على الطريقة التي يستخدم بها[1]. فإذا كانت البرامج الأكاديمية والمهنية تعتبر أساس العمل في كليات التربية فإن المجال العملي الذي تنظمه هذه الكليات لتدريب الطلاب المعلمين على المبادئ والأساليب المهنية لا يقل أهمية عن هذه المقررات الأكاديمية والمهنية.

لذا يعد التدريس المصغر جزء من البرنامج المتبع في كليات التربية أثناء مرحلة التدريب الميداني داخل الكليات مما يؤدي إلى إكسابهم بعض المهارات والخبرات المهنية، والاجتماعية لممارسة المهنة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، **إلى أي حد** يمكن أن نكشف عن الأهمية الوظيفية للتدريس المصغر، ومدى التزام الأساتذة التربويون بتطبيقه وفقاً لتخصصاتهم حتى نعمل على رسم صورة حقيقية عن الآليات المتمثلة في تطبيقاته بصورة سليمة؟

للإجابة على هذا التساؤل يجب أن نبين درجة التفاوت بين وجهات النظر في وضع فرضيات تفسيرية نتيجة لتباين الآراء والمواقف إلى موقفين مختلفين:

أولا: يؤمن بعض أعضاء هيئة التدريس التربويين بأهمية التدريس المصغر في أثناء التربية العملية ،والتركيز على ممارسته من خلال التطبيقات التدريسية داخل الكلية أو في مرحلة التطبيق الميداني نظراً لأهميته. حيث أثبتت بعض الدراسات أن استخدام التدريس المصغر في تدريب الطلاب المعلمين من شأنه أن يخفض الزمن المستغرق في التدريس إلى خمس الوقت[2].

ثانياً: يشكك البعض الأخر في قيمة وأهمية التدريس المصغر باعتباره لا يفي بالغرض **المطلوب**، ويفترض انعدام المصداقية في تطبيقه والالتزام به في حجرات الدراسة، مما يثير جدلاً واسعاً بين قبوله ورفضه.

وإذا نظرنا في لمحة سريعة إلى التدريس المصغر وبداياته نجده طبق في العديد من الجامعات والكليات مع أوائل عام 1963م لتزويد الطلاب المعلمين بالخبرات التدريبية التي توفرها **الأساليب** التقنية باستخدام بطاقة تقويم لتوفير التغذية الراجعة عن السلوك الدال للمهارة. **وبالرغم** من قدمه لازال متبع كأسلوب تدريبي موثوق به في أغلب الجامعات عربياً وعالمياً. **وحددت**

جامعة "ستانفورد" أهم الكفايات التدريسية التي تم استخدامه في برنامج إعداد المعلمين بكليات التربية في مختلف المقررات وهذه المهارات هي[3].

- التهيئة.
- استخدام الأمثلة.
- الاستثارة.
- التعزيز.
- التواصل.
- تنويع المثيرات.
- الإلقاء.
- التكرار المخطط له.
- إحكام مشاركة الطلبة.
- تغير الحافز.
- صمت المعلم والتلميحات غير اللفظية.

إضافة إلى العديد من المبررات للتدريس المصغر في برامج إعداد المعلمين كمسايرة الانفجار المعرفي، والاستفادة من القهم التكنولوجي، ومعالجة مشكلة تدني مستوى الأداء التدريسي للمعلم، وتكوين الاتجاهات الإيجابية نحو مهنة التدريس[4]. من خلال التدريب المنظم والهادف وفق برامج وخطط وأساليب مدروسة تحت إشراف متخصصين ومدربين مؤهلين لهذا الغرض.

فالتدريب عبارة عن نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة التي تم تدربها تتناول معلوماتهم وأداءهم وسلوكهم واتجاهاتهم بما يجعلهم لائقين لشغل وظائفهم بكفاءة وإنتاجية عالية[5].

ونظراً لنقص الدراسات المتعلقة باستخدام التدريس المصغر كأسلوب تعليمي بجامعاتنا الليبية. يرى الباحث أن البحث الحالي سيكون إضافةٍ جديدة يهدف من خلالها تبصير الطلاب المعلمين بأهمية استخدامه من خلال التدريب، والمشاهدة الصفية التقليدية، وكذلك تعريف القائمين على برامج إعداد المعلمين بكليات التربية بالتفكير في التركيز على تطبيقاته باعتباره من الدعائم الأساسية للعملية التربوية القائمة على التعلم الفاعل المخطط له، والمبني على التعلم الذاتي.

ويتضمن البحث ثلاث محاور رئيسة:

المحور الأول: الإطار العلم للبحث.
المحور الثاني: الإطار النظري والدرلسات السابقة.
المحور الثالث: يتضمن تطبيقات التدريس المصغر.

منهج البحث :

أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لأنه من أنسب المناهج لتحقيق أهداف البحث، لكونه يعتمد علي تجميع الحقائق والمعلومات ، ثم تحليلها وتفسيرها للوصول إلي تعميمات مقبولة.

مشكلة البحث وتساؤلاته :

نظراً لحاجة مجتمعنا إلى التعليم والتعلم أدى إلى التفكير باستمرار من قبل القائمين على العملية التربوية في وضع برامج مناسبة لإعداد المعلم وتدريبه وفق أحدث نظريات التعلم ليكون قادراً على مواكبة التغيرات التكنولوجية التي يشهدها العالم في مجالات الحياة المختلفة.

"وهذا لا يتحقق إلا من خلال مجموعة متكاملة من الأشخاص والمعدات والإجراءات السلوكية على نحوفعل[6]. حيث قسمت عملية التدريس إلى ثلاث مهارات أساسيات هي[7]:

- **التخطيط:** وتتضمن الأهداف التعليمية ، وتحليل المحتوى، وتحليل خصائص المتعلم، وتخطيط التدريس.
- **التنفيذ:** وتتضمن مهارات عرض الدرس، وتصنيف الأسئلة الصفية، وصياغة الأسئلة وتوجيهها، واستثارة الدافعية، والتعزيز، **وضبط الصف.**
- **التقويم:** ويختلف باختلاف أنوعه، تشخيصي، **بنائي، ختامي.**

ويختلف مفهوم التدريس وفقاً للفلسفة التربوية التي تنظم بها المناهج الدراسية في دول **العالم المختلفة**، وبالنظر إلى التدريس كعملية ونظام أو نسق يتكون من الأنشطة التي يقوم بها المعلم والمتعلمين لمساعدة المتعلمين على تحقيق أهداف معينة.

ويعد التدريس المصغر ذو أهمية لمختلف التخصصات، وبخاصة في كليات التربية، حيث تعاني الكثير من الكليات في عدم توفر الإمكانيات اللازمة لتطبيق البرامج التدريبية للطلاب المعلمين نظراً للأعداد المتزايدة بها، والنقص في أعضاء هيئة التدريس في مجال طرق التدريس الخاصة مما أثر سلباً على أداء الطلاب المعلمين، وهذا بدوره أدى إلى قصور كبير في البرامج التي تقدم لهم أثناء الدراسة.

وتتمحور مشكلة البحث في:

ـ تسليط الضوء على واقع التدريس المصغر .

ـالتعريف بتطبيقاته من خلال اطلاع الباحث على جملة من الموضوعات والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما مفهوم التدريس المصغر؟
2. ما هي الأسس التي يقوم عليها؟
3. ما هي تطبيقاته؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الأتي:

1. توجيه اهتمام القائمين على البرامج التعليمية والتدريبية ضرورة استخدام أساليب متنوعة في برامج تدريب وإعداد معلم المستقبل لمساعدتهم القيام بأدوارهم بفاعليه وإتقان.
2. إمكانية استخدام التدريس المصغر لتحسين مخرجات العملية التعليمية ورسم خطط كفيلة لممارستها.
3. قد يسهم البحث الحالي في تقديم معالجة جديدة لاستخدام التدريس المصغر في تعلم مهارات التدريس، إلقاء الضوء على الاتجاهات الحديثة لتطوير منظومة إعداد المعلم وفقاً لمستجدات الإعداد والتدريب.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى:

1- التعريف بمفهوم التدريس المصغر كأسلوب للتدريب على مهارات التدريس.

2- التعريف بأسس التدريس المصغر وتطبيقاته.

مصطلحات البحث

التدريس المصغر: طريقة في التدريب ذات تنظيم محكم وفق مجموعة من الإجراءات تركز على أهداف محددة تتمثل بالمهارات التدريسية لمساعدة الطلاب المعلمين على تحقيق نتائج إيجابية في **الإعداد.**

المهارة: نشاط معقد يتطلب فترة من التدريب المقصود لممارسة منظمة وخبرة هادفة مضبوطة بحيث تؤدى بطريقة ملائمة[8].
الأداء: مجموعة من الاستجابات التي يقوم بها الفرد في موقف معين، وهذا الأداء هو ما نلاحظه مباشرة[9].
التدريس: عملية تقديم الحقائق والمعلومات والمفاهيم للمتعلم داخل حجرات الدراسة.
التدريب: الجهود المبذولة لتحفيز النمو المهني لدى العاملين وتطويرهم لمزاولة مهنة باستخدام الوسائل التعليمية.
مهارات التدريس: القدرة على أداء عمل معين ذي علاقة بتخطيط التدريس، وتنفيذه وتقويمه.

المحور الثاني

أولاً: الجانب النظري

للإجابة على السؤال الأول: والمتمثل في: ما مفهوم التدريس المصغر؟ **تم الإجابة على السؤال** من خلال أدبيات البحث والتي تتمثل في الآتي:

مفهوم التدريس المصغر:

من خلال اطلاع الباحث على جملة من الدراسات السابقة استخلص العديد من التعريفات متناولاً لها بالشرح والتحليل، نظراً لتعدد وجهات النظر لدى المتخصصين والتربويين من بينها:-

-مفهوم تدريبي يمكن تطبيقه في مراحل مختلفة من البرامج المهنية للمعلمين سواء للتدريب **السابق للخدمة** ، أو في أثنائها مكون من مجموعة من المهارات المعقدة التي يمكن تحديدها من خلال تحليل السلوك، ثم التدريب على كل منها تدريباً مكثفاً، وتحت ظروف معينة يمكن التحكم فيه بمساعدة الوسائل والأجهزة المناسبة[10].

-موقف تدريسي يتم في وقت قصير **(حوالي 10 دقائق)** ويشترك فيه عدد قليل من المتدربين عادة من بين (5-10) يقوم المتدرب خلالها بتقديم مفهوم معين أوتد ريب المشاركين على مهارة **محددة**[11].

لذا فالتدريس المصغر يعتمد على تجزئته لمواقف التدريس إلى مراحل أو مهارات في فترة زمنية صغيرة ، حيث تتم عملية التدريس بطريقة فردية لمهارة محددة، **ومن** ثم تقويم أداء المتدرب للمهارة من خلال بطاقة تقويم خاصة للمشرف وبطاقات ملاحظة لباقي المتدربين، وأحيانا يقوم المتدرب بتسجيل فيديو ومن ثم مشاهدته لمعرفة نواحي القصور والضعف لديه.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة نجدها تتناول الأتي:

1- التعلم من خلال التدريب، **و** التعليم من الممارسة و الملاحظة المباشرة لطريقة أداء المهارة بطريقة عملية.
2- اختلاف الاستراتيجيات المستخدمة في إتقان المهارة، كتسجيل المتدرب فيديو يظهر نواحي القصور لديه.
3- تقويم تعلم المهارة بطريقة موضوعية، كاستخدام أسلوب التقويم الجماعي .
4- التغذية الراجعة لما تم تعلمه من كل أفراد المجموعة، ومناقشتهم أثناء تدريسهم للمهارة.

ويرى الباحث أن وجود بعض العوامل قد تؤثر سلباً في تطبيق عملية التدريب على المهارة منها:

- عدم التزام الطلاب المعلمين في مرحلة الإعداد والتخطيط للمهارة بالتحضير الجيد.
- عدم توفر الإمكانيات اللازمة (كأدوات العرض- التسجيلات) القاعات الدراسية أثناء تنفيذ البرنامج.
- عدم قدرة بعض الطلاب المعلمين من التعلم بطريقة فردية لإعتمادهم على الأسلوب التقليدي في التعلم.

إضافةً إلى عزوف بعض أعضاء هيئة التدرس على تطبيق هذا الأسلوب في تطوير مهاراتهم، واستخدام التكنولوجيا واستحداث بيئة تعليمية مناسبة وجديدة بالنسبة للمتعلمين ، ويرجح الباحث ذلك لإختلاف القدرات واحياناً لعدم المعرفة بهذا النوع من التدريب.

الخطوات العامة في التدريس المصغر :

يحتوي موقف التدريس بأسلوب التدريس المصغر على العديد من العناصر التي تجعله موقفاً تدريسياً حقيقياً ,أو مصطنعاً للطلاب المعلمين من خلال تنمية مهاراتهم من أجل اكسابهم مجموعة من المعارف، والمهارات والكفايات التدريسية ليتمكنوا من ممارستها أثناء مزاولة المهنة مستقبلاً.

وتتضمن كفايات التدريس معرفة بعض المفاهيم والتطبيقات العملية والمعرفية مثل نظريات التعلم، واستراتيجات التدريس الحديثة و طرق التعلم المناسبة ، وخصائص المتعلمين وبعض المهارات التدريسية. إضافةً إلى أساليب التقويم المناسبة ليبرهن على أدائه وممارسته لهذه المهارات، ومن بين هذه الخطوات الأتي:

1- **اكتساب المعرفة**: وتشمل جانبين أساسيين (تخصصي –تربوي) ويمكن ملاحظتها أثناء التدريب على المهارة المطلوبة.
2- **اكتساب المهارة**: وتشمل ركنين أساسين (نظري-عملي) ويمكن ملاحظتها أثناء التدريس لموقف حقيقي أو مصطنع.
3- **ممارسة المهارة**: وتتحقق من خلال الممارسة الفعلية للمهارة أثناء التطبيق داخل المدارس ببرنامج التربية العملية.
4- **التغذية الراجعة**: وهي المرحلة التي تساعد المتدرب للتعرف على أخطائه وتصويبها.

للأجابة على التساؤل الثاني: والمتمثل في، ما أسس التدريس المصغر؟ تم الإجابة من خلال الأتي:

أسس التدريس المصغر :

لقد طرأت علي برامج إعداد المعلمين مجموعة من التطورات أهمها توجه البرامج نحو اعتماد مبدأ المهارة أو الكفاية عند تصميم تلك البرامج ، حتي أصبح سمة مميزة لمعظم برامج إعداد المعلمين وتربيتهم في معظم الدول المتقدمة تربوياً.إضافةً إلى استخدام اساليب جديدة في تدريب المتعلمين كالتدريس المصغر باعتباره من أبرز طرق التعلم الذاتي ، والذي يهدف إلى مساعدة المتعلمين من بلوغ أهدافهم بأقل وقت وجهد. لذا نجد أن التدريس المصغر يقوم على مجموعة من الأسس منها[12]:

1- تدريس حقيقي.
2- تبسيط عملية التدريس.
3- التدرب على مهارات متنوعة.
4- التوجيه المستمر.
5- اعتماد التغذية الراجعة كعملية تقويمية.

وربما يرجع هذا الاهتمام إلى استناد أسلوب التدريس المصغر إلى أساس نظري فاعل يتضمن **كلاً من**:[13]

- التعليم بالملاحظة المباشرة لسلوكيات التدريس والممارسة الفعلية لها.
- استخدام الوسائل والمستحدثات التكنولوجية في فهم وعرض وأداءات التدريس.
- وضع عملية تعلم المهارة موضع التحليل والممارسة والتدعيم والتقويم.
- التعلم من الآخرين سواء أدائهم أو مناقشتهم أثناء التدريس.

ويعد نجاح التدريس المصغر في امتلاك المتعلمين لجميع المهارات ،**والمعارف التي** يحتاجونها أثناء تأدتهم للمواقف التدريسية المختلفة، من خلال اكتسابهم للكفايات الرئيسة في عملية التدريس وهي التخطيط، والتنفيذ، والتقويم.

فالتخطيط من الكفايات الاساسة لإعداد الد روس، حيث يرتبط نجاح المعلم أو فشله بمدى قدرته على الإعداد الجيد . أما كفاية تنفيذ الدرس والتي يندرج تحتها (**إدارة وضبط الصف**، إثارة الدافعية للمتعلم، استخدام الوسائل التعليمية، التقويم).و هي من الكفايات التي تكمل بعضها **البعض**، باعتبار أن المعلم يلجأ إلى استخدامها أثناء قيامه بعملية التدريس، وهى بمثابة الخارطة التي يتبعها أثناء عملية تنفيذه للمادة الدراسية. واحياناً يرى البعض أن تلك الكفايات سالفة الذكر تراكمية تراتبية في شكلها، ومندمجة مع بعضها من حيث المضمون. أما بخصوص كفايات السمات الشخصية للمعلم لا تقل أهمية عن سابقاتها لما للمظهر العام المناسب من جوانب إيجابية وتأثير على الآخرين، وبخاصةٍ إذا أعتاد المتعلمين على ذلك فترة التدريب.

ويمكن تلخيص المعالم الرئيسة للتدريس المصغر فيما يلي[14]

1- تقديم المهارة في كل درس بطريقة مستقلة.
2- مهارات التدريس اللازمة (**قبل-أثناء-بعد**) التدريس.
3- التغذية الراجعة للتعرف على الأخطاء.
4- الممارسة الفعلية للموقف التدريسي وما يترتب عليه دون خوف من النتائج.

مميزات التدريس المصغر :

- مساعدة المتعلمين على اكتساب المهارات الأساسية للتدريس.
- توفير الوقت والجهد.
- ينمي مهارة الاعتماد على الذات والثقة بالنفس.
- إتاحة الفرصة للمتعلمين من تسجيل المواقف التدريسية وإعادتها.
- الأستفادة من أخطاء الأخرين وعدم تكرارها.
- التدريب على المهارة نفسها نتيجة للتكرار إلى درجة الإتقان.

وهناك مجموعة من المعايير التي يجب مراعاتها عند تطبيق أسلوب التدريس المصغر على المهارات المراد التدرب عليها منها:

1- مدى أرتباطها بالأهداف.
2- مدى الالتزام بتطبيقها.
3- مدى الاستفادة منها.
4- مدى مناسبتها للموضوع.
5- اختيار الوسائل والأساليب المناسبة لتحقيقها.

ونود أن نضيف أن التدريس المصغر عبارة عن برنامج تدريبي مصغر داخل حجرات الدراسة له من الأسس العلمية عند بنائه لا تقل أهمية عن تطبيقاته منها:

- التعرف على طبيعة البرنامج.
- **التعرف على محتوى البرنامج.**
- التعرف على طريقة تنفيذ البرنامج.
- التعرف على طريقة تقويم البرنامج.

وهذا يقودنا إلى التساؤل التالي، ما هي الأساليب المتبعة في مثل هذه البرامج التعليمية **المصغرة**، وكيفية الاستفادة منها؟ وللاجابة أولاً: لا نستطيع أن نقوم بعملية التجريب قبل أن يتعرف المتدرب على طبيعة البرنامج من حيث أهدافه، وتطبيقاته، ومحتواه وهنا نقصد المادة العلمية، إضافة إلى الآلية التي سيتم بها تنفيذ البرنامج من خلال خطوات محددة مسبقاً متفق عليها من الطرفين وزمن محدد.

أما بخصوص عملية التقويم والتي تتم بطريقة مباشرة من خلال بطاقة ملاحظة أو تقويمية يشترك فيها المعلم مع االمتعلمين لتحقيق مبدأ عملية التعلم عملية تعاونية، باعتبار عملية التقويم عملية جزئية بالبرنامج أو ما يسمى بالتقويم البنائي. أي تكون عملية التقويم جنب إلى جنب مع التدريس والتدريب، ويفضل أن يكون البرنامج مطبوع على ورق ومن ثم يوزع على المشاركين.أما الشق الثاني من التساؤل ألا وهو كيفية الاستفادة من تلك الاساليب، **تتمثل في الأتي:**

1- التجريب والتطبيق.
2- **إعادة المحاولة.**
3- التخطيط والتنظيم.
4- توفير البيئة التعليمية المناسبة.
5- الأدوات والأساليب.

ومن خلال خبرة الباحث المتواضعة في مجال استخدام أسلوب التدريس المصغر في برنامج التربية العملية توصل إلى جملة من الاستنتاجات منها:

- حدوث نقله مفاجئة للمتعلمين باعتباره أسلوباً جديداً لم يسبق لهم أن تدربوا عليه.
- التنافس بن أفراد المجموعة لإبراز قدراتهم وإمكانياتهم.
- روح الجماعة المسيطر على البرنامج ومدلولاته الإيجابية.
- الثقة بالنفس أثناء التدريب.
- الأبتكار والتجديد والاستفادة من أخطاء الأخرين.
- التعزيز الفوري لما يقوم به المتعلمين من أفراد المجموعة.
- استجابات المشاركين ببرنامج التربية العملية من أعضاء هيئة التدريس لما لمسوه من تمايز لتلك المجموعات عن غيرهم من الطلاب الذين لم يتدربوا بهذا الأسلوب.

ثانياً: الدراسات السابقة

دراسة عبد العزيز العصيلي (2001)[15] **بعنوان** " التدريس المصغر في ميدان تدريس اللغات الأجنبية في برامج إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها" وهدفت الدراسة إلي التعرف بالتدريس المصغر،أنواعه، ومراحله. حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، ومن أهم نتائج الدراسة أن التدريس المصغر يسد النقص في مجال تدريب المعلمين ليكون مكملاً للتدريس الميداني الحقيقي، وليس بديلاً عنه.

دراسة جمال متولي (2006)[16] بعنوان فعالية استخدام التدريس المصغر والحاسوب في اكتساب طلاب شعبة البيولوجي مهارة التمهيد للدرس بكلية التربة جامعة 6 أكتوبر، وهدفت الدراسة إلى قياس فعالية استخدام معالجة التدريس المصغر في اكتساب طلاب شعبة البيولوجي مهارة التمهيد للدرس. ومن أهم نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية لصالح القياس البعدي لكل مجموعة من المجموعتين الضابطة والتجريبية.

دراسة أنس دفع الله أحمد (2012)[17] بعنوان التدريس المصغر وأثره ف إكساب الكفايات التدريسية لمرحلة الأساس بمحلية الحصاحيصا.وهدفت الدراسة إلى بيان أثر استخدام التدريس المصغر في رفع الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس بالحصاحيصا، علي عينة من (60) معلماً ومعلمة. ومن أهم نتائج الدراسة توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس المؤهلين تربوياً وغير المؤهلين تربوياً، لصالح المؤهلين تربوياً.

دراسة سعيد حامد محمد(2015)[18]بعنوان أثر استخدام التدريس المصغر على التحصيل الدراسي وتحسين الأداء، وهدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام التدريس المصغر على التحصيل الدراسي المرتبطة باستخدام العروض الضوئية. ومن أهم نتائج الدراسة عدم وجود فروق دالة احصائياً بين متوسطي المجموعات الضابطة والتجريبية في اختبار التحصيل، وبطاقة الملاحظة في التطبيق القبلي مما يعني تجانس وتكافؤ مجموعتي الدراسة.

المحور الثالث

تطبيقات التدريس المصغر

للإجابة علي التساؤل الثالث والمتمثل في: ما هي تطبيقات التدريس المصغر؟ **تم الإجابة علي التساؤل من خلال الأتي:**

نظراً لما يشهده العالم اليوم من تحولات في شتى مجالات الحياة أدى إلى تغيرات سريعة في أساليب الحياة تطور على أثرها الكثير من النظريات التربوية والتعليمية وتأثيراتها على مخرجات العملية التعليمية. حيث برزت مجموعة من المفاهيم الحديثة مثل تقنية المعلومات، التعليم الألكتروني، التعليم المبرمج، إضافة إلى أسلوب التدريب باستخدام التدريس المصغر، مما أدى إلى إعادة النظر في المناهج الدراسية وأساليب تدريسيها وطرق التعلم ، استراتيجيات التدريس الحديثة لمواجهة تلك التحديات. هذا الأمر دفع مؤسسات التعليم و بخاصة برامج إعداد المعلمين إلى استحداث برامج تتماشى وتلك التحولات لمواكبة التحديات المتنوعة في عالم متغير ومتطور.

الأتجاهات الحديثة لإعداد المعلم القائم على أسلوب التدريس المصغر.

يعد أسلوب التدريس المصغر من الأتجاهات الحديثة في مجال إعداد وتدريب المعلمين، حيث يعتمد على تدريس موقف تعليمي منظم مبسط لعدد بسيط من الطلاب يتراوح بين (5-10) طلبه، ويتم التركيز على التغذية الراجعة لتقويم أداء المتعلم بقصد توجيهه وتطوير أدائه وإتقانه للمهارة.

وتتلخص الخطوات الرئيسية في التالي:

1- مرحلة التعرف على المهارة.
2- مرحلة التدرب من خلال الإعداد والتحضير.
3- مرحلة التدريس للمهارة لعدد يتراوح بين (5-10).
4- تتم عملية التقويم بواسطة المشرف على البرنامج.

5- تبدأ عملية التغذية الراجعة بعد إنتاهاء تدريس المهارة.

وفي هذا الصدد لابد أن نشير إلى أهمية برامج إعداد المعلم القائم على الكفايات. فهى " **تلك** البرامج التي تحدد أهدافاً دقيقة لتدريب المعلمين، وتحدد الكفايات المطلوبة بشكل واضح ثم تلزم المتعلمين بالمسؤولية عن بلوغ هذه المستويات، ويكون القائمون على تدريبهم مسؤولون على التأكد من تحقيق الأهداف المحددة"[19].

كيفية تطبيق التدريس المصغر:[20]

1- تحليل الكفايات التعليمية إلى مهارات فرعية تشمل عليها كل كفاية، وتنظيم المهارات الفرعية في سياق منطقي مترابط.
2- التخطيط بين المشرف والطالب|المعلم لاستخدام المهارة المراد تدريسها في موقف تدريسي مصغر.
3- تنفيذ الخطة الموضوعة لتدريس مهارة محددة وتسجيلها مرئياً.
4- تقويم الحصة وإجراء بعض الاقتراحات التعديلات.
5- إعادة التنفيذ مرة أخرى مع الاقتراحات والتعديلات من أجل زيادة ثقة المتعلم بنفسه مع تقدمه في اكتساب المهارات التعليمية **المختلفة**.

ويتضح مما سبق أن عدم تطبيق هذا الاسلوب في تدريب الطلاب المعلمين من أحد أسباب تدني مستوى الأداء لدى البعض باعتبار أن أسلوب التدريس المصغر إحدى التقنيات الحديثة في إعداد المعلمين قبل الخدمة، من خلال تبسيط الموقف التدريسي وتحليله إلى سلوكيات محددة للتدرب عليها.

بعض الصعوبات التي تواجه المعلمين غير المؤهلين تربوياً في تنفيذ أسلوب التدريس المصغر

1- عدم القدرة على تحديد المهارات المطلوب التدرب عليها.
2- تطبيق البرنامج على مجموعات كبيرة مما يعيق تنفيذ البرنامج.
3- عدم الالتزام بضبط الوقت وترك الحريه للطلبة بأنهاء الدرس.
4- عدم تسجيل عرض الدرس باستخدام أجهزة الفيديو مثلاً.
5- عدم عرض الدرس بعد التدريس مباشرة للتغذية الراجعة.

أسباب نجاح أسلوب التدريس المصغر :

يرى الباحث أن نجاح البرنامج يكمن في مرحلة التدريب من خلال الأتي:

1- التعريف بالمهارات المراد التدرب عليها والأجهزة من خلال تقديم نماذج عن كيفية تنفيذ البرنامج، واستخدام وتشغيل تلك الأجهزة.
2- التعريف بأساليب التدريب بالتدريس المصغر من خلال المحاضرات النظرية والنماذج المطبوعة وعرض بعض الأفلام المسجلة بواسطة الفيديو كنموذج يحتذى به عند أداء المهارة.
3- **مشاركة الطلاب** المعلمين في إعداد بطاقة ملاحظة لتطبيقها أثناء تنفيذ البرنامج.
4- الممارسة الفعلية لأداء المهارة أمام عدد من الزملاء لا يتجاوز (10) **دقائق**.

عملية التقويم للبرنامج :

حيث تتم العملية عبر ثلاث مراحل وهـي:

1- **المرحلة الأولى**: وتتضمن التقويم التشخيصي لغرض الإعداد والتحضير للتدرب على المهارة المتفق عليها ومراجعتها قبل بدء الممارسة.
2- **المرحلة الثانية**: وتتضمن التقويم البنائي لعملية أداء المهارة أثناء مرحلة التطبيق من خلال بطاقة الملاحظة.
3- **المرحلة الثالثة**: وتتضمن التقويم الختامي لعملية التطبيق من خلال التغذية الراجعة لمعرفة مستوى الأداء.

التوصيات :

1-التعريف بأسلوب التدريس المصغر من خلال إقامة ورش عمل لتحسين مستوى الأداء لدى خريجي كليات التربية.

2-إجراء دراسات تجربية للتعرف على اثر استخدام التدريس المصغر في تنمية أساليب التدريس الحديثة.

4- توفيرمستلزمات التدريس الحديثة، من أجهزة وسائل تعليمية, قاعات دراسية ، وتوفير البيئة التعليمية المناسبة من أجل تطبيق برامج متنوعة.

5- العمل على تنويع أساليب التدريس الجامعي من خلال اشراك الطلبة في الحوار والنقاش.

المرجع :

1-محمد الحلية, أثر التدريس المصغر في اكساب الطلبة المعلمين كفايات التوظيف الفعال للوسائل التعليمية, المجلة العربية للتربية, **المجلد التسع عشر، العدد الأول**،1999،ص151.

2-محمود الحيلة, **المرجع السابق**،ص151.

3-سهيلة محسن كاظم, تفريد التعليم في إعداد وتأهيل المعلم**ط**1،**دار الشروق، الأردن**،2002،ص73.

4-سهلية محسن كاظم, كفايات التدريس،**ط**1، **دار الشروق، الاردن**،2003،ص21.

5-المنظمة العربية للتربية للثقافة والعلوم, مؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربي, القاهرة, **الفترة** بين7|10|1972، **مطبعة القدم**، القاهرة، 1973،ص105.

6-دليل المعلم لتقنيات التعليم, **دولة قطر**،وزارة التربية والتعليم والشئون الفنية،1988،ص18.

7-سهيلة محسن كاظم, تفريد التعليم, **مرجع سابق**،ص59.

8-**أحمد محمود أبو الرب**, أسس تعلم المهارات, **رسالة المعلم، المجلد الحادي والثلاثون، العدد الرابع، الأردن**،1990،ص365.

9-حلمي المليجي, **علم النفس المعاصر ط**2،دار النهضة, بيروت،1972،ص311.

10-**أنس رفع الله أحمد**, التدريس المصغر وأثره في اكساب الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس, مجلة العلوم الأنسانية والأقتصادية, **السودان، العدد الأول**،يوليو2012،ص193.

11-رجاء أحمد عيد، أثر التغذية الراجعة على تحسين أداء طالبات دبلوم التربية من خلال استخدام التدريس المصغر، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الملك سعود، الرياض، مجلة الخليج العربي، العدد 31، 1995، ص106.

12-نقلاً عن سعد حامد، أشرف أحمد مرسي، أثر التدرس المصغر على التحصيل الدراسي وتحسين الأداء، كلية التربية، جامعة الأزهر، 2015، ص266.

13-جمال سعيد متولي، فعالية استخدام التدريس المصغر والحاسوب في اكساب طلاب شعبة البيولوجي بكلية التربية جامعة 6 أكتوبر مهارة التمهيد للدرس، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني،2006.

14-سعيد حامد،أشرف أحمد، مرجع سابق.

15-عبد العزيز إبراهيم العصيلي، التدريس المصغر في ميدان تعلم اللغات الأجنبية وتطبيقه في برامج إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، مجلة جامعة أم القرى ، المجلد 13، العدد 22، 2001.

16-جمال سعيد متولي، مرجع سابق.

17-أنس دفع الله، مرجع سابق.

18-سعيد حامد محمد، مرجع سابق.

19-سعود الزهراني، التربية الميدانية في ضوء الاعداد التتكاملي القائم على الكفايات، المؤتمر الأكاديمي الأول، جامعة القضارف، السودان،8|13|يوليو،2006، ص4.

20-ماجد الخطايبة، علي بن حمد، التربية العملية الأسس النظرية وتطبيقاتها، دار الشروق، عمان،الأردن،ط1 ،2002،ص 29.

الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية

د.خيرية عبدالله البكوش
جامعة صبراته
كلية الآداب صبراته

مقدمة البحث :

يعد الإرشاد النفسي جانباً مهماً من جوانب العملية التعليمية ، فالعلاقة بينهما علاقة متبادلة ، حيث أن كلا العمليتين تعليم وتعلم في تعديل السلوك، وهدفهما التخفيف من المعاناة الإنسانية وتحسين تطوير الإنسان ليكون أكثر قدرة على التوافق مع تحديات الحياة .

وهذا يتوقف على أداء المرشد النفسي داخل المدرسة الذي يعتمد على فهمه لطبيعة عمله ، وفهم الآخرين له وللدور الذي يقوم به ، ولهذا فإن نجاح العملية الإرشادية يعتمد بشكل كبير على المهارات الفنية التي يمتلكها المرشد عن طريق الإعداد الأكاديمي، والتدريب العملي، وتعاون الأطراف المختلفة معه داخل المدرسة سواء المدير، أو المعلم، أو الطالب ، وهذا لا يكون ممكناً إلا إذا قام المرشد النفسي بدوره الكامل في العمل الإرشادي واستطاع أن يتقن المهارات الفنية اللازمة لأداء عمله ، وبالتالي فأن أداء المرشد الجيد يساهم في نجاح العملية الإرشادية، الآمر الذي دفع الباحثة إلى دراسة هذا الموضوع للتعرف على الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية .

مشكلة البحث :

نبعت مشكلة البحث الحالي من دافع شخصي لدى الباحثة من خلال زيارتها الميدانية لبعض المدارس لاحظت عدم رضا بعض الطلبة عن أداء المرشد النفسي ، ومضايقتهم من معاملته لهم ، فدور المرشد النفسي مهم في العملية الإرشادية تبعًا لأدائه الوظيفي الذي يقوم به في مساعدة الطلبة لمواجهة المشكلات التي تعترض طريقهم ، **وفي ضوء ذلك تتحدد مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية :**

1- ما مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ؟
2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور،وإناث) ؟

أهمية البحث : تتمثل في النقاط التالية :

1- تكمن أهمية البحث في كونها تناولت دراسة الموضوع للتعرف على الصورة الموجودة في عقول طلبة المرحلة الثانوية حول الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية .
2- يعتبر هذا البحث في حدود علم الباحثة من البحوث النادرة التي تناولت موضوع الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية .
3- يتناول هذا البحث موضوعاً حيوياً يهم القائمين بالعملية الإرشادية ، مما يفيدهم في الرفع من مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في المدارس الثانوية.
4- يزيد هذا البحث الرصيد المعرفي ويسد بعض النقص الموجود في مجال دراسات الإرشاد النفسي.

أهداف البحث : يهدف البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- التعرف على مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية.
2- التعرف على الفروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية تبعًا لمتغير الجنس (ذكور، وإناث).

حدود البحث : تقتصر حدود البحث الحالي على الآتي :
1- الحدود البشرية : تتحدد بعينة من طلبة السنة الثالثة الثانوي بقسمي الأدبي والعلمي ، ومن الجنسين (**ذكور ، وإناث**) ممن تراوحت أعمارهم من (16- 20)**سنة** .
2- الحدود المكانية : يقتصر هذا البحث على عينة من المدارس الثانوية بصبراته .
3-الحدود الزمنية : تم إجراء هذا البحث خلال العام الدراسي 2017- 2018**م** .

مفاهيم البحث : تتمثل في المفاهيم التالية :
1- الأداء الوظيفي : يقصد به مدى قدرة الفرد على تقديم الخدمات وتوظيف مهاراته في العمل ، **ومدى** التزامه نحو ما يقوم به من واجبات وأعمال إضافية من خلال شعوره بالتفاعل الاجتماعي وتقدير الآخرين له أثناء عمله.[1]

التعريف الإجرائي للأداء الوظيفي : يقصد به كل ما يقوم به المرشد النفسي من أنشطة سواء اجتماعية أو
شخصية أو مهنية داخل المدرسة الثانوية والتي تقاس بالدرجة التي يحصل عليها المرشد **النفسي من خلال**
استجابات طلبة المرحلة الثانوية على فقرات الاستبيان المستخدم في هذا البحث.

2- المرشد النفسي :
عرفه NAJar 2003 بأنه الشخص الذي يقوم بمساعدة الأشخاص الآخرين على معالجة شؤونهم أو حل مشكلاتهم الاجتماعية والتربوية .[2]

التعريف الإجرائي للمرشد النفسي : أنه الشخص الذي يقوم بمساعدة المسترشدين في حل مشكلاتهم النفسية والسلوكية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية سواء بالطريقة الفردية أو بالطريقة الجماعية .

3- العملية الإرشادية :
يعرفها السفاسفة بأنها سلسلة من الخطوات المتتابعة التي يتبعها المرشد النفسي بدءا من الإحالة وانتهاءً بتحقيق الأهداف ، والعملية الإرشادية فهي عملية مرنة في طبيعتها حيث تهدف إلى مساعدة المسترشد ليساعد نفسه بعد تبصره بها، وفهمها، تحقيقا للتوافق مع الذات من جهة ، ومع المتطلبات البيئية من جهة أخرى، فهي عملية فنية تقتضي توفر مهارات وأساليب وتكتيكات. [3]

4- طلبة المرحلة الثانوية : يقصد بهم طلبة السنة الثالثة الثانوي بقسمي الأدبي والعلمي ، ومن الجنسين (**ذكور، وإناث**) والمسجلين للعام الدراسي 2017-2018 م بالمدارس الثانوية بمدينة صبراته.

الإطار النظري لمفاهيم البحث : وتتمثل في المفاهيم التالية :
أولا : مفهوم الأداء الوظيفي : نذكر بعض التعريفات كالتالي :
يعرف بأنه كل ما يقوم به الفرد في مجال معين يتطلب فعلاً أو عملاً أو إنجازاً "، حيث يقوم البعض بتسمية هذا العمل والفعل بالأداء، لأن كلمة أداء أكثر شمولية من الإنجاز وهي تنطوي على القيام الفعلي والحقيقي لإنجاز هذه المهنة. [4] .
كما يعرف الأداء بأنه السلوك الفعلي والأساليب التي يتوصل بها الأعضاء إلى تحقيق هدف معين .[5]
ويعرفه بيتر بأنه ما يقوم به البعض بالفعل لا بما يمكن تحقيقه. [6]
ولحسن أداء عمل المرشد النفسي يجب أن يكون على درجة عالية من المهارة في جمع المعلومات ، **واستخدام الأدوات اللازمة** لجمعها،وحفظ واستخدام السجلات،وتقديم الخدمات اللازمة [7] **، فكلما كان** لدى المرشد النفسي قدرة على تقديم خدمات الإرشاد وتوظيف مهارات الإرشاد في العمل الميداني بمهارة فائقة ومهنية عالية كلما كان متميزا ومبدعا في أدائه .[8]
ويتضح مما سبق عرضه **إن نجاح العملية** الإرشادية يعتمد بدرجة كبيرة على أداء المرشد النفسي الذي يقوم به في المدرسة ، حيث أن المرشد النفسي يمارس أدوارا كثيرة ومتنوعة من خلال العملية الإرشادية تهدف بمجملها إلى مساعدة المسترشدين على الوعي بمشكلاتهم وحلها، ودوره مهم في

تشخيص مشكلات الطلبة الأكاديمية والنفسية، وتقديم المساعدة لهم باستخدام مهاراته وكفاءته المهنية ، ويتطلب منه أن يضع خطة يسير عليها في تقديم المساعدة لأن نجاح عمله يتوقف على الدقة والتنظيم .

ثانيا: المرشد النفسي :

1- **تعريف المرشد النفسي:** نتناول بعض التعريفات حسب وجهة نظر بعض المهتمين به كالتالي:

يعرفه (CarK huff 1967) بأنه شخص يمتلك المعرفة والتدريب على مساعدة الأفراد في تحقيق توافقهم النفسي، ويتميز بالقدرة على كشف الذات والمحافظة على سرية المعلومات ، والدقة والانفتاح والمرونة والالتزام بالعملية والموضوعية .[9]

وقد قدمت الرابطة الأمريكية للمرشدين النفسيين تعريفاً للمرشد النفسي في المؤسسة التعليمية بأنه المهني المتخصص الذي يقع عليه عبء مساعدة جميع الطلبة، ومقابلة احتياجات نموهم وما يصادفونه من مشاكل في حياتهم. [10]

كما عرفه انستازي (Anastasi) بأنه الشخص الذي يقدم الخدمة النفسية على النطاق المدرسي ككل ويستفيد من البيئة المدرسية كوسيط علاجي ولهذا السبب فإنه بحاجة لفهم طبيعة العملية التربوية والمعرفة بفلسفة التعليم وأهدافه ونظامه وطرق إدارة المدرسة، بالإضافة إلى بعض الألفة باستراتيجيات التدريس التي تستخدم داخل الفصول والموارد المتاحة داخل المدرسة والأدوار المختلفة للمهنيين الآخرين حتى لا تتصارع هذه الأدوار وتؤدي إلي خلل في المنظومة التربوية. [11]

يتضح مما سبق أن المرشد النفسي يعتبر الفرد المتخصص للقيام بمهام العمل الإرشادي داخل المدرسة وهو المسئول الأول عن تخطيط وتنفيذ البرامج الإرشادية ومتابعتها .

2- صفات المرشد النفسي:

وقد حددت الجمعية الأمريكية الصفات الشخصية التي يجب أن تتمثل في المرشد وهي كالتالي :

الإيمان بقدرة كل فرد على تغيير نفسه بنفسه، والإيمان بالقيم الإنسانية عند **المسترشد، والقدرة على** تقبل التغيير وكل جديد يحدث في العالم ، وأن يكون لديه قدرة عقلية متفتحة، ولديه القدرة على فهم ذاته وفهم الآخرين، والمحافظة على الأسرار، والالتزام المهني والعلمي.[12]

ولأن المرشد يقف في موقف العطاء ويمد يد العون ليساعد المسترشد الذي يقف موقف الحاجة إلى خبرة المرشد وجهوده ، فإن المرشد يجب أن يكون واعيا بذاته، وبأفكاره وبقيمه وبمشاعره وباتجاهاته وبحاجاته الشخصية . [13]

ويرى **خليل** أن الصفات المهمة الأساسية التي يجب توافرها في شخصية المرشد لإنجاح العملية الإرشادية تتمثل في الثقة المتبادلة، والموضوعية، والدفء، والفهم، والتقبل، والتعاطف، والقدرة على وصف أفكار وأفعال ومشاعر الآخرين ، والقدرة على استخدام أنواع التواصل المختلفة اللفظية وغير اللفظية ، والقدرة على استخدام الصمت أحياناً كوسيلة إرشادية هامة.[14]

يتضح مما سبق من الخصائص التي تميز المرشد النفسي عن الآخرين تتمثل في سرعة البديهة ، والقدرة على حل المشكلات ، والرغبة في تقديم المساعدة ، والصبر، والتفاعل مع الآخرين ، **والثقة** بالنفس ، والإصغاء ، والصدق والدقة ، والنظام ، والموضوعية ، والخبرة السابقة ، والقدرة على اتخاذ **القرار.**

ثالثا: العملية الإرشادية :

1- تعريفها : ونعرض بعض التعريفات كالتالي :

أنها مجموعة من الخطوات أو المراحل المتتابعة التي يسلكها المرشد لتحقيق أهداف الإرشاد وتسير من خلال خطوات متعددة متداخلة تبدأ من الإحالة والإعداد للمقابلة وتجميع المعلومات وتحديد المشكلات واختيار مشكلة محددة وبناء خط قاعدي وصياغة أهداف الإرشاد واختيار الإجراءات الإرشادية وتطبيقها ثم تقييم العملية الإرشادية والإنهاء وأخيرا المتابعة. [15]

كما تعرف بأنها كل الخدمات الإرشادية التي تقدم في المدارس الثانوية من طرف القائمين بها لمساعدة الطلبة بهدف تحقيق التوافق النفسي أثناء فترة دراستهم، وبالتالي المحافظة على كيان الأفراد والمجتمع ليكون سلميا وقويا.[16]

ومن خلال التعريفات السابقة نستخلص أن العملية الإرشادية هي مجموعة من الخطوات المهنية المتتابعة تتطلب مهارات وأساليب يتبعها المرشد للتعامل مع حالة المسترشد تهدف إلى مساعدته وأحداث تغييرات في قدراته وتحقيق التوافق السوي مع ذاته والمجتمع المحيط به .

2- أهداف العملية الإرشادية : تسعي العملية الإرشادية لتحقيق الأهداف التالية :

أ- مساعدة المسترشد لكي يكون قادرا على التعبير عن مشاعره وانفعالاته وحالته النفسية السلبية وتغييرها.

ب- مساعد المسترشد لكي يكون أكثر تفهما لنفسه وللمواقف والمشكلات التي يمر بها.

ج- مساعدة المسترشد لكي يكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات ذات أهمية له.

د- مساعد المسترشد لكي يكون أكثر قدرة على تطبيق قراراته. [17]

3-خصائص العملية الإرشادية : وضع المتخصصون مجموعة من المواصفات جاء ذكرها كالتالي :

أ- العملية الإرشادية عملية تتميز بالتفاعل والدينامية بين المرشد والمسترشد.

ب- أساس نجاح العملية الإرشادية يعتمد بدرجة كبيرة على العلاقة الإرشادية.

ج- الهدف من العملية الإرشادية هو اكتشاف جوانب القوة في شخصية المسترشد.

د- العملية الإرشادية عملية مهنية تتطلب شخصا مؤهلا يمتلك المعرفة.

و- العملية الإرشادية عملية مهنية تتم من خلال علاقة الوجه للوجه.

4- مهارات العملية الإرشادية : تتمثل في المهارات التالية :

أ- القدرة على الاستماع والإنصات للآخرين والقدرة على فهمهم وإبداء التسامح والتعاطف.

ب- القدرة على استنباط المعلومات وجمع الحقائق ذات الصلة وتركيبها لإعداد التقرير النفسي الاجتماعي والقيام بعملية التقدير.

ج- القدرة على تكوين علاقة المساعدة والمحافظة عليها.

د- القدرة على إيجاد حلول جديدة ومبتكرة تتفق مع حاجات الفرد والجماعة.

و- القدرة على تنظيم العمل مع الحالات وتحمل مسؤوليتها. [18]

5- مناهج العملية الإرشادية : أصبحت عملية الإرشاد قائمة على مناهج علمية وخطط عملية تتصل بشخصية المسترشد كإنسان ذو شخصية فريدة ومتفاعلة وقد سميت بالإستراتيجيات وهي التي ترسم الطريق لتحقيق أهداف الإرشاد والتوجيه النفسي **وتتمثل في** :

أولا: المنهج الإنشائي : ويسمى التكويني والإنمائي لأنه يشمل جميع العمليات التربوية السليمة وإجراء التنشئة الصحيحة التي تؤدي إلى النمو السليم لدى الأفراد العاديين الأصحاء نفسيا وانفعاليا مما يضمن لهم التوافق السعيد مع متطلبات الحياة ومواقفها ولهذا المنهج أهمية قصوى في جميع مراحل العمر **ولا** سيما لدى الناشئين والناشئات في المدارس والمعاهد والكليات مما يكسب مناعة نفسية.

ثانيا: المنهج الوقائي : يهتم هذا المنهج بالأفراد الأسوياء العاديين الأصحاء وذلك بتقديم الإرشاد لهم عندما تضطرهم ظروف الحياة لإمكانية مواجهة المواقف الحرجة كالسفر وذلك للوقاية أصلا من الوقوع في الاضطراب النفسي وكذلك يشمل هذا المنهج محاولات الكشف المبكر عن بعض حالات عدم السواء في الحياة الفردية .

ثالثا: المنهج العلاجي : ويكون هذا المنهج في مواجهة أزمات لم تكتشف من قبل أو لم يتم التنبؤ بها ، وهذا يتضمن العلاج العملي للمشكلات والإمراض النفسية ويتم ذلك بالطرق العلمية التي يقوم بها المختصون بالعلاج النفسي من الأطباء والمرشدين.[19]

ويتضح مما سبق يجب على المرشد النفسي أن يكون على علم ومعرفة بهذه المناهج، واستخدامها حسب الحاجة إليها، لكي يساعد الأفراد على تحقيق الرضا والسعادة والتوافق النفسي والصحة النفسية .

الدراسات السابقة : نعرض بعض الدراسات السابقة ذات علاقة بموضوع البحث كالتالي :

قام الخطيب (1982) بدراسة هدفت للتعرف عن العوامل الشخصية التي ترتبط بفعالية المرشد المدرسي في الأردن ، تكونت عينة الدراسة من (160) مرشداً ومرشدة ، وقد استخدم الباحث اختبار كاتل المكون من (16سمة) لقياس السمات الشخصية لدى أفراد العينة ، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك خمسة عوامل فقط لها ارتباط بفعالية المرشد ، أما بخصوص متغير الجنس فتبين أنه لا يوجد أي عامل من العوامل الستة عشر يرتبط بجنس دون آخر.[20]

أما دراسة أبو الهيجاء (1988) كان الهدف منها تقييم فعالية المرشد التربوي كما يدركها المديرون والمعلمون والمرشدون والمسترشدون في المدرسة الأردنية ، وقد اختار الباحث عينة مكونة من خمسة وعشرين فردا، تمثل أربع فئات هي: المعلمون،والمديرون، والمرشدون، والمسترشدون، وطور لهذا الغرض أداة مكونة من أربع وثمانين صفة مقترحة للمرشد الفعال ، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الفئات الأربعة من حيث نظرتها لفعالية المرشد التربوي ، كما تبين أن أكثر الصفات توفرا في المرشد التربوي الفعال حسب الصفات الأربعة هي: أن يتصف المرشد بالهدوء عند مواجهة مشاكل الطلاب، ويحافظ على سرية ما يدلي به المسترشدين، واحترام المسترشدين، والنزاهة في العمل، ويتصف بالتسامح أكثر من غيره ، والاهتمام بمتابعة مشاكل الطلاب، ومراعاة ظروف الطلاب الأسرية ، وقد لوحظ من نتائج الدراسة أيضاً أن هناك نقصا في فعالية المرشدين التربويين في المدارس الأردنية .[21]

وهدفت دراسة النسور(1995) إلى التعرف على أثر توقعات المديرين والمعلمين والطلبة لدور المرشد على فعاليته في تقديم الخدمات الإرشادية ، وبالتحديد تم التحقق من مقدار التباين في فعالية المرشدين والمرشدات الذي تفسره كل من توقعات المديرين، والمعلمين والمعلمات، والطلاب والطالبات لدور المرشد، مجتمعه، ومنفردة ، وتكون مجتمع الدراسة من مرشدي ومرشدات ومديري ومديرات ، ومعلمي ومعلمات، وطلاب وطالبات المدارس الثانوية الحكومية التي يوجد بها مرشدون ، أما عينة الدراسة فتكونت من جميع المرشدين والمرشدات ، والمديرين والمديرات والبالغ عددهم (21) مرشدا و(27) مرشدة ، و(21) مديرا و(27) مديرة و(10%)من المجموع الكلي للمعلمين والمعلمات والبالغ عددهم (80) معلماً و(92) معلمة ، أما عدد الطلبة بلغ عددهم (311)طالبا و(390)طالبة ، وقد استخدام مقياس توقعات المديرين والمعلمين والطلبة لدور المرشد الذي تمت الإجابة على فقراته من المديرين، والمعلمين ،والطلبة، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية بين الطلبة ولصالح الإناث، وأن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية بين توقعات المعلمين التي تعزى لمتغير الجنس، حيث أن المعلمات يحملن اتجاهات أكثر إيجابية نحو برامج التوجيه والإرشاد من المعلمين الذكور.[22]

وفي سنة (1998)قام مصلح بدراسة هدفت إلى معرفة الفروق في توقعات المعلمين، والطلبة لدور المرشد التربوي في محافظات سلفيت، ونابلس، والتي تعزى لمتغيرات (الجنس، والخبرة، والمؤهل العلمي) ، وقد تكونت عينة الدراسة من (25%) من المدارس التي توجد بها مراكز إرشاد ، وتم اختيارهم باستخدام جدول الأرقام العشوائية وبلغ عددهم (207) معلم ومعلمة ، وبلغ عدد الطلبة (450) طالباً وطالبة ، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك فروقا بين المعلمين والمعلمات تعزى

لمتغير الجنس ولصالح الإناث، كذلك تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط استجابة المعلمين والمعلمات لدور المرشد التربوي والتي تعزى لمتغير الخبرة ، كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط استجابة المعلمين والمعلمات لدور المرشد التربوي والتي تعزى إلى المؤهل العلمي ،واتضح أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المعلمين والطلبة في دور المرشد التربوي . [23]

وأجرى أبوفرحة (1999) دراسة هدفت إلى التعرف على العوامل المشجعة وغير المشجعة لاتخاذ الإرشاد التربوي مهنة في المدارس الحكومية من وجهة نظر المرشدين أنفسهم ، **وأراد الباحث معرفة** هذه العوامل من خلال مجالات أربعة هي : **المجال الاقتصادي، والمجال الاجتماعي، والمجال** المهني، والمجال الشخصي ويهدف الباحث إلى معرفة ما إذا كانت هذه العوامل الأربعة تختلف تبعاً لمتغيرات كل من (**الجنس، والخبرة، والتخصص العلمي، والمحافظة**) ، **وتكون مجتمع الدراسة من**(227) مرشداً ومرشدةً ، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن المجال المهني حصل على المرتبة الأولى من بين المجالات للعوامل المشجعة لاتخاذ الإرشاد التربوي مهنة ، **ثم المجال الاجتماعي،** فالاقتصادي ، وبينت الدراسة أن العوامل المشجعة لاتخاذ الإرشاد التربوي مهنةً تختلف تبعاً للمتغيرات المختلفة التالية: (**الجنس ,والخبرة، والتخصص العلمي**) كما أظهرت فروقاً ما بين العوامل المشجعة وغير المشجعة تبعاً لمتغير المحافظة. [24]

وهدفت دراسة النجار(2001) إلى التعرف على الفروق الجوهرية لمهارات التواصل وفعاليتها لدى المرشد التربوي من وجهة نظر الطلبة المسترشدين في المدارس الثانوية، حيث اشتملت عينة الدراسة **على** (400) طالب وطالبة منهم (230)**طالبا و**(170) طالبة ، وقد استخدم الباحث استبانة أعدها لهذا الغرض، وتم تحليل النتائج إحصائيا باستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ومعاملات الارتباط وتحليل التباين الأحادي وتحليل التباين الثنائي، وأظهرت نتائج الدراسة بأنه توجد مهارات تواصل شائعة لدي المرشد التربوي في المدارس الثانوية، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات **التواصل لدي المرشد التربوي تعزى لم**تغير الجنس ومتغير المؤهل العلمي ، ومتغير التخصص وعدد **سنوات الخبرة.** [25]

واستهدفت دراسة ناصر رفيق توفيق السلامة (2003) التعرف على أداء المرشد التربوي في المدارس الحكومية الثانوية في مدارس جنين وقباطية من وجهة نظر كل من الإداريين والمعلمين، حيث **تم**ت الدراسة على عينة قوامها (782) إدارياً ومعلماً ، استخدم الباحث استبانه ضمت أربعة مجالات (مجال العلاقات الاجتماعية، ومجال الشخصية، والمجال العلمي والمهني، والمجال الفني التطبيقي) ، توصلت نتائج الدراسة إلى أن مستوى الأداء كان كبير، وأن مستوى أداء المرشدين التربويين في مديرية جنين أعلى من مستوى الأداء في مديرية قباطية وفي جميع المجالات ، كذلك وجود مستوى الأداء عند الإناث أعلى منه عند الذكور وفي جميع المجالات، ومستوى الأداء يختلف تبعا لمتغير الخبرة وكانت الفروق لصالح المرشدين في فئة (11)**سنة فأكثر في كل المجالات**، ووجد أن مستوى الأداء يختلف تبعاً لمتغير المؤهل العلمي حيث كانت الفروق لصالح مستوى دبلوم فاقل في المجال الاجتماعي ولصالح بكالوريوس في المجالات الأخرى ،ووجد أن مستوى الأداء يختلف تبعا لمتغير التخصص لصالح **التخصص العلمي** . [26]

في ضوء ما تم عرضه من دراسات سابقة يمكن استخلاص ما يلي :

اتفقت معظم الدراسات السابقة مع البحث الحالي في دراسة أداء المرشد في المدارس الثانوية ،واختلفت الدراسات السابقة مع البحث الحالي في حجم العينات بعضها أعتمد على عينات كبيرة ، وبعضها أعتمد على عينات صغيرة ، كما اختلفت الدراسات السابقة مع البحث الحالي في اختيار نوع العينة فكانت عينات الدراسات السابقة من المديرون والمعلمون والمرشدون والمسترشدون ، والإداريين

،عدا دراسة النجار فكانت عينتها من طلبة المرحلة الثانوية والتي تتفق مع عينة البحث الحالي ،واتفقت نتائج معظم الدرلسات السابقة في وجود فروق ذات دلالة إحصائية في أداء المرشد تعزى لمتغير الجنس (ذكور ، وإناث) .

إجراءات البحث : تم أتباع الإجراءات المنهجية التالية :

أولا : منهج البحث : تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك لمناسبته لطبيعة البحث.

ثانيا : مجتمع البحث : تكون المجتمع الأصلي للبحث من جميع طلبة السنة الثالثة الثانوي المسجلين بالمدارس الثانوية بصبراته بشكل نظامي موز عيين على قسمي الأدبي والعلمي المسجلين للعام الدرلسي 2018/2017م .

ثالثاً : عينه البحث : تكونت عينة البحث من (105)طالب وطالبة من طلبة السنة الثالثة الثانوي ، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من مجتمع البحث ، من الجنسيين ذكور(45)طالب ، وإناث (60)طالبة ، ممن تراوحت أعمارهم ما بين (16-20) سنة ،موزعيين علي قسمي الأدبي (31) والعلمي (74) طالب وطالبة والمسجلين بالمدارس الثانوية بصبراته للعام الدراسي 2018/2017م والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول (1) خصائص عينة البحث

المتغير	الفئة	العدد	النسبة
الجنس	إناث	60	% 57
	ذكور	45	% 43
العمر	17-16	51	% 49
	18- 20	54	% 51
التخصص	الأدبي	31	% 30
	العلمي	74	% 70

يتضح من خلال الجدول السابق إن عينة البحث تكونت من طلبة السنة الثالثة الثانوي والبالغ عددهم (105) طالب وطالبة ،حيث كانت أكبر نسبة من الإناث بلغت (57 %) ، **وكانت أكبر نسبة ممن** تراوحت أعمارهم من (18- 20) سنة ، حيث بلغت (51 %) ، موز عيين على قسمي الأدبي والعلمي ، حيث بلغت أكبر نسبة **من طلبة القسم العلمي** (74 %) المسجلين بالمدارس الثانوية للعام الدراسي 2017 / 2018م .

رابعاً : أداة البحث : لتحقيق أهداف البحث قامت الباحثة بإعداد استبيان لقياس الأداء الوظيفي للمرشد النفسي من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية **وفق الإجراءات التالية :**

أولا : وصف الأداة : استبيان لقياس الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من إعداد الباحثة ، **وتكون من** (25) **فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد** ، تقيس الأداء الوظيفي للمرشد النفسي من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ، وقامت الباحثة بتطبيقه على عينة من طلبة السنة الثالثة الثانوي بصبراته ، وقد تم تعديل بعض الفقرات بناء علي أراء المحكمين.

ثانيًا : حساب الكفاءة السيكومترية للأداة: ويقصد بها التحقق من صدق وثبات المقياس ، وقد تم حساب صدق وثبات المقياس على عينة قوامها (40) طالب وطالبة تتوافر فيها نفس خصائص العينة الأساسية للدرلسة على النحو التالي :

أولاً: الصدق :وقد تم حساب الصدق بعدة طرق وهي كالتالي :

1- **الصدق الظاهري: تم التحقق من** الصدق الظاهري عن طريق عرض الاستبيان في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين من أساتذة علم النفس والإحصاء ، وقد تم تعديل وصياغة بعض الفقرات في ضوء مقترحاتهم .

2- **صدق الاتساق الداخلي :** تم حسا ب معامل الارتباط بين مجالات الاستبيان والدرجة الكلية للاستبيان والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول (2) صدق الاتساق الداخلي للاستبيان

المجال	عدد الفقرات	معامل الارتباط	مستوى المعنوية
رأي الطالب في العملية الإرشادية .	6	0.667	0.000
رأي الطالب في دور المرشد النفسي	9	0.816	0.000
رأي الطالب في علاقته بالمرشد النفسي	10	0.704	0.000

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط دالة ، مما يوضح صدق الاتساق الداخلي للاستبيان.

ثانياً: ثبات المقياس : ينبغي أن تتصف أداة البحث بالثبات ، أي أن تعطي النتائج نفسها ، إذا قاست الشيء نفسه عدة مرات ، وقد تم حساب ثبات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ وقد بلغت قيمته (**0.73**) ، وهذا يشير أن قيمة معامل الثبات مقبولة ، مما يعطينا ثقة في نتائجه وصلاحيته لقياس الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية.

خامسا : الأساليب الإحصائية : تم توظيف الأساليب الإحصائية الآتية باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) وهي المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ،والنسبة المئوية ، ومعامل الارتباط ، واختبار مربع كأي .

نتائج البحث ومناقشتها : تتضمن معالجة التساؤلات إحصائياً ومناقشتها في ضوء نتائج الدراسات السابقة والإطار النظري كالتالي :

أولا:النتائج المتعلقة بالتساؤل الأول والذي نصه : "ما مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية " ؟وللإجابة على هذا التساؤل **تم استخدم** المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية كما موضح في الجدول التالي :

جدول(3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لاستبيان الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية .

المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية %	الأهمية الترتيبية
رأي الطالب في العملية الإرشادية .	2.58	0.304	86.08	**1**
رأي الطالب في دور المرشد النفسي .	2.41	0.413	80.18	**2**
رأي الطالب في علاقته بالمرشد النفسي .	2.09	0.278	69.51	**3**

يتضح من الجدول السابق أن المتوسطات الحسابية لمجالات الاستبيان تراوحت بين (2.58) ، و(2.09) ، وكان أعلى مستوى أداء وظيفي للمرشد النفسي في مجال رأي الطالب في العملية الإرشادية حيث احتل المرتبة الأولى وبنسبة مئوية تقدر بـ (86.08) وهي نسبة تقع **في درجة الأداء المرتفع**،بينما

جاء مجال رأي الطالب في دور المرشد النفسي بالمرتبة الثانية وبنسبة مئوية قدرها (80.18) ، **أما** مجال رأي الطالب في علاقته بالمرشد النفسي جاء بالترتيب الثالث وبنسبة مئوية قدرها (69.51).

ويمكن تفسير حصول مجال رأي الطالب في العملية الإرشادية على المرتبة الأولى أن مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية كان كبير من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ، وهذا يدل على أن العملية الإرشادية لها دور إيجابي ومهم في معالجة مشكلاتهم وتوجيههم وخاصة أنهم بمرحلة المراهقة والشهادة الثانوية فهم بحاجة إلى إرشاد وتوجيه مما جعل هذا المجال يحصل على هذا **المستوى** .

وتفسير نتيجة حصول مجال رأي الطالب في دور المرشد النفسي على المرتبة الثانية ،أن دور المرشد كان كبير حسب وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى نجاح المرشدين النفسيين في عملهم وظهور أثر ذلك لدى الطلبة ووعيهم لأهمية دور المرشد النفسي في المدارس الثانوية ، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة أبو فرحة (1999) ، حيث حصل المجال المهني على مستوى أداء كبير .

كما يمكن تفسير نتيجة حصول مجال رأي الطالب في علاقته بالمرشد النفسي على المرتبة الثالثة ، ربما يعود السبب إلى عدم إعطاء المرشد النفسي للعلاقة بينه وبين الطالب أهمية كبيرة مما جعلها تظهر بهذا الترتيب ، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة أبو الهيجا (1988) في أن التفاعل والعلاقات الجيدة تزيد من فعالية عمل **المرشد النفسي** .

ثانياً :النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني والذي نصه : " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور ، وإناث) " ؟، فقد تم استخدام اختبار مربع كأي ، فأظهرت نتيجة التحليل الإحصائي البيانات المدرجة بالجدول التالي :

جدول (4) قيمة اختبار مربع كأي لدلالة الفروق في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور ، وإناث)

الاستبيان	الجنس	العدد	قيمة مربع كأي	المعنوية المشاهدة	مستوى الدلالة
الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية	ذكور	45	82.57	0.284	غير دالة عند 0.05
	إناث	60			

يتضح من النتائج الموضحة في الجدول السابق والتي تبين الفروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية تبعاً لمتغير **الجنس** (ذكور ، وإناث) ،**وقد بلغت** قيمة اختبار مربع كأي المحسوبة (82.57)، وقيمة المعنوية المشاهدة بلغت (0.284) وهي أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) ،وهذا يعني أنها غير دالة إحصائياً أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية وفقاً لمتغير الجنس ، وقد يرجع السبب في ذلك أن مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية متقارب بين الجنسين ، وهذا يعني أن المرشد النفسي يقدم خدمات إرشادية متقاربة سواء للإناث أو الذكور، وهذا طبيعي لأن الجنسين يمرون بمرحلة المراهقة فكلا الجنسين يحتاجون إلى خدمات إرشادية .

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الخطيب (1982) والتي بينت أنه لا يوجد أي عامل من عوامل الشخصية المرتبطة بفعالية المرشد النفسي يرتبط بجنس دون آخر ، واختلفت هذه النتيجة مع نتائج **دراسة كل من دراسة السور**(1995) ،**ودراسة مصلح** (1998) ،**ودراسة النجار**(2001) ،**ودراسة السلامة** (2003) ، حيث بينت نتائجهم أن هناك فروقاً بين الذكور والإناث لدور المرشد النفسي ولصالح **الإناث** .

الاستنتاجات : يمكن أيجاز أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث في التالي :
1- **وجود** نسب مئوية متفاوتة في مجالات الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة نظر طلبة المرحلة الثانوية ،حيث احتل مجال رأي الطالب في العملية الإرشادية المرتبة الأولى وبنسبة مئوية تقدر بـ (86.08) ،بينما جاء مجال رأي الطالب في دور المرشد النفسي بالمرتبة الثانية وبنسبة مئوية قدرها (80.18) ، أما مجال رأي الطالب في علاقته بالمرشد النفسي جاء بالترتيب الثالث وبنسبة مئوية قدرها (69.51) .
2- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي في العملية الإرشادية من وجهة **نظرطلبة المرحلة** الثانوية وفقاً لمتغير الجنس (**ذكور ، وإناث**) .

التوصيات : بناءً على الاستنتاجات السابقة يمكن صياغة أهم توصيات هذا البحث في التالي :
1- إقامة دورات للمرشد النفسي متخصصة في الإرشاد النفسي لإكسابه مهارات خاصة تساهم في رفع أدائه في الجانب التطبيقي للتعامل مع الطلبة بفعالية أكبر.
2- توفير مكتبة إرشادية خاصة بالمرشدين النفسيين تتوافر فيها المراجع الإرشادية الحديثة لمساعدة المرشدين على الإطلاع العلمي على المستجدات الحديثة .
3- العمل على نشر الوعي الإرشادي في المدرسة الثانوية من خلال توزيع نشرات إرشادية على الطلبة حول دور المرشد النفسي والعملية الإرشادية وأهميتها في مساعدة الطلبة .
4- إشراك المرشدين النفسيين في المؤتمرات الإرشادية العالمية من خلال إرسالهم إلى الخارج وحصولهم على خبرة إرشادية تفيدهم في تطوير أنفسهم .

المراجع :

1- عبير فتحي الشرفا ، الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل الإرشادي التربوي بقطاع غزة ، ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2011 ، ص 30 .

2- FARID NAJAR , AN Encyclopedic Dictlonaryof of Education ,Lebanon,2003,P287.

3- محمد إبراهيم السفاسفة ، أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي ، مكتبة الفلاح، الكويت ، 2003 ، ص 79 .

4- نعيم عطية الرفاعي، التقويم والقياس في التربية ، المطبعة التعاونية، دمشق ، 1982، ص319.

5- عبير فتحي الشرفا ، الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل الإ**رشادي التربوي بقطاع غزة، مرجعسابق** ، 2011 ، ص30.

6- بوب هافارد ، كيف تقيم أداء موظفيك، ترجمة د. خالد العامري، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2001 ، ص 115 .

7- سناء حامد زهران ، مفهوم الذات المهني لدى الأخصائي النفسي المدرسي واتجاهات الآخرين نحو عمله، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة المنصورة، المنصورة، 1996، ص 41.

8- سعيد جاسم الأسدي ، ومروان عبد المجيد ابراهيم ، الإرشاد التربوي مفهومه-**خصائصه**-ماهيته، **ط1 ،الدار** العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، عمان ،2003 ، ص22.

9- سعيد جاسم ألأسدي ، ومروان عبد المجيد ابراهيم ، **مرجعسابق** ،2003 ، ص26.

10- رمضان محمد القذافي ، التوجيه والإرشاد النفسي ، دار الجيل، بيروت ،1997، ص 19.
11- فؤاد أبو حطب ، وآمال صادق ،علم النفس التربوي ،ط5 ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1996، ص113 .
12- سهام درويش أبوعيطة ، مبادئ الإرشاد النفسي ، ط2 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،1997 ، ص101.
13- محمد محروس الشناوي ،العملية الإرشادية والعلاجية ، ط1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 ، ص 41.
14- خضير خليل ، تقويم تجربة التوجيه والإرشاد في المدرسة الثانوية من وجهة نظر المديرين والمرشدين والطلبة ,رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق ، 1968،ص 175 .
15- سليمان داود زيدان ، وسهيل موسى شواقفة ، أساليب الإرشاد التربوي ، جهينة للنشر ، عمان ، 2007 ، ص100.
16- إيمان بو عزيز ، الاتجاه نحو العملية الإرشادية وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني ،ماجستير ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، 2015 ، ص 13 .
17- عطا الله فؤاد الخالدي ، ودلال سعد الدين العلمي ، الإرشاد الجامعي والمدرسي ،دار صفاء ،عمان ، 2008 ، ص29 .
18- عطا الله فؤاد الخالدي ، ودلال سعد الدين العلمي ، الإرشاد الجامعي والمدرسي ، مرجع سابق ،2008 ، ص 35.
19- عبد الحميد محمد الهاشمي ، التوجيه والإرشاد النفسي ، دار الشروق ، بيروت ، 2008 ،ص161-162.
20-سالم بن علي بن شبنان الغامدي ، فعالية دور المرشد المدرسي في مساعدة الطلاب على التوافق مع بعض المتغيرات البيئية في مدينة جدة ، 2007، ص46-47 .
21-سالم بن علي بن شبنان الغامدي ،مرجع سابق ، 2007، ص 50 .

22- ناصر رفيق السلامة ، أداء المرشد التربوي في المدارس الحكومية الثانوية في مدارس مديريات جنين وقباطية من وجهة نظر كل من الإداريين والمعلمين ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، فلسطين ،2003 ،ص 54-55 .
23- ناصر رفيق السلامة ،مرجع سابق ،2003، ص55-56 .
24- ناصر رفيق السلامة ،مرجع سابق ،2003 ، ص 57- 58 .

25- محمد جدوع أبو يوسف ، فعالية برنامج تدريبي لتنمية المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين في مدارس وكالة الغوث ، ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2008، ص 150.

26- ناصر رفيق السلامة ، مرجع سابق ،2003 ، ص 11- 14 .

تحديات العولمة والتربية العربية الإسلامية

الباحث : علي البشير بالحاج

أستاذ المنهاج التربوي وطرائق التدريس

كلية التربية أبو عيسى

جامعة الزاوية

الفصل الأول : الإطار العام للدراسة

المقدمة :

لقد أوجدت العولمة العديد من التحديات، والتي من اهمها المس بالهوية والثقافة، ومحاولة إلغاء الخصوصية، وهذا تحد كبير وما يتبعه من إلغاء للسيادة، لذلك يجب أن تكون هناك محاولات جادة للتوعية والتنبيه، والتفكير في كيف يمكن أن نعد إنساناً من خلال التربية والتعليم ليستطيع مواجهة هذه التحديات، وخصوصا وأن هناك محاولة لتقويم الملامح الإسلامية ضمن شخصية منكرة غير معروفة للعالم الإسلامي.

وتواجه الأمة العربية كغيرها من الأمم –عصر العولمة الذي أصبح واقعاً لاينبغي تجاهله ولا يمكن تفاديه، بل الأجدر أن نعد له العدة ما استطعنا، وتوصف العولمة بأنها زمن التحولات والتغيرات السريعة لتعميم الاتجاهات والقيم والسلوكيات والممارسات على المستوى الكوني في شتى مناحي الحياة البشرية، ولعل من أبرز هذه التطورات المتسارعة المتلاحقة ما نشهده من بروز النظام الأحادي أو القطب الواحد على الصعيد السياسي، وما نواجهه من تكتلات على المستوى الاقتصادي وما نعايشه من ثورة الاتصالات والمعلومات في الجانب التقني وما نشعر به من تهديد للقيم واختراق للثقافات وهيمنة على وسائل الإعلام في الجانب الحضاري الذي يحوي الجانب الثقافي والاجتماعي.

إن النظرة الفاحصة للعالم اليوم تنبئ بأن المجتمعات المعاصرة هي مجتمعات تقلصت فيها حواز الزمان والمكان وقربت فيها المسافات وتزايدت حدة تأثيرها ببعضها البعض، وتحكم هذه المجتمعات عولمة كاسحة في الاقتصاد والسياسة والثقافة بحيث تغيرت بطريقة متسارعة وغير معهودة، وبرز تزايد للمعرفة بمتواليات هندسية بما فيها خير للبشرية وشر لها (السنبل، 2001، ص8، 9).

ولما كانت التربية عبر التاريخ، هي الوسيلة الفعالة لمواجهة التغيرات والتحولات من خلال بناء الأفراد وإعدادهم، وبلورة اتجاهاتهم، وتكييف ممارستهم بما يخدم مصلحة الأمة ويحافظ على بقائها واستمرارية نموها، فإن الحاجة تبدو ماسة لتربية عربية إسلامية متطورة قادرة على مواجهة تحديات العولمة من جهة والإفادة من إيجابياتها من جهة أخرى.

وقد وضع عنوان الدراسة بالصيغة التي هو عليها ذلك أن العولمة هي محط انظار الباحثين وشغلهم الشاغل نتيجة غموض مفهومها وعدم تحديد أبعادها وحدود تأثيراتها على كل المجتمعات بمختلف دياناتهم ومعتقداتهم.

مشكلة الدراسة:

تجمع نتائج وخلاصات العديد من الدراسات والمؤتمرات على أن البشرية تجتاز في زمن العولمة، منعطف تحولياً حاسماً في جميع المجالات ومن أهمها مجال التربية والتعليم الذي تأزم

على أكثر من صعيد (**مصطفى محسن**، 2005، ص16)، فأصبح الأمر يشكل مشكلة حقيقية تجمع بين ثلاثة خيارات أما القبول والاستسلام وإما الرفض وإما محاولة الاندماج والتفاعل مع **مستجدات العولمة**.

وعليه فإن مشكلة الدراسة تتمثل في معرفة الكيفية التي ينبغي أن تتعامل معها التربية العربية الإسلامية مع العولمة ومخاطرها وفوائدها وإيجابياتها.

تساؤلات الدراسة :

س: ماهي أهم التحديات التي تفرضها العولمة؟

س: ما أهم خصائص التربية العربية التي مكن من خلالها التعامل مع العولمة والاندماج بالتأثر والتأثير؟

س: ما الآثار السلبية التي قد تترتب على المجتمعات العربية الإسلامية إذا لم تحسن التعامل مع **العولمة؟**

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الوصول لمعرفة:

1- خصائص التربية العربية الإسلامية ومدى قدرتها على التعامل مع مستجدات العولمة.
2- العولمة وخصائصها الإيجابيات والسلبيات المرتبطة بها بخصوص التربية العربية الإسلامية .
3- مدى إمكانية موائمة التربية العربية الإسلامية مع العولمة وقدرتها بما تحويه من قيم ومعتقدات تمكنها من المحافظة على الهوية والخصوصية العربية الإسلامية.

أهمية الدراسة :

شكلت متغيرات العولمة تحديات معرفية حقيقية لقطاعات ومؤسسات مختلفة في المجتمع، فانبرى لها مفكرون وباحثون بالنقد والتحليل مستقصين آثارها على المستوى النظري والميداني، مفترض مسارات وآليات للتعامل معها فما هي هذه المسارات وما المسار الأفضل الذي ينبغي للتربية العربية الإسلامية انتهاجه؟

منهج الدراسة :

استخدم المنهج الوصفي التحليلي لإجراء هذه الدراسة لوصف الظاهرة بوصفها وصفاً دقيقاً والتحليل وتحديد جوانبها ومدى تأثيرها من خلال أدبياتها.

مصطلحات الدراسة :

التربية:

ورد عن المؤتمر الذي عقد تحت رعاية اللجنة الدولية للتربية تقرير تعلم لتكون جاء فيه أن التربية هي العمل المنسق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة وخلق الفاعليات وتكوين الإنسان والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدى الحياة (أحمد محمد الطيب، 2005، ص21)

العولمة:

هي صياغة ايديولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم باستخدام الوسائل الإعلامية والشركات الرأسمالية الكبرى بتطبيق هذه الحضارة وتعميمها **على العالم** .

المعلوماتية:

هي عملية استخدام الوسائل الالكترونية والتنمية والتكنولوجية في عمليات الخزن وحفظ **وارتجاع وبث ونشر المعلومات بدل من الوسائل** التقليدية.

الفصل الثاني: الإطار النظري

أولاً- التربية العربية وتحديات العولمة

ظهر مصطلح العولمة في السنوات الأخيرة إلى جانب مصطلحي (الكوكبة) و (الكونية) ليعين أن المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية تتداخل في ما بينها حيث لا يصبح هناك حد فاصل بين ما هو محلي أو إقليمي أو عالمي بل تصبح التأثيرات العالمية أو الكونية شاملة للأقطار والشعوب كافة.

وارتبط مصطلح العولمة أشد الارتباط بالثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة والتي تكتسح العالم منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي، فأصبحت القوة الأساسية المسؤولة عن بروز العولمة وأن لم تكن الوحيدة، فالثورة العلمية التكنولوجية هي التي جعلت العالم أكثر اندماجاً وهي التي سهلت وعجلت حركة الأفراد ورؤوس الأموال والسلع والخدمات (حولت، 2002، ص10).

ويلخص كل من إبراهيم ومحمد (2001، ص4) تعريفات العولمة بالقول:

"إنها ظاهرة عالمية امتدت تأثيراتها في جوانب متعددة من الحياة، وأخذت أبعاداً اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، اعتمدت على المعلوماتية محتوى لها للتغيير، وتقنيات الاتصال المتطورة وسيلة للتأثير، كما أنها ارتبطت بالتأطير النظري الذي يمثل فلسفة منتجيها في أمريكا والغرب عموماً والمالكين لزمام التفوق الحضاري بأبعاده المختلفة".

أما بشأن الموقف العربي من العولمة فقد تمحور حول ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: ينكر الوجود الموضوعي للعولمة أو الكونية الحضارية ويدعو إلى الإدانة والسعي إلى القطيعة معها.

الاتجاه الثاني: يدعو إلى الاندماج أو التكيف الهيكلي مع مقتضيات العولمة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بغض النظر عما سيفضي إليه ذلك الاندماج من طمس للخصائص والهويات القومية والثقافية.

الاتجاه الثالث: يتمثل بالحرص على التمسك بالخصوصية والمصالح القومية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي دون استقلال أو قطيعة مع خصائص العصر، بل الحرص على تمثل هذه الحقائق تمثلاً عقلياً ونقدياً ومن غير انصياع (خريسات، 2000، ص329-330.

ويبدو أن الاتجاه الثالث أكثر قبولاً لعقلانيته وتمسكه بهوية الأمة وخصوصياتها الحضارية.

التحدي الثقافي وسبل المواجهة :

تحاول العولمة نشر ثقافة التبعية على المستوى الكوني من خلال برامج قولبة البشر، وتعني التبعية تنميط الجيل الشاب في المأكل والملبس والمشرب والثقافة والترويح والمرجعيات المعرفية والأذواق والقيم والنظرة إلى الذات والكون.

ويعد البث الوافد أحد دعائم هذه الثقافة، فقد أظهرت بعض الدراسات إن المسلسلات الأجنبية – لاسيما الأمريكية منها مثلاً- التي تبثها شاشات التلفزيون العربية تروج باستمرار الجوانب الانحلالية، كإقامة علاقات جنسية غير مشروعة بين شباب الجنسين، كما إنها تعكر صفو الروابط الأسرية والاجتماعية، فضلاً عن أنها تعزز الكثير من القيم السلبية: الفردية والقسوة والعنف والتعصب والعدوانية والسرقة والخيانة والخداع، كما أشارت الدراسات إلى أن معظم الموضوعات المقدمة في تلك المسلسلات لا تتناسب مع مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الدول العربية.

لذا فإن على الثقافة العربية أن تبتدع نصوصاً جديدة في الفكر والثقافة والأدب والعلوم وأن تنتج برامج ومواد إعلامية مفيدة تربي الشباب على القيم العربية الإسلامية وترسخ في نفسوهم

الوطنية وحب الفداء والتضحية وتنمي فيهم روح الإبداع والتطوير **والتطور** (**حولت**، 2002، **ص2س** 26).

وعليه، فإن الشباب هم أكثر ضحايا العولمة، فمع انفجار المعلومات وتفتح الناشئة على الدنيا، وتوافر مقادير هائلة من إمكانات المعرفة وحرية السلوك، وتزايد درجة التسامح الاجتماعي، وتراخي الفصل بين الجنسين أو زواله، فإن أزمات الشباب وقضاياهم ستتزايد في حجمها وانتشارها وحدتها.

وترتكز العولمة على حماسة الشباب وحيويتهم وإقدامهم ومغامرتهم وتوجههم نحو آفاق المستقبل ذات الانفتاح المتزايد، فهم كائنون في العولمة وفي فرصها وتحدياتها وإمكاناتها كما في أخطارها ومآزقها.

والشباب المعولم مدفوع بدافعي اللذة والمتعة (كما تبشر به ثقافة العولمة والسيطرة والغلبة) **من** خلال قوة المعرفة وقوة المال وقوة التكنولوجيا.

إن على علم النفس أن يهتم بالشباب ويدرس انخراطهم في العولمة وآثارها النفسية والسلوكية، من مثل الإدمان على الانترنت والعيش في الواقع **الافتراضي** (العيش مع شاشة **الانترنت**) الذي بدأ يزاحم بالنسبة إليهم الواقع الفعلي. كذلك هو شأن العولمة ورموزها وإبطالها وقيمها وما تحاول انجازه من تنميط كوني للشباب.

وعلى علم النفس أن يدرس عملية التنميط هذه، ويتبين آثارها على الهوية والانتماء، وعلى القيم والتوجهات، كما عليه أن يدرس ما تقوم به العولمة من سلخ الشباب عن ذاكرتهم وتاريخهم وجغرافيتهم، كي تستبدل بها صناعة المستقبل كهوية للشباب والانتماء إلى العالم أو إلى اللامكان، وينبغي أن يهتم علم النفس بظاهرة الاستفراد بالشباب وتغريبهم عن انتماءاتهم المجتمعية، فضلاً عن اهتمامه بالتحولات المتسارعة في علاقة الشباب بالأسرة والسلطات المرجعية التقليدية حيث هناك بوادر تحد جدي في المرجعيات.

الشباب لم يعد في الكثير من الاحيان يتخذ من الكبار وخبرتهم وحكمتهم مرجعاً موجهاً لحياته وتوجهاته المستقبلية إذ حلت محلهم مرجعية الشبكة (**الانترنت**).

التربية والمهام المطلوبة :

على التربية ألا تتعامل مع التلميذ المتعلم وكأنه آلة معرفية، همها دراسة المقررات من المناهج الدراسية والنجاح في اختباراتها. لذا آن الأوان كي تصرف التربية وقتاً أطول في مساعدة التلاميذ على اكتشاف كفاءاتهم ومواهبهم الطبيعية وتنميتها . فما تحتاجه تحديات **المستقبل** هو نباء الاقتدار الكياني في تنمية الكفاءة العامة للشخصية الكلية، بما يتجاوز نجومية الدرجات التحصيلية وصولاً إلى نجومية النجاح في مشروع الوجود، ويتمثل الإعداد لنجومية الحياة تكاتف العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والتربوية والنفسية على بنائه وتوفير مستلزماته في إطار من الكفايات الخمس الآتية:

الكفاية المعرفية –الإنجازية، والكفاية نفسية، العاطفية، والكفاية الاجتماعية-التفاعلية، والكفاية الانتمائية- وحصانة الهوية، والكفاية القيمية الخلقية (**حجازي**، 2001، **ص**175-158)

ولكي تفي التربية بكل مهماتها في ظل العولمة عليها أن تنتظم حول أربعة محاور أساسية **للتعلم**:

1- التعلم للمعرفة، أي اكتساب أدوات تعين الفرد على فهم العالم المحيط به.
2- التعلم للعمل، لكي يتسنى للفرد التأثير في بيئته، فعلى التلميذ أن يعرف كيف يطبق معارفه تطبيقاً ميدانياً.
3- التعلم للعيش مع الآخرين، لكي يشارك الفرد الآخرين ويتعاون معهم في جميع الأنشطة.
4- التعلم لنكون، أي التنمية الشاملة لكل فرد روحاً وجسماً وذكاء وحساسية، وأن يكون لنفسه فكراً مستقلاً وناقداً وأن يصوغ حكمه الشخصي على الأمور.

إن هدف التربية الأساس هو زيادة قدرة الفرد على التكيف مع ما يستجد من المتغيرات العلمية والتكنولوجية وبالتالي مع المتغيرات الاجتماعية الناجمة عنها. وتحتاج عملية التكيف تلك بجانب الاعتبارات الثقافية والنفسية إلى تنمية مهارات الفرد الذهنية التي تؤهله للتعامل المباشر مع مصادر المعرفة من دون وسيط بشري متبدلاً إياه بوسيط معلوماتي اتصالي.

النظام التعليمي والتحولات الجديدة:

ومن منطلق الاقتناع بالدور الحيوي للتربية كقوة دافعة للتغيير في عصر العولمة يتوجب على النظام التعليمي أن يأخذ بالاعتبار العمل على إجراء التحولات الآتية:

1. إعادة النظر في مفهوم المتعلم، إذ لم يعد مقبولاً النظر للمتعلم باعتباره الإنسان الصغير فحسب، بل أصبح المتعلم أي فرد –بل كلّ فرد- في أي موقع وفي أي مرحلة من مراحل العمر على امتداد حياته يسعى للتعلم والمعرفة.
2. إعادة هيكلة النظام التعليمي بما يحقق مرونة السلم التعليمي، وقد يقتضي ذلك استحداث الصيغ التعليمية التي تتسم بالمرونة كالفصول الحرة والمدارس بلا جدران والمدارس ذات البرامج المرنة وغير ذلك.
3. توجيه أهداف التعليم ومحتواه بما يساعد المتعلم على اتقان المهارات العلمية الأساسية، والابتكار والإبداع، والرغبة الأكبر في صنع المستقبل وتحقيق التنمية الشاملة فضلاً عن التمسك بقيم العمل والإنتاج والدقة والضبط والتخطيط والالتزام.
4. مراجعة الكثير من الممارسات التعليمية فبدلاً من أي يكون التعليم أداة لتخزين المعارف وصب الأفراد في قوالب جاهزة، ينبغي أن يسعى إلى تزويد الناشئة والشباب بالأدوات التي تمكنهم من الاستمرار في التعلم والتعبير عن ذواتهم والتفاعل مع الأحداث، والحث على الدراسة، وتنمية عادات الملاحظة ومهارات التفكير والحصول على المعارف واكتشافها وتوليد المزيد منها وتوظيفها والإضافة إليها.
5. تعزيز دور التعليم في تحقيق الأمن الثقافي بما يساعد الإنسان العربي على الارتباط القوي بثقافة مجتمعه وتراثه الحضاري والسعي لإثرائه من خلال:

أ- النظر إلى اللغة العربية باعتبارها من أهم الركائز التي يمكن الاعتماد عليها للتعايش والحوار مع الثقافات الأخرى، ويتطلب ذلك امتلاك نظام معرفي جديد يتمثل المفاهيم العلمية والعقلية والمتغيرات الاجتماعية والفكرية التي أصبحت تشكل إطار الحياة الراهنة والمستقبلية، وعليه ينبغي تعميم التعليم بالفصحى في المستويات التعليمية كافة وتحديث أساليب تدريسها.

ب- تغيير أسلوب النظر للتاريخ بما يكسب المتعلمين القوة منه ويحفز عزائمهم لبلوغ منزلة متقدمة من الحضارة المعاصرة، فضلاً عن إكسابهم القدرة على تفسير الأحداث في سياقها الاجتماعي والاقتصادي ومفهومها السياسي والثقافي، بما ينمي لديهم مهارات التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها.

ج- تدريب المتعلمين على التعامل مع التراث تعاملاً يجعلهم يفكرون ويعتمدون على العقل بدلاً من النقل والمسؤولية بدل القدرية والاتكال.

د- توجيه التعليم نحو تنمية الروح الوطنية.

6. تطوير أساليب التقويم المدرسي وتوجيهها للكشف عن الإمكانيات النقدية والإبداعية لدى المتعلم على نحو يسهم في إبراز المبدعين وتشخيص حاجاتهم التعليمية التي تتناسب ومستوى قدراتهم، وكذلك تنمية مهارات التقويم الذاتي لدى كل من المعلم والمتعلم وتطوير وسائل القياس لتصبح أكثر صدقاً وموضوعية (حجاج، 1992، ص152-157)

ومن أجل استكمال رسم صورة متقدمة لإمكانيات تعليم عربي قادر وفاعل في ظل تحديات العولمة ينبغي:

أ. التأكيد على تدريس الرياضيات والعلوم التطبيقية.
ب. التركيز على استخدام التكنولوجيا في العمل التربوي من خلال استخدام الحاسوب والتلفزيون والانترنت كأدوات وموضوعات تعليمية –تعلمية.
ج. تبني أساليب ديمقراطية حرة في مجال العلاقات التربوية القائمة بين المعلمين والتلاميذ والإدارة المدرسية، وهذا بالضرورة يدفع إلى بناء العقل الحر المبدع.
د. فتح محاور اتصال بين المدرسة والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المنتجة.
ه. العمل على تفادي الأساليب التربوية التقليدية التي تركز على الحفظ والاستظهار وتبني الوسائل والأساليب التي تمثل العمليات العقلية المنطقية العالية في التحليل والتركيب والاستنتاج والاستدلال والمناقشة.

ويرى عبد الدائم (1998، ص85) أنه لا يكفي أن تعمل التربية العربية على إعداد جيل واع لقيمه وحضارته وحضارة الآخرين، بل لابد لها من أن تجعل التجربة العالمية، ولاسيما في ميادين العلم والثقافة والإعلام والاتصال، جزءاً لا يتجزأ من مناهجها وطرائقها، بنيةً ومحتوى، ولاسيما بعد التطور المذهل في التقنيات الالكترونية والإعلامية.

الدور الجديد للمعلم في عصر العولمة :

ثمة تساؤل يطرح نفسه –وهو- ما هو الدور المأمول للمعلم العربي المعاصر في عصر العولمة؟

لاشك أن التغييرات المعاصرة في عصر العولمة أوجبت أدواراً جديدة للمعلم، اتصفت بالتنوع والشمول، فعلى المعلم المعاصر أن يؤمن بالتميز قولاً وفعلاً، وأن يتخذه شعاراً له، وأن يسعى في تطوير ذاته وصقل قدراته بحيث يصبح قادراً على مواكبة التطورات الهائلة في ميادين الحياة المختلفة وعليه أن يؤمن بالتميز قولاً وفعلاً، وأن يتخذه شعاره له وأن يكون على دراية مستمرة بالتطورات التي تحدث في مجال تخصصه الأكاديمي من ناحية وبأساليب التدريس المستجدة من ناحية أخرى، حتى يستفيد منها في تطوير قدراته على تعليم طلبته والارتقاء بهم إلى مستويات التميز المنشودة (**عدس، 1997، ص56**) **فضلاً عن** إيقاظ حب الاطلاع وتنمية الاستقلالية في التفكير.

وللمعلم دور ثقافي ينبغي أن يؤديه يتمثل في فهم الهوية الثقافية للمجتمع العربي الإسلامي في ظل الغزو الثقافي للعولمة، فضلاً عن شرح الخطط الوطنية والقومية لتعزيز الأفكار والقيم الإيجابية السائدة في المجتمع بحيث تنشأ الأجيال على أفكار وثقافة يستعصي إبدالها بمجرد بث رسالة إعلامية تحمل أفكاراً مغايرة.

وعلى المعلم أن يقيم علاقة جيدة مع المتعلم وأن ينتقل من دور (**العازف المفرد**) **إلى** (**العازف المصاحب**) حتى لا يقتصر دوره على الملقي ويساعد المتلقي على اكتشاف العالم وتنظيمه وإدارته عن طريق توجيه الفكر وتطويعه. (**عبد الرحمن، 1998، ص287**)

إن تحديات العولمة تفرض على المعلم التحول في مهمته من نقل المعرفة والمعلومات للتلاميذ إلى تنظيم التعليم واستثارته لديهم وتيسيره إليهم. ومن حصر الاهتمام بالتعليم الاستقبالي الاستظهاري إلى التعليم الاكتشافي ذي المعنى، ومن التعليم الجمعي النظري إلى التعليم المفرد عن طريق العمل، ومن الاهتمام بالنمو العقلي للطفل إلى الاهتمام بجميع حاجاته التي تحث على تنمية كل شخصيته عقلاً وروحاً وجسداً، وعلى المعلم الإفادة من نتائج ثورة المعلوماتية في توسيع افقه الثقافي وتعميق تخصصه الأكاديمي وتحقيق نموه المهني (**حجاج، 1996، ص159**).

وتقتضي التحولات الجديدة في مسؤوليات المعلم الاهتمام بعملية إعداده إعداداً يؤهله للقيام بهذا الدور، ولتحقيق ذلك يجب الاهتمام أولاً باستقطاب الفئات المتميزة للدخول في مهنة التعليم بحيث يظهر المعلم في المجتمع كغيره من أصحاب التخصصات الأخرى، يمتلك معرفة مهنية خاصة به، ولكي يكون هذا الإعداد كاملاً وفعالاً لابد من التكامل بين الإعداد الأكاديمي والإعداد

المهنين سواء بدراسته من الجانبين معاً بشكل متداخل أو بالتتابع بحيث يعد أكاديمياً في البادية ومن ثم مهنياً.

الاستنتاجات:

في ضوء الأفكار والمناقشات الآنفة الذكر ننتهي إلى صياغة الاستنتاجات الآتية:

1. تعد العولمة تحدياً حقيقياً للثقافة العربية المعاصرة ويقتضي التفاعل الحي معها بالاستجابة الواعية بكيفية عقلانية تساعد على تعزيز الهوية الحضارية للأمة وصون شخصيتها الثقافية.
2. هناك مهام عديدة ينتظر أن تؤديها التربية العربية لكي تواجه بنجاح تحديات العولمة من خلال إعادة النظر في فلسفتها وأهدافها الاستراتيجية وبما ينسجم مع المنظور المستقبلي للعملية التربوية.
3. ينبغي على النظم التعليمية العربية الإسلامية أن تستجيب لتحديات العولمة وذلك بتحمل الخبراء العرب والمسلمين مسؤولياتهم لكي يتم إعادة هيكلة مؤسساتها التعلمية وتجديد مناهجها وتطوير أساليبها في التدريس على الشكل الأمثل، فضلاً عن مراجعة الكثير من ممارساتها التعليمية، وإدخال التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة في برامجها.
4. ينتظر المعلم العربي أدواراً جديدة ليؤديها في عصر العولمة، فعليه أن يتخلى عن الدور المهيمن على المعرفة والملقن لها، ويؤدي دور الموجه والميسر والمرشد للموقف التعليمي.

فضلاً عن ضرورة ممارسة دوره الحيوي في تنمية التفكير الإبداعي والناقد لدى **الناشئة استعداداً** لمواجهة الكمّ الهائل من المعرفة.

ثانياً- التربية العربية الإسلامية:

انطلاقاً من الأصول التاريخية للتربية نستطيع أن نقول بما لا يدع مجالاً للشك أن التربية الإسلامية تمثل الأصول الحقيقة للتربية لأنها تنطلق أساساً من تعاليم سماوية تتمثل **في القرآن** الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك الرجل اليتيم الفقير، الذي لم يشتهر بقوة السلاح ولا كثرة المال، وإنما اشتهر بين قومه الصادق الأمين، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، فهو المعلم، وهو المربي الذي رباه ربه فأحسن تربيته وأدبه فأحسن تأديبه.

لذلك نجد أن أصول التربية الحقيقية إنما تنطلق من أساسين هما التعاليم التي تنطلق منها التربية، وهذا هو الأصل الأول للتربية، وأيضاً من الذي يقوم بالتربية، وهذا هو الأصل الثاني.

فأما أصلها أو أساسها الأول، هو القرآن الكريم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يشهد له بذلك من لا يؤمن به فهو أصل التربية الذي جاء كاملاً حاوياً للكتب السماوية السابقة، وإذا استعرضنا الديانات السابقة وجدنا أن اليهودية جاءت مبينة على المادة فهي ديانة مادية، وجاءت المسيحية خلافاً لها فهي ديانة روحية فكلا الديانتين منقوصة.

فالمسيحية ينقصها الجانب المادي، واليهودية ينقصها الجانب الروحي، جاء الدين الإسلامي ليكون ديناً كاملاً يجمع بين مادية اليهود وروحانية المسيحية يتضح ذلك من اقتران الصلاة بالزكاة في مواضع كثيرة من القرآن، لهذا فإن هذا الدين قد شمل الجانبين المادي والروحي، وجاء ديناً كاملاً كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ **لَكُمُ** الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [سورة المائدة، الآية 3]،

ولعل سائلاً يسأل فيقول أن هناك من التربيات السابقة التي نادت بكمال الجسم والروح، وهي سابقة للإسلام، وكأن الإسلام لم يأتي بجديد نقول أن التربية السابقة التي نادت بدرجة الكمال **كمال الجسم والروح كما نادت** به التربية اليونانية تختلف كثيراً عما نادى به الإسلام، فروحية اليونان وغيرها من التشريعات السابقة ليست كالروحية التي نادى بها الإسلام، فهم يرون أن الروحية هي استرضاء البشر ورضاهم وسعادتهم، ولكنها في الإسلام تتمثل في الصلاة،

والصلاء لا تصح إلا بالوضوء والوضوء هو طهارة بالامتثال والاغتسال، فهو يشمل الجسم والجوارح فالمضمضة هي طهارة للفم وتكفير لما يكون الإنسان قد سبق من قول أو لغو، بقصد أو بغير قصد، وطهارة الأنف هي تكفير لما يكون الإنسان قد حالو استنشاقه من أشياء لا تحل هل أو ليس له حق فيها وغسل الوجه، والعينين هو تكفير لما قد تتطلع عليه ونظر إليه من المحرمات كالنساء أو المنازل، وطهارة الأذنين هي تكفير لما قد يكون الإنسان قد أصغى إليه من أقوال فاحشة أو شتائم أو سب أو غيبة أو غيره، هذه الأشياء تتم قبل أن يدخل الإنسان في صلاته، فإذا دخل في الصلاة ارتبط مع ربه برباط روحي، يسلم فيه لله، ويخضع جوارحه كلها لله، ويترك الدنيا خلفه كأنها لم تكن، ليكون هو مع الله، ومن هنا تأتي طهارة روحه، يحس بلذة العبودية ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "جعلت قرة عيني في الصلاة"، وكان يقول لبلال: "ارحنا بها يا بلال"، **ولنظر أي** ديانة سابقة للإسلام أو أي تربية سابقة أو لاحقة للإسلام تنادي في روحيتها بمثل ما نادى به الإسلام فالإسلام اشمل روحياً من جميع ما نادى به الأقدمون **والمحدثون**.

وأما عن طهارة الجسم، أو كمال الجسم كما في التربيات السابقة، فالمنادون بهذا الجانب يؤكدون على سلامة الجسم والحفاظ عليه، وأما الدين الإسلامي فهو يضيف إلى هذا أن الجسم ليس وحده المقصود مادياً، وإنما ما يتبع به جسم الإنسان، وما يدخل تحت تصرفه أو ملكه، لذلك أوجب الإسلام الزكاة طهارة لمادية الجسم والجيب والممتلكات، ليقوي العلاقة بين البشر ويغني الفقير ليحس بالتآلف والمودة والمحبة، ولتزداد الروابط الاجتماعية بين الناس وواجبها للأقرباء لتكون الروابط أقوى، وللجيران لتزداد المحبة، وللفقراء ليحسوا ويستغنوا عن ذل السؤال، فهل نادت أي تربية أو أي نظام أو أي مرب أو مصلح بمثل ما نادى به الإسلام.

هذا من جانب التعاليم السماوية، أما من جانب من يقوم بالتربية فقد رأينا من الكثيرين ممن نادوا بالتربية سوى الأقدمون منهم أو المتأخرون ولكن كل هؤلاء لم يصلوا إلى ما وصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم الذي اتصف بالصدق والأمانة، وحسن الحديث وقوة التأثير، ولعل **كتاب مائة رجل في** العالم يشهد بذلك، حيث كان محمد رسول أول رجل يضعه صاحب الكتاب، كذلك فإن تربية محمد لم تكن تربيته تربية مكدوجل ولا جون ديوي ولا جان جاك روسو ولا جون لوك، ولا افلاطون، ولا سقراط، وإنما هي تربية رجل زكى الله عقله فقال: **ما ضل صاحبكم وما غوى**.

وزكى شرعه فقال: إن هو وحي يوحى

وزكى جليسه فقال : علمه شديد القوى.

وزكى لسانه فقال: وما ينطق عن الهوى.

وزكى بصره فقال : ما زاغ البصر وماطغى.

وزكى فؤاده فقال: ما كذب الفؤاد ما رأى.

وزكاه كله فقال: وأنك لعلى خلق عظيم.

لذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم فريداً في خلقه فريداً في تعامله فريداً في منهجه وكانت تربيته فريدة أيضاً بتعاليمها وتعامل أصحابها.

أهداف التربية الإسلامية :

تختلف وجهات النظر حول أهداف التربية فكل ينظر من جانبه ومن منطلقه ومستوى تعليمه إلا أنهم جميعاً لا يتفقون على الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو إعداد الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه، فإذا ما تمت هذه الصورة في أي إنسان وصل إلى درجة الكمال في التربية، غير أن هناك من يرى أن أهداف التربية تتركز في الهدف الديني، الذي يقوم على تعلم القرآن ومعرفة العبادات المفروضة، أي معرفة الدين علماً وتطبيقاً، وذلك أن الدين الإسلامي هو دين ودولة.

وأما المحدثون فيرون أن أهداف التربية الإسلامية هي أهداف دينية وعقلية ونفسية، كذلك من يقسمها إلى أهداف دينية وعقلية مادية واجتماعية، غير أن بزوغ فجر الإسلام ببعثة محمد صلى

الله عليه وسلم يمثل تربية جديدة مغايرة لما كانت عليه التربية عند العرب، ولهذا جاءت أهدافها سامية متمثلة في بلوغ الكمال الإنساني، لأن الإسلام نفسه يمثل كمال الدين فهو خاتم الأديان وكمالها، جاء في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [سورة المائدة، الآية (3)]، **وقال تعالى:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ **وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [**سورة** آل عمران آية: (110)]، انطلاقاً من هذا الهدف الأسمى فإن هناك عدة أهداف منها:

أ-كمال سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة:

فكمال التربية في الإسلام يشمل الإنسان روحاً ومادة ويشمل التغيرات التي يمر بها الإنسان في دنياه وأيضاً مصيره الذي يكون عليه في آخرته والذي يحقق له سعادة الدارين.

ب-تنشئة الذي يعبد الله ويخشاه:

جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِن** وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، الآيات 56-58] .

وعبادة الله وخشيته أساسها العلم بأن الله أحق أن **يعبد** ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [**سورة** فاطر، الآية 28] ومادام العلم هو سبيل التقوى وخشية الله، فقد حث الله على العلم ورفع مكانة آهله وفضله على غيرهم ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [**سورة** المجادلة، الآية 11] .

ج-تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين :

ويتم ذلك عن طريق التضامن الإسلامي وخدمة قضايا المسلمين بما تقدمه التربية الإسلامية من المناداة بتوحيد الأفكار والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبهذا **تكون** عاملاً فعالاً في تماسكهم ووحدتهم ولم شملهم وجعلهم على قلب واحد، وكأنهم جسم واحد، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".

أسس التربية الإسلامية :

تنطلق أسس التربية الإسلامية من التعاليم السماوية التي نزل بها جبريل عليه السلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتمثلة في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله، جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر آية: (7)] وهي بهذا تكون أساس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وأنها طريقة إلى الهدي ومانعة له من الظلال يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله **وسنتي**".

ولهذا كان أساس التربية الإسلامية القرآن والسنة، غير أن المفسرين استطاعوا أن يستخلصوا من أحكام الكتاب ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأسس التي تمثل المفهوم الحضاري للتربية الإسلامية والمتمثلة في :

1-التربية الإسلامية تربية تكاملية :

فهي لا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان، وهي بهذا ترفض النظرة الثنائية، ثنائية العقل والجسم، وتنظر إليه نظرة متكاملة، تشمل جوانب شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية، وتعمل كلها في إطار واحد يخدم بعضها بعضاً، ويتأثر بعضها ببعض، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ألا إن في الجسم مضغة إن صلحت صلح الجسم كله وإن **فسدت فسد الجسم** كله ألا وهي القلب".

وكذلك يأمرنا الرسول بالعناية بالجسم فيقول: "أن لأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولبدنك عليك حقاً فأعط لكل ذي حقٍ حقه " وهو الذي يقول مخاطباً الذي يهملون أنفسهم ويعرضون أجسامهم للبرد والحر فيقول: "اتقوا البرد فإنه **قتل اخاكم أبا الدرداء**" وهي إلى جانب أنها تربية

للعقل والجسم فهي تربية للنفس وتهذيب للضمير، ولهذا تأمر تربية النفوس على الفضيلة والخير وحب الناس والتجرد من الآنانية وحب الذات حيث جعل الله أساس الأعمال ما يقع في النفس، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "**إن الله لا** ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوى هانا " قالها مرتين أو ثلاثة مشيراً في ذلك إلى صدره، كذلك اعتبر الإسلام جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، فبعد أن رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من أحد غزواته قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال جهاد النفس".

2-التربية الإسلامية تربية سلوكية عملية :

فهي تجمع بين القول والعمل، فلا يفيد القول ما لم يكمله العلم ولما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان " ما وقر في القلب وصدقه العمل" وهو الذي يقول "الدين المعاملة" ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ **كذلك مبادئ** الإسلام وأسسه من شهادة وزكاة وصوم وحج كلها تتطلب سلوكا لفظياً وعملياً، ومن تمام كمال **الإنسان إن تتطابق** أقواله مع أفعاله، وان يتحرى الصدق في القول والأماني في العمل ليتحلى بالفضائل ويبتعد عن الزور والرذائل، وإذا تتبعنا أسس التربية الإسلامية نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة الحسنة، وهو منبع التربية الإسلامية ذاتها نجدها أول ما اتصف به انه **جمع** بين القول والعمل، فوصف بانه الصادق فى قوله والامين فى عمله(**كمال** 1998، **ص** 219).

3- التربية الإسلامية تربية فردية واجتماعية معا :

التربية الإسلامية تربى فردياً كما تربى اجتماعيا، فهي تربى الفرد على الفضيلة ليكون مصدر خير لنفسه ولغيره، والى جانب هذا تحمله مسئولية أعماله، قال تعالى: ﴿**كُل امْرِئٍ بِمَا** كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور آية: (21)] وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة آية: (134)] وقوله صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم مسئول عن راعيته" وفى نفس الوقت تكون تربية الإسلام اجتماعية، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وهو الذي يقول المسلم للمسلم كالبناين المرصوص .

كذلك فإن تربية الإسلام تجرد الإنسان من الانانية، وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وهي كتربية اجتماعية تؤكد على الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان، وتهتم بتكوين العادات الحسنة بمخالطته الرفقة الطيبة وتبعده عن قرناء السوء، قال صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس بالصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير" وهي أيضاً توصي باحترام الجار لتقوى الروابط الاجتماعي ولتزداد بين المسلين، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قد خسر وخاب قال من لم يأمن جاره بوائقه" **ولما** سئل الرسول صلى الله عليه وسلم **عن حق الجار** "إذا استعان بك عنته" وإذا استنصرك نصرته، وإذا استقرضك اقرضته، وإن أصابته فرحة هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات شيعته، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها.

كذلك اتجه الإسلام إلى إقامة مجتمع أساسه **العدل والاحترام المتبادل ومراعاة الحقوق** والمصالح، وأن الناس فيه سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على **أسود إلا بالتقوى.**

لذلك حرص الإسلام على أن تكون المعاملة بالمثل أي أن نعامل الناس بما نحب أن يعاملوك به، لذلك أمرنا أن نعدل في القضاء والشهادة جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ **وَالإِحْسَانِ** وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ **وَالْمُنكَرِ** وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل آية: (90)].

4- التربية الإسلامية تربية لضمير الإنسان :

التربية الإسلامية تسعى إلى تربية ضمير الإنسان ليكون حياً يقظاً منتبهاً لكل ما يدور حوله في السر والعلانية، ذلك لأنه الموجه للإنسان، فالإنسان الحقيقي هو الذي يحس بالعمل الذي يقوم به إن كان خطأ أو كان صواباً إن كان له أو عليه، والله تبارك وتعالى هو الرقيب على تصرفات الإنسان إينما كان يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لذا كان على الإنسان أن يدرك بضميره أن الله رقيب عليه، وأنه يحاسبه على كل كبيرة وصغيرة ولا يكون خاضعاً لنزواته وشهواته، ولهذا أقر الإسلام مبدأ الثواب والعقاب لأنه يتماشى مع الطبيعة البشرية ويحد من ضلالها.

5-التربية الإسلامية تربية متوازنة :

التربية الإسلامية تربية متوازنة أي أنها تربية وسط كما أنها أمة وسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة آية: (143)] فهي لا ترجح جانباً على آخر، أو فرد على جماعة، أو دنيا على آخرة، بل تخص وتحث الإنسان على أن يتزود من دنياه لآخرته ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[القصص آية: (77)] وأعمل لدنيك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، فهي تختلف عن كافة أنواع التربية فهي ليست دنيوية فحسب فهي دنيوية وأخروية، وإنما هي وسط بين المادة والروح، وهي بهذا أقرب لطبيعة الإنسان وفطرته وخير الأمور الوسط.

6-التربية الإسلامية تربية موجهة نحو الخير :

جاء الإسلام منادياً بالخير للبشرية وعاملاً به، لهذا بعث الرسول من أجل الخير والرحمة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء آية: (107)] وبهذا فإن تربيته موجهة نحو الخير خير الفرد والمجتمع، فهي تأمر بالالتزام بالفضيلة والخلق الكريم والتحلي بجميل الصفات، ومعاملة النسا بالحسنى، حيث أمر الإسلام بعمل الخير، وجعله من تمام الإيمان، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وجاء في الحديث القدسي: "يا ابن آدم أفعل الخير فإنه مفتاح الجنة ويقود إليها، واجتنب الشر فإنه مفتاح النار ويقود إليها" وأيضاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن لله عباداً اختصم بقضاء حوائج الناس حببهم في الخير، وحب الخير إليهم، أولئك مبرؤون من عذاب الله يوم القيامة، ويقول الإمام الغزالي " (أن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعي بالمصلحة على مقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن بحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوق هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة.

كذلك جعل الله قضاء مصالح العباد من أفضل العبادات يقول عليه الصلاة والسلام: "الخلق كلهم عباد الله واجبهم إلى الله أنفعهم لعياله ولما سأل رجل قال يا رسول الله من أحب الناس إلى الله قال صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله انفعهم للناس، واجب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف به قربه وتقضي به دينه، وتسد به حاجته وتستر به عورته، ومن مشى في حاجة أخيه حتى يقضيها كان خيراً له من اعتكافه في مسجدي هذا شهراً، ومن كظم غيضاً وهو يستطيع أن يدفع ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى، ومن مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له ثبت الله قدميه يوم نزل الأقدام.

7-التربية الإسلامية تربية لفطرة الإنسان وغرائزه :

الإنسان يولد على الفطرة، ويولد لا يعلم شيئاً، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل آية: (78)]، ويقول صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" والكثيرون يفسرون الفطرة بأن الإنسان يولد صفحة بيضاء وعقلية وفطرية محايدة، ونحن نتفق مع هؤلاء في البعض ونخافهم في البعض الآخر، فكون الإنسان يولد صفحة بيضاء قابلة لأن تكتب عليها فهذا لا خلاف عليه، ولكن كون

الإنسان يولد عقلية فطرية محايد فهذا موضع الخلاف، لأن الإنسان يولد على الفطرة، والفطرة هي الأسراف فلا يوجد محايداً ولو ترك المولود شأنه شأن الحيوان والنبات والجن والجبال، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء آية: (44)] .

تعالوا بنا ننظر هل الفطرة هي العقلية المحايدة كما يرى أصحابنا، أم هي الإسلام كما نرى نحن، يقول الحديث كل مولود يولد على الفطرة إنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه، من خلال هذا الحديث يتضح أنها ليس محايدة فالفطرة هي الإسلام، فكل مولود يولد على الإسلام، وأنا التربية والتنشئة الاجتماعية هي التي تحيد به عن فطرة الإسلام، فهي إما تهوده، وإما تنصره، وإما تمجسه، ولكن لو كانت حيادية كما قال اصحابنا لجاء الحديث على غير هذه الصورة أو لقال كل مولود يولد على الفطرة فإما أبواه يهودانه، أو يمجسانه أو ينصرانه أو يسلمانه، لو جاء الحديث بهذه الصورة لكانت الفطرة حيادية، إنما الفطرة هي الإسلام، وإن الاختيارات الثلاث، هي الحياد عن الفطرة فالفطرة لابد أن تكون شيئاً، ولو كانت اختيارية لما ذكرها الحديث أو لقال كل مولود يولد اختيارياً، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نجد أن دين الإسلام دين الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها، إذن فهي شيء فطر الناس عليه، وهذا لا يكون حيادياً وإنما هو الإسلام، كذلك فإن الفطرة هي الحق والطريق الصحيح السوي، وهذه لا توجد في دين غير الإسلام، إذن فالفطرة هي الإسلام ليست عملية حيادية.

وأما الغريزة فقد أوجدها الله في الإنسان، وأمره أن يكون معتدلاً لا يخضع لغرائزه وشهوات نفسه، وجعل هذه الغرائز امتحاناً لضميره وتوضيحاً لقوة إيمانه، وأضاف عليها علم الشيطان ووسوساته، وإنه يسري من ابن آدم مسرى الدم في العروق، فالنفس دائماً ميالة وأمارة بالسوء، جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِئُ نَفْسِي إِن النَّفْسَ لأَمَارَةٌ بِالسوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِي إِن رَبِي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف آية: (53)] إذن الإنسان تتجاذبه قوتان قوة الإغواء من الشيطان، وقوة الغريزة في النفس، وهنا يمتحن في إيمانه أيغلب هاتين القوتين، أم تكون لهما أو لاحدهما الغلبة عليه، فالإنسان الذي يغلب هاتين القوتين يكون أفضل عند الله من الملائكة، لأن الملائكة منزوعة منهم الغريزة، فهم مطيعون بدون شهوة، ولكن الإنسان يغالب شهواته ويكبح جماحها، ويصرف عن نفسه الشيطان، مرضاة الله وتقرباً إليه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا ابن مسعود يأتي زمان على أمتي القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر بكفه"، فإن كان في ذلك الزمان ذئباً وإلا اكلته الذئاب، ويقول: "الله ليأتين على الناس زمان يصدق فهي الكذوب ويكذب فيه الصدوق، ويؤتمن فيه الخائن، ويخون فيه الأمين، ويكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر".

والإنسان بفكره يستطيع أن يغلب العقل على الهوى، فإذا استخدم الإنسان عقله تغلب على هواه والعكس صحيح يقول الإمام الغزالي: (الفكرة ضرورة بين الشهوة والعقل، العقل فوقها والشهوة تحتها، فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرفت وولدت المحاسن، وإذا مالت إلى الشهوة تسفلته إلى اسفل السافلين، وولدت القبائح) قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلا تَتبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص آية: (26)] .

8-التربية الإسلامية تربية مستمرة :

التربية الإسلامية مسايرة لتطورات العقل وتغيراته، هي لا تقف عند حد معين، أو مرحلة معينة، فهي مع الإنسان من المهد إلى اللحد، تضع لكل مرحلة من مراحل العمر تعاليمها الخاصة بما يتماشى مع طبيعة البشر وتغيرات الحضارة، فهي متجددة باستمرار ومسايرة للتطور لأنها صالحة لكل زمان ومكان، ولأنها تنبع من كتاب أحكمت آياته، تنزيل من حكيم حميد.

الفصل الثالث : أساليب التربية الإسلامية

تتعدد أساليب التربية الإسلامية حسب مواقف الحياة بل حسب متطلبات الموقف، فالإسلام تعاليم سماوية شاملة، ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت آية: (42)] ولهذا تتنوع أساليب تربية الإسلام وتتعدد حسب المواقف، ولكنها في النهاية تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها ومن أساليب التربية الإسلامية ما يأتي :

1-أسلوب القدوة الصالحة :

وهذا الأسلوب استقاه المسلمون من الرسول صلى الله عليه وسلم وساروا عليه وتعاملوا به وعملوا على ترسيخه في نفوس التابعين حيث كان ذلك الأسلوب امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب آية: (21)] ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القدوة الصالحة وحسن اختيارها في قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير" ويشير إلى هذا المعنى قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

ويشير الفيلسوف الكبير فولتير المشتهر بنقد الأديان في كتابه الأخلاق إلى هذا المعنى مؤكداً على أسلوب القدوة الصالحة بين المسلمين حيث جعلهم هذا الأسلوب يستولون على قلوب البشر فيتبعونهم يقول فولتير: (وليس بصحيح ما يدعى من أن الإسلام استولى قهراً بالسيف على أكثر من نصف الكرة الأرضية، بل كان سبب انتشاره شدة رغبة الناس فيه، بعد أن أقنع عقولهم، وأكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة، هو اتصافهم بالشيم العالية، إذ لا يحفى ولوع المغلوب بتقليد الغالب.

2-أسلوب الترغيب والترهيب :

هذا الأسلوب من أساليب التربية الإسلامية، وهو من الأساليب التي تتمشى مع طبيعة البشر، ويسميه علماء النفس أسلوب الثواب والعقاب، وهذا من الأساليب العادلة لإثابة المحسن، وعقاب المخطئ بحيث يزيد المحسن إحساناً، ويردع المخطئ، لهذا نرى إشارات كثيرة ودلالات واضحة تعني هذا الأسلوب فالقرآن يقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ*فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ الزلزلة آية: (7-8)] والرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى أسلوب الترغيب فيقول: "أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام وصولا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" ترغيباً للمسلمين في عمل الخير فيما يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن رب العزة تبارك وتعالى أنه في الحديث القدسي يقول: "يا ابن آدم أفعل الخير فإنه مفتاح الجنة ويقود إلهيا، واجتنب الشر، فإنه مفتاح النار ويقود إليها، يا ابن آدم إعلم أن الذي تبنيه للخراب وأن عمرك عارية، وجسدك للتراب، وما جمعته تركته للورثة، والنعيم لغيرك، وعليك الحساب والعقاب، والندم منك والصاحب لك في القبر العلم، فألزم طاعني وأحذر معصيتي، وأرض بما يأتيك وكن من الشاكرين، يا ابن آدم كم من غني يتمنى الفقر يوم حسابه، وكم من جبار أذله الموت، وكم من فرحة أورثت حزناً طويلاً، يا بان آدم لو علمت البهائم مرارة الموت لا متنعت عن الأكل والشرب حتى تموتن جوعاً وعطشاً، يا ابن آدم ما آتاك من الدنيا فلا تفرح به، وما فاتك منها فلا تحزن عليه، فودع الدنيا وتهيأ للموت، وأعلم أني إذا أحببت عبداً زويت عنه الدنيا فأريه عيوبها فيعمل بعمل أهل الجنة فأدخله الجنة برحمتي، وإذا أبغضت عبداً سلطت عليه الدنيا، ولا أريه عيوبها فيعمل بعمل أهل النار فأدخله النار ولا أبالي"، وقد ركزت التربية على أسلوب الترغيب أكثر من أسلوب الترهيب، ولم تستعمل أسلوب الترهيب إلا فيما تدعو إليه الضرورة، وفيما يخشى أن يكون فيه فساد للمجتمع، فالإسلام عندما أقر قطع اليد في السرقة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة آية:

(38)] لم يكن انتقاماً من السارق أو السارقة، وإنما هو اجتناب للشر، وقطع دابر الفساد وترهيب الآخرين، نظراً لما للسرقة من عواقب تفسد المجتمع كله، كذلك في الزنا الذي فيه فساد للمجتمع، واختلاط الأنساب، وسريان الفاحشة، وانتهاك الحرمات، جاء في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ **وَالزانِي فَاجْلِدُوا كُل** وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور آية: (2)] وقد جاءت نظريات علم النفس مؤكدة على أسلوب الثواب والتعزيز كنظرية جتري وسكنر كأساليب حديثة في التعلم والتعامل .

3-أسلوب الاقناع والاقتناع :

من أوضح اساليب التربية الإسلامية أسلوب الاقناع، فالتربية الإسلامية لا تكلف إلا بالإقناع، ولا تقبل إلا بالإقناع، يتضح ذلك من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاء إليه رجل يجبر ابنه على الدخول في الإسلام، قائلاً يا رسول الله أرى طرفي **في النار وأسكت، فنزل قول الله تعالى:** ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة آية: (256)] **وكذلك كان أسلوب** الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه، ومع أعدائه الاقناع والاقتناع، ففي صلح الحديبية عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب فقال له أكتب يا علي صلحاً بين محمداً رسول الله وبين قريش، فلم يقتنع خطيب قريش سهيل بن عمرو فقال ما شهدت بأنك رسول الله، ولو شهدت بذلك ما خالفتك، أكتب محمد بن عبد الله، فاقتنع الرسول بقول سهيل وأمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله، وحتى صحابته وتلاميذه ورسله الذي أرسلهم للأمصار ساروا على هذا المنهج، فها هو مصعب بن عمير الذي بعثه الرسول لينشر الدين ويتبعه الناس في المدينة، يأتيه سعد بن معاذ ليمنع الناس من السماع إليه فيقول له مصعب هل لك أن تسمع، فإن أعجبك قولنا فبها، وإلا فأنت وشأنك، فيسمع منه سعد فيقتنع بما جاء به، فلا يقوم من مجلسه إلا وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كذلك خلفاؤه كعمر بن الخطاب الذي يتفقد أحوال رغيته فيمر على بيت يسمع امرأة تأمر ابنتها أن تضيف الماء للبن، فترفض البنت ذلك بحجة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منع ذلك فتقول الآم، وهل يراك عمر الآن، فتجيب البنت إن كان عمر لا يرانا، فإن رب عمر يرانا فيقتنع عمر بن الخطاب بإيمان هذه الفتاة فيخطبها لابنه عاصم، ويكون من نسلها الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز، كذلك موقف عمر بن الخطاب مع العصاة الذين جلسوا يتعاطون الخمر فلم يجد عمر مسلكاً يدخل عليهم به غير النافدة، فإذا به يزجرهم عن ذلك، فإذا بهم يردون عليه بالمثل غير مقتنعين برأيه مجيبين أن كنا أخطأنا في واحدة فقد أتيت بثلاث، فقال عمر وما هن فقالوا الأولى أنك تجسست علينا والله تعالى يقول ولا تجسسوا، والثانية أنك دخلت دون إذن والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [**النور** آية: (27)] والثالثة أنك دخلت من النافدة والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة آية: (189)] **فاقتنع** عمر بحجتهم ورجع.

4-أسلوب الموعظة والنصح :

وأسلوب الموعظة والنصح هو من الأساليب الجيدة التي تؤثر في النفوس وتستولي على القلوب، وتورث المحبة لأنها تقوم على الإحساس المتبادل بين الناس، ورعاية مصالحهم، لهذا كان هذا الأسلوب من أساليب التربية الإسلامية **التي تنبعث من القلب إلى القلب، لذلك أمر** الرسول بالنصيحة، وهو الذي يقول الدين النصيحة فقد يكون الإنسان سائراً في طريق غير صحيح، وهو لا يدرك ذلك، فعندما تنصحه يحس أنك ترعى مصلحته فيتقرب منك ويتودد إليك، وقد يكون مرتكباً محرمات أو ممنوعات، فعندما تسدي إليه نصيحة بالإبتعاد عن مثل هذه الشرور والآثام، فإنما يكون وقعها في قلبه معنى خصوصاً إذا ما اتسمت النصيحة بالأسلوب الهادئ اللطيف الذي يحس صاحبه فيه المحبة وخلاص النية.

5-أسلوب الممارسة العملية :

من الأساليب التي تستخدمها التربية الإسلامية أسلوب الممارسة العملية، **فالرسول صلى الله** عليه وسلم يقول: "الدين المعاملة" على أن تتم هذه المعاملة من جانبين الجانب المعنوي الروحي،

والجانب العملي، فالصلاة والزكاة والصوم والحج لابد أن تتوفر فيهم النية، وهي الجانب الروحي، إضافة إلى العمل على إقامة هذه الشعائر بحيث يطابق قول الإنسان عمله وهنا فإن الإيمان الصحيح هو الذي يجمع بين الجانب المعنوي والعملي، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان: "أنه ما وقر في القلب وصدقه العمل" والعمل في حد ذاته لا يفيد بل قد يكون ضرره أكبر من نفعه خصوصاً في حالة ما لم تتوفر النية الصادقة الخالصة للقيام بالعمل، فالصلاة قد تكون حركات لا غير، والصيام قد لا يصاب منه صاحبه إلا الجوع والعطش، والزكاة قد تكون وبالاً على صاحبها، إلا إذا أحسنت السريرة وصدقت النية، فإن العمل يؤتي ثماره التي أمرنا الله أن نبينها من خلال العمل، لذا حث وحض عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا** فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ **وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة آية: (105)] ولهذا كان أسلوب النبي في الممارسة العملية قبل غيره، فعندما يأمر أصحابه بشيء، يسارع للقيام به قبلهم ليكون قدوة لهم، وليحسوا أنهم واحد منهم، هنالك ينخرطون في العمل، ويحثون بعضهم بعضا عليه، كذلك المدرس مع تلاميذه عندما يخلق فيهم الرغبة في العمل، والصدق في المعاملة، ويعاملهم بكل صدق وأمانة ويدريهم على الأعمال التي تخدم مصالحهم ومصالح مجتمعهم، يكون قد التزم بما جاءت ونادت به التربية الإسلامية في الممارسات العملية.

استنتاجات الفكر التربوي الإسلامي :

ينطلق الفكر التربوي الإسلامي مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من تعاليم سماوية وسنة، وما عمل به وأمر صحابته والتابعين له أن يعملوا به، وأيضاً بما جاء به أصحابه من بعده تنفيذا لأوامره، واجتناباً لما نهى الله عنه ورسوله، واجتهاداً في توضيح منهجه في التربية، وأسلوبه في المعاملة، الذي أنطلق من تربية سماوية روحية وجسدية، كانت وما تزال منهج فكر ومنهج عمل (الطبيب، 2005، ص 82) .

على أن الفكر التربوي الإسلامي يقرن بين الدعوة للإيمان، والدعوة للعمل، والدعوة **للعبادة** مقرونة بالدعوة إلى العمل، والدعوة إلى الفكر مقرونة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان، والدعوة إلى الغابة مقرونة بالنظر إلى الوسيلة.

لذلك نجده أسبق النظريات التربوية الحديثة والأفكار المعاصرة في دراسة الجنس البشري وحاجاته وميوله واتجاهاته والفروق الفردية بين أفراده، فهو يمزج بين العلم والعقيدة، ويربط العلم بحاجات البشر ومنافعهم حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اللهم علمني ما ينفعني **وأنفعني بما علمتني وزدني علماً والحمد لله على كل حال**" كذلك فهو يهتم بالفروق الفردية حيث يقول عليه الصلاة والسلام: "يا ابن عباس لا تحدث قوماً حديثاً لا تحتمله عقولهم" كذلك يقول: "أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم، وهو أيضاً يهتم بالجوانب التطبيقية والعملية يقول عليه الصلاة والسلام: " طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله" وقوله: "كل علم وبال على صاحبه إلا ما عمل به".

لذلك عكف رجال الفكر الإسلامي على دراسة الإسلام واتخاذ نبيه قدوة حسنة يقتدون به، ليبينوا للناس ما جاء به من تربية، وما كان عليه من خلق، مشيرين إلى أساليب التربية في تقويم النفوس، وفي إعطاء المربي المكانة البارزة، نظراً لدوره الأخلاقي إلى جانب دوره التعليمي، حيث يستندون إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية في الأسلوب الذي يجب على المعلم أن يتبعه بصفته كمرب وكمعلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ **وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل آية: (125)] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه" ولهذا فإن التربية والتعليم مهنة تحتاج إلى خبرة وتمرين وممارسة يقول ابن عبدون: (والتعليم صناعة تحتاج إلى خبرة ودراية ولطف، فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأنس حتى يرتض ويقبل التعلم" .

على أن المعلم يجب أن يكون فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة والعمل على تحصيل الملكة التي هي صناعة التعليم وهو أيضاً يجب أن يكون قدوة لطلابه، ويراعي حاجاتهم ورغباتهم

واستعداداتهم والفروق بينهم، كذلك يجب أن يربط بين العمل والفكر، وأن يكون عطوفاً عليهم حليماً لينا معهم، ويضعهم موضع بينه، وأن يغمرهم بنصحه مبيناً لهم طلب للثقافة وللقرب من الله سبحانه وتعالى وليس للرياسة والمباهاة والمنافسة، كما أنه يجب عليه أن يهتم بأخلاقهم كاهتمامه بعقولهم، وأن يربي فيهم ملكة الاجتهاد والنظر دون التسليم والتقليد حتى ينشأ الواحد منهم وله شخصيته المستقلة وأفكاره الخاصة، ويرى ابن جماعة أنه على المدرس ألا يدرس وقت جوعه أو عطشه أو غضبه أو همه أو اضطرابه أو قلقه، وينصحه ألا يطيل الدرس تطويلاً يمل، أو يقصره تقصيراً يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين، كما أنه يجب عليه ألا يتجاوز صوته المجلس ولا يقتصر عن سماع الحاضرين، وعليه ألا يكون في المجلس مكان مميز لاحاد الناس، بل كان من سبق لموضع فهو أولى به مستثنياً بذلك ما تدعو إليه الضرورة العلمية من جلوس العلماء في أمكنة خاصة (الوهر، 1997، ص 123)

وراعت التربية الإسلامية اللعب عند الأطفال، فهو نوع من العمل بالنسبة للطفل لأنه مطبوع عليه بالفطرة، وكما جعل النوم للراحة جعلت اليقظة للعمل والحركة، حيث أن اللعب يبعث في الأطفال نشاطاً في أجسامهم، وقوة في عقولهم، ولذة في حياتهم مادام سائراً على محور النظام والترتيب، ومناسباً لقواه العقلية، ويقول ابن مسكونية: (ينبغي أن يؤذن للطفل في بعض الأوقات أن يعلب لعباً جميلاً ليستريح إليه من تعب الأدب، ولا يكون في علبه ألم ولا تعب شديد، فالرياضة تحفظ الصحة وتنقي الكسل، وتطرد البلادة، وتبعث النشاط وتزكي النفس.

المصادر :

1- إبراهيم، فاضل خليل ومحمد، جاجان جمعة (2004) : (تصورات أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة حول ظاهرة العولمة)، مجلة بحوث بمستقبلية، كلية الحدباء الجامعة (الموصل)، عدد 8، ص 125-1489.
2- الطبيب، أحمد محمد، أصول التربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس-ليبيا، 2005م.
3- السنبل، عبد العزيز عبد الله (2001): (التربية المستمرة في عالم عربي متغير)، مجلة تربية الجماهير (تونس).
4- حجاج، عبد الفتاح أحمد (1992) : (الدور المستقبلي لمعلم المرحلة الابتدائية مع الإشارة بصفة خاصة إلى المعلم الخليجي)، ندوة نحو تربية أفضل لتلميذ المرحلة الابتدائية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر.
5- حجازي، مصطفى (2001) : (علم النفس ما بين تحدي البقاء وإعادة التكيف الهيكلي)، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، العدد 2.
6- حوات، محمد علي (2002)، (العرب والعولمة-شجون الحاضر وغموض المستقبل)، مكتبة مدبولي، القاهرة.
7- خريسات، ياسر علي (2000) : (العولمة والتحدي الثقافي)، قضايا سياسية (بغداد) العدد 1، المجلد 1.
8- عبد الدائم، عبد الله (1998) : (التربية والقيم الإنسانية في عصر العلم والثقافة والمال)، مجلة المستقبل العربي، العدد 230، ص 65-86.
9- عدس، عبد الرحمن (1997) : (التربية والتميز)، مجلة رسالة المعلم (الأردن)، المجلد 38.
10- كمال، عبد العزيز عبد الرحمن (1998): (عرض ومراجعة كتاب التعلم ذلك النز المكنون)، مجلة مركز البحوث التربوية- جامعة قطر، العدد 13.
11- مصطفى محسن، المسألة التربوية في الوطن العربي وتحديات عصر العولمة، مجلة الكلمة، العدد 60، السنة الخامسة عشر، صيف 2008.

دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو للمنظمات الصناعية
دراسة تطبيقية بمصنع الأعلاف بصرمان

عامر المختار عبد الحميدي
محاضر بقسم إدارة وتشغيل الموانئ – المعهد العالي لتقنيات علوم البحار بصبراتة

ملخص الدراسة :

تناولت هذه الدراسة موضوع دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو بمصنع الاعلاف بصرمان ، من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي .حيث اقتصرت مشكلة الدراسة في التساؤلين التاليين : ما هي اهمية وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان؟ ، ما مدى ادراك القيادات الادارية في المصنع محل الدراسة لأهمية وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو بالمصنع ؟ . من اهم اهداف الدراسة هو التعرف على الصعوبات والمشاكل التي تواجه مصنع الاعلاف بصرمان ، وتحد من قدرته على تحقيق النمو المطلوب، من خلال دراسة اهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو بالمصنع محل الدراسة . وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج من اهمها: ضعف درجة اهتمام القيادات الإدارية بمصنع الاعلاف بصرمان بدراسة و تحليل العوامل المكونة لوظيفة البحث والتطوير ، وكذلك ضعف درجة اهتمام القيادات الإدارية بمصنع الاعلاف بصرمان بدراسة و تحليل متطلبات ومعايير تحقيق النمو بالمصنع ،. كما خلصت الدراسة الى العديد من التوصيات من اهمها : زيادة الاهتمام بدراسة و تحليل جميع المعايير اللازمة لتحقيق النمو للمصنع محل الدراسة، سواء التنظيمية ، او الاقتصادية ، او المعايير الفنية ، الامر الذي يعزز قدرة المصنع محل الدراسة على تحقيق النمو المطلوب ، وكذلك الاهتمام بتدريب القيادات الادارية بمصنع الاعلاف بصرمان ، من اجل توعيتهم وزيادة معارفهم بأهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تمكين المصنع محل الدراسة من تحقيق النمو .

الكلمات المفتاحية : وظيفة البحث والتطوير ، نمو المنظمات

1-1 مقدمة الدراسة :

تلعب وظيفة البحث والتطوير دورا محوريا في نمو المنظمات لاسيما الصناعية ، حيث تساهم في رفع مستوى التقنية السائدة في المنظمة ، و تحسين الانتاجية، وتعالج المشكلات التي قد تواجه المنظمة بسبب ضعف الاداء ، او القرارات غير الرشيدة ، كما تدعم متخذ القرار في المنظمة بالدراسات والبحوث اللازمة، والتي تسهم في وضوح الرؤية على المديين المتوسط ، والطويل ،خصوصا في هذا العصر الذي يشهد ظروف بيئية متغيرة باستمرار. فنشاط البحث والتطوير يشكل اهم اساسيات النمو التنظيمي المستدام ، بما يكونه من قدرة تنافسية للمنظمة ، تجعلها قادرة على التميز والمنافسة ، ودفع منحنى نموها الى اعلى باستمرار. الامر الذي يحتم على المنظمات المعاصرة ضرورة الانفاق على نشاط البحث والتطوير وادارته بكفاءة وفاعلية.

ومن هذا المنطلق فقد اهتمت هذه الورقة البحثية بدراسة اهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان.

2-1 مشكلة الدراسة :

تؤثر وظيفة البحث والتطوير تأثيراً كبيراً على نمو المنظمات ، لاسيما الصناعية في تطويرها لمنتجاتها ، و بالتالي تحتاج المنظمات الصناعية، ومنها مصانع الاعلاف إلى درجة اهتمام عالية بوظيفة البحث والتطوير للتميز في تقديم منتجات متنوعة وذات جودة عالية من ناحية، والمساهمة في رفع كفاءة العمل ، وخفض التكاليف، وتحقيق المستهدفات الانتاجية من جهة اخرى.

و بناء على ما سبق فان مشكلة الدراسة تتبلور في التساؤلين التاليين :

1- ما هي اهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان؟

2- ما مدى ادراك القيادات الادارية في المصنع محل الدراسة لأهمية وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو بالمصنع ؟

3-1 أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى التعرف على الصعوبات والمشاكل التي تواجه مصنع الاعلاف بصرمان وتحد من قدرته على تحقيق النمو المطلوب، من خلال دراسة اهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو بالمصنع محل الدراسة ، ويحاول الباحث من خلال ذلك التوصل إلى الأهداف الآتية :

1- التعرف على الصعوبات والمشاكل التي تواجه مصنع الاعلاف بصرمان وتحدّ من قدرته على تحقيق النمو ، ومحاولة تفاديها وتعميم ذلك على المصانع الليبية المماثلة .

2- اختبار العلاقة بين وظيفة البحث والتطوير و نمو المصنع محل الدراسة.

3- الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات التي قد تساعد مصنع الاعلاف بصرمان على تحقيق النمو والتطور من خلال التركيز على تفعيل وظيفة البحث والتطوير .

4-1 فرضية الدراسة: استناداً إلى طبيعة المشكلة، و تحقيقاً لأهداف الدراسة فقد صاغ الباحث الفرضية الرئيسة الآتية:- "ضعف الاهتمام بوظيفة البحث والتطوير يؤثر سلباً على في تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان ".

5-1 أهمية الدراسة: تتمثل اهمية الدراسة ومبررات القيام بها في الاتي:

1- تكمن أهمية الدراسة في كونها تهتم بمعالجة مشكلة من اخطر المشاكل التي تواجهها المنظمات الصناعية الليبية، وهي ضعف القدرة على تحقيق النمو .

2- بيان أهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو للمنظمات الصناعية.

3- الاستفادة من نتائج هذه الدراسة لتطبيقها على المصانع المماثلة في قطاع الصناعة الليبي.

6-1 متغيرات الدراسة: تتمثل متغيرات الدراسة في الاتي :

المتغير المستقل: وظيفة البحث والتطوير.

المتغير التابع: نمو المنظمة الصناعية.

1-7 منهجية الدراسة: لتحقيق الاهداف المطلوبة من الدراسة اعتمد الباحث على المنهج التالي:
المنهج الوصفي التحليلي : هو المنهج الذي يتيح لنا جمع البيانات والمعلومات عن الظاهرة محل الدراسة و وصف النتائج التي تم التوصل إليها وتحليلها و اختبار صحة الفرضية، باستعمال الأساليب والأدوات الإحصائية في تحليل البيانات ليقيم "اهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان ".

1-8 مجتمع وعينة الدراسة:
مجتمع الدراسة : إن المجتمع الذي استهدفته الدراسة هو المسؤولين بمصنع الاعلاف بصرمان، حيث بلغ عددهم (23) **مسؤول** .
عينة الدراسة : نظرا لصغر حجم مجتمع الدراسة ، ولزيادة دقة النتائج فقد تم الاعتماد على أسلوب المسح الشامل لدراسة جميع مفردات مجتمع الدراسة.

1-9 أدوات الدراسة:
الجانب ألتوثيقي (المكتبي) : وتم من خلال مراجعة الكتب والأبحاث المتوفرة في الدوريات والمواقع بشبكة المعلومات ذات الصلة بموضوعة الدراسة، وكذلك التقارير الصادرة عن المصنع محل الدراسة .
الجانب الميداني : تم الاعتماد على جمع وتحليل البيانات المتصلة بالدراسة ميدانيا بواسطة استمارة الاستبيان ، حيث صممت خصيصا لخدمة موضوع الدراسة ، وتم تحليلها إحصائيا لاختبار صحة فرضيات الدراسة، وذلك باستخدام حزمة البرمجيات الجاهزة SSPS.

1- 10 حدود الدراسة:
الحدود المكانية: مصنع الاعلاف الكائن بمدينة صرمان.
الحدود الزمنية: **تمت الدراسة خلال سنة** (2018).

1- 11 مصطلحات الدراسة:
1- وظيفة البحث والتطوير : عرفت بانها" كل المجهودات المتضمنة تحويل المعارف المصادق عليها إلى حلول فنية في صور أساليب أو طرق إنتاج و منتجات مادية واستهلاكية أو استثمارية".[1]
2- نمو المظمة: " النمو يعني الزيادة و بالتالي فإن نمو المنظمة يعني:[2]
1- الزيادة في حجم المنظمة ،أي الزيادة في عدد العاملين .

---

[1] سعيد وأكيل ،"وظائف و نشاطات المؤسسة الصناعية "، (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992)، ص 113
[2] عمر وصفي عقيلي و قيس عبد المؤمن : " نظرية المنظمة "،(**عمان** : دار زهران للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000)،ص173

2- التوسع في الهيكل التنظيمي ،أي زيادة و توسع عدد و حجم التشكيلات الإدارية.
3- التوسع في استخدام المدخلات في المنظمة .
4- تطور و زيادة الإمكانيات المالية و المادية للمنضمة .

المبحث الثاني : وظيفة البحث والتطوير

1-2 مفهوم وظيفة البحث والتطوير :

تعد وظيفة البحث والتطوير من اهم الوظائف في المنظمات الانتاجية المعاصرة، التي اصبحت تعتمد على التطور التقني بشكل كبير ، فالمنظمة التي لا تستطيع مجاراة هذا التطور المتسارع ، تجد نفسها خارج اطار التنافس في اسواقها ، ويتدنى اداءها بدرجة كبير جدا. وتمثل وظيفة البحث و التطوير مركزا للنشاط ألابتكاري في المنظمة ، وهي مسئولة عن صياغة و تنفيذ السياسة التقنية، التي تهدف إلى الوصول إلى ما يسمى بنقطة الكفاءة التكنولوجية، التي تتكون من نتاج نشاط و بحوث نخبة العلماء و المختصين.

و تعرف وظيفة البحث والتطوير بانه "كل المجهودات المتضمنة تحويل المعارف المصادق عليها إلى حلول فنية في صور أساليب أو طرق إنتاج و منتجات مادية واستهلاكية أو استثمارية"...[1]

كما عرفت ايضا بانها" العملية الابداعية التي تتم على أسس نظامية لزيادة مخزون المعرفة بالإنسان والثقافة والمجتمع واستخدام ذلك المخزون لاستنباط تطبيقات جديدة"[2]

2-2 اهداف وظيفة البحث والتطوير :-

تتضمن وظيفة البحث والتطوير تحقيق ما يلي:[3]

1- تطوير القدرات التنافسية للمنظمة من خلال تطوير المنتج ووسائل الانتاج.
2- مواكبة وقيادة حركة التطور العلمي والتكنولوجي والادائي في المنظمة.
3- تطوير اساليب وانماط الادارة في المنظمة بما يرفع من كفاءتها وفاعليتها.
4- تطوير وظائف المنظمة بما يحقق اهدافها بشكل مستمر.
5- دراسة السوق وامور وقضايا المستهلكين ، وبما ينعكس على عمليات المنظمة الانتاجية .
6- دراسة الاوضاع البيئية المحيطة بالمنظمة ، ومدى تأثيرها على المنظمة من خلال تحديد اتجاهات الاستفادة منها واتجاهات العرقلة للمنظمة.
7- توفير مستلزمات البحث والتطوير في المنظمة من معلومات ومستلزمات تقنية ، بما يسهل اجراء البحوث والتطوير في المنظمة.

2-2 المهام الأساسية لوظيفة البحث و التطوير :- وتتمثل في الاتي : ".[4]

1- اختيار البدائل الفعالة لعملية تطوير التكنولوجيا لاستخدامها في نشاطات المنظمة المختلفة.
2- تطوير و تنمية الإمكانيات الذاتية ، من أجل تنفيذ الخيارات التكنولوجية الجديدة بنجاح .

---

[1] سعيد وأكيل ،"وظائف و نشاطات المؤسسة الصناعية "، مرجع سبق ذكره ، ص 113

[2] كريستوف فريدريك و فون برادن ،"حرب الإبداع – فن الإدارة بالأفكار" ،ترجمة عبد الرحمان توفيق ،مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك، القاهرة ، 2000، ص ص (24-25).

[3] عمر وصفي عقيلي و قيس عبد المؤمن، مرجع سبق ذكره ، ص ص (113-114).

[4] احمد القطامين :"التخطيط الاستراتيجي والإدارة الاستراتيجية- مفاهيم ونظريات وحالات تطبيقي "(عمان : دار مجدلاوي ط1 ،1996)، ص 82

3- تطوير أساليب إبداعية جديدة، لاستخدام التكنولوجيا في تطوير العمليات والانتاج على مختلف الخطوط الانتاجية ، أي عملية استيعاب التقنية الجديدة في الخطوط الانتاجية القائمة.

3-2 دعائم تحفيز الاستثمار في نشاط البحث والتطوير: [1]

يحتاج الاستثمار في نشاط البحث والتطوير إلى عدة دعائم لتحفيزه منها :

1- الموارد البشرية المؤهلة والمدربة تدريباً رفيعاً .

2- البنية المؤسساتية كالجامعات ومراكز البحوث .

3- الموارد المالية والتمويلية الكافية .

4- هيكل السوق:- فكلما كان تنظيم السوق أقرب إلى المنافسة كلما كان محفزا الاستثمار في البحث والتطوير ، وكلما كان أقرب للاحتكار كلما انخفض الحافز للأنفاق على عمليات البحث والتطوير .

5- حماية حقوق الملكية الفكرية:- حيث تشكل هذه الدعامة ، ضمانة التشجيع على مواصلة البحث والتطوير.

6- - المناخ العام للاستثمار ، ويشمل كل الضوابط والإجراءات الحاكمة للاستثمار بصفة عامة والتي يجب أن تكون سهلة ومرنة وشفافة لازدهار نشاط البحث العلمي.

4-2 : معايير تقييم وظيفة البحث والتطوير : ويمكن تحديدها في الاتي: [2]

1- مواصفات مدير البحث والتطوير :- **وتتمثل في الاتي:**

- الاطلاع والإلمام بشؤون التخطيط وبذل جهود معتبرة في التنظيم والتنسيق والتوجيه **والمراقبة .**
- الإشراف على المشروع بكيفية تضمن تحقيق أهداف المنظمة بالدرجة الأولى من خلال **المراقبة والمتابعة للأعمال .**
- الإشراف على الباحثين والافراد المساعدين بعناية وحزم في آن وأحد ،وذلك لأن نشاطات البحث والتطوير تختلف عن النشاطات الأخرى لاعتمادها على الجهد الفكري **بدرجة أكبر .**
- معرفة القدرات الفردية وتشجيعها والمحافظة عليها بكل الوسائل الممكنة .
- الدعم والمساندة لعمليات التجديد والمبادرات الإبداعية الخاصة بعملية الإصلاح والتطوير .

2 - توفر الكفاءة الفنية للعاملين بإدارة البحث والتطوير :- ومن أهم الصفات التي يجب أن تتوفر فيهم هي :

- أن يكتسبوا معارف تقنية عالية .
- أن تكون لديهم مهارات علمية جيدة .
- أن يكونوا قادرين على فهم وتفسير النتائج التي تم التوصل إليها .

---

[1] كريستوف فريدريك و فون برادن ، مرجع سبق ذكره ،ترجمة عبد الرحمان توفيق ،ص (34).

[2] عبد المطلب عبد الحميد ، "دراسات الجدوى الاقتصادية لاتخاذ القرارات الاستثمارية "، (الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ط1، 2000) ، ص 295.

- أن يتمكنوا من الاستعمال الأمثل للمجالات المتخصصة كمصادر هامة للمعلومات .

3- اختيار مشاريع البحث والتطوير :

إن الدقة في اختيار المشاريع عنصر أساسي لنجاح برامج البحث والتطوير، حيث تتوقف هذه الدقة على إشراك جميع مدراء وموظفي وظائف المنظمة سواء وظيفة البحث والتطوير ، او وظيفة الإنتاج ، او وظيفة التسويق ،او وظيفة المالية ، في الوقوف على الإمكانيات والقدرات والطاقات المتاحة لدى المنظمة ، وجميع المعلومات المتعلقة بالمواد الأولية ، تغيير الأسعار ، حجم السوق المتوقع ، شدة المنافسة ، المدة الزمنية ، وكذلك المبالغ المالية اللازمة لإنجاز المشروع .

كما يجب التمييز بين المشاريع القصيرة وطويلة المدى ، فالأولى تصلح عادة لإجراء التحسينات الطفيفة ، بينما تعد الأخرى للقيام بتعديلات كبرى، والاثنان يختلفان من حيث الوقت، والتمويل، ومستوى الأخطار ، وغيرها.

المبحث الثالث: نمو المنظمات

1-3 مفهوم النمو:

تعتمد ظاهرة النمو على القرارات السليمة التي تُتخذ لتجسيد معالمها، وذلك عبر سلسلة مترابطة من الأهداف، وما يتفرع عنها من سياسات و إجراءات. فالنمو يوفر للمنظمة مزايا و منافع و قدرة أكبر على تأمين مدخلاتها و تصريف مخرجاتها، و التفاعل مع المتغيرات البيئية و الوقوف في وجه المخاطر و التهديدات. و لكن ليست جميع المنظمات في نمو مستمر، فبعضها ينمو و يتطور بسرعة فائقة و بدرجة مذهلة، و البعض الآخر عكس ذلك. و بالتالي فالنمو متعدد الأبعاد ،و لا يمكن قياسه إلا إذا اقترن بمتغيرات أخرى، وهذا يتوافق مع تعريف (كمبرلي) للنمو.

لقد عرف (كمبرلي) النمو بأنه ″الزيادة في الطاقة المادية و عدد العاملين و المدخلات و المخرجات و الموارد المادية ".[1]

وتم تعريف النمو بأنه ″حالة صحية و طبيعية في دفع استمرار بقاء المنظمة، بالصورة التي تستفاد و تستثمر نقاط قوتها، و معالجة أو إلغاء نقاط ضعفها، باستخدام إحدى صور النمو، أو الاستفادة من الفرص في البيئة الخارجية، و الابتعاد عن التهديدات باستخدام إحدى صور النمو الخاصة بالاندماج ″. .[2]

---

[1] جون جاكسون و آخرون ،ترجمة خالد زروق وحامد عطية :"نظرية التنظيم –منظور كلى للإدارة"(السعودية : معهد الإدارة العامة ، ط1 ، 1998) ، ص 381.

[2] هشام الغريزي : ″إدارة البقاء – مدخل استراتيجي ″ (عمان : دار الصفاء للنشر و التوزيع ، ط،1998) ، ص 46.

ومن التعريفات الهامة للنمو و كيفية قياسه هو ما عبر عنه كل من عمر وصفي عقيلي و قيس عبد المؤمن بأن النمو يعني الزيادة و بالتالي فإن نمو المنظمة يعني: :[1]

- الزيادة في حجم المنظمة ،أي الزيادة في عدد العاملين .
- التوسع في الهيكل التنظيمي ،أي زيادة و توسع عدد و حجم التشكيلات الإدارية.
- التوسع في استخدام المدخلات في المنظمة .
- تطور و زيادة الإمكانيات المالية و المادية للمنظمة.

و بعد الاطلاع على الجهود السابقة يمكن تعريف النمو بانه عبارة عن الزيادة في تحقيق المؤشرات الآتية :

1- عدد الموارد البشرية في المنظمة بالشكل الذي يتناسب مع نموها .

2- مدخلات و مخرجات المنظمة .

3- حجم الهيكل التنظيمي: و ذلك من خلال زيادة عدد المستويات الأفقية و الراسية.

4- الموارد المالية و المادية : و تتضمن الموجودات، و قيمة المبيعات، و رأس المال، و الدخل الصافي .

وبناء على ما سبق ، يمكن وضع ثلاثة معايير لقياس نمو المنظمة الصناعية من الناحية العملية وفقا للجدول الاتي :

جدول رقم (1) : يبين معايير قياس نمو المنظمة الصناعية

المعايير التنظيمية للنمو	المعايير الاقتصادية للنمو	المعايير التكنولوجية للنمو
- زيادة عدد العاملين بشكل يتناسب مع نمو المنظمة. - توسع عدد المستويات الإدارية والفنية واتساعها بالمنظمة. - النجاح في استقطاب قيادات إدارية وفنية ذات خبرات ومهارات عليا. - الانتشار الجغرافي والحصول على حصص سوقية جديدة.	- زيادة حجم المبيعات . - زياد حجم الإنتاج الإجمالي. - ازدياد أرباح المنظمة. - زيادة الإمكانيات المالية وتنوع مصادر التمويل.	- التوسع في استيعاب واستخدام التكنولوجيا . - التوسع في صناعة منتجات ذات مواصفات ونوعيات جديدة .

المصدر :إعداد الباحث

2-3 دوافع النمو: ومن أهم دوافع النمو ما يلي :[2] :

1 – تحقيق الأمان للمنظمة في حركتها ضمن المجتمع .

2 – تحقيق السمعة الجيدة للمنظمة وبناء صورتها الاجتماعية .

3 – تحقيق القوة للمنظمة في مواجهة قوى المجتمع وقوى الضغط .

[1] عمر وصفي عقيلي و قيس عبد المؤمن :مرجعسبق ذكره ، ص173

[2] عمر وصف عقيلي و قيس عبد المؤمن : مرجعسبق ذكره ، ص ص (173- 176)

4 – الحصول على حصة سوقية أكبر من السوق التوسيع نشاطها وفعالياتها .
5 – زيادة أرباحها من خلال توسيع نشاطها وبرامجها .
6 – السيطرة السوقية لغرض توجيه السوق والتحكم فيه .

3-3سمات النمو: تتمثل سمات النمو في الاتي :

1 – ارتباط النمو بالزيادة الكمية الحاصلة في الأفراد، المدخلات، المخرجات، الهيكل التنظيمي، الأرباح .
2 – النمو يؤدي إلى زيادة كفاءة وفاعلية المنظمة في استخدام واستثمار الموارد المتاحة للمنظمة .
3 – النمو عملية طويلة الأجل ومستمرة ، ولا يرتبط ببعد زمني معين أو محدد .
4 – النمو يعتبر أحد مقاييس الكفاءة والفاعلية في المنظمة .

4-3 متطلبات وظروف نمو المنظمات :

إن نمو المنظمات لا يأتي صدفة و بصورة عشوائية، و لكنه نتيجة قرارات إدارية واعية، لذا ليست جميع المنظمات في نمو مستمر، فبعضها ينمو و يزداد حجمها بسرعة و البعض الأخر تبقى صغيرة. و ترجع أسباب ذلك جزئيا إلى التفاوت في الظروف الداخلية و الخارجية التي تواجهها المنظمات، و التي يمكن توضيحها وفقا للآتي:

الظروف الداخلية المساعدة على النمو :

من الظروف و العوامل الداخلية الهامة التي بتطلبها النمو و تزايد حجم المنظمة ما يلي :[1]

1- توافر موارد فائضة وغير مستغلة : يتطلب النمو الناجع أن تمتلك المنظمة الموارد الداخلية مثل القوى البشرية، ورأس المال، والمعدات، والأجهزة والخبرة الإدارية وغيرها، ولكن الأهم من ذلك هو أن تكون بعض هذه الموارد فائضة وغير مستغلة جيدا، حتى يكون بالإمكان تخصيصها لأغراض النمو والتوسع. وهنالك أسباب قوية تدفع المنظمات إلى عدم استغلال جميع مواردها و إبقاء بعضها فائضة، إذ ليس من السهل تحقيق توازن أمثل بين الموارد. كما أن الطبيعة الموسمية للطلب على بعض المنتجات تؤدي إلى وجود موارد فائضة، وأن المديرين يبحثون دوما عن طرق لاستغلال هذه الموارد، ومن بين هذه الطرق القيام بأنشطة جديدة ، وهذه تمثل توسعا و نمو في المنظمة .
2- تواجد موارد مستغلة أكثر من طاقتها: فالاستخدام الزائد يحفز المديرين على السعي لإضافة موارد جديدة، و هذه بدورها قد لا تستغل جميعها، مما ينتج عن ذلك موارد فائضة تدفع المديرين للبحث عن أنشطة لاستغلال هذه الموارد .
3- حوافز النمو: تحرص المنظمة على النمو وزيادة حجمها إذا ما كانت لديها حوافز قوية للنمو، و هذه الحوافز قد تكون اقتصادية و نفسية واستراتيجية. ومن الحوافز الاقتصادية التي تشجع النمو: زيادة الأرباح، تخفيض تكلفة المنتج، وزيادة العائدات. أما الحوافز النفسية فتشمل دوافع المديرين و حاجاتهم للإنجاز أو القوة أو المكانة و تحقيق الذات، والعوائد المالية و الشهرة و المخاطرة.

و فيما يتعلق بالحوافز الاستراتيجية فتتضمن محاولة المنظمة تحقيق الاحتكار، والاستقرار، والبقاء. فالمنظمات تسعى من خلال النمو و التوسع إلى تجنب المنافسة و تحقيق وضع احتكاري ، و السيطرة على البيئة، و تقليص الاعتماد على الموردين وتقليص مخاطر عدم التأكد .

(1) حسين حريم . حسين حريم :"إدارة المنظمات –منظور كلي"(عمان :دار الحامد للنشر والتوزيع،ط1، 2009)، ص 159.

الظروف الخارجية المساعدة على النمو :

تواجه المنظمات كثيرا من الظروف الخارجية التي لا تملك السيطرة عليها، و بعض هذه الظروف تمثل فرصا توفرها البيئة، و تسعى المنظمات لاستغلالها ،و من أهم هذه الظروف ما يلي: :[1]

1- تزايد حجم الطلب على المنتج .
2- زيادة دخل الفرد.
3- الانتعاش الاقتصادي.
4- التقدم التقني الذي يساعد على الإنتاج الكبير .
5- الإبداعات التي يمكن استغلالها و تطبيقها.

هذا و لا يجب أن يغيب عن الذهن أنه قد تنشأ ظروف غير مواتية، بل معوقات خارجية للنمو، ينبغي التغلب عليها مثل المنافسة الشديدة، و حقوق الملكية و الاختراع، وصعوبات الحصول على المواد الخام، و الكفاءات و المهارات المتخصصة، و الموارد المالية.

5-3 النموذج العام لنمو المنظمات الصناعية:

تواجه المنظمات في بداية تكوينها العديد من المسائل في آن واحد ، إذ يتعين عليها أن تكون قادرة على إنجاز الأعمال ، وفي نفس الوقت قادرة على بناء الهياكل التنظيمية. ويعتمد بقاء المنظمة بحالة جيدة على كيفية أدائها لمهامها بصورة مثلى .

إن عملية نمو المنظمات في إطارها الشامل تعني تطور المنظمات عبر الزمن حجماً وأداء ، و من خلال المراحل الموضحة يشير هذا النموذج إلى أن المنظمات تمر بثلاث مراحل للنمو، كما هو مبين في الشكل الآتي :[2]

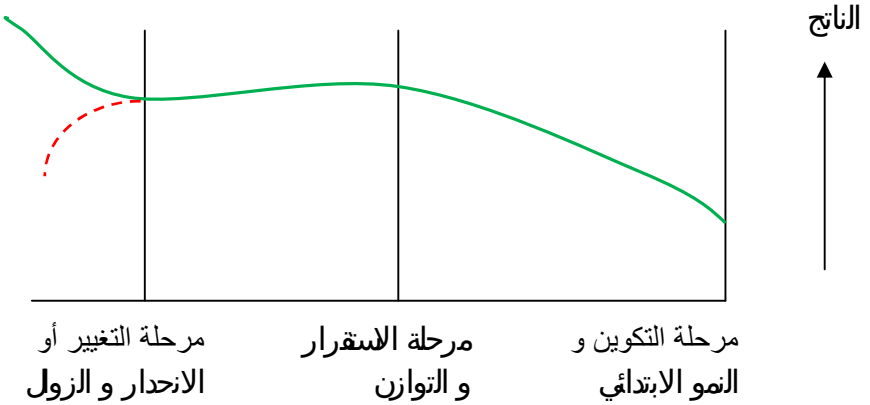

(1): النموذج العام لنمو المنظمات

المصدر : جون جاكسون و آخرون ، مرجعسبق ذكره ،ص 56

يوضح الشكل السابق، مراحل نمو المنظمات، وفقا للنموذج العام للنمو الذي اعتمدت عليه نماذج النمو الأخرى ، كما و يوضح هذا النموذج أن المنظمات تمر بثلاث مراحل للنمو هي :

---

(1) حسين حريم : "إدارة المنظمات – منظور كلي ": مرجعسبق ذكره ص 160

(2) حسين حريم ، جون جاكسون و آخرون :"نظرية لتنظيم – منظور كلي للإدارة " مرجعسبق ذكره ،ص 566

1- مرحلة التكوين و النمو الابتدائي: و في هذه المرحلة يزداد الإنتاج، و ذلك لاهتمام المنظمات بإنجاز مهامها في السنوات الأولى.
2- **مرحلة الاستقرار و التوازن**: و في هذه المرحلة يتصف الإنتاج بالثبات.
3- مرحلة التغيير أو الانحدار و الزوال: و هذه المرحلة ليست حتمية، فهي حينما تعجز المنظمة عن التأقلم أو التغيير للمحافظة على نموها . و بذلك تواجه الانحدار و **الزول**. وهذه المرحلة ليست حتميه . وهي حينما تعجز المنظمة عن التأقلم أو التغيير لتحافظ على نموها ، وبذلك تواجه **الانحدار والزول** .الامر الذي يحتم على المنظمات أن تتأقلم أو تتغير من خلال دراسة جميع العوامل البيئية ، سواء الداخلية أو الخارجية وذلك لمعرفة نقاط القوة واستثمارها ، ونقاط الضعف ومعالجتها والتغلب عليها ، وكذلك بالنسبة للبيئة الخارجية ، يجب اقتناص الفرص والاستفادة منها ، والتنبه للتهديدات ،و الابتعاد عنها . وذلك حتى تتمكن المنظمات من المحافظة على بقاءها ، ونموها ، وتجنب الوقوع في دروب الفشل والزوال .

المبحث الرابع : الدراسة العملية

1-4 نبذة عن مصنع الاعلاف بصرمان:

1- النشأة و التأسيس :- تم إنشاء مصنع الاعلاف بمدينة صرمان، حيث تم التعاقد على انشائه بين مؤسسة التصنيع وشركة جينيرال ديزاين الايطالية (G-D)**سنة** 1974م ، بقيمة اجمالية قدرها 5 مليون دينار ليبي ، حيث بدأت تجارب التشغيل بتاريخ 1-1-1977م ، وبطاقة انتاجية قدرها 10**طن**/**ساعة** .
2- **الموقع:-** يقع مصنع الاعلاف بمدينة صرمان ، وعلى بعد 56 كم غرب مدينة طرابلس، على **مساحة تقدر بحوالي** 9 هكتارات .
3- **التبعية الادارية :-** يتبع مصنع اعلاف صرمان الشركة الوطنية **للمطاحن والاعلاف ، بحكم** قرار ايلولته اليها مع تاريخ بداية الانتاج المبين اعلاه.
4- **عدد العمالة :-** يعمل بالمصنع عدد (69) موظف جميعهم ليبيين ،موزعين على مختلف التخصصات بالمصنع ، ويتم العمل بنظام ورديتي عمل يوميا ، بمعدل 16**ساعة** .
5- **منتجات المصنع :-** تتمثل منتجات المصنع في الانواع الاتية:

- اعلاف الابقار .
- اعلاف الاغنام.
- اعلاف الدواجن.

ويتم تصنيع هذه الانواع حسب برنامج التشغيل ، وحسب الاحتياجات ، وتوفر المواد الخام المحلية، او المستوردة.
6- **الهيكل التنظيمي للمصنع:-** يتم العمل بالمصنع وفقا للهيكل الوظيفي ، حيث يتضمن المكاتب والاقسام والوحدات التي يمكن توضيحها كما يلي:
1- **مدير المصنع .**
2- **عدد (6) مكاتب هي :** مكتب المراجعة الداخلية ، مكتب النظم والمعلومات ، مكتب المبيعات **، مكتب الخدمات العامة ، مكتب الامن الصناعي والسلامة العامة ، مكتب الخدمات العامة ،** مكتب التحليل **وضبط الجودة**.

3- عدد (5) اقسام ،هي :

- **قسم الشؤون الادارية :-** ويشرف على 3 **وحدات.**
- **قسم الشؤون المالية :-** ويشرف على 4 **وحدات.**
- **قسم الانتاج والتشغيل :-** ويشرف على 3 **وحدات.**
- **قسم الصيانة :-** ويشرف على 3 **وحدات.**
- **قسم المخازن والصوامع والظل :-** ويشرف على 3 **وحدات.**

وبالتالي يكون عدد الوظائف بالمصنع هو (28) وظيفة، موزعة بين المستويات الادارية الثلاثة (العليا – **الوسطى** – الدنيا).

2-4 تصميم أداة الدراسة :- اعتمد الباحث على استمارة الاستبيان للحصول على البيانات التي تساعده في اختبار فروض الدراسة، حيث قام بتصميم استمارة الاستبيان، **وللتحقق من صدق** استمارة الاستبيان، تم استخدام طريقة صدق المحتوى بأسلوب صدق المحكمين، حيث ثم عرض الاستبيان مرفقا بخطة الدراسة على مجموعة من الأساتذة المتخصصين، وقد تم إدخال بعض التعديلات على بنود الاستبيان على ضوء ملاحظاتهم واقتراحاتهم. وبعد عملية التحكيم **أصبحت** استمارة الاستبيان تضم أربعة أجزاء رئيسية هي :

الجزء الأول : ويمثل (5) **أسئلة حول الخصائص العامة المتعلقة بأفراد مجتمع الدرلسة.وقد تم** الإشارة إليها بالرموز من **(A5-A1)**

الجزء الثاني : يهدف هذا الجزء إلى التعرف على درجة اهتمام مفردات مجتمع الدراسة بتحليل متغيرات وظيفة البحث والتطوير في المصنع محل الدراسة، وتمثلها (8) فقرات تم الإشارة إليها **بالرموز** (B1- B8).

الجزء الثالث: يهدف هذا الجزء إلى التعرف على درجة اهتمام مفردات مجتمع الدراسة بتحقيق **النمو للمصنع محل الدرلسة،** وقد تم تقسيم هذا الجزء كما يلي:

1- درجة الاهتمام بتحقيق المعايير التنظيمية للنمو : وتمثلها (4) فقرات تم الإشارة إليها بالرموز (C4 – C1) .

2- درجة الاهتمام بتحقيق المعايير الاقتصادية للنمو : وتمثلها (4) فقرات تم الإشارة إليها **بالرموز** (D1- D 4)

3- درجة الاهتمام بتحقيق المعايير الفنية : **وتمثلها** (2) فقارتان تم الإشارة اليها بالرموز (E2- E1) .

وتكون الإجابة على فقرات الاستبيان وفقا لمقياس لكارت الخماسي، وقد اعطي لكل مستوى رقم كما يلي: **منخفضة جدا** (1)، **منخفضة** (2)، **متوسطة**(3) ، عالية(4) ، عالية جد(5). **وبالتالي** يكون متوسط درجة الإجابات = 3، بحيث يمكن القياس عليه، فمثلا إذا كان متوسط درجة الإجابة تزيد معنويا عن 3 فيدل على ارتفاع درجة الاهتمام .

3-4 الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة :- لقد تناول الباحث تحليل البيانات بعدة أساليب إحصائية، باستخدام حزمة البرامج الاحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS) ، وذلك لتأكيد نتائج الدراسة وهذه الأساليب هي:

1- **اختبار كرو نباخ الفا**(Cronbach's Alpha) **للصدق والثبات.**

2- التوزيع التكراري النسبي.

3- تحليل الانحدار.

4-4 مجتمع الدراسة وخصائصه الديموغرافية :

4-4-1 مجتمع الدراسة: تمثل مجتمع الدراسة في جميع المسئولين أو القيادات الإدارية (مدير المصنع– مدراء المكاتب – رؤساء الأقسام – رؤساء الوحدات) بمصنع الاعلاف بصرمان ، وذلك لأن تفعيل وظيفة البحث والتطوير من اجل تحقيق النمو للمصنع محل الدراسة ،هي من مسئوليات القيادات الإدارية بمصنع الأعلاف بصرمان. وبلغ حجم مجتمع الدراسة (28) مفردة، وقد تم استخدام أسلوب المسح الشامل لجمع البيانات، حيث تم توزيع استمارة الاستبيان على جميع مفردات مجتمع الدراسة، عن طريق الاتصال المباشر بأفراد مجتمع الدراسة، وذلك من اجل توضيح بعض المفاهيم الواردة في استمارة الاستبيان وطريقة ملء الاستمارة. وبعد فترة تم الحصول على عدد (25) ، وبالتالي يكون الفاقد (3) استمارات وذلك لعدم تجاوب أصحابها في إعطاء البيانات والمعلومات، وعدد الاستمارات المستبعدة لعدم اكتمال إجاباتها هو (2) ، وبالتالي فان عدد الاستمارات التي خضعت للدراسة هو (23) استمارة، ويمثل نسبة 82.14 % من حجم مجتمع الدراسة، وهي نسبة عالية ، يمكن الاعتماد عليها بثقة كبيرة في تمثيل مجتمع الدراسة.\

4-4-2 الخصائص الديموغرافية لمفردات مجتمع الدراسة : يمكن توضيحه وفقا للاتي :

جدول رقم (2) يبين التوزيع التكراري والنسبي المئوي لمفردات مجتمع الدراسة حسب الجنس و الوظيفة

ت	الجنس	التكرار	النسبة %
A1	ذكور	20	86.9
	إناث	3	13.1
	الفئة العمرية	التكرار	النسبة %
A2	اقل من30سنة	6	26.1
	من 30إلي اقل من 40سنة	10	43.5
	من 40 الى اقل من 50سنة	4	17.4
	من 50سنةفمافوق	3	13.0
	المستوى الوظيفي	التكرار	النسبة %
A3	مدير عام	1	4.3
	مدير مكتب	6	26.1
	رئيس قسم	5	21.7
	رئيس وحدة	11	47.8
	المؤهل العلمي	التكرار	النسبة %
A4	دبلوم متوسط أو ما يعادله	16	69.6
	مؤهل جامعي	7	30.4
	ماجستير أو دكتوراه	0	0.0
	سنوات الخبرة	التكرار	النسبة %
A5	اقل من 5سنوات	4	17.4
	من 5 إلي اقل من 10سنوات	14	60.9
	من 10سنواتفمافوق	5	21.7
المجموع		23	%100

المصدر : استمارة الاستبيان

من خلال الجدول (2) السابق نلاحظ الاتي:

- معظم مفردات مجتمع الدراسة من الذكور، مما يبين ضعف مشاركة المرأة في المهام القيادية بمصنع الاعلاف بصرمان، حيث بلغت نسبة مشاركتهن **13.1%.**
- اغلب القيادات الادارية بمصنع الاعلاف بصرمان هم من العناصر الشابة ، حيث بلغت نسبة الذين تقل اعمارهم عن 40سنة 76%.
- المستويات الإدارية لإفراد مجتمع الدراسة متنوعة وتتوزع بشكل طبيعي، وهذا يساعد في الوصول إلى جمع معلومات وبيانات يمكن الاعتماد عليها في التحليل.
- معظم مفردات مجتمع الدراسة من الحاصلين على دبلوم متوسط أو ما يعادله ويمثل نسبة 69.6 % ، ثم يليها الحاصلين على مؤهل جامعي بنسبة 30.4% ، في حين تبين عدم وجود حملة المؤهلات العالية كالدكتوراه أو الماجستير ، ويتضح مما سبق أن المؤهلات العلمية لإفراد مجتمع الدراسة متوسطة.
- أغلب مفردات مجتمع الدراسة خبرتهم من 5 **إلي اقل من** 10 سنوات ، ويمثل نسبة 60.9% ، ثم يليه مما خبرتهم **من** 10 سنوات فما فوق ويمثل نسبة 21.7% ، ثم يليه مما خبرتهم من اقل من 5 سنوات ويمثل نسبة 17.4% من جميع مفردات المجتمع ، مما يبين ان خبرة المسؤولين في المستشفى محل الدراسة متوسطة

5-4 التوزيع التكراري والنسبي المئوي لمتغيرات الدراسة:

1-5-4 وظيفة البحث والتطوير (المتغير المستقل).

نلاحظ من خلال الجدول رقم (3) المبين ادناه أن إجابات مفردات مجتمع الدراسة حول درجة الاهتمام بالعوامل المتعلقة بوظيفة البحث والتطوير لمصنع الاعلاف بصرمان تتراوح بين المنخفضة والمتوسطة وإن كان أغلبها منخفضة ، مما يدل على ضعف الاهتمام بوظيفة البحث والتطوير ، الأمر الذي اثر سلبا على قدرة المصنع محل الدراسة على تحقيق النمو المطلوب، لان تحقيق النمو يتطلب درجة اهتمام عالية بجميع العناصر المكونة لوظيفة البحث والتطوير ، وهذا لم يتحقق في مصنع الاعلاف بصرمان ، الامر الذي يؤكد المشكلة و يتوافق مع الشطر الاول من الفرضية الرئيسة للدراسة ويثبت صحتها.

جدول (3) يبين التوزيع التكراري والنسبي المئوي لإجابات مفردات العينة على العناصر المكونة لمتغير موارد البحث والتطوير ودرجة الاهتمام بتحليلها حسب أسلوب التوزيع النسبي.

رم	البيان	الفئة	عالية جدا	عالية	متوسطة	منخفضة	منخفضة جدا	درجة الاهتمام
B1	إجراء البحوث العلمية و تطويرها.	التكرار	0	0	5	8	10	منخفضة جدا
		النسبة%	0.0	0.0	21.7	34.8	43.5	
B2	توفر الإمكانات المالية لإجراء البحوث والتطوير .	التكرار	0	0	10	9	4	متوسطة
		النسبة%	0.0	0.0	43.5	39.1	17.4	
B3	تطوير و تنمية الإمكانات الذاتية لاستيعاب و تشغيل التكنولوجية الحديثة.	التكرار	0	0	16	7	0	متوسطة
		النسبة%	0.0	0.0	69.6	30.4	0.0	
B4	استقطاب التكنولوجيا لتطوير خطوط الإنتاج. اختيار البدائل الملائمة لتطوير التكنولوجية المستخدمة .	التكرار	0	1	13	9	0	متوسطة
		النسبة%	0.0	4.3	56.6	39.1	0.0	
B5	استيعاب نتائج البحث والتطوير والاستفادة منها. وجود كفاءات ومؤهلات عالية في مجال البحث و التطوير.	التكرار	0	0	6	12	5	منخفضة
		النسبة%	0.0	0.0	26.1	52.2	21.7	
B6	مدى الاهتمام بالدورات التدريبية في مجال البحث والتطوير. استقطاب التكنولوجيا لتطوير خطوط الإنتاج.	التكرار	0	2	5	9	7	منخفضة
		النسبة%	0.0	8.8	21.7	39.1	30.4	
B7	اختيار البدائل الملائمة لتطوير التكنولوجية المستخدمة . استيعاب نتائج البحث والتطوير والاستفادة منها.	التكرار	0	2	5	15	1	منخفضة
		النسبة%	0.0	8.8	21.7	65.2	4.3	
B8	وجود كفاءات ومؤهلات عالية في مجال البحث و التطوير.	التكرار	0	1	7	12	3	منخفضة
		النسبة%	0.0	4.3	30.4	52.2	13.1	

المصدر : استمارة الاستبيان

2-5-4 نمو المصنع (المتغير التابع):

من خلال الجدول (4) المبين ادناه نلاحظ أن إجابات مفردات مجتمع الدراسة حول درجة الاهتمام بتحقيق المعايير اللازمة لنمو المصنع محل الدراسة، تتراوح بين المنخفضة والمتوسطة ،وإن كان أغلبها منخفضة ، وهذا يدل على ضعف اهتمام القيادات الإدارية بمصنع الاعلاف بصرمان بالمعايير اللازمة لتحقيق النمو ، الأمر الذي ادى إلي ضعف قدرة المصنع محل الدراسة على النمو ، لان تحقيق النمو يتطلب درجة اهتمام عالية بجميع المعايير ، سواء التنظيمية، او الاقتصادية ، او الفنية وهذا لم يتحقق في المصنع محل الدراسة ، الامر الذي يؤكد المشكلة و يتوافق مع الشطر الثاني من فرضية الفرعية الدراسة ويثبت صحتها.

جدول (4) يبين التوزيع التكراري والنسبي المئوي لإجابات افراد مجتمع الدراسة على المعايير المكونة لمتغير النمو ودرجة الاهتمام بتحققها حسب أسلوب التوزيع النسبي .

رم	البيان	الفئة	عالية جدا	عالية	متوسطة	منخفضة	منخفضة جدا	درجة الاهتمام
C1	زيادة عدد العاملين بشكل يتناسب مع نمو المصنع .	التكرار	0	1	14	8	0	متوسطة
		النسبة%	0.0	4.3	60.9	34.8	0.0	
C2	توسع و لتساع عدد المستويات و الأقسام الإدارية والفنية بالشركة.	التكرار	0	0	15	7	1	متوسطة
		النسبة%	0.0	0.0	65.2	30.4	4.3	
C3	النجاح في استقطاب قيادات إدارية و فنية ذات خبرة و مهارات عالية.	التكرار	0	1	7	13	2	منخفضة
		النسبة%	0.0	4.3	30.4	56.5	8.8	
C4	الانتشار الجغرافي و الحصول على حصص سوقية جديدة.	التكرار	0	1	16	5	1	متوسطة
		النسبة%	0.0	4.3	69.7	21.7	4.3	
D1	زيادة الإمكانيات المالية و تنوع مصادر التمويل.	التكرار	0	2	5	9	7	منخفضة
		النسبة%	0.0	8.8	21.7	39.1	30.4	
D2	زيادة حجم المبيعات.	التكرار	0	0	8	11	4	منخفضة
		النسبة%	0.0	0.0	34.8	22.2	17.4	
D3	زيادة حجم الإنتاج الإجمالي .	التكرار	0	2	5	15	1	منخفضة
		النسبة%	0.0	8.8	21.7	65.2	4.3	
D4	ازدياد أرباح المصنع.	التكرار	0	1	4	12	6	منخفضة
		النسبة%	0.0	4.3	17.4	52.2	26.1	
E1	التوسع في استيعاب و استخدام التكنولوجيا.	التكرار	0	0	6	12	5	منخفضة
		النسبة%	0.0	0.0	26.1	52.2	21.7	
E2	التوسع في صناعة منتجات ذات مواصفات ونوعيات جديدة .	التكرار	0	1	12	10	0	متوسطة
		النسبة%	0.0	4.3	52.2	43.5	0.0	

المصدر: استمارة الاستبيان

6-4 اختبار الفاكرو نباخ (Cronbach's Alpha) للصدق والثبات:

نلاحظ من الجدول (5) ادناه، أن قيمة معامل الفا كرو نباخ حول العناصر المكونة لجميع متغيرات الدراسة تتراوح بين (0.767 - 0.821) وهي قيم مرتفعة (اكبر من 0.75) ، مما يدل علي وجود ارتباط قوي بين إجابات مفردات مجتمع الدراسة حول درجة الاهتمام بوظيفة البحث والتطوير ، وجميع معايير تحقيق النمو، الامر الذي يعزز الثقة والثبات والمصداقية في نتائج التحليل الاحصائي للدراسة.

جدول رقم (5) يبين درجة نتائج اختبار الفا كرو نباخ حول العناصر المكونة لمتغيرات الدراسة.

ر.م	متغيرات الدراسة	عدد العناصر	الفا كرو نباخ
1	وظيفة البحث والتطوير	8	0.767
2	نمو المصنع محل الدراسة	10	0.821

المصدر : استمارة الاستبيان

6-4 تحليل الانحدار واختبار فرضية الدراسة: لاختبار فرضية الدراسة تم استخدام الانحدار الخطي
كطريقة ملائمة لتحليل فرضية الدراسة، وذلك وفقا للاتي:
فرضية الدراسة : "ضعف الاهتمام بوظيفة البحث والتطوير يؤثر سلباً على تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان "

جدول (6) يبين نتائج انحدار نمو المصنع كمتغير تابع على وظيفة البحث والتطوير كمتغير مستقل.

	وظيفة البحث والتطوير
نمو المصنع محل الدراسة	0.659
معامل التحديد R2	0.435
إحصائي اختبار F	86.056
مستوى المعنوية	0.000
إحصائي اختبار t	9.277
مستوى المعنوية	0.000
الخطأ المعياري Durbin-Watson	1.799

المصدر : استمارة الاستبيان

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن نسبة التباين= 43.5% ، و نستنتج أيضا أن ثابت الانحدار هام وايجابي (β=0.659 p=0.000<0.05) مما يشير إلى وجود علاقة طردية (**موجبة**) بين نمو المصنع محل الدراسة ، و وظيفة البحث و التطوير، كمتغير مستقل ، الأمر الذي يؤدي إلي

قبول فرضية الدراسة التي تنص " ضعف الاهتمام بوظيفة البحث والتطوير يؤثر سلباً على تحقيق النمو لمصنع الاعلاف بصرمان ".

4-7 نتائج الدراسة :

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- ضعف درجة اهتمام القيادات الإدارية بمصنع الاعلاف بصرمان بدراسة و تحليل العوامل المكونة لوظيفة البحث والتطوير ،ونجد ذلك من الجدولين (3،6)، **الامر الذي أدى إلى** ضعف الاداء في وظيفة البحث والتطوير بالمصنع محل الدراسة، وجعله غير قادر على تحقيق النمو المطلوب.

2- ضعف درجة اهتمام القيادات الإدارية بمصنع الاعلاف بصرمان بدراسة و تحليل متطلبات ومعايير تحقيق النمو، ونجد ذلك من الجدولين (4 ،6)، **أدى إلى ضعف قدرة المصنع محل** الدراسة على النمو والتطور، بالرغم من مضي عدة سنوات على تأسيسه.

3- من النتيجتين (1،2) تبين ان جميع العناصر المكونة لمعايير تحقيق النمو للمصنع محل الدراسة ، تمثل نقاط ضعف ، وخصوصا عناصر المعايير التي كانت درجة الاهتمام بتحققها **منخفضة**.

4- من النتيجتين (1،2) تبين ان جميع العناصر المكونة لوظيفة البحث والتطوير للمصنع محل الدراسة ، تمثل نقاط ضعف ، وخصوصا العناصر التي كانت درجة الاهتمام بها منخفضة ، **ومنخفضة جدا**.

5- وجود علاقة طردية (**موجبة**) بين نمو مصنع الاعلاف بصرمان كمتغير تابع و وظيفة البحث والتطوير كمتغير مستقل، حيث أن ثابت الانحدار هام وايجابي ($\beta=0.659$ $p=0.000<0.05$) **ونجد ذلك من الجدول** (6) والنتيجتين (1،2). وهذه النتيجة تتفق مع فرضية الدراسة وتثبتها.

6- **من النتائج** (1- 5) السابقة تبين ضعف معرفة و ادراك القيادات الادارية بمصنع الاعلاف بصرمان، لأهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تحقيق النمو للمصنع.

4-8 توصيات الدراسة:- وفقا للنتائج التي تم التوصل اليها ، توصلت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

1- الاهتمام بدراسة وتحليل جميع العوامل المكونة لوظيفة البحث والتطوير ، الامر الذي يؤدي الى تمكين المصنع محل الدراسة من القدرة على النمو والتطور.

2- زيادة الاهتمام بدراسة و تحليل جميع المعايير اللازمة لتحقيق النمو للمصنع محل الدراسة، سواء المعايير التنظيمية ، او المعايير الاقتصادية ، او المعايير الفنية ، الامر الذي يعزز قدرة المصنع محل الدراسة على تحقيق النمو المنشود.

3- الاهتمام بتدريب القيادات الادارية بمصنع الاعلاف بصرمان ، من اجل توعيتهم وزيادة معارفهم بأهمية دور وظيفة البحث والتطوير في تمكين المصنع من تحقيق النمو .

4- تشجيع المصنع محل الدراسة على عقد الندوات ، والورش ، و الحلقات العلمية التي من

شانها ان تساهم في تسليط الضوء على اهمية الانفاق على نشاط البحث والتطوير ، وتفعيل دور وظيفة البحث والتطوير بالمصنع محل الدراسة ، حتى يتسنى له مواكبة التطورات المتعلقة بظاهرة النمو التنظيمي.

9-4 مراجع الدراسة :

1-9-4 الكتب العربية:

1- احمد القطامين :"التخطيط الاستراتيجي والإدارة الاستراتيجية- مفاهيم ونظريات وحالات تطبيقي "(عمان : دار مجدلاوي ط1 ،1996)،
2- حسين حريم . حسين حريم :"إدارة المظمات –منظور كلي"(عمان :دار الحامد للنشر والتوزيع،ط1 ،2009).
3- سعيد وأكيل ،"وظائف و نشاطات المؤسسة الصناعية "، (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992)
4- عبد المطلب عبد الحميد ، "دراسات الجدوى الاقتصادية لاتخاذ القرارات الاستثمارية "، (الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ط1، 2000) .
5- عمر وصفي عقيلي و قيس عبد المؤمن : " نظرية المنظمة "،(عمان : دار زهران للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2000)،
6- هشام الغريزي : ″إدارة البقاء – مدخل استراتيجي ″ (عمان : دار الصفاء للنشر و التوزيع ، ط،1998).

2-9-4 الكتب الأجنبية المترجمة:

1- جون جاكسون وآخرون ،ترجمة خالد زروق وحامد عطية "نظرية التنظيم –منظور كلي "(السعودية :معهد الإدارة العامة ط1، 1998).
2- كريستوف فريدريك و فون برادن ،"حرب الإبداع – فن الإدارة بالأفكار" ،ترجمة عبد الرحمان توفيق ،مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك، القاهرة ، 2000.

The Role of Teaching Reading Comprehension in Enhancing the Quality of English Education in the Libyan ELT context

PhD Abed Abubkr Aloreibi, PhD Abdul Alsalm Elraggas,

The University of AjdabiyaThe University of Benghazi

The Faculty of ArtsThe Faculty of Arts, Sluig campus

The Department of English The Department of English

Abstract

This research discusses the reading comprehension skill as an important aspect of learning English. The importance, principles, and major methods of teaching reading are firstly discussed. The Communicative Language Teaching Method (CLTM) is mainly investigated as one of the most effective methods for teaching reading (Holliday, 1994; Savignon, 1991; Thompson; 1996). Other methods such as the Grammar Translation Method (GTM), the Direct Method (DM) and the Analytical Method (AM) are also discussed to examine their suitability for teaching reading. This important skill (the reading skill) is then discussed with regard to how it is used and dealt with in the Libyan ELT context. For this particular purpose, the researchers observed a number of English reading classes in the Libyan ELT context in Ajdabiya. The researchers then reviewed some of the precedent related works of other researchers. They then discussed their observations in light of this previously conducted work in the western regions of Libya, reported the findings and drew their recommendations.

Background of the study

As we know, there are four language skills, which are listening, speaking, reading and writing. Reading is one of these important language skills that language teachers and learners should take advantage of reading comprehension is one of the major courses that are used for teaching English as a second language (Harmer, 2007). In this research, the importance, principles, and the methodology of teaching reading comprehension will be the focal points. This discussion will then be used to highlight the extent to which this important skill of learning English is worked on in the Libyan English Language Teaching (ELT) context.

Purpose of the study

This study aims mainly to discuss the importance of reading in improving the English capacities of EFL learners.It also aims to investigate how reading comprehension is globally taught (at least theoretically) and how it is taught in the Libyan ELT context.

Methodology

To achieve the main goal of this research, the importance, principles, and major methods of teaching reading are firstly discussed. The Communicative Language Teaching Method (CLTM) is mainly investigated as the most effective method for teaching reading(Holliday, 1994; Savignon, 1991; Thompson; 1996). This important skill is then discussed with regard to how it is used and dealt with in the Libyan ELT context. The researchers observed a number of English reading classes in the Libyan ELT context in Ajdabiya. They then reviewed some of the related precedent works of other researchers. They then led a comparative discussion between their observations and the previously conducted work in the western regions of Libya, reported the findings and drew their recommendations.

What is reading?

Reading has been defined by many scholars and everyone has their own definition. For example, Nunan (2003) defined reading as "*a fluent process of readers combining information from a text and their own background knowledge to build meaning*" (p.68). He also emphasized that the aim of reading is comprehension, and considered the strategic reading as an ability for readers to employ techniques to achieve a purpose of reading. He demonstrated that "*the text, the reader, fluency, and strategies combined together define the act of reading*" (p.68). In it's broad sense, reading is defined as "*the process by which people gain information and ideas from books, newspapers, manuals, letters, contracts, advertisements and host of other materials*" (Ogle&Blachowicz, p. 7).

Reading plays a vital role in language acquisition since it can develop learners' vocabulary and provides insights about the grammatical structures. Moreover, it helps learners understand different combinations of sentence patterns.Another definition brought by Lee who says that "… *second language reading comprehension dialogic and dialectic processes between the reader, the text, and the imagined author*" (p.222).

Global remarks on teaching reading

Teaching reading comprehension requires English teachers to consider several aspects to succeed in the teaching process. They should find out what learners are able to do and what they are not able to do. Teachers have a responsibility to improve their learners' reading skills. For example,teachers have to improve their learners' skimming and scanning. Teachers have also to teach their learners' cohesive devices and contextual clues so they can predict while reading. This helps to augment their reading abilities (Nunan, 2001).

There are many activities teachers can use in their classrooms to make their learners practice skimming skills.For example, they can be ging by asking what the main points of the text are and which topics within the reading passage they are dealing with.For encouraging some further interactive reading activities in the classroom, teachers can also ask their learners some questions about the events and main characters before they start reading. Scanning and skimming are significant techniques that English learners should master. Besides, they save time and allow

readers to choose passages that fit their interests (Richards & Rodgers, 2001; Robertson & Acklam, 2000).

While teaching reading comprehension, teachers should demonstrate cohesive devices and teach their learners how to identify these devices. Teachers should also teach their learners how to infer words from the context since context plays a fundamental role in improving reading comprehension skills (Kim, 2002).Learners need to develop the habit of reading for pleasure (Harmer, 2007). For this particular purpose, teachers should make their courses interesting and more engaging.This can be done, for instance, by selecting different sources and interesting topics that fit the learners' interests such as short stories, which are related to target culture. Cultural reading passages provide more information about the target culture and therefore retain the learners' attention and interest (Lado, 1961).

Thus, reading texts that represent the real culture of the target language is very important part of foreign language learning. It assists in developing all other language skills. Lado (1961) puts it "… *reading in a foreign language consists of grasping meaning in that language through its written representation*" (p. 223).

There is a number of abilities that learners of foreign languages should have in order to improve their language learning in an effective manner.For instance, learners needs to master the language and graphic symbols. This involves comprehending a large percentage of the lexical items occurring in non-specialized writing and being able to derive the meaning of unfamiliar items.Understanding the syntactical patterns and morphological forms and characteristics of the written language and following the longer and more involved stretches of language is also among the abilities that the learners should have. They should be able to respond correctly to the graphic symbols of writing (e.g.punctuation, capitalization, paraphrasing, and italicizing) used to convey and clarify meaning. The learners should also be able to identify the writer's purpose and central idea(s) and further understand the subordinate ideas, which support the thesis. They should be trained to draw correct conclusions and valid inferences from what is given. Throughout the author's writing style and attitude towards the subject and the reader, the learners should be able to understand the tone and have a clear idea about his own point of view even if it is not clearly stated in the writing. Skillful learners can also identify the methods and stylistic devices which the writer uses to convey the message or defend a particular point of view, for example (Harris, 1969) .

Principles for Teaching Reading Comprehension

There are many principles that teachers should use when they teach reading such as exploit the readers' background knowledge**.** Nunan (2001) demonstrates that readers' knowledge can manipulate their reading comprehension. Background knowledge can be life experience or cultural background.Essential vocabulary should be clearly taught and learners should also be trained to employ context efficiently. Monitoring comprehension is significant to successful reading (Hedge, 2001; Lightbown & Spada, 1990; Nunan, 2001). Therefore, teachers need to follow their learners and make sure that they are learning by using all of these important

techniques for mastering reading comprehension and therefore the foreign language in general.

Learners reading rate can be improved through various aspects; scanning, skimming, predicting, and identifying the main ideas of a reading passage. Teachers are urged, according to (Nunan, 2003), to use reading strategies to boost learners' reading skills. Thus, teachers should ask their students to give oral reports about their readings so that they ensure that their students comprehend the text. This practice motivates students to practice more and interact positively with their readings. Furthermore, they can compare their reading comprehension skills with their peers and benefit from each other in the classroom.

The significance of reading comprehension in language acquisition

Reading comprehension plays a significant role in the language acquisition.Reading, for instance, not only enriches the learners' knowledge with vocabulary in English but also provides them with better vocabulary building skills. In other words, the learners can gain a solid understanding of how to derive the various forms of the different words from the origin or the infinitive form.

Reading comprehension can also enhance learners' comprehension skills and can provide them with basic structural knowledge of the language. When we read a text, we can infer the grammatical roles inherited in it. Therefore, we can deduce these grammatical structures such as subject, verb, object, subject complement, and object complement without any assistance from a grammar teacher.

Furthermore, reading comprehension can help the learners to infer and comprehend the main elements of writing. When we practice reading, we can deduce, for example, how to use connectors and conjunctions in the paragraph. Therefore, the learners can comprehend how to use sentence connectors and conjunctions correctly. Consequently, the learners in this case will be able to write a paragraph or an essay without making any major grammatical mistakes. They can also use cohesive devices in a consistent manner.

The learners can also learn great deal about the English culture especially if they choose to read authentic English reading materials (Holliday, 1994; Savignon, 1991). Learning the culture of the foregin language is especially vital and important part of being competent in foreign language learning (Omar, 2012).The content of cultural readings is very important for English learners. This kind of reading can teach language learners how to deal with native speakers and their cultures in different situations. It provides them with cultural content of the target language. There fore, become more competent in the target language and can communicate confidently in real life situations (Widdowson, 1978).

Teaching Methodology for Reading Comprehension

Teaching methodology is an essential part of teaching any language and developing skills.Each language skill needs a different teaching method. There are many methods used for teaching reading comprehension but many other methods are

not suitable to serve this purpose. In this paper, only some of the techniques of the most commonly used methods in this domain will be discussed. They will be discussed with reference to how suitable each method is for teaching reading. Other aspects of these methods such as their historical backgrounds and origins, the reasons as to why they came into existence and the critiques' perspectives and insights about them will not be covered here.

Grammar Translation method (GTM)

This method does not seem to be among the best methods for teaching reading comprehension. Although it requires the learners to maintain a lot of reading sessions, it does not bear any type of subject matter comprehension among its main principles. This method focuses mainly on the translation of the target text into the first language and listing the new words with their equivalents in the first language for memorization (Tamura, 2006). It also requires the learners to memorise the grammatical structures and rules of the target language. The learners then construct new sentences in the target language based on the knowledge they acquired through the memorization of the target grammar and vocabulary.

It is noteworthy here that the Grammar Translation Method is very common in the Libyan ELT context. It is widely used in almost all levels of English education in Libya (Ibrahim, 2015; Aloreibi & Carey, 2017; Borg & Orafi, 2009). The excessive demand of Libyan learners of English for translation might be one of the main reasons of adapting this method by Libyan ELT teachers.

Analytical Method (AM)

This method encourages the learners to start their learning of the target language through reading. However, this reading is not made for the sake of understanding the subject matter of the reading passage or acquiring any information about the target culture, for example. The reading tasks are not meant to motivate the learners to learn the foreign language or to encourage the habit of reading for pleasure either. The main purpose of reading, according to this method, is to analyse the reading passage into its smaller units of grammar and vocabulary (Hişmanoğlu, 2005). Thus, the Analytical Method is more or less simliar in purpose to the Grammar Translation Method in this regard.

Direct Method (DM)

The Direct Method or the "oral method" as it was called when it first came into existence at the beginning of the 19th century focused on improving oral presentation skills of the learners and not the knowledge of grammar and vocabulary.The followers of the Direct Method believe that "language is a speech". Therefore, it should be learned through exposure to audible authentic texts and not through studying of grammar and vocabulary(Pennycock, 1989).

Therefore, translation into the first language was strictly prohabited in this method. Teaching of the foreign language was made solely in the target language (Cook, 2010). The learners were required to imitate the language as they were exposed to the language and focus on maintaining accurate pronunciation of the sounds they hear.

The teachers are required to use diagrams, pictures, drawings and also use techniques such as paraphrasing to explain the difficult words to the learners (Tamura, 2006).

The reading part, according to this method, must comprise conversations and dialogues. The content must be made very interesting to the learners and need to sound natural and comprehensible to be used for the learners' everday life situations.Thus, the Direct Method does not suggest providing the learners with any extensive reading sessions (Harmer, 2007). It rather focuses on developing a native or near-native proficiency in English quickly and effeciently.

Communicative Language Teaching Method (CLTM)

Communicative Language Teaching Method (CLTM) is considered one of the most outstanding methods used for teaching a foreign language. Nunan (2003) defines language teaching methodology as "*a single set of procedures which teachers are to follow in the classroom*" (p.5). He defined communicative language method as a method that focuses on interactions as a vehicle in the learning and teaching process. This teaching method plays a very important role in helping the learrners learn English more easily, and prepares them to communicate positively in different situations. The method further allows the learners to interact in the classroom.This,provides them with opportunities to engage, interact, and practice more and, therefore, receive more exposure to the language (Savignon, 1991; Thompson, 1996).The Communicative Language Teaching Method connects language learning with activities and builds up learners' communicative competence (Chomsky, 1965).

There are views of reading comprehension that influence teaching reading skills such as bottom-up view, top down view and the interaction between two models. Nunan (2003) states that "*bottom-up model typically consists of lower- level reading processes. Students start with the fundamental basics of letter and sound recognition, which in turn allows for morpheme recognition followed by word recognition, building up to the identification of grammatical structures, sentences, and longer texts*" (p. 70).Thus, according to this view, in the top-down models the readers usemake predication, apply their previous knowledge and to examine the reading passage thoroughly to confirm or reject the predications in place.

Communicative Language Teaching Method has many advantages for English learners. A language is a communicative process that helps people to understand each other. Therefore, teachers should teach their learners how to communicate in different situations and let them interact positively not only in the classroom but also in all other different contexts. This interaction is an opporotunity to assist their learners to infer the meaning of words from different contexts during their readings and create a good atmosphere for the learners in their educational settings (Omar, 2010). When the English learners communicate in their classrooms, their reading language skills are developed and enhanced by using synonyms. This encourages them to predict and practice more vocabulary that may not be familiar to others.

Communicative Language Teaching Method is a very helpful approach in teaching reading comprehension since it helps English the learners to understand grammatical structures. This is specifically true when explaining to them the linguistic conventions while they read. Therefore, this enables them to identify various structural

components in the reading passage such as the used prepositions, adjectives, adverbs and tenses. They can discuss cultural issues when they read the reading texts. Reading comprehension, in this sense,promotes more interaction in the classroom. It motivates the learners to practice and interact with the text. This happens when the teachers ask their learners to summarize the texts either in writing or orally through verbal speech. This further develops not only reading skills, but also writing and speaking skills.

Communicative Language Teaching Method (CLTM) is more effective in teaching English as a second \ foreign language than other methods since it develops learners' communicative competence in their classrooms by practicing and working in pairs. This can be done by asking two students, for example, to prepare a summary about their readings. Furthermore, it gives the confidence to the learners and promotes them to participate in classroom activities. For instance, the role-play is a very important activity where learners are asked to report or give a summary about their readings and their colleagues contrast their reports. This can develop learners' speaking skills and can give them the confidence to work together in many different situations.

Unlike most of the other teaching methods, the Communicative Language Teaching Method helps the learners to improve their reading, writing, listening and speaking skills alike. For example, the audio-lingual method uses repetition so that the learners become familiar with the sounds and structures of the English language. They learn through repetition. In this sense, the learners may improve their speaking skills, but their reading comprehension skills remain undeveloped.

Results and Discussion

Results

As part of the data collection process of this reseach, we observed reading comprehension sessions in two secondary schools in Ajdabiya. We also observed a couple of reading sessions in one high school in Ajdabiya, a reading session in a general English class in one of the faculties of the University of Ajdabiya. To check the situation at a more specialised level in English, we finally attended three different reading sessions in the department of English where the learners are specialised in English. They were at reading II, reading III and reading IV levels in the department of English. Thus, they were supposed to be among the most capable performers in English. In addition to what has been presented earlier this section, we were surprised to learn that only a few students in each of the observed groups were able to read and discuss the entire reading stories which refelcts their relatively sufficient competence and proper performance in English. However, the majority of the observed students were reluctant to read, interact and reflect any kind of knowledge of the English language.

It is probably beyond the stated scope of this study to investiagte the reasons for the poor performance of the observed students of English in their reading classes. The other non-specialised students in English were even far less fortunate in this regard. They almost showed no interest in the subject, no knowledge or observable capacities in reading comprehension.

This indicates that this study has probably raised more questions than it has answered. It could not find answers to questions like why were the observed students

so reluctant in reading in English? Is it that they do not have sufficient knowledge in this aspect or is it our presence (the reseachers) that actually made them feel uncomfortable to work under the observation of the "outsiders"? Are the teachers really qualified to teach reading to the students? What sort of facilities and teaching aids are there to serve this purpose? Why do the learners show withdrawing attitudes toward learning English? Many learners (even in some advanced levels of English at the department of English) do not seem to have sufficient knowledge in English to the extent that they fail to read at word level. They almost stop at each word when they were asked to read by the teachers. When the teachers read a passage and ask the learners if any of them would read voluntarily. Only some of the learners raise their hands to indicate that would read the passage.

Another important point to add here is that care must be taken in dealing with the outcomes of this study as the samples used for the observation were not large enough to satisfy any generalisation purposes. They were made small due to the scope and limits suggested to this study at the designing stage of it. It was also suggested that these efforts were to be disucssed in light of other previous similar works of other researchers to make up for a more solid set of research studies. We are also hopeful that the results of our studies are going to be further exploited and possibly verified through further research works in the future. The questions raised by this study might also represent a valuable resource for curious researchers in the future.

Discussion

Teaching reading comprehension in Libyan ELT context

English education in Libya is generally based on the teaching of vocabulary and grammar (Ibrahim, 2015; Jha, 2014; Rajendran, 2010). It is mainly textbook and teacher-oriented. Interaction of learners and collaboration rarely takes place in Libyan English classrooms (Mohammadi & Alzwari, 2012). Teaching of reading comprehension is no exception. Despite the efforts to introduce a more comprehensive English curriculum in Libyan secondary and high schools by the Libyan Ministry of Higher Education, English education in the country remains limited to the teaching of grammar and reading (Borg & Orafi, 2009; Aloreibi &Carey, 2015). Other communicative skills are not taken into consideration by the teachers in classrooms (Omar, 2012). The way of teaching English in general by Libyan teachers of English is very hard to understand as many of them do not even have written lesson plans when they come to their classes (Hamed, 2016). This makes it hard to follow how they perform teaching and to determine the teaching method they use.

Teaching reading in an average reading class in Libyan ELT context normally starts with the teacher reading aloud to the learners before they are asked to read the same reading passage aloud too. Hamed (2016) observed a number of reading classes in Libyan schools and noted that the learners tend to read the reading passges word by word even after the teacher reads it aloud for them. This may indicate that the learners have problems understanding the subject matter of the reading story. They also have a tendency in common to stop or wait (sometimes for extended periods) to articulate the phonemes and syllabuses of words, as Hamed (2016) reports. Reading word for word is viewed in this sense as a technique to improve the learners' pronunciation of the

individual words. The teachers (intentionally or unintentionally) promote this type of learning behaviour by stopping the learners at each mispronouced word or morpheme and correcting them. This learning behaviour leads to distracting the learners and eliminating the culture of understanding the context of the reading passage as a whole in the Libyan ELT context.

Speaking of the reading context, the reading materials in the English curricula of Libyan secondary and high schools usually vary to cover different cultures, societies, literature and civilisations.However, the teachers, to a large extent, do not take advantage of this diversity in the study materials to motivate their learners to understand the context and encourage the culture of reading for pleasure. The learners do not think in the target (English) culture and do not take this reading passage as an opprotunity to understand this important aspect of the English language as it used by its native users of the language. They rather break the text down into words (and sometimes morphemes) and concentrate on the correct pronunication of these small parts. This, in turn, leads to losing track of the larger context. Therefore, they defeat the purpose of the Communicative Language Teaching Method (discussed earlier in this research) which they claim to use when they are actually not Hamed (2016). Ibrahim (2015) argues that this might be either because the teachers think they firmly understand the principles of the Communicative Language Teaching Method and how it should be applied in classrooms but, in reality, they do not. It could alternatively be because they do not have sufficient knowledge of the method but they do not acknowledge it to avoid embarrassment.

Theteachers also urge their learners to answer the questions which are designed to measure the readers' comprehension of the reading passage (Ibrahim, 2015). However, the learners (in most of the English education levels in Libya) read each question and then return to look at the individual words of the reading passage in an attempt to find the identical words between the question and the sentence in the reading passage. The learner then takes that sentence from the beginning to the end (from full stop to full stop) and use it as an answer to the question indicating that they do not undertand the passage and its context as whole.

Thus, the learners only read at word level and they do not read at structure level. This might be traced back to their lack of structural practice and knowledge. In fact, they do not even have sufficient knowledge at word level. This also indicates that many of the Libyan teachers themselves require professional development courses to improve their reading skills (Hamed, 2016) and teaching knowledge capacities (Ibrahim, 2015).

The process of teaching reading in Libyan context seems to be extremely random and disorganized. Hamed (2016) reports that many teachers claim they use various methods of teaching such as the Grammar Translation Method and Communicative Learning Teaching Method in their reading classes.However, it is not clear whether they actually use any of these methods in the classrooms. Most of the teachers he observed in his classes had no written lesson plans when they came to their observed reading classes. The exact same scenario was documented in this research in the randomly chosen reading classes for observation.

Recommendations and Conclusion

Recommendations

Having examined the teaching of reading comprehension at secondary and high schools in Ajdabiya and also some of the reading sessions at the Department of English in the University of Ajdabiya, the researchers would like to recommend the following:

- To further investigate the reasons as to why the Libyan learners of English (in their compulsory English courses) show negative attitudes and seem reluctant to get engaged and read aloud in the classrooms.
- The state-designed English reading materials and textbooks in secondary and high schools seem to be authentic and suitable for their levels. However, the teachers at the universities are liberal to choose their own reading materials for their students leading to a state of randomness in the learning process. It is, therefore, recommended that the Libyan government designs suitable reading materials.
- Many of the current teaching practices of the Libyan teachers in schools and universities in Libya indicate that the Libyan government should promote more professional development courses, seminars, workshops and conferences for the teachers of English.The teachers, for example, require more training on how to maintain a proper process of teaching reading comprehension in classrooms. This would increase the quality of the teaching capacities of the teachers at both levels and therefore the quality of the English education in Libya.

Conclusion

Although research (e.g. Robertson & Acklam, 2000) indicates that learners do vary with regard to the way they learn foreign languages, it can be concluded here that the Communicative Language Teaching, if firmly understood and properly used by the teachers, is one of the most, if not the most, effective methods for teaching foreign languages. It is, therefore, unrealistic, to say that there is one comprehensive teaching method that suits all learners of foreign languages alike. However, the Communicative Language Teaching Method provides anopprotunity for Learning languages through interaction. It helps the learners to gain mastery over the foreign language and transfere knowledge from short-term memory to long-term memory of the learner. This, in turn,helps the learners to gain the confidence they need to use the language orally and for many different purposes.

Learning by reporting the learners' readings can increase and develop their language skills and make them acquire language quicker. Reporting their readings orally or in writing can enhance their reading, speaking and writing skills. Furthermore, the Communicative Language Teaching develops the learners' communicative *competence and performance*in their classrooms by practicing and working collaboratively. Moreover, it makes learners feel more comfortable so they can participate in classroom without hesitation.

References

Abidin, M. J. Z., Pour-Mohammadi, M., & Alzwari, H. (2012). EFL students' attitudes towards learning English language: The case of Libyan secondary school students. *Asian social science*, *8*(2), 119.

Abosnan, S. H. (2016). *The teaching of reading English in a foreign language in Libyan universities: methods and models* (Doctoral dissertation, University of Glasgow).

Abubaker, A. (2007). Influence of core cultural values on the communication behaviour of staff in Libyan organisation. *Research paper, Annual Review of Education, Communication & Language Science, ARECLS, 4.*

Aloreibi, A., & Carey, M.D. (2017). English language teaching in Libya after Gaddafi. In English Language Education Policy in the Middle East and North Africa (pp. 93-114). Springer, Cham.

Blachowicz, C., & Ogle, D. (2017). *Reading comprehension: Strategies for independent learners*. Guilford Publications.

Chomsky, N. (1965). *Aspects of the Theory of Syntax* (Vol. 119): MIT Press (MA).

Cook, G. (2010). *Translation in language teaching: An argument for reassessment*. Oxford University Press.

Hall, D., & Hewings, A. (2001). *Innovation in English language teaching*: A reader: Routledge.

Harmer, J. (2007). *The practice of English language teaching.* New York, Pearson.

Harris, D. P. (1969). Teaching English as a Second Language. New York, Mc Graw-Hill Book Company.

Hedge, T. (2001). T*eaching and learning in the language classroom*. Teaching and Learning, 5(3).

Hişmanoğlu, M. (2005). Teaching English through literature. *Journal of Language and Linguistic studies*, *1*(1).

Holliday, A. (1994). *Appropriate methodology and social context: Cambridge*: Cambridge Univ Press.

Ibrahim, A. (2015). Teaching and learning of English in Libyan universities: A case study investigating the English language teaching knowledge of Libyan pre-servie teachers of English in the University of Benghazi, Agdabia Faculty of Arts and Sciences in Libya. Retrieved from:https://scholar.google.com/scholar?cluster=6767662793755908202&hl=en&as_sdt=0,5

Jha, S. K. (2014). An Ethnographic Insight into the Causal Factors of Degrading English Education in Ethiopia, Libya, and India. *International Journal of Language and Linguistics*, *2*(2), 44-55

Kim, S. A. (2002). A Critical Reflection on the 'Teaching English Through English'Classes in the Korean Context. *English teaching*, *5*(7), 4.

Lado, R. (1961). Language Testing: The Construction and Use of Foreign Language Tests. London: Longman.

Lightbown, P. M., & Spada, N. (1990). Focus-on-form and corrective feedback in communicative language teaching: Effects on second language learning. *Studies in second language acquisition*, *12*(4), 429-448.

Nunan, D., & Lamb, C. (2001). *Managing the learning process*. In Hall, D. R., & Hewings, A. *Innovation in English language teaching*. A reader: Routledge.

Nunan, D. (2003). *Practical English language teaching*. McGraw-Hill/Contemporary.

Orafi, S. M. S., & Borg, S. (2009). *Intentions and realities in implementing communicative curriculum reform*. System, 37(2), 243-253.

Pennycock, A. (1989).*The Concept of Method, Interested Knowledge and the Politics of Language Teaching*. TESOL Quarterly, 23, 589-618.

Rajendran, S. (2010). ELT in Libyan Universities-A Pragmatic Approach. *LANGUAGE IN INDIA, 9*, 63.

Richards, J. C., & Rodgers, T. S. (2001). *Approaches and methods in language teaching*. CUP.

Robertson, C., & Acklam, R. (2000). *Action Plan for Teachers*. A guide to teaching English. BBC World Service.

Savignon, S. J. (1991). *Communicative language teaching: state of the art*. TESOL Quarterly, 25(2), 261-277.

Stringer, E. (2004). *Action research in education*. Upper Saddle River, NJ: Pearson.

Thompson, G. (1996). *Some misconceptions about communicative language teaching*. ELT journal, 50(1), 9-15.

Widdowson, H.G., (1978). *Teaching language as communication*. Oxford: Oxford University Press.

Youssif, A. M. S. (2012). Role of motivation and attitude in introduction and learning of English as a foreign Language in Libyan High Schools. *International Journal of Linguistics*, *4*(2), 366-375.

تصميم الغلاف : www.youcan.tn

. البريد الإلكتروني للمجلة :

http://www.elbahithmagazine.com

info@elbahithmagazine.com

Member Of Talal Abu-Ghazaleh Organization

TN/T/2015/00406 www.agip.com

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر عن وجهة نظر هيئة التحرير.

حقوق النشر للمواد المنشورة في **مجلة الباحث** *تقر بشكل خاص بين المجلة والمؤلفين. إن أي استنساخ للمواد المنشورة في المجلة دون إذن مسبق من المجلة يعدّ انتهاكاً لقوانين الملكية الفكرية.*

رقم الإيداع والترقيم الدولي: ISBN978-9938-12-733-1

الإخراج الفني : عادل جابر

Trademar

Search for Change

ELBAHITH JOURNAL

Journal researcher

Eighteen Issue
July 2018

Abu-Ghazaleh Intellectual Property